

١٧١

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

الشمس على عجايب بايع لما كنّا وغرباً لا ياباً باهراً

تأليف

الأستاذ الحكيم شيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقاً
متع الله المستدين بحياته آمين

الجزء الثالث عشر

طبع بطبعة

مُصطفى السبّاحى الحسبى وأولاده بمصر

والتحق لطبع محفوظ

بأشرطبعة - محمد امين عمران

شوال سنة ١٣٤٧ هـ

١٧١



في تفسير القرآن الكريم

استعمل على جواب الشيخ العلامة د. عبد الله بن عبد الرحمن

تأليف

الأستاذ الشيخ طهطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
مع الله المسكين يحيى أمين

المجلد الثاني عشر

طبع مطبعة

مصطفى السباني الحسبي وأولاده بمصر

وحق الطبع محفوظة

بأشرطه - محمد أمين عثمان

شوال سنة ١٣٤٧ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء مكية

(إلا آية - ولونزلناه على بعض الأعجمين - ومن قوله - ألم تر أنهم في كل واد يهيمون -
الى آخر السورة فذنية ، وهي ٢٢٧ آية)
(وهي سبعة أقسام)

- (١) مقدمة في تسليمة النبي ﷺ على اعراضهم عن الدين وفي الاستدلال على الله بهجائب الطبيعة
 - (٢) وقصة موسى وفرعون
 - (٣) وقصة ابراهيم عليه السلام
 - (٤) وقصة نوح عليه السلام
 - (٥) وقصة هود وعاد وثمود وصالح
 - (٦) وقصة قوم لوط وشعيب
 - (٧) خاتمة السورة في وصف القرآن بأنه نزل به جبريل وأنه شهد به علماء بني اسرائيل وأنه لا يقدر على مثله الشعراء الخ * بروى أنه ﷺ قال ﴿ أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام ﴾
- (القسم الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ *
إِنْ نَشَأْ نُنزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ

مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُفْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

التفسير اللفظي

(طسم) تقدم تفسير البسملة في الفاتحة و - طسم - في أول آل عمران وسيأتي هنا (تلك آيات الكتاب المبين)
أي هذه الآيات التي في هذه السورة آيات القرآن الظاهر اعجازه المبين باللال والحرام والأمر والنهي (لعلكم
باخع نفسك) قائلها ولفظ لعل لا شقاق أي اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة وخزنا على ما فاتك من اسلام
قومك وقوله (ألا يكونوا مؤمنين) أي خيفة امتناع كونهم مؤمنين والمراد بهم قريش وكان حريصا على
ايمانهم محبة له ، فلا يجزع يا محمد (إن نشأ) ايمانهم (نزل عليهم من السماء آية) دلالة ما جئنا الى الايمان
(فظلت أعناقهم لها خاضعين) منقادين لما وصفت الأعناق بصفة العقلاء أجريت مجازهم وظل الماضي في
معنى المضارع كما تقول ان زرتني أكرمك أي أكرمك كما قال الزجاج (وما يأتيهم من ذكر) طائفة من
القرآن (من الرحمن) يوحى الى نبيه (يحدث إلا كانوا عنه معرضين) إلا جحدوا اعراضا عنه واصرارا على
الكفر (فقد كذبوا) أي بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا في التكذيب - حتى استهزؤا (فسيأتهم) اذا مسهم
العذاب يوم بدر أو يوم القيامة (أنبؤا ما كانوا به يستهزئون) فيعرفون أحق كان فيصدق أم باطل فيكذب
ويستهزؤا به (أولم يروا الى الأرض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود
كثير المنفعة فان النباتات بلغت أنواعها ٣٤ ألف نوع واسكن منها منافع ومناظر وخواص وطبائع وعجائب
تخالف الثاني ، والانسان الذي هو أرقى المخلوقات في الأرض له في كل نبات منفعة ، فنه الدواء ومنه الغذاء ومنه
الروائح العطرية ومنه خشب السقف ومنه شيايبك المنزل وبعض السفن في البحر والزيت والفاكهة الزيتي
منها والعطري والمائي والحصى والسكرى والمز (إن في ذلك) أي في انبات تلك الأصناف وفي كل واحد منها
(آية) على ان الخالق تام الحكمة عليم سابغ النعمة واسع القدرة وقد علم الله أن أكثرهم قد طبع على
قلوبهم فلا يرجي ايمانهم (وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك هو العزيز) في انتقامه ممن كفر (الرحيم)
لمن آمن منهم وناب . انتهى التفسير اللفظي للقصص الأول . وههنا لطيفتان

اللطيفة الأولى في معنى - طسم - ومعنى - كهيعص -

هذا ما فتح الله به في فجر يوم الأحد ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٨ في معنى - طسم - وفي معنى - كهيعص -
ومعنى - كهيعص - لم يخطر لي إلا في هذا الصباح ، وذلك أن المقصد من هذه الحروف توجيه النفوس الى المعاني
المهمة في السورة من تعليم وتهذيب ، فترى أن الكاف تشير الى أن تذكر قصة زكريا في أول السورة وأنه
دعا الله أن يجعل له وليا يكون نافعا لبنى اسرائيل بعد وفاته فأجيب دعائه ، والسبب في الاجابة أن هذا الدعاء
قصد به العموم لا الخصوص ، فليعلم المسلمون أن الانسان لا تتم انسانيته إلا بأن يوجه همه للمنافع العامة كما
في أمر زكريا ، وهذه المعاني استنتجت من هذه القصة لكان الكاف في زكريا وفي اذكر ، وأما الكاف
في ربك فكأنه يقول سبحانه ان ربهم هو ربك أيها المسلم فلتفعل ما فعلوا فان الله يعينك كما أعانهم وهذا
هو المقصد من القصص فان القصص إنما يراد للتذكير والقادة

ومن المحزن والمؤلم أن يمر المسلم على هذه الآية وهو غافل عن النبات ، فيأبىها الذكر المطاع على هذا التفسير سألتك بالله الذى أنزل الكتاب وخلق النبات أن تكون مرشداً للمسلمين لهذا العلم ، فخذ أصدقه وأحبائك وأدرسه دراسة هذه صورتها « اذهب الى الحقل وقرأ هذه الآية ثم تقدم الى أنواع النبات وانظر الى تنوعها واختلافها ، وإياك أن تسكتي بالظواهر ، إياك أن تقول أنا آمنت بالله وكفى فهذا قول العاقلة بل الإيمان بالله يقتضى التغافل فى النظر الى عجيب اتقان صنعه » فإذا ذهبت الى الحقل رأيت آيات

﴿ الآية الأولى . تنفس النبات ﴾

إن الانسان والحيوان يتنفسان وهكذا النبات يتنفس . إن الانسان يخرج بتنفسه من غاز حامض الكربونيك كل يوم (٢٥٠) جراماً من الكربون العنبر ، وعلى ذلك لودام الانسان والحيوان يتنفسان على طول الزمان لازم أن الهواء الجوى ينفذ ويموت الانسان والحيوان بعد زمن وإن كان طويلاً لأن الأكسوجين الذى يمتصه الجنس البشرى فى السنة الواحدة (١٦٠٠٠٠٠) مليون متر مكعب . ويقال إن الحيوانات الباقية تنفس أربعة أضعافه ، فإذا كان هذا هو الذى يمتصه الحيوان وكان يخرج منه من الفحم بالمقدار المتقدم بحيث يكون سكان القطر المصرى وحدهم يخرجون من أفواههم فى السنة (٤٠٠٠٠٠) طن من الفحم فى السنة ، فإذا تصورنا عموم ذلك فى كل حيوان وانسان تصورنا كيف يكن فناء هذه الاحياء بعد حين ولكن انظر الى عجائب الصنعة الإلهية . انظر الى حكمة بديعة وآية غريبة . ذلك أن النبات يحتاج فى تركيبه الى الفحم وذلك الفحم انما يأخذ مما لفظه الحيوان وهو حامض الكربونيك وفيه أكسوجين وكربون أى فحم ، فانظر كيف سار ذلك الحامض الكربونيك من الحيوان الى النبات ودخل فى جسمه وحلل هناك بعملية تحت تأثير الشمس ولفظه النبات الى الجو . ألا تتعجب من كيف تركيب الأكسوجين والكربون فى جسم الانسان والحيوان وكيف لفظه الحيوان فدخل فى جسم النبات فتحلل هناك بتأثير الشمس ومضى تحلل خرج الأكسوجين الى الهواء فدخل فى أجسام الناس والحيوان بصفة عملية التنفس . أليست هذه آية من آيات الله وعجائبه . يارب ان الناس غافلون بل ربما يمر عالم النبات على هذا وهو غافل عن تركيب هذه الدنيا نعيش ونحن لاندرى أن هناك معامل تحلل لنا حامض الكربونيك وتلك المعامل فى النبات ولاندرى أن لطيف الهواء بالأكسوجين والأكسوجين يأتى من النبات ونعيش ولا نعلم أن أنفاسنا تخرج فى الهواء فحما وذلك الفحم يصير فى النبات الذى نلبسه ونوقد به النار وتغذى به وتداوى وغير ذلك

﴿ الآية الثانية ﴾

اعلم أن النبات لا يتنفس إلا الأكسوجين النافع لنا إلا تحت تأثير الشمس ، ألا ترى أنك لو وضعت عشباً نامياً تحت إنباء زجاجى يسمونه فى علم الطبيعة (قابلة وضعية) وهذا الاناء بشكل اسطوانى فإذا وضعته مقلوباً وهو مملوء ماء فى إناء فيه ماء بحيث يبقى الماء غامراً العشب فى القابلة وعرضته للشمس فلانبتت أن ترى فقاقيع غاز صغيرة تظهر على سطوح الأوراق ثم تصعد الى أعلى القابلة وتدفع الماء تحتها ولا يزال الغاز يجتمع هناك حتى تمتلئ القابلة منه وهذا هو غاز الأكسوجين الذى ينفذ فى مشعلة ليزادت نورا شديداً وهذا دليل على أن هذا هو الأكسوجين . أما إذا كان ذلك بالليل فإن النبات لا يتنفس الأكسوجين بل يخرج بالليل حامض الكربون كما يفعل الحيوان لأنه لا يستخرج الأكسوجين إلا بتأثير الشمس فإذا نام الناس فى غرفة مقفلة فيها عشرة أعشاب حية فإن هواء الغرفة يفسد بنفسها كما يفسد بتنفس عشرة أشخاص ، واعلم أن تنفس النبات بالليل ليس كثيراً كتنفسه بالنهار فلا يلزم من ذلك فساد التناسل بينه وبين الحيوان فى التبادل فافهم

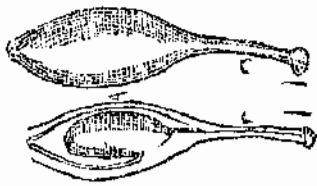
﴿ الآية الثالثة ﴾

اعلم أن النبات يتصاعد منه بخار كما يتصاعد من البحار والبحيرات ولذلك يقول العلماء انه كلما كثرت الشجر

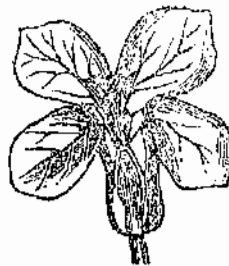
في بلد زاد المطر لأن البخار يذهب الى الجو كما يذهب من البحار ويكون سحابا ، وقد جرت ذلك الاستاذ (موشبروك) في (الندن) فانه غطي العشب بقابلة من الزجاج باحتراس فرأى على سطوح الأورق قطرات من الماء وهي المسماة بالندى ، وعلى ذلك استنتج العلماء أن أكثر ما يراه الناس على النبات من الندى ليس من السماء وإنما هو من البخار المتصاعد من النبات ولذلك وجدوا أنه يتصاعد من بعض النبات مضاعف وزنه ماء في اليوم والليلة ، وهناك نباتات تقدم ذكرها في هذا التفسير تسمى (نبات الأباريق) تنتهي بأقداح اسطوانية تمتلئ ماء به يسقي الناس ويقانون من الهلاك فتعجب من صنع الله تعالى . انظر كيف كانت الشمس سرسلة أشعتها على البحر وعلى النبات فلماذا فعلت ؟ أطارت من البحر بخارا فصار سحابا وحالت من النبات اكسوجينا فلطفت الجو وفتنفسنا . فانظر كيف أثارت الشمس البخار من البحر والاكسوجين من النبات فكان المطر لحياتنا والاكسوجين وهم الأهم لتنفسنا ، فيا ليت شعري هل للإنسان دخل في تحليل الاكسوجين أو في صعود الماء بخارا ان الانسان في الخالين يقول ما يقوله المسلم في الصلاة عند الرفع ﴿ اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ﴾ . يعيش الانسان ويموت وهو في جو من الاكسوجين حاله الشمس من النبات وفي نعمة النبات والحيوان والماء بسبب خروج البخار من البحر بحرارة الشمس ويخرج البخار من النبات فيرتفع الى أعلى فيصير سحابا وقد تطاير بخاره من النبات الذي هو الخزن البري للماء كالبحر

﴿ الآية الرابعة . الزهرة ﴾

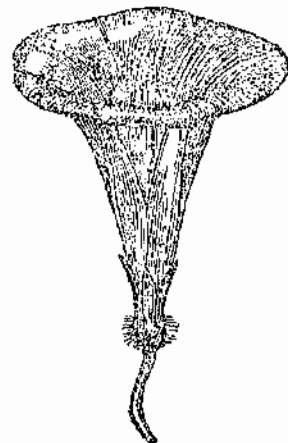
قلت لك في أول هذا المقام خذ أصحابك واذهب الى الحقل والزهر والبساتين . قلت لك ذلك ولكن لم أشرح لك شيئا في الحقل إنما ذكرت لك أشياء عامة ، فهناك ما تدرسه وأنت في الحقل وهذه الدراسة درست سورة الشعراء ومقصودها ودرست علوم القرآن ودرست علوم حب الله تعالى ودرست الدين ودرست التوحيد وكنت في نفس الوقت عابدا . كلا . كلا . فأنت أفضل من ألف عابد لأنك بعد هذا الدرس الآتي ستكون عالما حقيقة مطالعا على آثار جمال الله الظاهر البديع المدهش . انظر معي ألهمك الله العلم وعشقك في الحكمة وحبك في لقائه وانظر الى وجهه الذي من مقدماته دراسة المخلوقات بشوق ولهف وحب (انظر شكل ١ وشكل ٢ وشكل ٣ وشكل ٤ وشكل ٥)



(شكل ٣)



(شكل ٢)



(شكل ١)



(شكل ٤)



انظر الى الشكل الأول فان الزهرة قطعة واحدة ونراه في حقولنا المصرية كثيرا وشكل ٢ ترى فيه الزهرة مفصلة أوراقها ، وفي شكل ٣ ترى عضو الاناث مكونا من خيط ينتهي من أعلاه بجسم مفرطح يسمونه السمة وأسفله يسمونه المبيض وهذا المبيض فيه بويضات صغيرة وهي أصول البذور يتسكون منها بعد التلقيح الخمر وشكل ٣ عضو الذكور وأعضاء الذكور تكون حول عضو الاناث وهي خيوط صغيرة يعاوها جسم صغير متنفخ يسمى بالاثير أوفيه مسحوق وهو الطلع ووظيفته كوظيفة المنى وقد تعدد أعضاء الذكور في الزهرة حتى اذا فسد بعدها قام الباقي مقامه والذكور حول الأثي كأنها تحفظها وهذه الذكور تحيط بها أوراق التويج المحفوظ والزينة وأوراق التويج تحيط بها أوراق السكاس لحفظها من حوادث الجو والشكل الخامس هو الشكل الذي رسمناه في سورة الأنعام ونعيده هنا لزيادة الفائدة ، فالزهرة السكاملة مؤلفة من حافظة لشكلها محيط به ووسط داخل في ذلك المحيط والمحيط بها مؤلف من طبقتين والأوراق الخضراء المسماة بالسكاس ، والأوراق الملونة التي في داخلها المسماة بالتويج وهي ملونة بألوان بهجة تسمى الناظرين وتسمى أوراق السكاس بسلا وأوراق التويج بتلا ، والذي هو في الوسط «قسمان» أعضاء التذكير وهي المسماة بالاسدية جمع سداة والسداة كما رأيت في الشكل مركبة من خيوط تنتهي بحزمتين متنفختين فيه طلع وهذا الانتفاخ يسميه النباتيون (الاثير) والذي عليه هو الغبار أو الطلع أو البلمن ، والقسم الثاني أعضاء التأنيث وهي المسماة بالمدقات جمع مدقة كما رأيت في الرسم وهذه المدقات تنشأ من قاعدة الزهرة وهي المسماة (البخنة) وأسفل المدقة يقال له مبيض وأعلاها يسمى السمة وما بينهما يسمى (القلم) ، وقد تقدم ايضاح هذا في سورة الأنعام وفي سورة طه

فاذا ذهبت الى الحدائق والحقول فانقن هذه الأربعة واعرفها فان السكاس والتويج هما الحافظان والاسدية والمدقات هن المقصودات بالذات ، فانظروا تعجب ترى المدقات تقوم مقام الاناث في الحيوان والاسدية تقوم مقام الذكور ولذلك تجد كل أنثى قد عطفت على الذي بجانبها وهو قد انعطف نحوها كما رأيت في الرسم وكيف يكون التزاوج بينهما ، كيف يكون ذلك وأكثر الناس لا يعلمون ، يقول الله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - تناقض واختلال . انظر تجد أن الطلع وهو الغبار المسمى (البلمن) يقع من الاثير على السمة في أعلى المدقة فيلقح بذورها في المبيض بأسفل المدقة . إن البلمن الذي كور غبار دقيق اذا بحثناه بالآلة المعظمة وجدنا أشكاله هندسية منها السكروي والهرمي والبضي والمستطيل والمثلث ومنها الأملس والمخطط والمثلث واذا أمكنك بحث دقيقة من ذلك الغبار وجعلتها تحت المنظار المعظم وجدتها عبارة عن حو بصلة لها غلاف مزدوج وفي جوفها سائل تسبح فيه كريات تعد بالملايين سموها (الأحياء الأثيرية) فالاسدية والمدقات

تجتمع في زهرة واحدة كما رأيت ويتم الغبار على السمة فيتماق بأهذاب لها هناك ثم ينزل الغبار المذكور وله تنوع يستحيل ويحترق القم حتى يصل إلى أسفل المدقة وهو البيض وفي هذا المبيض جزائيم البذور فإذا لامسها ذلك التنوع النازل من الطلع تلقت وتفت ودارت بذرا إذا بلغ وغرس في الأرض نبت وأثمر - هذا إذا كان في زهرة واحدة وهي القاعدة العامة وذلك كالورد والبنفسج والآس والارمان والشقيق والدقلة وقد تكون سلة واحدة ومدقة واحدة في الزهرة كما في نبات ماى يسمى (ذنب الفرس) وقد تكون الاسدية على زهرة والمدقة على زهرة أخرى في النبتة الواحدة وذلك كالخيار واليقطين والكستنه والكوسا والقرع وقناء الحار وقد تكون الاسدية على شجرة والمدقة على أخرى كما في الصنوبر والصفصاف والبطم والتين

﴿ الزهرة الكاملة ﴾

الزهرة الكاملة هي التي لها كأس وتويج وسداة ومدقة كما رأيت، وإن فقد منها واحد فأكثر فهي غير مستوفية

﴿ الزهرة القانونية ﴾

هي الزهرة التي تشابهت فيها أقسام الكأس والتويج كالخوخ والكرز واللوز وإن اختلفت سميت الزهرة غير قانونية مثل (البسلة) و (رأس السمك)

﴿ الزهرة المنتظمة ﴾

هي التي أوراق الكأس والتويج والاسدية فيها على عدد واحد أو مضروب عدد واحد، إذا فقدت الزهرة الاسدية والمدقات فهي عقيمة لا يكون لها بزور كبعض الزهور البستانية الزاهرة النوق وكالورد البستاني إذا فهمت ما ذكرته لك عرفت كيف قسموا النبات إلى أجناس وأنواع ورتب وفصائل الخ ذلك التقسيم على حسب الزهرة منتظمة وغير منتظمة ، قانونية وغير قانونية ، كاملة وغير كاملة ، وأجزاء التويج وأجزاء الكأس أهي متصلة أم منفصلة ، وهل اتصلت بالصف الذي يليها أم انفصلت عنه ، وما عدد أوراق كل من الكأس والتويج والاسديات والمدقات وما أشبه ذلك ، فهذا الاختلاف أمكن تقسيم النبات إلى أنواع بلغت آلاف وآلاف فتجب من العلم والحكمة

﴿ زهر العلق ﴾

الزهرة قانونية الكأس خمس قطع متصلة عند قواعدها ، التويج خمس كذلك لكنها متبادلة الوضع مع القطع التي في الكأس ، الاسدية كثيرة ولكنها موضوعة على التويج والمدقة مؤلفة من عدة جويقات

﴿ الخبازي ﴾

الزهرة قانونية ذات خمس فلول ، الكأس خمس قطع متصلة ، التويج خمس قطع منفصلة متبادلة مع قطع الكأس الاسدية كثيرة ، المدقة عدة جويقات متصلة وعدة أقلام وعدة سمات مختلفة

﴿ جمال العلم والحكمة ﴾

اعلم أنه قد يقع على السمة الواحدة التي في أعلى المدقة ألوف الألوف من الغبار الدقيق المنتشر عليها من السداة ، ومعلوم أن الواحدة منها فيها ملايين من مخلوقات ساجدة كما قدمنا ومع ذلك هي لا تحتاج إلا إلى واحد من ذلك كله ، فهذه كلها أشبه بخطاب جاؤا إلى عروس واحدة فتقبل واحدا وترفض الباقين

﴿ الآية الخامسة . اهتزاز النبات عند التلقيح ﴾

قد لاحظ الأستاذ الفسيولوجي (بورداخ) أن النبات يهتز في أثناء التلقيح اهتزازا خاصا فتعطف السداة نحو السمة وقد تشاركها هذه فتعطف نحوها كأنهما تتعانقان ، ثم إن الحرارة تعظم في أثناء التلقيح وبعض النبات لا تعرف اشتداد حرارته عند التلقيح إلا بمقياس دقيق وبعضها تظهر بالترمو متر اعتمادا وبعضها ترتفع وتشتد الحرارة حتى إذا لمست الزهرة شعرت بحرارتهما ومجبت كيف لا تحترق الزهرة بهذه الحرارة وذلك كزهرة

النبات المسمى (ارام) بلسان الفريجة ومنه نوع في إيطاليا تبلغ حرارته (٦٣) بميزان سنتيكراد وهذا النبات أسديته في زهرة ومدقته في زهرة أخرى وكلاهما على شجرة واحدة كالخيار ، ثم ان تقبيح البانبات التي هي مفردة الجنس يكون بالهواء أو بالحشرات كما هو واضح في هذا التفسير فيما تقدم ﴿ الآية السادسة . النبات يحس ويتحرك ﴾

قد ظهر لك مما تقدم أن في الحيوان مبدأ الحس ومبدأ الحركة . قال (يشا) العالم الفيسيولوجي الفرنسي المتوفى سنة ١٨٠٢ م « إن في النبات حسا بالسموم فهي تشبه والكهربائية تتيه ، وبعض النبات اذا سقى الأفيون نام نوما عميقا » وهكذا السلامة (جويرت) و (مقار) « إن الحامض البروسييك يسم النبات بسرعة كسرعة سم الحيوان به » وايضا يلاحظ الناس أن النبات الحساس ينكمش اذا لمست مائة مهيجة . وقال (كلودوري) « إنك اذا هيئت أطراف ورق الخس درت بعض عصارها ، إن بعض النباتات التي يستنبها الناس في القاعات تكون يانعة أثناء النهار ولكنها في الليل تغلق أزهارها وترخي أغصانها وتنام ، هكذا السط الحساس متى لامست بعض أوراقه انطبق بعضه على بعض وذبل » فالخس في هذا النبات تبعته الحركة كما علمت ، وهناك نبات هندي اسمه (دسموديا) اذا أشرقت الشمس عليه تحركت ورقتان فيه بالتقارب والتباعد على الدوام كعقرب الدقائق في الساعات ، واذا قطعت غصنا منه طأت أوراقه تتحرك بعد القطع مدة طويلة وربما كان ذلك بضعة أيام ، ومنها (مصيد الفأر) وهو نبات له غدد اذا وقعت فيها ذبابة انطقت أهدابها عليها ولسعها بأشواكها ، فاذا حاولت الذبابة الفرار انقضت الكاس عليها حتى تخمد أنفاسها ، واذا اردت فتح الكاس بيدك عنوة تنزقت ولم تفتح وانما تفتح من تلقاء نفسها متى ماتت فريستها

﴿ الآية السابعة ﴾

يشاهد في كثير من الأزهار أن السداة عضو الذكبر والمدقة عضو التأنيث كما فهمت في زمن اللقاح يهتز اهتزازا ظاهرا أحدهما نحو الآخر لاتمام اللقاح وقد تنطف أحدهما دون الأخرى وبعض الأزهار المائية تطفونهارا على سطح الماء فاذا جاء الليل غاصت في قاع البحر

﴿ الآية الثامنة ﴾

إن العلماء رأوا أن الطلع وهو المسمى (البكن) الذي عرفته فيما تقدم قد يكون له في بعض النبات أجنحة أو أهداب يسبح بها على الماء أو يطير في الهواء لاتمام العمل الذي خلق له

﴿ الآية التاسعة . شجر المسافرين ﴾

في (مداغشكر) شجرة تسمى (شجرة المسافرين) وهذا النوع تحمل كل واحدة منه ٢٤ ورقة وطولها يختلف ما بين متر و٨٠ سنتيمترا وقد يكون مترين وخمسين سنتيمترا ، وعرضها من متر إلى متر و٨ سنتيمترات وهي أشبه بمظلات وتحت كل ورقة منه ما يشبه القارورة وفيه نحو لتر من الماء الصافي . ويكثر هذا الشجر في الصحاري وينفع المسافرين أيام القيظ حيث لا يوجد ماء فيشربون تلك القارورة فينسكب منها الماء الصافي فيروى عطشه ثم يتركها فتعود كما كانت أي يلتجئ مكان الشق

﴿ الآية العاشرة وهي الأخيرة . شجرة اللبن ﴾

هذه الشجرة توجد في بلاد أمريكا وأهل المكسيك يستخرجون لبنها . وقد كشف هذه الشجرة (اسكندر همبولت) وقد حلل العلماء لبنها فوجدوه كاللبن الحيواني وهو أكثر شها بالقشدة وفيه أيضا مقدار كبير من شمع يشبه شمع العسل وأشاروا بتربية هذا الشجر لارتفاع بشمعه وهذه الشجرة من الفصيلة الدفلية تنبت في أواسط أمريكا وتبلغ في الارتفاع ثلاثين مترا ويخوف (فنزويلا) حيث تقل الأمطار وقد تمر على الشجرة أشهر لاتصيدها قطرة ماء حتى ترى كأنها ميتة فاذا جرحتها بمعدة السكب منها سائل أبيض كبير الشبه

باللبن رائحته بلسمية خفيفة وطعمه يشب القشدة المحلاة وهو مفيد . يمكن تناوله بكميات كثيرة صباحا ومساء
ولا يحصل منه ضرر مطلقا وهو لزج القوام اذا عرّض للهواء غشيتة مادة صفراء متجمدة كالجبين . ثم ان بعض
النبات يفرز مادة مثل (سنّ الفيل) . فانظر كيف أخرج النبات من فيل ولبنا وشمعا وهو أيضا يضيء . كما تقدم
في سور قبل هذه ويسقى الناس ماء في الصحراء

أيها الذكي . هذا هو المقصود من قوله تعالى - أولم يروا ان الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم -
يقول الله لجميع الناس ومنهم المسلمون لأن هذا القرآن تذكرة لنا معاشرا المسلمين أعميت أيها الناس فلم تنظروا
عجائب النبات المذكورة وذلك بعد أن أنذر بقوله - إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعينهم لها
خاضعين - فكأن الله بهذا الكلام يقول للعقلاء إن لم تفكروا في آياتي وتعاوها كآيات التي في النبات فاني
أهلككم كما أهلك أهل أمريكا الأصليين وكما أهلك أهل استراليا . فأنا لا أبقى في ارضي إلا الذين
يعثون فيها عن عجائب صنعى إن نشأ نزل عليهم من السماء بلية ولكننا أبقيناهم عسى أن يفكروا فيما
خلقنا فيصلحوا لهارة أرضنا فلانها كهم . هذا هو مقصود القرآن على ما يقتضيه الزمن . ومن العجب أن
القسم الثاني من السورة يدعو هذا النحو . ألم ترالى نبأ موسى المذكور فيه كيف كانت محاجة موسى لفرعون
على هذا الخط فانه لما سأله مارب العالمين لم يجبه بالعصا ولا باليد وانه قادر على ذلك بل ابتداء بما ابتداء به في أول
السورة فقال - رب السموات والأرض وما بينهما - فلما راجعه - قال ربكم ورب آبائكم الأولين - فلما
راجعه - قال رب المشرق والمغرب وما بينهما - فجعل عماد الدعوة راجعا لخلق السموات والأرض وخلق
الانسان والمشارك والمغارب التي كانت من نتائج النور وما بينهما من نبات وحيوان وانسان فرجع الأمر الى
النظر في هذا العالم ، فتبين من هذه الأساليب القرآنية أن هذا الدين جهله أهله وسيظهر أمرهم ويعاوشأئهم
ويرتقى المسلمون بالعلوم والمعارف والكمال

فن هذا فليفهم المسلمون قوله تعالى في (سورة ق) - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها
من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنت
وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد -

فانظر أيها المسلم الذكي كيف قال - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقال - رزقا للعباد - فاذا
كان المسلمون لا يقرؤون هذه العلوم فقد أعرضوا عن التبصرة والذكرى وأعرضوا عن الرزق لأنه قال - رزقا
للعباد - فهما (أمران) علم وغنى - ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا - فهنا اعراض عن
الذكر وعن الذكرى فتكون المعيشة ضنكا

أيها الذكي قل للمسلمين هذا كلام ربكم يقول - ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا - أى في
الدنيا - ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - وآيات الله منها ما ذكر هنا وهو اخراج النبات وما فيه من كل زوج كريم والله
يقول انه جملة - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وجعله - رزقا للعباد - فالعروض عن هذه العلوم
والتحريض عليها أعرضوا عن ذكر ربهم وتكون لهم عيشة ضنكا ، فالعقول خاوية والدور خالية من
الثروة وهذا هو الذى حصل للمسلمين اليوم ، فالبصائر ثائرة والأمم تريد إقتناصهم لجهلهم وتأخذ أموالهم وهم
غافلون لأنهم ليسوا مستبصرين كما أمر ربهم ولم يحافظوا ولم يحشوا عما خلقه ربهم لهم من الرزق غفلت
العقول من العلوم والحيوب والدور من النقود ، فعليك أيها الذكي أن تعلن هذه الآراء للمسلمين بما وهبك الله
من قوة بيان ، وكيف يتسنى للمسلم أن يدرك قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون *
ففرّوا الى الله - وكيف يتسنى له ذلك إلا اذا درس أمثال ما كتبناه هنا وتفكر فيه فيحسن بأن دافعا يدفعه

الى ربه مشتاقا الى لقائه أو معرفته كما أحسست في نفسك وأنت تقرأ هذه الآيات العظمى وقد دهشت مما رأيت من عجائب ربك . فمن هنا فليعلم لم قال الله - فقرأوا الى الله - بعد قوله - ومن كل شيء خلقنا زوجين - ومن هذا تفهم بعض أسرار القرآن التي عجز عنها كثير من الناس . أوليس من هذا السر أن التعبير بالزوجين يرجع الى حال الذكورة والانوثة في النبات . أوليس هذا هو الذي عليه اعول عند علماء النبات في تسميته انظر الى ما كتبه العلامة (لينيو) إذ شاهد أن الزهر في النبات تميز وفي أفرقه اما غير متميز بتانا أو متميز لكن على غير الهيئة التي تميز بها في أكثر النبات ثم أمعن النظر في التمييز فترى انه إما خشي وإما ذكر وإما أنثى وأن الزهر الخشي يختص في العدد والوضع واجتماع أعضائه الذكوري والأنثوي . وأن الزهر سواء أكان ذكرا أو أنثى إما أن يكون ذا مسكن واحد أو مسكنين أو كثير المسكن وعلى ذلك قسم النبات الى (٢٤) رتبة

الأول أعادى أعضائه الذكوري . ثنائي أعضائه الذكوري . ثلاثي أعضائه الذكوري والرابعي والخماسي والسادسي والسابعي والثماني والتاسعي والعشاري وذو أحد عشر عضواً ذكورياً . الثاني عشر أعضائه الذكوريه زائدة عن (١٩) مندغمة في التويج . الثالث عشر أعضائه الذكوريه زائدة عن (١٩) مندغمة في أسفل المبيض . الرابع عشر له أربعة أعضاء ذكور اثنان أطول من اثنين . الخامس عشر له ستة أعضاء ذكور أربعة أطول من اثنين السادس عشر أعضائه الذكوريه المجتمعة خزيمة بواسطة خيوط الحشفة . السابع عشر فيه أعضاء الذكور اجتمعت خزمتين بواسطة خيوط الحشفة . الثامن عشر فيه أعضاء الذكور اجتمعت خزما كثيرة بواسطة خيوطها . التاسع عشر فيه أعضاء الذكور اجتمعت خزما بواسطة (الاثني عشر) وقد عرفتها فيما تقدم . العشرون فيه أعضاء الذكوريه المتصقت بعضها بالتأنيث . الواحد والعشرون فيه أعضاء ذكوريه وتأنيث وخشائي في نبات واحد . الثاني والعشرون فيه أعضاء ذكور وأنثى في نباتين . الثالث والعشرون فيه أعضاء ذكور وأنثى في نبات واحد أو أكثر . الرابع والعشرون نباتات خفية أعضاء التناسل

هذه هي الرتب والرتب تنقسم الى أجناس عالية والجنس العالي يشتمل على أجناس والجنس على أنواع

(الحروف الهجائية والزهرة)

أفلسيت ترى أن الزهرة بما فيها من كاس وتويج وعضو ذكوري وعضو أنثوي واتحادها عددا واختلافها وافتراقها واجتماعها وما أشبه ذلك كوترتبا وأجناسا وأنواعا عدها العلماء فبلغت (٣٣٠) ألفا . أليس هذا العدد كله نتج من اختلاف هذه الأعضاء وجودا وعدما وكثرة وقلة واجتماعا وافتراقا على آراء بعض العلماء فأشبهت الزهرة فم الانسان فانه جمع (٢٨) حرفا أو (٢٥) أو أقل وأكثر وبهذه الحروف كوترتبا وأجناسا وأنواعا وأصنافا في النبات - فتبارك الله أحسن الخالقين - انتهى الكلام على القسم الأول من السورة

(القسم الثاني)

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اهْبِثْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضْحِكُوا صَدْرِي وَلَا يَتَخَلَّقُوا لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَذُهِبْ بآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ * فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَٰئِيلَ * قَالَ أَلَمْ تُرَبِّبْنَا فِينَا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْبِئْسَ الْفَاعِلُ وَأَنْتَ مِنْ

الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُمَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ
 لِي رَبِّي مُكَمَّلًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَعْمَلُهَا عَلَى أَنْ عِبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ *
 قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ *
 * قَالَ لِمَنْ حَوَالَةُ آلَتَيْهِمْ هُنَّ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ
 الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ *
 قَالَ لَنْيَ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَا جِسْمَ لَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ *
 قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَتَتْهُ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ
 فَإِذَا هِيَ بِيَمِينِهِ لِلنَّاطِقِينَ * قَالَ السَّحَابُ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ *
 يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ * جَمِيعُ السَّحَابَةِ لِيَقَاتِيَهُ يَوْمَ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ
 مُجْتَبِعُونَ * لَعَلَّكُمْ تَتَّبِعُ السَّحَابَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَابَةُ قَالُوا فِرْعَوْنُ
 أَنْ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَخْشُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ
 مُوسَى أَتَقُولُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * قَالُوا جَاءَ هَهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا بَعِزَّة فِرْعَوْنُ إِنَّا لَنَعْلَمُ
 الْغَالِبُونَ * فَأَتَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأَتَى السَّحَابَةُ سَاجِدِينَ *
 قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
 لَكَبِيرٌ كُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ
 خِلَافٍ وَلَا صُلْبَتَكُمْ أَنْجِيئِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ
 لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ
 مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ
 لَنَا لَنَاطِقُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ
 كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتَيْنَاهُمُ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ
 قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
 أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزَلَفْنَا شَمَّ الْأَخْرِينَ

* وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

﴿ التفسير المفصل ﴾

قال تعالى (واذ نادى ربك موسى) أى واذا ذكر وقت ذلك (أن انت) أى انت (القوم الظالمين) بكفرهم واستعبادهم بنى اسرائيل واذلاهم ثم أبدل منهم (قوم فرعون) أى فرعون وقومه (الآبِتُونَ) أى انتم زاجرا لهم فقد أن هم أن يتقوا وهذه الجملة مستأنفة للبحث والاغراء (قال رب إني أخاف أن يكذبون) الخوف غم يلهو الإنسان لأمر سيئ (ويضيق صدرى) بتكذيبهم إياي معطوف على - أخاف - (ولا ينطق لسانى) وذلك للعقدة التى كانت على لسانه (فأرسل إلى هرون) لبوازرى ويعينى (ولهم على ذنب) أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فأخاف أن يقتلوني) به (قال) تعالى (كلا) أى لن يقتلك (فأذهبنا بآياتنا إنا معكم مستمعون) سامعون ما تقولون وما يقال لكم (فأتينا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) الرسول يكون بمعنى المرسل فيثنى ويجمع ويكون بمعنى الرسالة كما هنا وهى مصدر يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع فهو مصدر وصف به ، ومن هذا المعنى قول الشاعر

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة ، وقوله (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) بمعنى أى أرسل لأن معنى الرسول يتضمن الارسال والارسال فيه معنى القول فتكون - أن - مفسرة ، يقول خيل بنى اسرائيل يذهبوا معنا الى فلسطين فاتينا فرعون فقالا أرسل معنا بنى اسرائيل (قال) فرعون جوابا لموسى كيف تنكر نعمتنا عليك ونحن غديناك وربناك وعلمناك (ألم نراك فينا وليدا) أى ألم تكن صغيرا فريناك (ولبت فينا من عمرك سنين) قيل ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشرين سنين ثم عاد اليهم يدعوه الى الله ثلاثين سنة ثم بقى بعد الفرق خسين (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى ، قال ذلك توبيخا له بعد تعداد النعم عليه (وأنت من الكافرين) بنعمتى إذ فعلت أحسن خواصى ، وهذا القول من فرعون يتضمن ﴿أمرين﴾ الأول ﴿المتى على موسى بالترية وهو طفل﴾ الثانى ﴿توبيخه بأنه كفر بنعمته بقتل القبطى﴾ فأجاب عن الثانى لأنه أنهه ﴿قال فعلتها إذن وأنا من الضالين﴾ من الجاهلين أو من الخطئين لأنه لم يعتمد قتله أو من الفاهلين عما يؤول اليه الوكر لأنه أراد به التأديب بقاء القتل خطأ ﴿ففررت منكم﴾ الى مدين ﴿لما خفتكم فوهب لى ربي حكا﴾ حكمة (وجعلنى من المرسلين) فلبس ذلك قدما فى نبوتى كما يظهر من كلامك ، وأجاب عن الأول بقوله (ولك نعمة) أى أولئك نعمة (تمها على) وهى (أن عبدت بنى اسرائيل) وتركنتى وحذف همزة الاستفهام هنا كحذفها فى قول عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وقفها * وطرفها من دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة * تركنى هكذا وتطلق * يقول وهل تلك نعمة تمها على وهى انك استعبدت بنى اسرائيل وتركنتى فلم تستعبدنى . وكيف تم على بالترية وقد استعبدت قومى ومن أهين قومى فقد ذل فاستعبدك بنى اسرائيل أحبط احسانك الى ولولم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع اليك حتى ترى بنى وتكافئى ولكان لى من أهلى من يربنى ولم يلحقنى فى الميم . وهذه الأجوبة الشريفة السديدة يجب أن تكون أجوبة الشرقيين لأهل أوروبا فقد استعبدوا أمراءهم والأمراء يخوفون الأمم ويلونهم بما نالوا من المال والجاه على أيدى أهل أوروبا . فليقل كل مسلم للأوروبي الذى له عليه يد كيف تم على وأنت أذلت أمنا ولولا اذلالك لها لم تعطى تلك النعم . فتلك الحيرات من بلادى ولا فضل لك إلا كما تفضل فرعون على

موسى . إن الله ماقص . هذا القصر . إلا للاعتبار والآذكار . وتفهيم الأمم الإسلامية كيف تكون المحافظة على العشرة وعلى الأهل . وكيف يتعاملون القاصبون الظالمون . وكيف ينبغي أن يقبل الناس لهم ظهور الحق إذا أساءوا مساملة الأمم المظالمة وأن ينكروا انفعالهم فأنما انعام الأمم القاصبة كالانعام المومنين ببناء مسجد كما قال الشاعر

بنى مسجدا لله من غير حيلة * فكان بحمد الله غير موفق

كطاعة الأيتام من كد فرجها * فويلك لا ترفى ولا تصدق

ولما سمع فرعون الجواب ورأى أن موسى لم يرعوها خاطبه به شرع في الاعتراض على دعواه (قال فرعون وما رب العالمين) أى انك تدعى انك رسول رب العالمين فما هو؟ (قال) موسى يحيا له (رب السموات والأرض وما بينهما) طلب فرعون الحقيقة والحقيقة ان كانت لا تزاع فبالتحريف وان كانت للأفراد فانها بالتحايل والمسؤول عنه هنا لا أجزاء له لأنه غير مركب فلذلك أجاب بأفكار الخواص وهوانه ربي السموات والأرض وما بينهما (إن كنتم موقنين) أى ان كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خالق هذه الأشياء دليلا والايقان هو العلم الذى يستفاد بالاستدلال (قال) فرعون (إن حواه) من أشرف قومه (الاستمعون) محجبا قومه من جوابه يقول يا قوم تعجبوا من موسى سألته عن الحقيقة فأجاب بذكر الأفعال فأجاب موسى مستدلا بما هو أقرب الى أنفسهم وهو الناس المستمر في النبات والحيوان والانسان والعجائب التي تقدمت في القسم الأول وشرحناها بما تقر به أعين أهل العلم وذكري ما هو أهمها وما كان القصد الأكبر منها وهو الانسان وأجياله (قال رب آتاكم الأولين) ومن نظر في علم الأجنة وعلوم الأمم وعلوم التشريح وعلوم الطب أدرك نظاما بديعا يدحض العقول . فبقى فرعون في موقفه يريد الاجابة بالحقيقة بالأفعال (قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون) أسأله عن شئ ويحجيني عن آخر فأجاب موسى بعجائب الشمس وشروقها وغروبها وانتظام مداراتها وتنوع المشارق والمغارب كل يوم بحيث لا يخلط لحظة يشير بذلك الى علوم الفلك وجميع العلوم الرياضية كما أشار قبله الى العلوم الطبيعية وبالأول الى العلوم العامة وهي علوم ما وراء الطبيعة ولذلك قال (إن كنتم تعقلون) أى ان كان لكم عقل علمتم أن لاجواب لكم فوق ذلك لأن دراسة العلوم الطبيعية التي كان من أشرف نتائجها خلقكم وخلق آباءكم الأولين ودراسة العلوم الرياضية ومنها الفلكية لمعرفة شروق الشمس وغروبها واستكمال سائر العلوم ونظامها اجالا بعلم ما وراء المادة . كل ذلك دلالة على أن هناك إلها صورا هذه العوالم كلها وأبدعها وزينها ورتبها وحسبها ونظامها . فلما رأى فرعون ذلك عدل عن البراهين الى استعمال القوة كما فعل الذئب مع الحمل إذ شرب الذئب من ماء النهر والحمل المسكين واقف في أسفل المجرى فقال له أيها الحمل قد كدرت الماء فقال الحمل أنا في أسفل المجرى فليس من المعقول أن يجرى الماء اليك بل هو يجرى نحوى من عندك فقال أنت كنت شمتنى في العام السابق فقال لم أخاق إذ ذاك فقال لعل أباك أو أخاك هو الذى شمتنى وانقض عليه وأكاه

هذه هي الحجج التي يحتج بها الأقوياء فاذا ما ضعفت الحجج استعملوا القوة . هكذا هنا في محاجة فرعون لموسى فانه لما لم تفد الحجج ابس جلد النمرود (قال لأن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين) وهذه أيضا عينها ما تفعله الأمم القوية مع الأمم الضعيفة كأهل أوروبا مع المسلمين الذين يريدون الانقضاء عليهم ونهب بلادهم وملسكهم وتسخيرهم وقوله . من المسجونين . ألى فيها للعهد أى الذين تعهدهم وهم في أشد حالات الضنك فهذا أشد من قوله لأجعلنك مسجوننا فاضطر موسى أن يترك الأدلة العقلية ويذكره بالمعجزات وخوارق العادات (قال أولو جئتكم بشئ مبسبين) أى أتفعل ذلك ولوجئتكم بحجة بينة لأحوالكم وزمانكم لأنكم قوم مغرمون بالسحر والمغرم بالسحر منصرف عما عداه من العلوم العقلية لأن السحر صرف النفوس عن الحقائق الى أمور اخترعها الوهم وأبرزها الخيال . فأما الحقائق فانها مستورة محجوبة عن هذه الطائفة

فنجني من جنس عالمكم . وإذا كان الله ما أرسل رسولا إلا بإسنان قومه شكنا ما أرسل رسولا إلا ليعجز عن جنس ما يرزله قومه . فآرى أمة العرب مفرمة بالسلاغة في القرآن معجزا لهم وكانت الأمم المصرية مفرمة بالسحر فأرسل موسى لهم ليخبرهم فيما هم فيه . ولدت الفساحة ولا العجربها الأمران الجاهريان بل هما عرضيان (ففضل النبوة اقتضتهما حال الأقوام الذين أرسل إليهم الرسل والا فاسقة ألقى أولى بالبحث وأجدر بالتنقيب . يقول موسى إن أهميات أمور العلوم العقلية والنظرية الصحيح في هذه العوالم المشاهدة فدونكم ما اعتدتموه من السحر ونظيره في سورة البقرة قوله تعالى - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون * وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - فانظر وتعجب من المحاورتين محاورة موسى مع فرعون ومحادثة سيدنا محمد ﷺ مع قومه . فأنت ترى موسى يقول الله على لسانه لما لم يفكر فرعون في الدوام المحيطة بنا كما تقدم في هذه الآيات ولم يتذكر السموات والأرض والشرق والغروب وخلقه وخلق الآباء الأولين الذين لا يمشون إلا بهائم الطبيعة قال له هنا - أولو جثثك بشئ مبين - يقول له يا فرعون أنت أعرضت عن التفكير بفلك والرجوع للحقائق بفكرك أفنتصرف عن الحقيقة ولو أنيتك بشئ مقبول عندك لما انصرفت عما يقوله سائر العقلاء ألا وهو العاقل عليك في السحر هكذا في سورة البقرة ذكر الله القوم . ذكرهم الله بخلقهم وخلق آياتهم الأولين مثل ما هنا تماما وذكر السماء والأرض كما ذكرنا هنا وذكر أنزال الماء من السماء وهذا لا يكون إلا بحرارة الشمس التي تغرب وتشرق ولما لم يفهم ذلك قال لهم - فأتوا بسورة من مثله - . ألا تعجب أيها الذكي . ألا ترى إلى ما يرمي إليه القرآن وما يقصد به . ألا ترى أن المقامين متشابهان مقام موسى مع فرعون ومقام محمد ﷺ مع قومه . ألا ترى أن العلوم الكونية هي مقصود القرآن وأن البلاغة والسحر ليسا مقصودين . أفلا ترى بعد هذا أن الله لما أنزل القرآن جعل المقامين متشابهين . أتدري لماذا ؟ لأنه علم أن المسلمين سيفهمون بقولهم من عرف البلاغة عرف سر القرآن وهو المعجزة الوحيدة . نقول نعم معجزة وحيدة عند من هم أهل البلاغة من العرب أو من تخالحوهم ولكن هذه البلاغة جعلها الله حجة عند طائفة مخصوصة . أما الأمم كلها وأرباب العقول فقد جعل الله الحجة القائمة عليهم هذا النظام البديع والخلق العجيب . ومن عرف اللغة العربية وبلاغتها ووقف عند هذا الحد فهو مغرور مغفل لأنه قصر القرآن على ما يعرفه العرب الجاهليون وهذا جهل فاضح فإن القرآن باب لفتح العقول وفهم العلوم وإحراز أسرار السكون . فإذا وقف البليغ عند هذا الحد فهو نائم ساه بل عليه أن يدخل العلوم من أبوابها وأن يأمر الأمم الإسلامية بمعرفة سائر العلوم لأن القرآن هو بابها . ولعمري ما البلاغة إلا حلية الكلام فأين حلية القول إذن ؟ حلية القول هي العلوم ، إن في مثل هذا المقام يظهر اعجاز القرآن . يذكر السحر وإبطاله بعد اليأس من فهم الدوام المحيطة بنا ، ويذكر البلاغة بعد اليأس من التعقل إذ يقول - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله -

بمثل هذا فليدرس القرآن ، وبمثل هذا فليستيقظ المسلمون والأفاقي أنذرهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فليقرأوا العلوم فقد أوضح القرآن مناهجها وأبان طرقها وأظهر مسالكها وبين أن الكلام على البلاغة وعلى السحر بعد اليأس من فهم المعقولات الكونية فقال الله هنا (قال) فرعون مجيبا لموسى (فأنت به إن كنت من الصادقين) في أن لك بينة فإن من يدعى النبوة لابد له من حجة (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) أي ظاهر أبنائته * يقال أنها لما صارت حية ارتفعت في السماء فدرمى ثم انحطت مقبلة إلى فرعون فقال بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها موسى فمادت عصا كما كانت فتال وهل غيرها قال نعم وأراء يده ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين)

حينئذ (قال) فرعون (للإله) حال كونهم مستقرين (حوله) ومقول القول (إن هذا ساحر عليم) فائق في علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فإذا تأمرون؟) وهذا التعبير الذي أفاد أن فرعون مع ادّعاء الربوبية قد تشاور مع قومه ، يقصد منه في القرآن أن الشورى يجب أن تكون في الإسلام لأنه إذا قال الله لنبيه ﷺ - وشاورهم في الأمر - وزاد على ذلك أن فرعون مع ادّعاء الألوهية تشاور مع قومه فإن ذلك دلالة واضحة أن الشورى أمرها جليل عظيم وأن الأمم الكافرة لما جعلت الشورى في أعمالها دام ملكها أمدا طويلا كما نرى من الآثار المدهشة لقدماء المصريين الدالة على ملك عظيم دام آلاف وآلاف من السنين . فالشورى إذن أمرها عظيم فلما شاورهم (قلوا أرجه وأخاه) أي آخر أمرهما ولا تباغتهما بالقتل خيفة الفتنة (وابعث في المدن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) والتعبير بالسحار ليبينوا له أنهم أقوى من موسى في سحرهم (جمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل أتمم محتمون) هذه الجملة تفيد الاستبطاء والحث على الإسراع كما قال تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخا عون بن مخراق

أي ابعث أحدهما إلينا سريعا . ثم قال (لعلنا ندع السحرة إن كانوا هم الغالبين) لعلنا نقبضهم في دينهم إن غلبوا . ومعلوم أنهم على دينهم فذكروا اتباعهم على سبيل الكناية يقصد بها أنهم لا يقبضون موسى والا فهم في ذلك الوقت على دين المصريين ومنهم السحرة فكيف يقبضونهم من جديد (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وانكم إذن لمن المقر بين * قل لهم موسى ألقوا ما أتم ملقون) وذلك بعد أن قالوا له إما أن تأتي وأما أن نكون نحن الملقين (فألقوا حبالهم وعصيهم) المدهونة بالزئبق الذي تفرقه حرارة الشمس فيتطاير . ويقال إن الحبال كانت فوق سبعين ألفا وكذا العصي (وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وهذا القسم مبني على اعتقادهم في أنفسهم ولأنهم أتوا بأقصى ما لديهم من السحر (فأتى موسى عصاه فإذا هي تلقف) تبتلع (ما يافسكون) ما يقبلونه عن وجهه بالقويه والتزوير حتى أنهم جماوا الناس يتخيلون العصي والحبال حيات تسعى (فأتى السحرة ساجدين) لأنهم علموا أن هذا منهى التخيل السحري . ولما ابتاعت الحية ما زوره ايقنوا أن هذا فوق العلوم فأمنوا وخروا ساجدين لأنهم علموا أن هذه قوة فوق قوة الناس وليس فوق الناس إلا الله وهو الذي أرسل موسى ومقتضى اللغة إن يقال خروا ساجدين ولكن عبر بالانقياد أولا للمشكاة ولابد على أنهم لم يتألموا أنفسهم من الدهشة العلمية فكأنهم أخذوا فطرحوا وهذه أعجب ما يكون من جهة البلاغة اللسانية ثم أبدل من قوله - فأتى السحرة ساجدين - قوله (قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهرون) وذلك أشعار منهم بعزل فرعون عن الربوبية وبأن سبب الايمان ما أجراه الله على يدي موسى وهرون (قال أمتهم قبل أن أذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر) فعلمكم شيئا دون شيء أو تواطأ معكم ، وانما كان ذلك من فرعون ليلبس على قومه (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم ثم بين ذلك الوبال فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين * قالوا لاضرب) لاضرر علينا في ذلك في الدنيا (إنا إلى ربنا منقلبون) أي لأننا نقلب أي نصير إلى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قوله تعالى (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) أي لأن كنا (أول المؤمنين) من أتباع فرعون (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبدى إنكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج أي أسرهم حتى إذا اتبعوكم مصعبين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم . وجاء في التوراة في سفر الخروج في الأصحاح الحادى عشر أن الرب أمر أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل

امرأة من صاحبها أمتة ذهب وأمتة فضة وأن الله سميت كل بكر في أرض مصر من الانسان والحيوان وامرهم أن يذبح كل أهل بيت شاة يوم الرابع عشر من شهر الخروج ويذبحون القائمين والعتبة العليا من الدار وبأ تكون اللحم تلك الليلة مشويا بالنار مع فطير وامرهم أن يأكلوه بهجلة وبأ تكون الرأس مع الأكارع والجوف . هذا هو المسمى ﴿ فصيح الرب ﴾ وهذا الدم علامة على بيوت بني اسرائيل حتى يحفظ كل بكر من بني اسرائيل ويتخطاهم الموت الى أبكار المصريين ويكون أكل الفطير سبعة ايام ويكون هذا فريضة أبدية تذكارا بالخروج من مصر من يوم (١٤) الى (٢١) من الشهر كل سنة . وهكذا امر موسى قومه بذلك ففعلوا كل هذا ونجا أولادهم وصار ذلك سنة أبدية . ولما مات الأبقار من الانسان والحيوان في جميع بلاد مصر نصف الليل اشتغل الناس بالأموات وبنو اسرائيل أخذوا غنمهم وبقرةم وأخذوا عجنتهم قبل أن يختمر ومهاجنتهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم وفعل بنو اسرائيل ما أمرهم الرب وارتحل بنو اسرائيل من رمسيس الى سكوت ستانة ألف ماش من الرجال ماعدا الأولاد وخبزوا العجين الذي اخرجوه من مصر خبز ملة فطيرا . وكانت اقامة بني اسرائيل في مصر (٤٣٠) سنة فهذه الليلة هي عيد الفصح الى الأبد . وكان الخروج في شهر ابيب . فهذه سبعة أيام يؤكل فيها الفطير تذكارا لخروج بني اسرائيل من مصر (فأرسل فرعون) حين اخبر بسراهم (في المدائن حاشرين) وهم الشرطي يحشرون الجيش ليتبعهم قل (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) لأنهم ستانة ألف وهم قليلون بالنسبة لجيوشه (وانهم لنا لفائظون) لفاعلون ما يعيظنا (وانا لجميع حاذرون) او حذرون من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور (فأخرجناهم) اى خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فخلتهم عليه (من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم) وهى المنازل الحسنة والمجالس الجيلة (كذلك) مثل ذلك الإخراج أخرجناهم (وأورثناها) أى اورثنا جنسها أى جنس الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم (بني اسرائيل) وهى أرض المعاد التى هم سائرُونَ اليها . يقول الله كما خلطنا المصريين على الخروج من هذا النعيم خلطنا بني اسرائيل أن يرثوا نظيره فى أرض المعاد فساروا ليلا (فأتبعوهم) أى لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه (مشرقين) وقت شروق الشمس ليصلوا الى ما أعد لهم من أرض الموعد (فلما تراء الجمعان) بحيث رأى كل منهما الآخر (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) للمحققون (قل كلا) إن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم (إن معى ربي سيهدين) طريق النجاة منهم (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) القلزم (فانفلق) أى ففرض فافلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب (وازارقنا) وقربنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم (وأوحينا موسى ومن معه أجمعين) بحفظ البحر على الهيئة المذكورة الى أن عبروا (ثم أغرقنا الآخرين) باطباقة عليهم (إن فى ذلك لآية) لعبرة عجيبة لا توصف (وما كان أكثرهم مؤمنين) فلا القبط الباقون فى مصر آمنوا بها ولا بنو اسرائيل فانهم بعد ما نجوا عبدوا الجبل وقالوا إن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يؤمن إلا القليل ، فكما لم يكن أكثر العرب مؤمنين وقد رأوا ما فى الأرض من النبات فى القسم الأول هكذا هؤلاء لم يؤمنوا بالمهجرة التى وقعت على يد موسى وهو انفلاق البحر، فهذا تبين أن الالتجاء الى خوارق العادات لا يفيد إلا أولى العلم كسحرة فرعون فرجع الأمر الى أن الايمان النافع انما يكون للعلماء كعلماء الطبيعة والفلك والنبات وعلماء السحر وهم المتبحرون فيه لأنهم لم يخرجوا عن تبصرهم فى أسرار الطبيعة فأصبح الأمر راجعا الى قوله تعالى - شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فأما الذين يقلدون أو يظنون أن خوارق العادات كافية فهم غافلون (وان ربك هو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثانى من السورة . وههنا خمس اطراف

(١) فى قوله تعالى - ألم نربك فينا وليدا -

(٢) وفي قوله تعالى ... قال فعلها إذن وأنا من الصالحين ...

(٣) وفي قوله تعالى ... وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ...

(٤) وفي قوله تعالى ... إن هذا الساحر عليم ...

(٥) وفي قوله تعالى ... فأخرجناهم من جنات وعيون ... ولأقدم قبل هذه اللطيفة جوهرة في قصص القرآن ﴿جوهرة في قصص القرآن من كلام الامام الشافعي رضي الله عنه ومن كلام علماء العصر الحاضر﴾

(١) مايقوله الامام الشافعي في قصص القرآن

جاء في الإحياء في الجزء الأول صفحة ٢٣ مانصه ﴿روى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقيل للشافعي يوما أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكن فقال الشافعي رضي الله عنه التمكن درجة الأنبياء ولا يكون التمكن إلا بعد المحنة فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكن ، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنته وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنته ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنته ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنته وآتاه ملكا عظيما والتمكن أفضل الدرجات ، قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليوسف في الأرض - وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم - الآية . فهذا كلام الشافعي رحمه الله يدل على تبخره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء وكل ذلك من علوم الآخرة * وقيل للشافعي رحمه الله تعالى متى يكون الرجل عالما قال إذا تحقق في علم فعله وتعرض أسرار العلوم فنظر فيها فانه فعند ذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس انك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة فقال إنما أنقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حذته لان الافراد قائل . فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة ﴿ انتهى بالحرف من الإحياء للامام الغزالي أقول ان الشدة خير مذهب للنفس فانظر ما جاء في كتاب تيسير الوصول للجامع الاصول ﴾ عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فوجد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأسألهما عن خروجهما فقالا أخرجنا الجوع فقال وما أخرجني إلا الجوع فذهبوا إلى أبي الهيثم بن التيهان فأمرهم بشعبير فعمل وقام إلى شاة فذبحها واستعذب لهم ماء (١) معلقا عندهم في نخلة ثم أتوا بالطعام فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال ﷺ تسألون عن نعيم هذا اليوم ﴿ أخرجهم مسلم ومالك والترمذي

وعن علي رضي الله عنه قال ﴿ بينما نحن جالس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا مصعب بن عمير رضي الله عنه ماعليه إلا بردة مرقعة بفرو فلما رآه ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة ثم قال كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في حلة أخرى ووضعت بين يديه صحيفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كجاسترا السكبة قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير مننا اليوم نسكن في المؤنة ونفترغ للعبادة فقال بل أتم اليوم خير منكم يومئذ ﴿ أخرج الترمذي فأعجب لهذا الحديث الصحيح الذي أنما اللثام عن حال المسلمين في جميع العصور فانهم لما مالوا للمال والسعة والترفع حرمهم الله الملك ولما كانوا هداة للآثم نافعهم لها مكنهم الله في الأرض وهذه قاعدة عامة فإذا رأيت الله عز وجل يذكر قصص القرآن فاعلم انها رمز إلى أمثال هذا ، وترى قابس اليوناني المتقدم ذكره في (سورة البقرة) عند آية - وبشر الصابرين - يقول ان السعادة لا تكون إلا بعد معاناة الشقاء والصبر في هذه الدنيا وكذلك مايقوله عالم آخر في كتاب ﴿ السكوخ الهندي ﴾

أقول وإنما نقلت هذا ليكون نصب أعين أولى العلم عند قراءة قصص القرآن ، فهذه القصص نموذج لما يفعله الله عز وجل بالمصلحين في الأمم الاسلامية فهو يبتلي بالحنة ثم يلهم الصبر ثم يعطيهم التمكن وقليل من

(١) استعذب لهم ماء أي استقى لهم ماء عندها

الناس من يوفق للتكوين . ان قصص الانبياء اذا لم تلاحظ فيها هذه الآراء والمعايير لم تؤثر في العقول ولم تهذب النفوس ولم تهبط فكرة ، فن هذا الباب فليج المسامحون ومنه فليدخروا لاصلاح النفوس ومداواة عاقلها واستقامتها واذن يكونون خير أمة أخرجت للناس

(٢) مايقوله علماء العصر الحاضر في علم التاريخ ، فهناك ما جاء في بعض المجلات العلمية للسكبتن (جون مادوكس) دكتور في الفلسفة من جامعة (بال) بأمريكا وها هو ذا

سمع أحد علماء الرياضة أدبيا كبيرا يتلو قصيدة (ملتون) الخالدة وهي (النعم المفقود) بصوت مرتفع ولم يكدها يفرغ من انشادها حتى سأل العالم الرياضي من حوله ؟ أي شيء تجدى هذه القصيدة في عالم الحقائق ولما أخفق في الحصول على جواب يخلق في نفسه الاقتناع صرح بأن الشعر لا جدوى منه وبالتالي هو منتج لا قيمة له . ولا ريب في أن عقيدة العالم الرياضي في الشعر وهي عقيدة المعارضة أشبه بعقيدة رجل الأعمال في التاريخ إذ يرى ثانيهما أن قارئ أية قطعة تاريخية عماعل الانسان في ماضي الحقب لا يخرج منها ما كانت منسقة الأسلوب بأية قاعدة علمية معينة يستطيع بها أن يشيد بسرا بل ولا يحصل منها على أية فائدة تجديده في مشروعاته العلمية ، وسرعان ما يصرح : وكذا أن دراسة التاريخ لا تؤدي بصاحبها الى أي غرض نافع وأن الوقت المبذول فيها ضائع هباء . وبديهي أن اثبات القيمة العملية من قراءة التاريخ يتوقف طبعا على تفسير كلمة (عملي) فان كان معناها لا يفيد إلا الدنانير والدراهم والاستيلاء على الاكديس منها فيجب أن يتقرر في الأذهان أن دراسة التاريخ لا تعبر الانسان تعلما مباشرا كيف يحصل على المال . وإذا كان في معنى كلمة عملي ما يدل على شيء آخر غير التنقيب عن الذهب فقد اختلف الحال عن سابقها . أما إذا أفاد معناها إثارة جهود الانسان للعمل مندفعاً اليه بتأثير مثل من الأمثلة السابقة النبيلة ، وأن يكون معناها توسيع نظرات الانسان الى الحياة وتدريبه على واجبه منها بأدق الوسائل وأنقنها أو ترقية مستوى معوماته . إذا كان هذا فان قراءة التاريخ أعلى قيمة وأجدي على الأذهان من أية دراسة أخرى . وبديهي أنني حين أحذر دراسة التاريخ فأنى أقصد بهذا تحييد التاريخ المسطور وحديثا بدقة علمية ذلك لأن الاطلاع عليه يشق مواضع الدهشة مناهيا يختص بالماضي ولولا أن انسانا في العصور البائدة قد سبق في الطريق المؤدى الى تحقيق ما يدور بخاطره من الاطماع وما يتلطف الى ادراكه منها لبقينا الى اليوم على حالتنا الهمجية الأولى نعيش في المغاور ونرتدى الثياب المتخذة من جلود الحيوان وحينما صار أجدادنا على اهتمام بإيجاد أحسن الوسائل لأداء الأعمال ونارت في نفوسهم عوامل الرغبة في الوقوف على ما ابتكرته الشعوب الأخرى من الطرق لتأدية تلك الأعمال نفسها لعب التقدم دوره الحقيقي في عمران الحياة . إن في دراسة التاريخ منظارا لاغنية لنا عنه لفهم العصر الذي نعيش فيه ولتتمكن بواسطته من التفريق ما بين العناصر الأولية في الحياة اليومية وبين تلك العوامل العارضة الزائلة ، وإذا عرفنا التاريخ معرفة وثيقة فأننا نصبح كما يقول الكاتب الانجليزي (مورلي) أشبه كل الشبه بالطائر الذي يخلق في أعلى طبقات الجو كما يستطيع أن يرى سلسلة من الجزائر بحيث تكون نظراته اليها كأنها أجزاء من سلسلة جبال واحدة قد طغت عليها الأمواه وليست كأنها قطع منفصلة كل الانفصال عن اليابسة . وإذا قارنا الحاضر بالماضي فسرعان ما نجد أن العصر الحالي يفوق سابقه في النواحي المادية والعقلية والأدبية فقد زالت العبودية والرق وأخذت قوة الرجال الجسمية والعقلية في قوامتهم على النساء تقل وتتناقص بينما قد اتسع نطاق الشعور بمساعدة الضعفاء والعطف عليهم وسرت روح العدالة والرحمة بين كل شعب بل وبين الشعوب قاطبة بعد أن كانت لا تتجاوز قلوب الأفراد في الأسرة أو القبيلة الواحدة فكيف نستطيع وقد نفهم نواحي التقدم في هذه الحالات ؟ لا يتسنى لنا ذلك إلا بدراسة الماضي الذي نتمحض عنها

لقد كان (فون سيل) السياسي الألماني والمؤرخ المحقق قبل الحرب السبعينية يقول دائما في الكلام عن

الشؤون السياسية ، إن من يعرف « من أين » لابد أن يعرف « إلى أين » ولا يرب في أن السياسة غير الواقفين على حقائق الأمور يرتكبون الأغلط دائماً لأنهم لا يعرفون ماذا أحدثت في المضي تلك الخطط السياسية التي ينتهجونها في حاضرهم

إن دراسة التاريخ تزودنا بالمعلومات الضرورية للحصول على فهم صحيح عن الجماعات الإنسانية العامة . ولا سبيل إلى أن نقف على منشأ أوضاع حكوماتنا ولغتنا أو مصدر حبنا للحرية وأفكارنا ومبادئنا الأدبية إلا بقراءتنا للتاريخ وبغيره لا نقفه شيئاً من كل هذا وهو تراثنا الفليس في عصرنا الحالي بل إن التاريخ ليمتدنا بالوسائل التي نستطيع بها التمكن من المستقبل والتأهب للملاقاة الأيام ، ولأضرب لذلك مثلاً بحادث وقع على مشهد من أيام الحرب العالمية فقد تساءل ذات يوم أحد الجنود قائلاً : ماذا سيكون مصير إمبراطور ألمانيا في نهاية هذه الحرب هل حقاً سيشتق ؟ ألقى الجندي هذا السؤال وأردفه بالجملة برهة عرض فيها لذكرته حوادث الماضي ثم قال كلا . إنه لا يشتق ولكن سينق وبذلك يحال بينه وبين جلب الأذى والأخطار على العالم مرة أخرى ، مثله مثل نابليون بونابرت في خاتمة أيامه . وبديهي أن هذا الجندي ليس على موهبة النبؤ ولولا درايته بالتاريخ وما وقع فيما مضى من أمثال هذه الظروف والحالات لما تسنت له هذه المقارنة التي تضمنتها اجابة على نفس سؤاله . إن الدراية بالماضي وما وقع فيه ذات جسدوى عظيمة ليست في معاونتها إيانا على حل المسائل العامة الأهمية لحسب ولكنها أيضاً تعاون الأفراد على معالجة شؤونهم الخاصة وأن الذين يتعلمون سفن آملهم حيث طاحت آمال غيرهم من قبل لا يلامون إلا أنفسهم فقد كان واجباً عليهم محتوماً أن يدرسوا تجارب سواهم من الرجال ، والتاريخ لا يعيد نفسه ألبته إعادة دقيقة إذ أن العوامل لن تكون هي نفسها في كل زمان ومكان وبذلك لا يكون تحليلها دقيقاً ، ومتى ثبت هذا تجلت قيمة المقارنة ما بين الحاضر وحوادثه وبين الماضي وما فيه . وأزيد من هذا أن دراسة التاريخ تبعث من نفوسنا الهمة على أداء واجباتنا التي أنيطت بنا فان الأمثلة السامية التي نقتبسها مما فعل الأبطال في الماضي تولد النشاط لدى الناهضين بأعباء الحاضر . ولا يرب في أن مافعل (ليونيداس) ومواطنوه الاسبارتيون من أجل اليونان في مضيق (ثرمبولى) لابد وأن يحفظا على كل وطني شجاعته في الدفاع عن وطنه بل ويكون بمثابة المحرك لأعصاب ذراعهم بينما أن وقوفنا على كيفية نبهوض الرومانيين وتفوقهم في الانتصارات التي لم يسبق لها مثيل على يدي (هانيبال) . كل هذا يلهب حساسة الذاتيين عن اوطانهم إلى النهاية . يجب أن ندرس التاريخ فاذا ما استوعبناه ووقفنا على خفاياه امتلأت أذهاننا بصورة جمة عن الغرائز والصفات وبناظر يتجسم فيها مصير الأفراد والجماعات بل والأمم وبالأفكار العظيمة عن النظام الاجتماعي وارتقائه وبذلك نشعر بأنفسنا وقد كبرت وبمقولنا وقد اتسع نطاقها . ويقول (اللورد بيكون) اقتباساً عن أحد مؤرخي اليونان « إن التاريخ فلسفة تعلمنا بالأمثلة بل إن مثله مثل كل علم جليل النتيجة إذا درسناه بدقة ونظام خلق فينا ذاكرة يسهل عليها الرجوع إلى الحوادث مهما يبعد بيننا وبينها الأمد وعينا دقيقة الملاحظة وقدرة على تفهم العلاقات بين الأسباب والنتائج . انتهت الجوهرة

﴿ الطيفة الأولى والثالثة - ألم تترك فينا وليداً - إلى قوله - وذلك نعمة تمنها على - أن عبدت بني إسرائيل - ﴾
اعلم أن هذا القول قصه الله علينا ليعلمنا كيف نكون المحفوظة على الأوطان وحب الآخرين فان فرعون لما من على موسى بأنه ربه قال موسى كيف تم على بذلك وأنت لولا استبدادك لنا ما تسنى لك ذلك ، وقد وضع هذا المقال في تفسير الآية وإنما جعلها طيفة ليتفكر فيها الأذكاء

﴿ الطيفة الثانية في قوله تعالى - قال فعلتها إذن وأنا من الضالين - ﴾
اعلم أن موسى عليه السلام لم يعقه ما اتفق له من قتل القبطى خطأ عن المضي في الأعمال النافعة وإنما جاء ذلك القصص لنا لضرب الذكر صفحاً عما مضى من الأعمال ونتجه إلى أعمالنا العالية الشريفة ولا نجعل

ما اتفق لنا من الخطأ بحسب ما يظنه الناس عاذا عن الأعمال الباطنة ، فليجئ المسلم في عمله وليقيم بما وجب عليه وليتذكر أن سيدنا موسى عليه السلام لما وكر القبط فبات لم يعقه ذلك عن ترقية بني إسرائيل واسعادهم

﴿ المظيفة الرابعة . السحر عند الفراعنة ﴾

لقد ذكرت هذه القصة في القرآن صرارا وتكرارا وفيها ذكر السحر عند قدماء المصريين وفيها أن البحر انقلب لموسى فلا سمعك ما جاء عن قدماء المصريين من السحر لتطاع على عقائدهم وآرائهم ولتعلم أن قصة موسى وفرعون وراها من الأخبار كل عجيب وغريب ، لأقل لك ما وجد على ورق البردي وفي الآثار المكتوبة على الأحجار تجيب من الأمم ومن علوم الأوائل ولتعلم أن الله عز وجل له في الأمم عجائب وغرائب قال المرحوم أحد باشا كمال مالمخصه ﴿ قد كان السحر له تأثير غريب قبل اليوم بخمسة آلاف سنة ولم يكن لطيف أن يداوى بالعقاقير إلا بعد أن يداوى بالعزائم السحرية ، فالعزيمة مقدمة على الدواء المادي ، وقد ذكر حادثه في الأسرة التاسعة عشرة وهي أن فتاة ابنة ملك (بختان) قل واعلمها بغداد طلب أبوها من رئيس الثاني أن يرسل لها أحد المعبودات المصرية فأرسل لها المعبود (خونسو) فوجد خونسو إلى الملك وطلب منه أن يخرج العفريت من ابنته السميمة (بنت رشت) فأخرج الجنى وهذا الجنى شرط قبل خروجه أن يصنعوا له مهرجانا لوداعه فأجابوه لذلك وجعلوا له يوما عظيما مشهورا فأحب الملك أن يبقى المعبود المصري عنده دائما ولكن بعد مدة مرض وحار الأطباء في أمره فجاء له (خونسو) ليلا كأنه باشق من ذهب وأعطى عليه أن يرده إلى بلده فلما طلع النهار أرجعه إلى بلده فشفى من مرضه ﴾

(١) وكانوا يعتقدون أن الجن تشفى من السودة الوحيدة ومن رمد العين والانهاب وغيره ، وقد دونوا في رسائل الطب كيفية اخراج الجن المؤذية وطردهم إلى أسفل سافلين لينجوا من أذاهم ، وذكر رجه الله عزيمتين اشتهرتا بحسن الاجابة والقبول وكان الأطباء يتلونهما على كل مرض ولشهرتهما سدروا بهما ورقة (ايروس الطيبة) وهاك ترجمة العزيمة الأولى وهي تكرر بالذقة صرارا متى وضعت الأدوية على أى عضو مريض لكي يزول عنه سبب المرض والعين اذا كان استئصال العلاج من الظاهر ، وأنا رأيت ألا أذكرها بنصها لعدم فائدتها ، وإنما أقول ان ملخصها يرجع إلى الاستغانة بالالهة (أشوريس) التي خلصت (حوريس) من الأشياء الرديئة التي فعلها أخوه (ست) حين قتل أباه (اسوريس) والاستغانة أيضا بالالهة (اسيس) المعبودة الكبيرة يستغيث بها أن تخلصه من معبود الآلام ومن معبودة الآلام ومن الموت ومن الموتة ومن المصروع والمصرعة . ويقول يا شمس تكلمى بلسانك (يا أشوريس) تشفع بتدخلك ، الشمس تكلمت بلسانها واشوريس تشفع بتدخله ، فاذن عليك أن تخلصنى من كل شئ ردى انتهى

أما العزيمة التي تتلى اذا كان السوء من الباطن فهالك ملخصها ﴿ بعد شرب الأدوية يتخاطب الأدوية يقول هلمى أيها الأدوية واطردى الأوجاع من قلبى ومن أعضائى ، العزيمة طيبة لأجل الأدوية والأدوية طيبة لأجل العزائم ، ثم يرجع ويقول كلاما كالساق إذ يقول ان (موريس) و (ست) جئ بهما إلى البناء الكبير بعين شمس وحصلت المحاكمة بينهما ففاز (موريس) لأنه كان على الأرض يفعل ما يشاء كالمعبودات معه ويكرر هذا القول صرارا وهو يعاطى الجرعة ﴾

ولهم عزائم أخرى لابعاد الهوام والديب وعزائم للحجة والتبول ويمثلون شخصا على هيئة العدو ويتلون العزيمة ويضربون ذلك التمثال بالمدية فان العدو يحصل به ما حصل بصورة الشمع على زعمهم وكانوا يتخيلون انهم يرون الشمس نصف الليل ويستحضرون الشياطين الذين يجلبون لهم ما يريدون . هذا ملخص ما ذكره الباشا في ﴿ مجلة الموسوعات ﴾

وهالك مترجه استاذى في علم التاريخ والجغرافيا المرحوم أحمد بك نجيب عن اللغة الألمانية المترجمة عن

الورق البردى المصرى ترجمة حرفية ، إذ نقل ربه الله سبحانه بين الملك (خوفو) أحد ملوك الأسرة الرابعة وهو
 البانى للنهرم الأول بالحيزة سنة ٣٧٠٠ قبل الميلاد . ان هذا الملك جمع أولاده الثلاثة وألزم كل واحد منهم أن
 يقص حكاية من أغرب التواريخ المصرية فامتثلوا أمره ، واني لأخلص لك حكاياتهم ، لماذا ؟ لأن هذا أغرب
 التواريخ فاطلاعت عليه كالاطلاع على تاريخهم ، وأيضا ان القرآن ذكر سحريهم ، فهالك سحريهم لتقف على
 عجائب الدنيا وخرافات الأولين وتعلم كيف ذكر هذا السحر في القرآن ولماذا ذكر وكيف كانت هذه الدنيا
 ومنشؤها ، وإذا رأينا أنفسنا متعجبين من خرافاتهم التي كانوا يزعمونها حقائق فربما جاءت أقوام بعدنا فعدونا
 مخترعين . وفوق كل ذى علم علم -

الحكاية الأولى . قال ابنه الأول ﴿

(أعجوبة حصلت أيام الملك نيتا وهو من الأسرة الثالثة ومات سنة ٣٩٠٠)

وقف الأمير خفرع البانى للنهرم الثانى وقال لأبيه (خوفو) أنا أقص عليك أعجوبة حصلت مدة أبيكم (نيتا)
 (ومعنى الأب هنا السلف) حينما ذهب الى معبد المعبود فتاح سيد عنخ توري (مكان بمدينة منفيس به المعبد)
 وزار أكبر علماء السحر وكانت زوجته تحب رجلا من أهل المدينة وكانت ترسل اليه خادماتها كل يوم وهو
 يجلس معها في البستان منشرحا مسرورا وأرسلت له يوما صندوقا فيه ملابس لطيفة فأتى مع الخادمة ومضى
 على ذلك جملة أيام فلصبح ذلك المدينى منزلا خلويا في بستان زوجها فطلب منها أن يكونا معا فيه فأمرت أمين
 المنزل أن يهيئ لهما هذا المنزل في البستان ليشرحا فيه ففعل وجلسا معا فيه كما يشاءن أما الخادم الأمين فانه
 أخبر صاحب البستان وهو زوجها كبير القراء وهو الكاهن فقال الكاهن لهذا الأمين أحضر لى شمعاً من
 الصندوق المصنوع من الأنوس والفضة المذهبة فصنع تمساحاً من الشمع طوله سبعة أشبار ثم طلى عليه بالسحر
 ثم قال للأمين متى جاء المدينى ليغتسل كما كان يغتسل كل يوم في هذا الماء فألقى عليه التمساح الذى من الشمع
 ثم جاء المدينى وجلس معها على عادته وشربا في هناء وسرور وجاء العاشق لزوجته الكاهن ليغتسل في البركة
 فألقى الأمين عليه التمساح من الشمع فأنقلب الى تمساح حقيقى بنفس الطول وخطف المدينى وغاص في قاع الماء
 وكان اسم هذا الكاهن (ويبايوز) وبقي (ويبايوز) الكاهن المذكور سبعة أيام مع الملك والمدينى غاطس
 في البحر في جوف التمساح ثم طلب منه أن يريه عجيبة في رجل مدينى في زمانه فتوجه معه للبركة وتلا العزيمة
 على التمساح أن يحضر الرجل المدينى فأحضره فغضب الملك وقال كيف تعذب هذا الرجل بهذا التمساح فأخذ
 الكاهن التمساح اذا هو شمع كما كان وليس حيوانا وقص عليه قصص زوجته وهذا المدينى فغضب الملك وأمر
 أن يرجع الكاهن التمساح كما كان وينزل في الماء وقد تم ذلك وأمر بإحراق المرأة في جانب البستان
 فلما أتم الأمير خفرع هذه الحكاية قال لأبيه (خوفو) هذه حكاية حصلت مدة أبيك (نيتا) فقرب
 الملك (خوفو) ألف رغيف خبز ومائة قدر بوزة (الجمعة) وأمر بذج ثور وكذلك أمر بحقيقتين من الروائح
 العطرية . كل ذلك لروح الملك (نيتا) وقدم أيضا الى روح أول القارئ طعاما وقدر عظيم من البوزة وقطعة
 خبز كبيرة وحفا من الروائح العطرية

الحكاية الثانية . أعجوبة وقعت في أيام الملك (خوفو) نفسه ﴿

(ترجمت حرفيا من اللغة الألمانية وهى مترجمة من اللغة المصرية القديمة حرفيا أيضا)

عند ذلك قام الأمير (هرد داف) ابن الملك (خوفو) وقال انك لم تسمع إلا ما كان في الزمن الماضى ولم
 نشاهده بأنفسنا فهو يحتمل الصدق والكذب ولكنى أخبرك عن شيخ فلاح مصرى يعيش (١١٠) سنة
 ويأكل كل يوم (٥٠٠) رغيف ويشرب مائة قدر من الجعة ويأكل ربة ثور وهو يقدّر ان يرد راس الانسان
 المقطوعة الى مكانها فهو يحيى الموتى وإذا جرى حبل على الأرض خلفه خضع له الأسد ومشى خلفه مدة مايجر

الحبل وأنه يعرف حساب (ابت) وفيه الأسرار المكنونة للعبود (توت) ويقال أن هذا الحساب وحدة المقاييس لتصوير الحيوان والإنسان فإن هذه الصور العجيبة التي صنعوها والهيكل التي اخترعوها لا بد لها من مقاييس فهو إذن (ابت) فقال الملك (بهردداف) أحضره لي وكان اسمه (ددى) فركب زورقاً في النيل وسافر إلى بلدة (ددى) في إقليم (دوسنفرو) ولما وصل (هردداف) إلى الجسر تركه وسار محملاً على كفة من خشب الأبنوس وقوائمه من خشب أرز لسان مشبك بكلايب من الذهب فلما وصل إلى منزل ددى سلم عليه بسلام لا تعرفه الآن ، وكان (ددى) راقدًا على سرير فوق مسطبة وخدام يروى على رأسه بروحة وآخر يغمز (يكبس) رجله وهذه صورة السلام ﴿ السلام عليك حالتك حالة كل من صار في دور الشيخوخة والهرم ، في دور الاحتضار والموت ، في دور النزول في القبر ، في دور الدفن والموارة في التراب الذي تصير إليه عاجلاً أنت أيها الفاضل المحترم وإنني أتيت إليك من بلاد غاصية لأناديك وهي رسالة من أبي جلالة الملك (خوفو) وأنت متى حضرت تأكل أكلاً فاخراً يقدمه لك الملك أبي ويواليك بمثله ففسر وأنت في هذه العيشة الراضية حتى تلحق بآبائك المتراحين في قبورهم ، فقال ددى سلام سلام بهردداف يا ابن الملك ، يامن يحبه أبوه ويكافئه ويحمله قبره ويرفع شأنه فوق الكبراء والشيخوخة وإن (قك) حية ، ومعنى قك يعني صورتك الخيالية بعد الموت التي كانوا يعتقدون أنها تسكن في الصورة التي يصنعونها على هيئة جسم الميت ويقدمون لها دور الخبز وكل مأكل ويزعمون أن هذا يجعل تلك الصورة حية ، ثم إن الأمير (هردداف) ساعده على القيام وسافر معه على الجسر فقال (ددى) مر لي بزورق واحضر أولادى كلهم مع كتبى فأمر له بزورقين مجهزين بجميع لوازمهما . ولما وصل الأمير هردداف هو وددى إلى (منفيس) وهي ميثريه الآن دخل ددى على والده الملك فقال له : لك ؟ هل ما يقال أنك تحي الميت حق قال نعم أحيي الإنسان والحيوان فقطع رأس أوزة أمامه فأخذ الأوزة وجعلها في الجهة الغربية من الإيوان وجعل رأسها في الجهة الشرقية منه وأخذ يتلو العزائم السحرية فقامت الأوزة تمشي وتبخر وكذا الرأس صار يقفز نحو الجهة فالتقيا ولما وصلت لها وقفت الأوزة وجعلت تصيح . فقال له الملك أضحك أنك تعرف حساب (ابت) في الأسرار المكنونة للعبود توت . قال لا أعرفه واسكن أعرف مكانه أنه في عتبة مصنوعة من حجر ريسى (كذا) موجودة بمنزل اسمه (سبتى) بمدينة الشمس (عين شمس) ولست أنا الموعود بها بل الموعود بها أكبر أولاد المرأة (رددت) امرأة الكاهن المسمى (را) الخادم للعبود سخيو والمعبود المذكور وعندها أن يعطى أولادها أكبر الوظائف في القطر المصرى وأكبرهم يكون هو الكاهن الأعظم لمدينة الشمس وهذه المرأة تلد في الخامس عشر من شهر تبي (طوبه) وأكرم الملك هذا الساحر كراماً كثيراً ورتب له كل يوم ألف رغيف من الخبز ومائة قس من الجعة وثوراً ومائة ربطة من البقول والخضر انتهى

﴿ الحكاية الثالثة هي أعجوبة وقعت في أيام الملك سنفرو ﴾

لما انتهى الأمير خفرع من كلامه قام أخوه الأمير (بيوفرا) وتقدم للكلام أمام أبيه الملك خوفو وهذه الحكاية ملخصة فيما دار بين المؤلف وبين تلميذ بمدرسة عالية وقد نشر هذا الحديث في جريدة الاخلاص تحت عنوان ﴿ السحر في وزارة المعارف ﴾ وهناك نص الحديث

(س) - لقد جاء في الكتب السماوية وفي العلوم الأثرية أن قدماء المصريين كانوا بارعين في السحر فهل بقي من هذا العلم شيء الآن

(ج) إن السحر اليوم في وزارة المعارف

(س) عجبا . كيف تقول هذا وأنت كنت مدرسا بها وأنا تلميذ بل أنا كنت تلميذك بالمدرسة الخديوية .

أجداً تقول أم أنت من الهازلين ؟

(ج) انى لا امزح وانما أقول لك حقا ان وزارة المعارف قد عمها السحر من اولها الى آخرها وهذا

السحر قد انام العقول

(س) أوضح فاني لم أدر ما تريد

(ج) ان كل شئ يصرف العقول عن الحقائق يسمى سحرا . ألا ترى أن المنوم (بالكسر) يأتي في المراسح العامة و يضع سكرًا في فم المنوم (بالفتح) ويقول له هذا حنظل فيلفظه المنوم ويقشعر وإذا عكس الأمر استحلى الحنظل وابتلعه وهو قريح العين . وهذا أحد أنواع السحر فقد صرف المنوم عن الحقائق حتى صار الخاو مرا والمرح حلوًا . أولست ترى أن الرجل يقول له المنوم (بالكسر) أنت امرأة فيفعل فعل المرأة و يسمى نفسه باسم المرأة ثم يقول له أنت ملك فيفعل فعل الملك وهو مصدق ذلك في كل حال والناس يشاهدونه في المراسح . إن هذا نوع من السحر بلا جدال

(س) وهل هذا التنويم يدرس في المعارف

(ج) لا ولكن التنويم في المعارف أشد وأشد . لاجرم ان كل ما صرف العقول عن الحقائق حكمه حكم التنويم فإذا رأينا فعلا يؤدي الى هذه النتيجة عددناه سحرا وان لم يسمه العامة ولا القاموس سحرا . إن المقام مقام حكمه وعلم . وهل لك أن أقص عليك عجيبة من مرويات قدماء المصريين السحرية المكتوبة على ورق البردي سواء كانت على الحقيقة أو خرافية . ذلك أن الأمير يوفرا وهو أخو الملك (خفرع) قام أمام أبيه الملك (خوفو) وقص عليه أعجوبة وقعت وقد ظهرت على يد أكبر العلماء المسمى (ززام عنخ) ذلك أن الملك (سنفرو) كان منقبض الصدر فوصف له أكبر العلماء أن يتوجه جلالة الى بركة قصره ويجعل فيها زورقا مصفحا بالذهب جيلا فيه عشرون فتاة بكرًا يجذفن فيه بمجاديف من خشب الأبنوس المحلى بالذهب وهن محليات بالقلائد والعقود ولاسات ملابس (شبيكة) ففعل وركب فسرن به في الزورق ونظر رجال الزورق ومن فيه وجمال الأشجار والأزهار حول البركة فانشرح صدره وكانت الفتيات صفيين وليشكل صف قائدة فوق حجر دهنج من قرط إحدى القائدات في الماء فارتفعت لذلك وتوقفت عن العمل هي ومن معها فضمن لها الملك مثل حجر قرطها فقالت لا أبني سواء وهذا الحجر أخضر زاهي اللون كالزمرد فتكدر الملك فأغاثه أكبر العلماء المذكور وقرأ العزيمة على الماء وكان عمقه اثني عشر ذراعا فاطبق أحد نصفي الماء على النصف الثاني وصار عمقه أربعة وعشرين ذراعا وصار مكان النصف يديسا فوجد حجر الدهنج في الأرض على سقف من الزجاج فالتقطه وناول له لصاحبه ثم تلا العزيمة مرة أخرى في الماء فرجع الماء لحالته وانشرح قلب الملك هو وفتياته

(س) وما فعلت المعارف من هذا

(ج) ان أكبر العلماء أشبه بحكام أوروبا في كلياتهم والملك سنفرو وفتياته أشبه بملوك أوروبا وجنودهم والماء أشبه بالعلم فكلاهما للحياة والحجر الواقع من قرط الفتاة هي النعم والخيرات المنجوبة في أرض مصر مثلا وما فيها من النعم . أما العزيمة فهي أن أولئك الفلاسفة والحكام في أوروبا يعطون التعاليم للدرسين ولولاة الامور الادرويين فيعلنون أهل البلاد يقولون لغتكم لاتصلح للتعليم واخلاق آبائكم وآدابهم . كل ذلك نقص وينقصون على العلوم فيحذفونها ولا يبق إلا قشورها . ألم تر أن التلاميذ قبل زمن الاحتلال وفي أوائله كانوا يدرسون علم الأشياء في الابتدائي والفلك والحيوان والانسان والنبات في التجهيزي . ألم تحذف هذه العلوم من البلاد ؟ اليس الانسان يرى بعينه النبات ويرى الحيوان وأجسام الناس ويرى الكواكب

(س) بلى ولكن لا يدرسها لأنه ليس في منهج الدراسة

(ج) هذا هو السحر الحقيقي وما فعل سحر أكبر علماء سنفرو لم يفده إلا حجبًا هو قرط وليكن سحر أوروبا الآن أفادها قطرا كبيرا والقطر خير من القرط بل فيه ما يساوي الآن ألف حجر من هذا . ومن تلك العزيمة قول النول المحتلة أعطينا التلميذ الشهادة فيغتر المتعلم بذلك وكفى بالغرور جهلا وأما الماء الذي ارتفع عن احد

نصف البركة فهو هذه العلوم انقضت من البلاد بالتدرج في زماننا والناس في مصر ياهون لاهون مسجورون وأما الحجر فهو مال مصر كله وأما الآخذ فهي أوروبا فانها لا تجرأ على سلب أموالنا ونحن علماء ، انما تأخذة ونحن جهلاء ، فاذا أراحت العلم انكشفت لها كنوز مصر وأخذتها والا فلماذا ندرس هذه العلوم في مدارسها ولماذا نرى ثقتنا المصرية كانت تدرسه قبل قدوم الانجليز وأصبح ذلك نسيا منسيا ، بل ما بالنا نرى الكتب الانجليزية التي كانت تدرس فيها بعض هذه الأشياء غيرت وحل محلها قصص الحكايات العجائز والأطفال (س) إذن الساحرون من أوروبا

(ج) نعم والناس اليوم مسجورون يسبون في الحقول وينظرون النبات والحيوان وينظرون نوع الانسان وينظرون النجوم وهم غافلون لأن الموثم قال لهم هذه هي شهادة العلوم ففعلوا (س) وهل الوزراء المتعاقبون شاركوا لانجليز ؟

(ج) لم يكن للوزراء قبل الاستقلال أمر أما بعده فالوزراء رجالات الأمة فيغيرون ويرجعون الامور الى نصابها وما ذلك عليهم بعزير وأما اذا رجعت مصر الى عهدنا الاحتلالى (اسمع الله) فالسحر يستمر والجهالة تلوم وليس للمصريين إلا أن يفكروا جميعا . انتهى الحديث وبه تم الكلام على الحكايات الثلاث

﴿ تقديس كتب السحر وأكابر السحرة عند قدماء المصريين ﴾

جاء في كتاب ﴿ أدب الدنيا والدين ﴾ عند قدماء المصريين ما نصه بصفحة ١١٨ « كانت كتب السحر داخلية في العلوم المقدسة ومندرجة أيضا في علوم البيان وكتب الطب والحكمة ، وكانت هذه الكتب تحفظ في دور الكتب الملكية المجاورة للعباد والها كل ومن المحفوظات الآن في مدينة لندن ورقة بردية في السحر اكتشفها كاهن في القاعة الكبرى من معبد كنتوس مذكور على جوانبها أن الأرض كانت مظلمة حتى ظهر النجم فجأة وأضاءت أشعته سطعها ، فأتى ذلك السكاهن بهذه الورقة الى خوفو أحد ملوك الأسرة الرابعة ، أما السحرة فكانوا ينقسمون الى ﴿ طائفتين ﴾ الواحدة قانونية والأخرى غير قانونية فالقانونيون هم الذين كانت تأذن لهم الحكومة بمباشرة السحر وتعتمد عليهم وتعول على آرائهم في الطوارئ ولذلك كان لهم النفوذ الأكبر والمقام الأسمى أمام الفراعنة والرعية ، واشتهر في هذا العلم كثير من أبناء الملوك والأمراء كامنحبت بن حابي وزير الملك امنحبت الثالث الذي نبغ في السحر حتى أقاموا له تمثالا محفوظا اليوم بالمتحف المصري تحت (نمرة ٣) . وعن اشتهر أيضا بالنبوغ في هذا الفن الملك سيوسريس حتى فاق جميع السحرة في عصره . وكانت الفراعنة يجالون هؤلاء السحرة ويثمنون بهم ويلقبونهم بكتبه بيت الملك وكتبه الحياة ويدعونهم لتفسير أحلامهم والانتصار بهم على أعدائهم باظهار أعاجيبهم المدهشة كما حصل في قصة سيدنا موسى عليه السلام أراعمل الألباب السحرية لتسليتهم ورياسة أفكارهم ، وكان الساحر لا ينبغ في هذا العلم إلا بعد التمرن الطويل ومضى مدة طويلة في حسن السيرة والسريرة ومقاومة شهوات النفس والتمسك بالطهارة والعفاف والامتناع من أكل المحرم والأسماك والانزواء في الخلوة كل أيام حياته ولا يجوز أن يحترف أية حرفة أخرى حتى تشغله عن مهمة وظيفته وقد أنقن السحرة هذا العلم وتفننوا في أساليبه وأحكموها حتى لم يتركوا غاية جهدهم فيه ورسخت قواعده في أذهانهم حتى كان أحدهم يأتي بأكبر الخوارق التي تبهر الأبصار والبصائر بدون تكلف كأنها العوبة صيدانية . ومما ذكر عنهم أنهم فلقوا البحار وقطعوا رأس رجل وفصلوها عن جسده ثم أعادوها اليه بدون أن يشعر بأذى وجعلوا التماثيل والأشباح المصنوعة من الشمع تعبرك بحركات مختلفة طوع ارادتهم وكانوا يخفون عن الأبصار وهم جالوس في المجلس فلا ينظرون أحدا حتى ان الداخل لا يعتقد أنهم موجودون في هذا المجلس و يقرؤن الرسائل المطوية داخل ظروفيها فيخبرون بما فيها بدون أن يفوضها

يفضوها ويخبرون الناس بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم . ومن أعجب أمر أقاصيصهم أنهم قبلوا نظام الطبيعة حتى صنع أحدهم من الشمع تمثال تمساح صغير ثم تلا عليه صيغة سحرية فتحرك هذا التمثال وسلط على رجل زان استحق العقاب فابتلعه وألقاه في البحر . انتهى
هذا ماجاء في الكتاب بنصه وفصده ولست أذكره على أنه حقيقة ولكن أقول هكذا كان القوم يعتقدون والحمد لله رب العالمين

جمال العلم وبهجة الحكمة

اعلم أيها الذكي أن ما كتبه الآن لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها ولولا أنه قد جاء مكتوبا في الورق البردي ما كتبه فلا تترك الآن جمال العلم وبهجة الحكمة ونور الله المشرق في هذه الدنيا وسرته الظاهر وعجائبه المدهشة . اللهم انك أنت الظاهر والباطن وأجل الأنوار وأبدع الأسرار هذه النفوس الانسانية التي سكنت أجسادنا وزينتها بحواسنا وكرمتها بعقولنا وأقدرتها أن تعرف الكائنات علويها وسفليها . اللهم انك أنت الذي أبدعت أرواحا علوية أدارت الكواكب ودبرت الأشباح الأرضية وخلقت أخرى أصغر منها كالنفوس الانسانية وشوقتها إلى أن تطلع على كل عجيب وغريب ، ذلك لأنها قبسة من نورك وسر من أسرارك فهي أبدا تحق إلى الجمال والكمال وتصبو إلى ادراك الأسرار ، ومن عجب اننا نحن من أجل الأسرار وأبدع العجائب لكننا نجهل أنفسنا ولا نفطن لما فيها من الجمال البديع والنقش الغريب . يا الله كأنك حكمت علينا بالحبس في الجهل حتى ندفع ثمن علمنا بأنفسنا غاليا كما يدفع الرجل مهر عروسه ، وما ذلك المهر إلا دراسة هذا الوجود وعجائبه وتحلي النفس بالأخلاق الفاضلة وهناك تجلي لها معانيها فتعرف انها قبسة من نورك فتطير فورا إلى لقاءك وتموت فرحة بمشاهدتك . أما الآن (كتابان) كنت دائما أحافظ عليهما لأخص بهما في هذه السورة لمناسبة قصة سحرة فرعون . فها هي ذه الآن تطيع ولم يوقظني لذلك إلا بعض الاخوان قبل أن تضع الفرصة فعلمت أن هذا الايقاظ أمر إلهي نبه في النفس ما كان خاملا ، والكتابان أحدهما يسمى السحر الحلال في الألعاب السبائية وبعض فوائد صناعية مجربة ، والثاني يسمى مختار في كشف الأسرار . أما أولهما فهو مؤلف مستخرج من العلوم الحديثة وفيه فوائد فائقة وعجيبة ويظهر لي انها كلها صحيحة وأقربية من الصحة والكتاب الثاني مؤلفه يسمى الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن عمر الدمشقي كان في القرون الوسطى فلا سمعك أولا ما اصطفتيه من كتاب السحر الحلال . ثم أفني ببعض ما اصطفتيه من كتاب المختار في كشف الأسرار لترى جمال الله الخبوء في العناصر ، وتنتفع بفوائد ومنافع في الحياة ولطائف تفرح الخلال وتونس الجلاس وأخرى للاعتبار والاحتراس من الناس . أما كتاب السحر الحلال فقد اصطفت منه (٣٣) فائدة وهاك بيانها

(الفائدة الأولى . كيفية جعل رأس عجل مطبوخ يعج على المائدة كأنه حي)

الطريقة في ذلك هي أن تأخذ صفدة حية وتضعها في أسفل الرأس من جهة الخنجر تحت طرف اللسان الداخلي ويكون وضعها عند اخراج الرأس من الطنجرة حالا وهو شديد الحرارة بحيث ان حوارته تلذع الصفدة فتصرخ هناك فيخرج صوتها من فم ذلك الرأس نظير صوت العجل تماما واحترز أن لا تضعها إلا عند ارادة استعمال ذلك قبل أن يبرد الرأس أو تموت الصفدة

(الفائدة الثانية كيفية إطفاء شمعة مشعلة واشعال شمعة أخرى مطفأة في وقت واحد)

(أولا) ينبغي أن تكون الشمعتان كاملتين وفتائلهما جديدة لم تمسها نار (ثانيا) أن تشق طرف الفتيلة التي تريد أن تشعلها بواسطة دبوس ونحوه وتضع في ذلك الشق قطعة من الفوسفور (١) بقدر حبة حنطة واجعل

(١) يجب الاحتراز السكلي عند استعمال الفوسفور ، ينبغي أولا أن لا تمسه بأصابعك لئلا يعلق بها شيء

المسافة بينها وبين الشمعة المشعلة مقدار خمس أقدام وخذ بيدك غدارة وأطافها على المشعلة فيطعمها البارود بهزمه ويشعل الثانية التي في رأسها الفوسفور

﴿ الفائدة الثالثة . كيفية عمل برق في حجرة ﴾

ينبغي أن تكون الحجرة التي تريد أن تصنع فيها البرق صغيرة ومظلمة ولا يكون فيها منفذ الى الخارج يدخل منه الهواء ثم تأخذ إناء من نحاس أو نحوة فتشعل فيه شيئا من العرق مع الكافور وتركه في غليانه حتى يحترق العرق والكافور برمتها ولا يبقى شيء في الإناء ، وحينئذ إذا دخل أحد الى تلك الحجرة ويده شمعة موقدة يرى في الحال لمعان برق شديد في المكان ، وذلك البرق لا يخشى منه ضرر لا للإنسان الذي يغشاها البرق ولا البيت الذي يسطع فيه

﴿ الفائدة الرابعة . كيفية اظهار شبه قوس قزح ﴾

طريقة ذلك أن تملأ فلك ماء وتقف في باب أو في شباك حجرة نافذة منها نور الشمس الى الداخل وتجعل ظهرك موجها الى أشعة الشمس ثم تنفخ ذلك الماء بخا بحيث يكون نور الشمس واقعا عليه فيظهر للناس قوس منقن نظير قوس السحاب

﴿ الفائدة الخامسة . جعل الورق غير قابل للاحتراق ﴾

عليك أن تأخذ قطعة من ورق الكتابة الاعتيادي وتغمسها بماء الشب ثم تجففها وتعيد ذلك عليها مرتين أو ثلاث مرات وتجففها في كل مرة جيدا فإذا وضعتها بعد ذلك على لبيب الشمعة لا تحترق أصلا

﴿ الفائدة السادسة . تكيف شراب حتى يضىء في الظلام ﴾

عليك أن تأخذ قطعة من الفوسفور بقدر الحصة الصغيرة وتقسمها الى قطع ثم تضعها في وعاء من زجاج يكون فيه مقدار ثلاثة فناجين اعتيادية من الماء وتغمره على نار خفيفة وخذ زجاجة طويلة بيضاء لها سدادة من جنسها تكون مضبوطة وافتحها وضعها في ماء حار ثم ارفعها وأفرغ فيها مقدارا من ذلك الماء الذي كانت فيه وأضف اليه الماء المغلوق بالفوسفور حالا وأغمس السدادة في الغراء وستبها القينية بالسرعة لكي لا يدخل الهواء كليا فيبقى هذا الماء لمعا مضيا ليلا مدة جملة أشهر . فإذا وضعتها في مكان مظلم احتزن من أن تحركها وإذا كان وقت حرو وجفاف هز القينية فترى حينئذ لمعانا أشبه بلعان البرق في وسط الماء

﴿ الفائدة السابعة . طريقة لابقاء الزهور محفوظة زمانا وإبرازها في غير أوانها ﴾

خذ زهرا من أى نوع شئت بشرط أن يكون كأس الزهرة (١) سالما ممتلئا وتويجها (٢) قريب التفتح واقطعها بمقراض تاركا لها عنقا طويلا ما أمكن ولبس طرفها المقطوع بقطعة من الشمع الأحمر وعند ماتجف لفها بقطعة ورق ناشفة وضعها في محل ناشف . فإذا أردت بعد حين أن تبرزها أخرجها واقطع منها محل الشمع الأحمر وضعها في ماء به قليل من ملح البارود أو الملح الاعتيادي واتركها حتى تنفتح وتأخذ نظارتها

﴿ الفائدة الثامنة . طريقة لغليان حامض النتريك من دون نار ﴾

ضع في زجاجة كمية قليلة من حامض النتريك وزدها قليلا من برادة النحاس الأصفر فترى الحامض في غليان شديد ضمن الزجاجة حتى انه من قوة حرارته يلدع لدعا مؤلما

منه فتأخذ قطعة من الورق وتبلها بالماء وتمسك بها لأنه سريع الانهاب عند الضغط أو التقسيم وإذا اتفق واصق شيء منه بالأصابع والتهب يصعب جدا اطفأؤه فر بما آذى وأكلم بشدة ليه فلا يطفئه حينئذ إلا الغمس بالبول وغير هذه الوسطة لا يزيده إلا الانهاب . ولكي يؤمن خطر هذا العنصر أمنا تاما عند استعماله ينبغي أن يوضع في قينية مملوءة من الماء بحيث ان الماء يغمره بجملة والأحوط أن يمسك بواسطة ملقط فلينبه جيدا

(١) هو ورقاتها الخضر المحيطة بالتويج (٢) هو الأوراق الملونة

﴿ الفائدة التاسعة . إظهار ماء في لون وتحويله الى لون آخر بدون صباغ ﴾
الطريقة لذلك أن تأخذ قنينة بيضاء جلية وتفرغ فيها مقدارا من روح القلي وتحل فيها كمية من برادة
النحاس الأصفر فيزرق حينئذ السائل ، فاذا سددت القنينة اختفى لونه فاذا أردت اظهار اللون ثانية افتح القنينة
بالتأني فيزرق وهكذا

﴿ الفائدة العاشرة . طريقة لتغيير هيئة جماعة في مكان ﴾
تأخذ كمية من الملح واخرى من الزعفران وتعليهما في قليل من العرق وبعد أن يتم مزيجك هذا خذ
قطعة من القطن واغمسها فيه حتى تشرب منه جيدا ثم أشعل طرفا منها وأشعل بها المصابيح الموجودة في المحل
فكل شخص أبيض يقع عليه هذا الضياء يصير لونه أخضر وتستحيل حجرة الحدود الى لون زيتوني مشرب
(١١) ﴿ طريقة لتغيير لون طائر أو تويج زهره ﴾

لاجراء ذلك ينبغي ان تستحضر زجاجة واسعة يمكن أن تسمع الطائر الذي تريد ان تحوّل لونه واستحضر
لها سدادة من الفلين مجوّقة على قدر غلظ عنق الطائر الذي ينبغي أن يكون رأسه خارجا والأجود ان تكون
الفلينة منقسمة الى شطرين يقع بينهما التجويف بحيث يمكن ضمهما على عنق الطائر من دون أن يتأذى
او يجرح وبعد أن تكون هيات ذلك تأخذ الزجاجة وتلقى بأسفلها أوقية من الكلس الجديد وثلاث دراهم
من ملح الشادر وعند ما ترى الفليان قد ابتدأ في الزجاجة تسرع بوضع السدادة مركبا فيها عنق الطائر حسب
التفصيل المتقدم حتى تكون جثته ضمن الزجاجة ورأسه في الهواء وينبغي ان تكون الزجاجة طويلة لئلا
يلحق الطائر الى اسفلها فيتأذى وتبقى الطائر على هذه الحالة نحو دقيقتين الى ثلاث دقائق فيتغير لونه الطبيعي الى
لون آخر واحترس ان يبقى أكثر من ذلك فانه يتألم وربما يموت . وكذلك تصنع اذا أردت ان تغير لون
زهرة ما ولكن يكفي أن يكون في الفلينة ثقب بحيث يدخل فيه عند الزهرة

(١٢) ﴿ كيفية جعل صينية القهوة تدور من نفسها على الجلاس ﴾
تأخذ سلحفاة وتلصق بظهرها قطعة من الشمع العسلي إصصا محكما بالنسخين ثم تأخذ الصينية فتلصقها
بتلك الشمعة على ظهر السلحفاة بعد تسخين مكان الاصصاق من الصينية بحيث تتمكن جيدا وبعد ذلك تغطي
الصينية بقطعة من القماش ترسلها حول أطرافها لئلا تظهر السلحفاة من تحتها وتضع عليها الفناجين وتوجهها
الى الجلاس ومن طبع السلحفاة ان تدور فتدور هكذا من واحد الى آخر بحيث يظهر للناظرين أن الصينية
تدور من نفسها

(١٣) ﴿ كيفية وضع شيء في العين واخراجه من الفم ﴾
تأخذ قطعة من الرصاص أو نحوه بطول قمتين وغلظ قطة أو أقل مستديرة من قوامها وطرفها بحيث
لا يبقى لها حرف يחדش داخل العين وتأخذ قطعة أخرى على هيئتها تماما فتضع الواحدة في فك خفية ثم
تأخذ الثانية فتدخلها أمام الناظرين في عينيك في (الماق الانسى) أى في طرف العين الذي من جهة الأنف
وهكذا تغيبها تحت جفئك الأسفل بالتدريج مع الرفق منحرفا بها الى الجهة الوحشية فاذا غابت باجمعا أجز
أصبعك من عند العين الى جهة الخد مدبرا إياه بالتدريج أيضا كأنك تضغطها تحت الجلد حتى توصلها الى الفم
ومتى وصل أصبعك الى قرب فك ألقى منه القطعة الثانية التي وضعتها أولا فيتحيل للناظر أن القطعة التي خرجت
من فك هي التي وضعتها في عينك . وهكذا يمكنك العكس أيضا فتعيد تلك القطعة الى فك وتدير أصبعك منه
الى العين عكس ما فعلت أولا ومتى انتهى أصبعك الى العين تضغط به تحت الجفن ضغطا منحرفا الى جهة
الأنف مرتين أو ثلاثا فتخرج القطعة وتسقط وابق القطعة الثانية في فك ولا تخرجها إلا خفية لئلا يكشف سر
الصناعة . ولكي لا يسمع لها صوت عند اصطكاكها بأسنانك أو يتغير منطقتك بسببها ينبغي أن تضعها وراء

الثلة مما يلي الأنياب مادامت في فلك

(١٤) ﴿ كيفية تحويل نصل سكين من الفولاذ الى نحاس أصفر ﴾

خذ أوقية من صفائح النحاس الأصفر الرقيقة وطهرها على النار حتى تنقى و بعد أن تقسمها الى قطع صغيرة ضعها في كأس زجاج وأرق عليها ثلاث أواق من حامض التريك و أتركها خمس أو ست ساعات فينبوب النحاس وينحل و بعد أن يسكن من غليانه اغمس فيه نصل السكين فيكتسب غشاء من النحاس المحلول

(١٥) ﴿ طريقة يظهر بها الفولاذ كأنه سائل ﴾

تأخذ قطعة من الفولاذ أو الحديد وتحميها الى درجة الاحرار الكامل ثم تغطسها بملقط باليد الواحدة وتأخذ باليد الثانية عصا تضع في رأسها قطعة من السكريت وتلقيها على قطعة الفولاذ المحمرة فينبوب السكريت ويسيل عن قطعة الفولاذ التي يظهر للناظر كأنها هي السائلة

(١٦) ﴿ اخراج عشرين طلقة من قنينة نظير صوت الغدادة ﴾

خذ قنينة من الزجاج الاسود متينة الجدران وضع فيها مقدار نصف لتر من الماء مع خمسة وتسعين جراما من برادة الحديد وستين جراما من زيت الزاج وسد القنينة وأتركها حتى تسخن ومتى سخنت افتحها وأدن إليها من جهة فيها قطعة ورق ملتصقة فيخرج منها طاقة ثم أعد السدادة وهكذا تكرر هذه العملية فيخرج منها عشرين طلقة

(١٧) ﴿ كيفية اصطناع الحديد من الماء في فصل الصيف ﴾

خذ قنينة اوشبهها من الفخار واملاها ماء مغلوا ثم أضف إليها ثمانين جراما من ملح البارود وعشرين جراما من عرق الطيب ثم سدّها سدا محكما وأنزلها في بئر عميقة وأبقها هناك نحو ثلاث أو أربع ساعات ثم أخرجها بعد ذلك واكسر القنينة فتجد الماء قد تجمد

(١٨) ﴿ سرّي خاص في عدد ٣٧ ﴾

أي عدد من الأعداد الآتية ضربت فيه عدد (٣٧) يحصل ثلاثة أرقام متشابهة أخذت بالنسب من (١) الى (٩) حسب نسق الأعداد المضروب فيها وهي هذه (٣-٦-٩-١٢-١٥-١٨-٢١-٢٤-٢٧) وهذه صورة العمل

٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٢٧	٢٤	٢١	١٨	١٥	١٢	٩	٦	٣
٩٩٩	٨٨٨	٧٧٧	٦٦٦	٥٥٥	٤٤٤	٣٣٣	٢٢٢	١١١

(١٩) ﴿ طريقة للكتابة بحبر يظهر ويختفي ﴾

تأخذ مقدارا من تراب الزرنيخ وتحله بالماء المحلل وتضيف عليه شيئا من الماء الاعتيادي ثم تكتب به على الورق فلا يظهر له لون ، فاذا سخنت الورقة على النار ظهرت الكتابة بلون أخضر ومتى رفعت عن النار يذهب اللون وهكذا . وهناك طريقة أخرى لاظهار الحبر السري على الورق بعد الكتابة به وهي أن تأخذ كمية قليلة من البصل الاعتيادي مع جزء من عصير الليمون الحامض وتمزجها معا في وعاء من زجاج وتكتب ما دئت على الورق و بعد أن تجف الكتابة أعرضها على الحاضرين فلا يرونها إلا ورقة بيضاء وعند ذلك يمكنك في أي وقت شئت اظهار الحبر وذلك بعرض الورقة لحرارة النار فتظهر لك الكتابة بلون ذهبي لا يمحي

(٢٠) ﴿ طريقة لأجل الكتابة بالحبر ﴾

غطس ورق الكتابة في محلول الزاج الأخضر أي (كبريتات الحديد) وانشره على خيطان منصوبة حتى ينشف تماما ثم خذ من مسحوق العفص الناعم جدا وافرك به الورق بكرة تصنعها من خرق نظيفة ثم أزل ما بقي

على الورق بلا التصاق بفرشاة ناعمة ثم اصنع منه دفترا فان بات قلما أوقشة بماء أو ببصاق ورسمت به على هذه الورقة تظهر لك الرسم أسود كما لو استعملت حبرا ، وبهذه يستغنى عن الدواة وقلم الرصاص

(٢١) ﴿ كيفية منديل يدل على المطر ﴾

خذ منديلا وصور عليه صورة رجل حامل شمسية مصبوغة بكالوريد الكوبالت فان كان الطقس حسنا ناشقا ظهرت الشمسية زرقاء ، وان اختلف صارت رمادية ، وان أمطر صارت بيضاء وان غسلت زال لونها تماما

(٢٢) ﴿ منديل غير قابل للاحتراق ﴾

خذ شبا ونوشادرا وانجمنهما بزالال بيض واطل بهما منديلا ، فاذا ألقيته بالنار لا يحترق

(٢٣) ﴿ طريقة لأجل امساك النار ﴾

خذ زرنيجا أصفر مورقا وشبا يمانيا وامزجهما بزالال البيض وادهن بهذا يدك فاذا مسكت النار لا تحرقك

(٢٤) ﴿ طريقة لجعل بيضة تطير لذاتها ﴾

خذ بيضة حمام واقبها وأفرغ ما فيها واملاها من الندى ثم سدها بقليل من الزيت واطلمها بدهان أبيض نظير لونها وحينما تريد تطيرها ضعها في الشمس فتراها تطير لذاتها

(٢٥) ﴿ طريقة لعمل حبر سرى ﴾

خذ من حليب الثين واكتب به على الورق وبعد أن تنشف الكتابة أعرضها على حرارة النار فتظهر الكتابة بلون ذهبي غامق

(٢٦) ﴿ طريقة لعمل حبر لا ينظر إلا في الليل ﴾

خذ نوشادرا وحله في حليب واكتب به فيظهر في الليل ولا يظهر في النهار

(٢٧) ﴿ طريقة لنزع الحبر عن الثياب ﴾

خذ نوى المشمش اللوزي ودقه ناعما وافرك به القطعة الملوخة فيزول الحبر عنها

(٢٨) ﴿ طريقة لإهلاك البراغيث ﴾

انقع مسحوق الكبريت الأصفر في خل كاف يغمره مدة ثلاثة ايام ثم رش به الموضع المطلوب فتقر البراغيث منه ولا ترجع اليه أبدا مادامت تنشق رائحة الكبريت (محرّبة)

(٢٩) ﴿ طريقة لإهلاك البق ﴾

خذ (١٦) جزأ من الصابون وجزأين من الزرنيج الأحمر وجزأ من الكافور وضع الجميع في مقدار كاف من العرق حتى يصير المزيج كالمرهم وادهن به الموضع القاطن فيه البق فيجمد لاحالة (محرّبة)

(٣٠) ﴿ طريقة لإهلاك الصراصير ﴾

امزج قليلا من مسحوق الزرنيج بتفاحة مشوية وضعها في الخلات التي تكون فيها الصراصير فتهلك لاحالة . ولكن يجب الاحتراس من أن يصل اليها الأولاد فيأكلوها فيسموا

(٣١) ﴿ طريقة لطرد النمل الصغير النر ﴾

امزج بلعقة صغيرة من الطرطير المقيئ بلعقتين من الدبس وضع المزيج في ماء وحركه واجعله حيث رايت النمل وفي الصباح تجد نملا كثيرا ميتا على وجهه والبقية قد ارتفعت وهربت ثم اهرق النمل الميت عن وجه المزيج وأعد هذا العمل في كل مكان يظهر فيه النمل فتهلكه بأقرب وقت

(٣٢) ﴿ ضوء الفوسفور ﴾

يمزج (١٢) قحمة من الفوسفور و (٤) دراهم من زيت الزيتون في قينة صغيرة ثم تسد هذه القينة سدا غير محكم وتضعها في وعاء فيه ماء مسخن حتى يذوب الفوسفور فتسد القينة حينئذ سدا محكما ونهز حتى

تسكاد تبرق فكلما فتحت بعد ذلك أضواء تسكني لظهور الكتابة وتدمر أضواء هذه بنوع سنين
انتهى ما أردته من الكتاب الأول

وأما الكتاب الثاني فإن مؤلفه يقول انه عماله للملك المسعود ذكر فيه حبل المتعبين والشيخ السكاذبين
والأخبار والرهبان وأصحاب الكيمياء وطلاب الكنوز وهكذا . فلاذ كذلك ما فيه فوائد للاستخبار والاتعاظ

﴿ القصة الأولى في كشف أسرار من ادعى النبوة ﴾

قد كان ظهر في آخر خلافة السفاح بأصفهان رجل يعرف باسمحق الأخرس فادعى النبوة وتبعه خلق كثير
وملك البصرة وسنن وفرض على الناس فرائض وفسر لهم القرآن على ما أراد ثم قتل . وكان حديثه انه
نشأ بالمغرب فتحلم القرآن ثم تلا الانجيل والتوراة والزبور وجميع الكتب المنزلة ثم قرأ الشرائع ثم حل الرموز
والأقلام ولم يترك علما حتى ألقته ثم ادعى انه أخرس وسافر فنزل بأصفهان وخدم قوما في مدرسة وأقام بها عشر
سنين وعرف جميع أهلها وكبرائها . ثم بعد ذلك أراد الدعوة فعمل له أذهانا ودهن بها وجهه حتى لا يمكن
أحد النظر اليه من شدة الأنوار ثم نام في المدرسة وأطلق عليه الأبواب فلما نام الناس وهدأت الحواس قام
فدهن وجهه من ذلك الدهن ثم أوقد شمعتين مصبوغتين لهما أنوار تفوق السراج . ثم صرخ صرخة أزعج
الناس ثم أتبعها ثانية وثالثة ثم انتصب في المحراب يسلم ويقرأ القرآن بصوت أطيح ما يكون وبغمة أرق من
النسيم فلما سمع الفقهاء ثوابوا وأشرفوا عليه وهو على تلك الحالة فحارت أفكارهم من ذلك ثم أعلموا المدرس
بذلك فأشرف عليه وهو على تلك الحال فلما رآه خروا غشيا عليه ، فلما أفاق عمد الى باب المدرسة ليفتحه فلم
يقدر على ذلك فخرج من المدرسة وتبعه الفقهاء حتى انتهى الى دار القاضي والأخبار قد شاعت في المدينة فأخبر
القاضي بذلك فخرج القاضي واتصل الخبر بالوزير واجتمع الناس على باب المدرسة وهو قد فتح الاقفال وترك
الأبواب غير مفتحة ، فلما صار القاضي والوزير وكبراء البلد الى الباب اطلع عليه الفقهاء وقالوا له بالذي أعطاك
هذه الدرجة افتح لنا الباب فأشار بيده الى الأبواب وقال تفتحي أيها الأقفال فسمعوا وقع الاقفال الى الأرض
فدخل الناس اليه وسأله القاضي عن ذلك فقال انه منذ أربعين يوما رأى في المكان أنزل دليل واطلع على
أسرار الخلق ورأها عيانا فلما كان في هذه الليلة أثنى ملكان فأيقظاني وغسلاني ثم سلما علي بالنبوة فقالا
السلام عليك يابني الله غفرت من ذلك وطلبت أن أرد عليهم السلام فلم أطق وجعلت أتعامل لرد الجواب فلم أقدر
على ذلك فقال أحدهما افتح فاك بسم الله الأزلي ففتحت في وأنا أقول في قلبي بسم الله الأزلي فجعل في في
شيأ أبيض لا أعلم ماهو أبرد من الثلج وأحلى من الشهد وأذكى من المسك فلما حصل في امهائي نطق لسانی
فكان أول ما قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالا وأنت رسول الله حقا . فقلت
ما هذا الكلام أيها السادة . فقالا إن الله قد بعثك نبيا . فقلت وكيف ذلك والله تعالى قد أخبر عن سيدنا
محمد انه خاتم النبيين . فقالا صدقت ولكن الله أراد بذلك انه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته وشريعته
فقلت اني لأدعي بذلك ولا أصدق ولاي معجزات . فقالا يوقع في قلوب الناس تصديقك الذي أنطقك بعد أن كنت
أخرس منذ خلقت ، وأما المعجزات التي أعطاك الله عز وجل فهي معرفة كتبه المنزلة عن أنبيائه ومعرفة شرائعه
ومعرفة الألسن والأقلام ، ثم قالوا اقرأ القرآن فقرأته كما أنزل ، ثم قالوا اقرأ الانجيل فقرأته ، ثم قالوا اقرأ
التوراة والزبور والصحف فقرأت الجميع كما أنزل ، ثم قالوا قم فأبذر الناس ، ثم انصرفا عني وقت أنا صلي وهذا
آخر خبري فمن آمن بالله وبمحمد ثم بي فقد فاز ومن كذب فقد عطل شريعة محمد وهو كافر والسلام ، فعند
ذلك سمع له خلق كثير واستقام أمره وملك البصرة وعمان وغيرهما واستفحل أمره ولم يزل كذلك حتى
قتل وله شيعه بعمان الى يومنا هذا قبضهم الله تعالى

﴿ القصة الثانية ﴾

ظهر في سنة تسعين وخمسمائة صاحب من الاسماعيلية يقال له (سنان) ونزل (بمسياط) وحكم فيها وفيها لها من القلاع وكان خبيراً بالحيل والنواميس الافلاطونية وسمع به أهل تلك الجبال وأطاعوه طاعة لاجل طمحتى انه كان يقول أريد الساعة عشرة من الرجال تصعد على السور ويرمون أرواحهم فيسارعون الى تلف أرواحهم وهذا رابط لا يقدر عليه أحد وكان يعمل لهم مثل هذه الحيل كثيراً وهذا مشهور عن سنان وهي صفة عمل أهل النار ، ومن جملة حيله انه كان حفر في مجلسه المصطبة التي يجلس عليها حفيرة بقدر ما اذا جلس الانسان فيها جاءت الى رقبته ثم حسنها وبلطها وعمل لها غطاء من الخشب الرقيق مقورا على مقدار ما يسع رقبة الرجل ثم أخذ طبق نحاس وقوره في وسطه ثم جعله مصراعين ولم يطلع عليه أحد فكان اذا أراد أن يفعل ذلك أخذ من يختاره من أصحابه بعد أن يهبه الأموال العظيمة ثم يوصيه بما يقول وينزله في الحفرة ويعطى عليه ويخرج رأسه من القوارة ثم يأخذ الطبق المقور فيجعل في رقبته ثم يسقط عليه السواقط فلا يظهر منه شيء إلا رأسه ثم يجعل في طبق شيئا من الدم ثم يشيع انه قد ضرب رقبته ، ثم يدعو أصحابه اليه فاذا حضروا أمرهم بالجلوس فاذا جلسوا واستقر بهم الجلوس قال لماوكة اكشف هذا الطبق فيكشفه فيجلسون فيه رأس صاحبهم فيقول له حدث أصحابك بما عاينت ما قيل لك فيحدثهم بما أوصاه فتذهل عقولهم من ذلك ثم يقول له في آخر الكلام أيما أحب اليك الرجوع الى أهالك والى ما كنت فيه من الدنيا أو السكنى في الجنة فيقول وما حاجتي بالرجوع الى الدنيا والله ان خردلة مما أعدت لي في الجنة ما أبيعها بمثل هذه الدنيا سبع مرات فأنذبهوا يا أصحابي وأنتم عليكم سلامي وأرجو أن تكونوا في جوارى في الجنة ، فأنه الله والخذر من مخالفة هذا الصاحب الذي هو خليفة الامام وهو الحاكم في الموقف كما قال لي الخالق جلّت قدرته والسلام ، فاذا سمعوا ذلك صدقوا ثم ينصرفون فاذا انصرفوا عنه أطلعه من الحجر وحجبه الى الليل فيضرب رقبته ويدفنه . فهذا الخبيث قد استعبد أهل تلك الجبال مدة حياته والى يومنا هذا الرابط باق

﴿ القصة الثالثة في كشف أسرار من ادعى النبوة أيضا ﴾

ظهر في خلافة المعتز بالديار المصرية رجل ادعى النبوة ونزل (تنيس) وكان يعرف بفارس بن يحيى الساباطي وسلك مسالك عيسى ابن مريم عليه السلام وادعى إحياء الميت وبراء الأبرص والأجذم والأعمى ، وبني له صومعة بتنيس على البحر شمالى البلد وهي باقية الى يومنا هذا ثم أحيا لهم الميت أيضا ، ثم ذكر طريق النفس والايهام فلا تظيل به وإنما تذكر بعض معجزاته التي يقول انه كشف أسرارها ، قال انه كان يمشى على الماء على ساحل البحر فيطلع السمك اليه من البحر ويقبل أقدامه وذلك انه كان يأخذ من خرد الآدمي جزأ ومن الباذرود جزأ ومن حب القثاء جزأ ثم يدقها ناعما ويجهنها بدهن الياسمين ويلطخ به أقدامه ثم يمشى على ساحل البحر فيطلع السمك على رائحة الدواء ويلتصص أقدامه فيتوههم فيه الأوهام بالنبوة وغيرها ، ولأكتف بهذا القدر في ادعاء النبوة

﴿ القصة الرابعة . الشيوخ الكاذبون ﴾

ثم ذكر الشيوخ فأتى على الجنيد وابراهيم بن أدهم والحسن البصري وسرى السقطي ومعروف الكرخي وأبي سليمان النيراني وغيرهم ، فهذه هي الدرجة الأولى . أما الدرجة الثانية فهم أصحاب الرياضات والعلم بالأسماء مثل عبادان وبهلول والشيخ أبي العباس ، قال وقد ظهر سنة ثمان وثلاثمائة رجل يعرف بالحسين بن منصور الخلاج وكان يدعو الناس الى عبادة الله فوشوا به الى علي بن عيسى الوزير فأحضره وضربه ألف عصا وقال انه كان يفشد هذا الشعر

وحمة الود الذي لم يكن يطعم في إفساده الدهر

مانا إلى عند نزول البلا * جهنم ولا مسمى النمر
ماقتلى عضو ولا فصل * إلا وفيه لكم ذكر

قال وأما الدرجة الثالثة من المشايخ فهم أصحاب السخن المختلفة والتباخير ، فهذه الطبقة هي المدمومة وإنما نذكرها هنا لنوقظ المسلمين إلى الشيوخ السكاذيين الذين يحملون الدين وسيلة للدنيا وهذا الكتاب قد جعله الله من السيوف المرفعة لقطع دابر هذه الطبقة من بلاد الاسلام وهذا مناسب للسحر في القرآن لأن ما ستمسه هنا ملحق بالسحر فليحترس المسلمون منه

﴿ القصة الخامسة ﴾

قال . فمن المشايخ أصحاب الزوايا من أهل هذه الدرجة ، ففهم من يتعاطى النزول في التنور وقد أوقد فيه قنطار من الحطب فينزل فيه ثم يغيب ساعة ويطلع وعلى يده طاجن فيه سمك مقلى أو دجاج محشو أو خروف مشوى أو ما اتفق من ذلك فيذهل الناس ويحرق عقولهم وذلك أن هذا التنور يكون مريض (كذا) الأعلى فتكون حرارة التنور من أعلاه وأسفله بارد إلا أن هذا التنور يكون محكم البنيان وله صاج من الحديد في أسفله ولذلك الصاج خلوف في الحائط مهندس محكم بحيث أن النار جميعها تكون في الصاج وبقدر ما يضع يده على حافة التنور يسبح ذلك الصاج بما عليه من النار في ذلك الخلوف فيبقى أسفل التنور خاليا من النار باردا فيقعده فيه ويكون قعوده بقدر ما يعلم أن الخروف مثلا قد استوى فإذا طلع أخذه معه وأطعمه لمن قد حضر ، وإذا كان هو أسفل التنور فإن أعلى التنور لا يقدر أحد أن يقابله من وهج النار

﴿ القصة السادسة ﴾

ومنهم من يفعل غير ذلك قبيحهم الله تعالى فينزل في النار وقد روي جميع جسده بالترايض التي تمنع من النار وفعلها ، ولذا كراترايض التي يعملونها لمنع النار ، فمن ذلك يؤخذ الضفدع ويساق حتى ينضج ويتفتت ولا يبقى له أثر ثم يرفع عن النار حتى يبرد فإذا برد جدد الدهن على وجه الماء فيأخذ ذلك الدهن ثم يضيف إليه شياً من البارود الثلجي ثم يلطخ به جسده وجميع أعضائه ويدخل النار قائماً لا تنفره شياً . ومنهم أخراهم الله من إذا عمل السماع أخلى الزاوية من الماء فإذا رقصوا عطشوا فيشكون للشيخ ذلك فيقول هاتوا شياً وخذوا ماء للشرب فيمطونه ابريقاً أو غيره فيأخذه بيده ثم يفتح باعه ويدور في الطابق ثم يدفع لهم الوعاء ملائماً ماء مبخرًا بمسك فيقول هذا من نهر الكوثر (أخراه الله) فيشرب الجماعة من ذلك الماء وقد حارت عقولهم من ذلك « وكشف ذلك » انه يأخذ مصران غنم فيدبغه بعد غسله ثم ينقعه بماء الورد سبعة أيام وبعد ذلك يأخذه فيربط طرفه الواحد ربطة جيدة ثم يجعل في طرفه الآخر عقدة قصب ثم ينفخه في الهواء حتى يجف فإذا جف رفعه عنده فإذا أراد العمل به أخذه ثم ملأه ماء وقد جعل فيه قليل مسك وما ورد ثم جعله في قيصه وقد عمل له حبال من تحت قبة القميص من كفه الشمال إلى كفه اليمين فإذا أراد أن يسقي الجماعة جعل رأس المصران في فم الوعاء وهو دائر من حيث لا يعلم به أحد ثم يفك رأس المصران بظفره فينزل الماء في الوعاء ثم يدفع لهم الوعاء ويدعى ما أراد ويقع منهم غير ذلك

﴿ القصة السابعة ﴾

ومنهم من يكون في السماع ويتقدم إلى الشمعة أو إلى المصباح فيمد يده ويشعل أصابعه العشرة فتشتعل كما يشعل الشمع فإذا أشعلها أطفأ ما يكون من الشمع ولا يزال يرقص وأصابعه تشتعل حتى يضج الخلق ثم يمدى الشمعة فيشعلها ويطلق أصابعه وهذا ناموس عظيم ، والسحر في كشف ذلك انه يأخذ من الدواء الذي ذكرناه في نزول التنور فيلطخ أصابعه جميعها إلى العقد ويدعها حتى تجف ثم يأخذ النفط ويلبسه على ذلك الدهن ثم يشعله في النار فلا يزال يشعل حتى ينفد النفط ولا يدرك يده شئ من الحرارة فافهم . ومنهم من يدهن يده

بالدهن ثم يمسح له عشرة قوع من الابد الأحمر الطالقاني ثم يلبسها أصابعه العشرة ثم يسقيها بالقط ويشعلها فتشعل ولا تضمر شيئا . ومنهم من يكون جالسا في الزاوية وعندده جماعة فيشتهي كل واحد منهم على الشيخ شهوة فيحضر شهواتهم على الودف الذي طلبوه وقد كنت اجتمعت في بلاد الحجاز بشيخ يعرف بسلطان وكان من أهل المغرب فكنا عنده ثمانية أنفار فاشتبهى كل واحد منا شهوة فقام الى بيت الخلوة يصلي ويدعو ثم خرج فلم نشعر إلا والذي طابناه قد حضر نغرق عقول الناس وشاع ذلك عنه وجاءته الفتوحات من كل اقليم وكشفت عن هذا السر فوجدت للشيخ قعيدة في المدينة وعنده في بيت الخلوة طائر يأتي بيت القعيدة ، فاذا اشتبهى كل واحد مافي قلبه قام الشيخ الى بيت الخلوة ثم كتب جميع ما طلبته الجماعة في بطاقة ثم علقها على الطير ثم أرسله بجمع ما يكون قد طلب منه ترسله القعيدة فلا يشعرون إلا وقد حضر فيذهل من كان حاضرا فافهم أسرار هؤلاء القوم ودهاءهم . ومنهم الذين كراماتهم أكل الحيات والنار ، فوالله لو فعل هذا أمام أطفال اضحكوا على من يفعله ، فيا عريان القلوب أهذه كرامات الصالحين ؟ فانتهوا يا بنيام وتيقظوا

﴿ القصة الثامنة في كشف أسرار كذبة الوعاظ ﴾

ثم تكلم عن الوعاظ فقال ومن دهائهم أن أحدهم يصعد على المنبر بخشوع وسكينة فاذا شرع في الكلام وذكر أهوال يوم القيامة بكى بدموع آخر من الجمر ، فاذا أراد ذلك يأخذ الخردل فيسحقه ثم ينقهه بالخل يوما كاملا ثم يسقى به المندبل الذي يمسح به وجهه ثم يتركه حتى يجف فاذا حصل على المنبر مسح وجهه بذلك المندبل تنزل دموعه مثل المطر وهذا أول ما لهم من الدهاء ، ومن ذلك أنهم يجوزون بعض نساءهم في زى أرباب البيوت فيظهرانها قد أخنى عليها الزمان ولا تقدر تبذل وجهها في السؤال الى الخلق فيعطف عليها القلوب ويردد الكلام في ذلك المعنى ويورد فيه أخبارا وحكايات ثم يخلع ثوبه ويرمي عليها ويقول والله لو ملكت يدي شيئا من النفقة لكنت أنا أحق بهذه المثوبة ولكن العذر واضح فهذا ثواب يساق اليكم فاذا رأت الجماعة ذلك لم يبق أحد حتى يردفها بشئ على قدره ومكنته وما يحصل فهو للشيخ الواعظ

﴿ القصة التاسعة في كشف أسرار كذبة الرهبان ﴾

اعلم أن بعض هذه الطائفة أعظم الأمم كذبا ونفاقا ودهاء وذلك أنهم يلعبون بعقول النصارى ويستبيحون النساء وينزلون عليهم الباروك ولا يعلم أحد أحوالهم وهم أضمر الخلق وأخس من غيرهم لأنهم اذا خالوا بأنفسهم يعترفون بأنهم على ضلالة وقد غيروا الأحوال والأفعال والأقوال ولهم أعمال عظيمة لا تعد ولا تحصى وهم يأكلون الأموال بالباطل ويرتبون الكذب وزخارف القول وهم أكذب الخلق على كل حال ، فمنهم من عمل لديره عبدا وجعل له ناموسا من بعض النواميس يأكل به أموال النصارى ، وهما أناذا أثبت الآن لك شيئا من ذلك فأقول ، اعلم أن هؤلاء القوم أعظم ناموس لهم قنديل النور في كنيسة قمامة بيت المقدس وهو من عمل الرهبان وقد ارتبط عليه جميع النصارى وأساطهم وأجاسهم ، وقد كان الملك المعظم ابن الملك العادل قدس الله روحه دخل الى القمامة يوم سبت النور فقال للراهب لا أبرح حتى أبصر هذا النور كيف ينزل فقال له الراهب أيما أحب اليك هذا المال الذي يتحصل من هذا الوجبة أو اطلعك عليه فانك ان كشفت سره عذمت هذا المال فتركه مستورا مصانا وأرجع هذا المال العظيم ، فلما سمع ذلك علم باطن قول الراهب فتركه على حاله وخرج ، وهنا ذكر أن الراهب يضع الكبريت في حق في رأس قبة الكنيسة والحق معاق في سلسلة وهي تدهن بدهن البيلسان وبين كيفية ذلك فلا تغفل به

﴿ القصة العاشرة . أهل الكيمياء ﴾

وذكر أهل الكيمياء ، قال ومن أعظم ما وقعت عليه أن السلطان الملك العادل نور الدين بن زنكي جرى له حديث يكتب بماء الذهب ملخصه أن رجلا أعجبا جاء الى دمشق ومعه ألف دينار جعلها في بنادق وصرها

في سخلة وسماها (طبرمك خراساني) وقال لعمارت هذه تنفع تسموم وباعه له بخمسة دراهم ثم ليس أنظر الثياب وأخذ يحسن للناس ويجالس العلماء ويقول أنا أقدر أن أستخرج الذهب ولكن ذلك يكون لخدمة المسلمين في الجهاد وهو في ذلك الوقت ينفق باليمين والشمال فبلغ خبره الملك فأخلى به وأخذ عليه العهد ليعصر المسلمين بالمال وقال له لا بد من (طبرمك الخراساني) فبحث الجيش والوزراء في جميع الدكاكين وهو معهم إلى أن وصلوا إلى الدكان المعلوم فاشترأها المتك منه ثم وضعها الملك بنفسه في البودقة نفرت سبيكة ذهب فأعطاه الملك مالا وجهزه بستين جبلا منها شراب عمل تينيس ودمياط ومن عمل اسكندرية ومنها سكر بالأحبال والأجبال والجالين ثم أعطاه خيمة ومطبخا وفراشين ونفقة الطريق إلى بغداد وإلى الحج وكنت معكبا إلى سائر البلاد بالمرعاة والخدمة والاعانة ثم خرج السلطان وأرباب الدولة إلى وداعه وراح وقد وصل هذا إلى الحجر المسكرم وحصل له الاكسيرا الأعظم . ومن أعجب ما في هذه القضية أنه كان بدمشق رجل يكتب أسماء المغفلين المخرفين فسمع بهذه القضية فكتب في رأس جريدته « السلطان نور الدين محمود رأس المغفلين » فشاع ذلك ولم يعلم أحد باطن القضية حتى قيل للسلطان قد كتبك شخص رأس المغفلين فقال أي شيء أبصر من تغفلي حتى يكتب اسمي (هاتوه) فنزلت إليه الجند وقالوا له بسم الله كالم السلطان فأخذ الجريدة في كفه ومشى معهم فلما وقف قدام السلطان قال أنت فلان الذي تكتب أسماء المغفلين ، قال نعم ، قال وكتبتني ، قال نعم وهذا اسمك ثم أظهره ، فقال وما ظهر لك من تغفلي حتى كتبتني ، فقال ومن يكون أغفل منك جاءك أعجمي نصاب عمل عليك حيلة ودك عليك ألف دينار أخذ بها مال المسلمين وراح ، فقال راح يأتي بطبرمك وكأنك به وقد جاء ومعه الطبرمك نعمل منه أموالا لاتحصى ، فقال له ياخوند ان رجعي الأعجمي وجاء محوت اسمك من الجريدة وكتبت اسمه وما يكون في الأرض أغفل منه . فلما سمع السلطان ذلك ضحك وقال اعطوه شيئا ينفقه عليه فأعطوه شيئا وراح . وكان كلما أفلس أخذ الجريدة ووقف على باب القلعة فإذا ركب السلطان فتح الجريدة ويقول ماجاء وهذا اسم السلطان مكتوب فيضحك ويطلق له شيئا ، فانظر إلى هذا الدك والجسارة على بيع ألف دينار بخمسة دراهم فأقام السلطان على هذا حتى توفاه الله والطبرمك لم يأت

وأختم هذا القول بما جاء فيه من كشف أسرار الصيارف وتلاعيبهم قال ، اعلم وفقك الله أن هذه الطائفة من جملة اللصوص وقطاع الطرق ولهم أمور لا يعلمها إلا كل فاضل وأحوال لا يطلع عليها إلا راجع العقل وهم أشد الناس أجراما وأصنعهم في أخذ أموال الناس مع أن فيهم متميزين وذوي هبة ووقار ولهم في الدك أبواب فأقول ما رأيت في الهند رجلا صيرفيا له من الخشمة شيء عظيم وجميع التجار تورد إليه أموالهم ويستدينونها منه قليلا قليلا ورأيت قد صنع شيئا لم يسبق إليه وذلك أني رأيت في يده خاتما بقص وعليه نقش فأدمنت الجبوس عنده وأدمنت النظر إلى ذلك الخاتم فرأيت أنه إذا قبض الذهب من التاجر يجعل فص الخاتم من قدام لسان الميزان إلى ناحية الصنح . وإذا دفع للتاجر الذهب حول فص الخاتم إلى قدام لسان الميزان فإذا قرب الخاتم لعب بلسان الميزان لعبا زائدا فعلت أن هذا الخاتم فيه شيء من الدك ولم أزل أبحث عنه وأفكر فيه . ففي بعض الأيام اقتبس لي فيه شيء فقلت هذا والله دك لم يسبق إليه وإذا فص الخاتم من حجر المغناطيس فإذا قبض الذهب أدار الخاتم إلى ناحية الصنح فيأخذ لسان الميزان هواءه ويمنع من النزول بمقدار ما يجذب من الحجر فيكون في الوزنة زيادة مثقال وأكثر من ذلك . انتهى ما أردته من الكتاب الثاني

هذا ما اخترته من الكتابين ونقلته ولكني لم أجرب شيئا منه . وإنما أردت بالسحر الحلال أن يدل ما صرح منها على جلال الله وبدائع صنعته . وأما ما اخترته من الكتاب الثاني فذلك ليعلم المسلمون كيف كان النش والتدليس في بلاد الاسلام ليعتبروا منه الآن والحمد لله رب العالمين

ولما انتهيت من هذا المقام حضر إلى عالم ذكي فقال ما القصد من هذه الحكايات الخرافية . فقلت لقد

أوضحته فيها مضى وهما إذاً أوضح المقام فأقول إن القصد من هذه الحكايات ﴿أولاً﴾ أن نعطي التفسير حقه فنذكر السحر عند قدماء المصريين ﴿ثانياً﴾ أن نذكر ما كانوا يزعمون انهم يفعلون البحر بالجزائم فأن ضرب سيدنا موسى البحر بعصاه فهى مجذرة ولكن هؤلاء يزعمون انهم يفرقون البحر بالعزيمة فيكون موسى عليه السلام أتى بمجذرة تبهرهم ﴿ثالثاً﴾ أن هذا التفسير ساهو الإروضة من رياض العلم ، فإذا كان أهل ألمانيا يقولون عجائب قدماء المصريين ومزاعمهم وقد بقيت هذه الحكايات في بطون النواويس المصرية آلاف من السنين ثم احتفظ بها أهل أوروبا من ألمانيا وغيرها فكيف لا نذكر الناس بها لاسيما أن القرآن قد أشار إليها واعتنى بها ومدح سحره فرعون وشرفهم بالإيمان لأنهم محققون في العلوم ﴿رابعاً﴾ أن البراعة في العلوم فرض كفاية وقد قلنا في (سورة البقرة) أنواع السحر ، وأن بعض السحر الآن يجب تعليمه فهو فرض كفاية (راجع ما كتبناه في البقرة) فافهم هناك كيف يقول الله - وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة - الخ ﴿خامساً﴾ أن علم السحر المذكور متوقع بعضه خرافة وبعضه له أصل ولتعلم أنا لانهم بالتفاصيل وانما نذكره بما مضى في هذا التفسير في سورة البقرة فقد ذكرت لك هناك كيف يؤثر المنوم على المنوم وقد تبين لك ذلك في الحكاية الثالثة المتقدمة ، فتأثير زيد في عمرو أمر له وجود اليوم في المسارح العائمة يراها الناس في الشرق والغرب ، واعلم أن للنفس الانسانية قوة كامنة اذا استثارتها الانسان نفعت * قال اللورد (أقبري أن كينلا) الشهير العالم بالفراسة بلغ من شدة قوى عقله في نقطة واحدة أن استطاع أن ينسى جميع أوجاعه فلا يشعر بها وهذا يصدق على جميع الذين يستطيعون أن يتحكموا في ارادتهم فانهم بذلك يتمكنون من تحرير نفوسهم من رقة الأوجاع الصغرى واتعاشهم ﴿وبعارة أخرى﴾ انهم يصلون الى حيث يمتلك العقل قياد الجسم ويصبح السيد المطلق الأمر الناهي انتهى

هذا ما يقوله اللورد أقبري الانجليزى . ويقول الفلاسفة ﴿إن النفس الانسانية لها تأثير في بدنها مثل كيفيات الفرح والحزن وكالتوهم الذى يجعل المشى على الخائط يسقط مع انه لومشى عليه وهو على الأرض سقط ومتى قوى عزيمته مشى على الحبل وعلى الخائط ولا يسقطون لأنهم أذهبوا عنهم هذا الوهم﴾ ويقولون ﴿إن النفس الانسانية كما تؤثر في جسمها تؤثر في غيرها لأنها أرقى من عالم الماديات والسحر عندهم لا يحتاج الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يحتاج الى معين كروحانية الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في العالم العنصرى والفرق بين السحر والمجذرة انها قوة إلهية تبعث في النفس ذلك التأثير فالتأثير فالتأثير مؤيد بروح الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وامداد الشياطين له في بعض الأحوال ونحن نعرف الفرق بينهما بأن المجذرة لصاحب الخير والسحر لصاحب الشر﴾

ولبعض المنصوفة خوارق للعادات ، واذا قدر أحدكم على فعل الشر فلا يأتبه لأنه مقيد بالأمر الإلهي ومن آثامهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله ، ومن الطلسمات أعمال قوم قابلهم ابن خلدون بالغرب يعرفون بالعاجين وهم يشيرون الى الكساء أو الجلد فيخترق ويشيرون الى بطون الغنم بالجمع فتنبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج ، هكذا قال ابن خلدون لأنهم أكثر ما ينتحلون من السحر بعج الأغنام وهم يخيفون بذلك الأغنياء فيعطونهم من أموالهم ، قال وهم لهم وجهة رياضية بدعوات كفرية واشراك لروحانية الحق والكواكب سطرت فيها بحقيقة عندهم تسمى (الخزيرية) قال وقد شاهدت أعمالهم الكفرية وهى حقيقة . انتهى ملخصاً

أقول ، واعلم أن هؤلاء البعاجة قد أخبرني بهم أحد أبناء (طيطوان) وقال انهم يجلسون على هيئة الصوفية في جهة مرا كش ويدعون انهم على طريقة شيخ زاهد ومتى جلسوا في مكان وأخذوا يتأولون أقوالاً مخصوصة أمكن أحدهم أن يطير فوق القبة التى فوقهم واذا كان وحده لا يقدر ، واذا أهدى اليهم أحد شاة

يقروا بطنها بأيديهم وسكا كيتهم ثم شورها بجلدها وأكفوها ، فلما سمعت هذه الحكاية قلت انهم من أولاد أولئك البعاجة تسموا باسم الصوفية تسترا لأن هذا تمل من لادين له ، واعلم أيها الذي أن طوائف كثيرة من الذين ينسبون للصوفية يخيفون الناس بأنهم يؤذونهم وهم في ذلك كاذبون يريدون أن الناس يعطونهم الطعام وهم ناعمون في بيوتهم وهذا ظلم مبين فيجب إزالة هذه الطوائف من المسلمين ، وإذا وجد سحر تصرف أولشيخ في الطريق فلا قوة لهم على إيذاء العامدين وكفالك معجزة موسى وعصاه وكيف كانت تلقف ما يافكون واعلم أن الأمة الاسلامية يجب عليها أن تعلن هذه الحقيقة وأن لاتدع أهل الطرق يهشون بالمسلمين ويخيفونهم فهذا ضياع للأمة ولاتأثير لأحد على أحد والرجل النافع للأمة يغلب آلاف من أولئك الساحرين والذين يدعون أنهم صوفية وماهم بصادقين وقد تبين هذا بنفسى وعلمت أن الخداع عم الأمم الاسلامية والله لايهدى الخائنين

﴿ حقيقة ﴾

اعلم أنه لافرق بين أولئك الذين يقتلون الناس بالمدافع والغازات الخائفة أو يدسون لهم السم في الطعام والذين يأتون بالعقاقير الطبية ويقتلون الناس بها سرا والتصوص والسارقين وأمثالهم وبين الذين يستعملون السحر أو يتصرفون في الناس أو يخبرون بالمقبيات حقا أو باطلا لأجل أخذ أموال الناس بالباطل ، فكما أننا نقتل الطبيب الذي عرف السم فقتل به الناس ونقتل الذين يخربون بالغازات الخائفة ويميتون الناس أو يعمونهم هكذا يجب علينا أن نقاتل السحرة والذين يهجون الغنم كما قاله ابن خلدون وأولئك الذين يقرؤن أدعية ويخيفون الناس بأنهم قادرين أن يؤثروا فيهم . فهذه الطائفة من المسلمين الذين يقولون نأكل أموال الناس بطريق إختافهم من دعايتنا عليهم وكرامتنا ، لافرق بينهم وبين السحرة فكاهم يستقرون لأن الله لم يجعل الكرامة وسيلة لجلب الطعام وإنما جعلها وسيلة للهداية ، فإذا وجدنا من يفعل هذا حقنناه وعلمنا أنه هو والساحر سواء لافرق بينهما وهما يريدان أكل أموال الناس بالباطل

واعلم أن الله أنزل هذه الآيات ليرينا أن الحق يغلب السحر لأن عصا موسى ابتلعت عصى السحرة هكذا يجب على علماء الاسلام أن يزيلوا هذه الخرافات من المسلمين ، وليعلموا أن القرآن جاء لإزالة السحر لا لتقويته ، ومن عمل السحر وزعم أنه كرامة فهو ملعون ، واعلم أنك إذا تصديت لرق الأمة الاسلامية لا يؤثر فيك مؤثر ألبته وتغلب كل من يناوئك والاسلام محتاج الى مصلحين والله هو الولي الحميد ومماثل النفوس إلا كمثل النبات فمنها السام ومنها المغذى ، فلنعمل مع النفوس الساحرة والتي تصيب بالعين فمماثل النفوس الضارة بزرعنا ومع الحيوانات الصغيرة المسماة بالمسكروب فانا نجتهد لإبادتها فلافرق بينها وبين النفوس المنحرفة

واعلم أن هذه الدنيا دار اشتبه فيها الباطل بالحق . ألا ترى أن أكابر العلماء يقولون انها دار خيال ويستدلون بقوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - ويقول بعضهم - هالك - اسم فاعل وهو حقيقة في التلبس بالفعل فكأن الدنيا هالكة الآن . ويقولون إن مافي هذه الدنيا من سموات وشموس وأرضين ونبات وحيوان وضياء . كل هذا له حقائق غير هذه وإنما هذه ظل حقيقة ، ويقولون فهذه ظلال الحقيقة والحقيقة وراءها ولقد تبادوا في ذلك حتى أوضحوه وهذه تسمى ﴿ نظرية اينشتين ﴾ فقد جاء في بعض الجرائد المصرية يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٢٥ ما يأتي

﴿ جبايرة العقول ﴾

(اينشتين ونظريته . الزمان والمكان)

في عام ١٩١٥ والحرب العظمى في أشد أدوارها خطرا أعلن نابغة الألمان الدكتور اينشتين الجزء الخطير

من نظريته وهي النسبية العامة التي تبحث في هندسة خاصة بالسكون ليست بالاقليدية ودخل ضمنها في هذا البحث أمر الجاذبية وظل ما يقال عن النسبية العامة والجاذبية محصوراً في داخل حدود ألمانيا إذ كانت منزلة عن العالم في هذا الأوان ، فلما وضعت الحرب أوزارها خرجت النسبية العامة خارج ألمانيا ، وحدث أن كان الكسوف الكلي للشمس عام ١٩١٩ م وهو عام الهدنة وفيه تحققت بعض آمال أينشتاين فانتشرت النظرية انتشاراً عظيماً في هذا العام وفي الأعوام التي تليها حتى أنك قلما ترى مجلة لاتذكرها أوجامعة لا يلقى فيها محاضرات عنها وانتشرت الكتب الانجليزية والأميركية وأعطيت جوائز مالية كبيرة لمن يشرح النظرية شرحاً مختصراً فأنت ترى أن عام ١٩٢٠ و ١٩٢١ وما بعدهما هي أعوام الثورة الفكرية في الخارج أى خارج ألمانيا والحد لله ، فحركة الاهتمام بالنظرية قائمة بين أبناء مصر الآن . ولتراجع بعد هذه الكلمة القصيرة الى النسبية العامة التي ذكرناها فنقول إن أمر خطورتها يتعلق بشئ واحد وهو النظر الى السكون بعين غير العين التي ألفنا أن ننظر بها . كنا ننظر الى السكون قبل (اينشتاين) بمنظار مجسم فنقول هذا شئ ونعني به كل ما نلمسه أو نراه ، أما نايقة الألمان فيقولون لا يقوم ليست هذه حقيقة ، ماهي الحقيقة إذن ؟ مسألة من أخطر المسائل تلك هي السؤال عن الحقيقة ؟ هل لو قلت لك ان الشمس طالعة وهي في رابعة النهار وكان لك عينان ترى بهما تلك الغزاة ، ليست هذه حقيقة ؟ يقول العلم الحديث كلا ، يا لهول . أليست تلك الكتلة النارية التي أراها شمسا يقول العلم الحديث . العالم مظلم ساكن لا صوت فيه وانما العقل هو الذي يصنع كل ذلك فليس السرفى العالم بل السرفى هذا الذي تحمله بين عظام جججججك ، ما معنى هذا ؟ معناه في نظر فلاسفة السكون الآن أن هذا الفضاء الواسع فيه تموجات مختلفة الطول فان كانت هذه التموجات الأثيرية بحالة خاصة وطول خاص أثرت على أذنك فقلت عنها صوتاً وان كانت بحالة أخرى وطول آخر غير السانفة قلت انها صوته إذ ميزتها عينك ، فأنت ترى أن الأمواج تملأ هذا الأثير من الفضاء وهي لا تصنع صوتاً ولا تحدث ضوءاً أشبه بأمواج ماء البحيرة الراكد ماؤها وانما عقلت هو الذي اخترع كل هذه الكلمات من نور وصوت . ما معنى خري الماء لنفس الماء ، وما معنى حفيف الريح للأغصان ان لم تكن أنت واقفاً هناك بالغاب . أليس الصوت والضوء أشياء وأموراً خاصة بك دون الطبيعة وتريد الفلاسفة اليوم على ذلك أنه قد يكون في أثير هذا الفضاء الواسع موجات أخرى تختلف في سرعتها عن تموجات الضوء والصوت ، ولكننا لانراها ولا نعرف عنها شيئاً إذ ليس لنا من الخواص غير الخمس . وبعد كل هذا ماهي الحقيقة ؟ ان كان العالم مظاهراً هامداً صامتاً وان كانت كل هذه الأشياء التي نراها هي صنع أعيننا أو من صنع عقولنا كما يقولون إذ أن مركز الابصار في المخ وبه وحده نرى صور السكون على استقامتها بعد أن تكون معكوسة على شبكية العين أى ان الشمعة الموقدة ترسم على الشبكية معكوساً نورها الى اسفل ومركز الابصار في المخ هو الكفيل باعتدالها . والآن فلنرجع الى الحقيقة وأمرها في نظراينشتاين . الحقيقة في نظره ليست كل هذه الأشياء التي نراها إذ انها مهما تجسست فهي ظواهر فقط و فرق كبير بين الظاهرة والحقيقة . نعم هذه الأشياء التي أمامنا هي ظل الحقيقة كما يقول العالم الألماني (منكوسكي) والذي منه استمد (اينشتاين) آراءه في النسبية العامة فقد قال (منكوسكي) في مجمع علوم بمدينة (كولونيا) عام ١٩٠٨ قبل ظهور النسبية العامة الخاصة بالمكان والزمان ما يأتي بالحرف

« يجب علينا من الآن ان نعتبر ان الفضاء قائم بنفسه أو الزمان قائم بنفسه ظل الحقيقة التي ماهي إلا اتحاد المكان بالزمان وإيجاد عالم منهما يحدث فيهما الحوادث وهي الأشياء . فالأشياء في نظرهؤلاء الجبابرة ماهي إلا حوادث ناشئة من تقاطع « أربعة إحداثيات » ثلاثة منها للمكان وواحد للزمان فالقوانين التي تحكم هذا الاطار المكرومي هي الحقيقة بعينها » ١٥

فانظر رعاك الله كيف كان علماء هذا العصر يقولون إن هذا العالم ظل الحقيقة وأن حقيقة هذا الانسان

وهذا الثوب وهذا الحجر وهذه السموس إن هي إلا حركات في الأثير لا أكثر ولا أقل وهذه الحركات تختلف فتختلف الآثار على حواسنا الخمس ، فحواسنا هي الشبكة التي بها اصطدنا هذا العالم فإذا متنا كان العالم في نظرنا غير هذا . الآثار الأثر المشهور في من مات فقد قامت قيامته . وانظر السكاهن المصري المذكور فيما تقدم الذي صنع الشمع تمساحا وتمساح ابتلع الرجل فلما أخذه مرة أخرى صار شمعاً ، وكأن الله أوجد هذا في الدنيا سواء أكان خرافة أم صدقاً ليعت فينا فكراً جديداً . وكما أصبح التمساح الصناعي شمعاً هكذا أصبح هذه الشهوات والنزوات الحيوانية شيئاً لا قيمة له في النظر الحقيقي بل هذه العوائق ما هي إلا حركات بالنظر الحقيقي المصري وذلك الفكر الجديد أن هذه الدنيا لو كشف لنا حجبها لوجدنا الهموم والغموم والأحزان والطمع والمال والولد والغنى والفقر وما أشبه ذلك إنما هي عوارض جاءت بها الحواس وهي التي خدعتنا ونحن بها نخدعون ألا ترى أن الناس يتعاطون الخسرات ليغيبوا عن الحواس ولكن تلك سبيل ضلال والصرط المستقيم معرفة الحقائق حتى نرى الأشياء على ما هي عليه بل ليس في الوجود سوى واجب الوجود وسواء فأنما هي شؤنه . فانظر كيف كانت هذه الجلة مقولة لحكام المسلمين . ثم انظر كيف جاء علماء العصر الحاضر فقالوا في انما الوجود خداع الحواس * قال الشاعر

ففر بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ خطاب للأمم الإسلامية ﴾

(ان هذه العلوم واجبة وجوباً كفاً)

عرفت الشر لا للشـ * مر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه

أيها المسلمون هذه صفحة من تاريخ الشعبذة والشعوذة في الأمم الإسلامية . فالشعوذة أمثال ما ذكرناه هنا من إيهام الناس بوضع الابرة في العين وإخراجها من الفم وبالعكس وهي ترجع لخفة اليد والشعبذة ترجع للعلوم الطبيعية مثل مسألة البيضة التي تظهر بخاصية صيرورة الماء بخاراً فيها بحرارة الشمس كما تقدم . هذه صفحة من تاريخ أولئك الذين اتخذوا الدين سائلاً للمال وللثروة كما ترون في مسألة الذي أوهم الناس أن الرأس بعد قطعها أخبرت بأنه مختار من الله كما رأيتم وبهذه الوسائل المضللة استعبدوا الأمم الإسلامية قديماً وجعلواهم كالأنعام يتطوونهم بل هم أضل من الأنعام . مثل هذا نزلت قصة السحرة في القرآن . نزلت قصة السحرة ليدرك الله المسلمين بالتفكير لئلا يضلوا فوالله لا منجى من هذا إلا بالعلوم والمعارف . ليقرا المسلمون جميع العلوم الطبيعية والكيميائية طلباً لمنافعها واحتراساً ممن يتخذونها ذريعة لطمس العقول واستضعاف الأمم الإسلامية . إن الأمم الأوروبية قد نبغت في كل علم وكل فن ولما عرفوا أمثال هذه الحجائب اتخذوها ذريعة للقبلة في الحرب فاصطفوا الغازات الخائفة والمميعة افتتح الممالك الأخرى ولم يجعلوها وسيلة للتدليس على أهمهم حتى يجعلوهم دواب يتطوونهم كما فعل أولئك الرؤساء المضلون الذين جعلوا أتباعهم غنيمة لهم وتركوهم في غيابة العماية والجهالة فضاعت تلك الممالك ولم يبق لها شرف ولا نفاذ . هذا هو السبب في انحطاط الأمم الإسلامية اليوم قد خدتها الرؤساء تخديراً دام أثره إلى هذه الأجيال . ولقد تقدم في سورة الكهف عند قوله تعالى وما كنت متخذ المضلين عضداً - أن حسن بن الصباح منع أتباعه من العلم تخديراً لعقولهم وتخديراً من الاطلاع على ما يكنه قلبه من اضماتهم الجهالة . فهناك مقالته (سديو القرنى) في صفحة ١٣٧ في الكتاب المترجم بالعربية عنه قال مانصه : كان لأبي عبد الله آخر رؤساء السكرمانية التصرف المطلق في المتعصين لمذهبه فنهج نهجه رجل يسمى حسن بن الصباح (انظر مذهبه في سورة الكهف وانظر مذهب أحد أتباعه في زماننا

بالهند الذي قدم أتباعه مريضة فيه اشريت في الاهرام وذكرتها في سورة ابراهيم) سافر كثيرا وتبع في العلوم وعرف فرق الدين الحمدي وأخذ في نهاية القرن الحادى عشر من الميلاد يهظ الناس ويتشبه على اتباع مذهب جديد يغلب على الظن أنه قريب من (مذهب الكرمانية) فتبعه جوع غفيرة ملك بهم عدة قلاع وحصون واستوطن حصون الموت المشيد على هضبة قرب (قزوين) فلقب بشيخ الجبل وأعلن المداوة للنصارى والمسلمين ورأى نفسه بينهم بمنزلة الإله الثانى الذى شغله الاقتصاص من الظالمين والظالمين ونفذت أوامره فيمن معه فكان إذا أمر بقتل أحد منهم بادر بالقاء نفسه من شاهق جبل على أسنة الرماح أو طعن بطنه بخنجر أو بقتل أحد من غيرهم بادر بقتله ولو وزيراً أو سلطاناً أو خليفة عباسياً . انه أخبر قومه أن شارب الخشيش يذوق جميع لذات الفردوس فكانوا كالبهايم بسبب السكر بالخشيش مستعدين لارتكاب أكبر الكبائر ولذلك سماهم المؤرخون (الحشاشين) لا الحشاشين أى القتالين كما زعمه الفرنجة . كلا . وأذن لهم فى النهب فنهبوا وجالوا بأسلحتهم فى الشام حتى بلغوا جبل لبنان وبنوا فى الشام أماكن محصنة ونهبوا جميع القوافل التى تمر بأرضهم وقطعوا الطرق وملكوا فى غرة القرن الثالث عشر من الميلاد كثيراً من المنازل فى العراق والشام وحصونا أخرى قرب دمشق وحلب وتوطنوا من ابتداء سنة احدى وستين ومائة وألث ميلادية بالعراق الفارسي فبذل (الملك شاه) عزائمه فى اعدامهم ولم يبالوا بذلك بل يقال ان نظام الملك الذى كان الوزير الأعظم لهذا السلطان قتله أحدى لشدة تعصبه وغيرة على مذهبه الدينى ، وكان هؤلاء الحشاشون مع الفاطمية كحزب واحد لشدة محاصمتهم وادمان مشاجرتهم مع أهل السنة ❦ انتهى بالحرف

والقد تقدم كما ذكرت هنا فى سورة ابراهيم أن أعنا عنون بالهند الآن يقول أتباعه انهم معه أشبه بأتباع حسين بن الصباح له وانهم سائر على منهجهم وحدوا القعدة بالقعدة وأن العبادة له هوالا لله ، وقد أرسله الانجليز الى الديار المصرية أيام غياث عباس باشا حلى الخديوى السابق ليكون ملكاً لمصر باعتبار أن الفاطمية كانوا بها سابقاً وهذا من أتباعهم فكان ذلك سبباً فى أن المغفور له السلطان حسين باشا كامل رضى بتولى الملك فى مصر ، فانظر لأثم أوروبا الذين يقرؤون التاريخ يأخذون منه ما يوافق سياستهم ، فليظفر المسلمون فى ماضى تاريخنا فان قصة السحرة ماجأت الانحترس من المدلسين ولكن الجهل هو الذى أوقع آباءنا فى أيدي المضلين الماكرين ، وأنا أجد الله الذى جعل هذا التفسير كحد فاصل بين زمان العرفان الآتى وبين القرون المتأخرة التى أورتنا ضلالة وملأت بلادنا بالمضلين من الشيوخ الذين اتخذوا الدين وسيلة لجمع المال ولحوز الملك وللانحداد مع الحكام الأجانب أو غيرهم . كل هذا لأن الله يحاسب الناس على ضياع عقولهم ونبد نوره الذى وهبه لهم وذكائهم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

وقال (سديو) أيضاً فى صفحة (١٣٣) مانصه ❦ ظهر فى زمن الأموية عدة فرق دينية تعبوا فى ازالتها كالخوارج والقدرية والأزارقة والصغرية ، وفى عصر العباسية فرقة المعتزلة وفرقة الراوندية (الزاعمة أن الخلفاء يعبدون كعبادة الإله وتعتبر دورهم كعبة حديدية وقائلهم المنصور فقا بلوه بأعظم ما يكون من الشجاعة والبأس ليعبدوه قهراً عنه وظهرت أيضاً فرقة الزيدية القائلة بحرمه أكل الحيوان وتلك الانسان شيئاً لخاصة نفسه ❦ اه أليس هذا كله من سحر العقول بالتأثير والايهام والتغريب ، وليس ينجى المسلمين من هذا إلا قراءة كل تاريخ وكل علم واتهاج الخطة المثلى وتعميم التعليم والاحقت كلمة العذاب . هذا هو الذى جاء لأجله قصة السحرة فى سور القرآن ، فانظر الى المنصور أيام صولة الدين وعزته كيف قاتل من يعبدونه ، وانظر الى حسن ابن الصباح الى بعض شيوخ الطرق اليوم كيف يعملون أنفسهم فى مصاف المقدسين كأنهم معبودون وكأنهم هم المختصون بالشفاعة وكيف يحرم بعضهم أن ينظر أتباعه لوجهه بل لا يسامون عليه إلا لوهم مطأطئون رؤسهم وكيف كثرت هذه الخرافات فى أهم الاسلام وخالف الناس أخلاق الصدر الأول . لهذا انحطت المدارك وذهبت

الأمم الإسلامية فحيا الجهاد وقد نذرت وسعدت والله هو الولي الجديد . تم الكلام على القسم الثاني من السورة

(القسم الثالث والرابع)

وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ كَيْدَ إِِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُنُّكَ
لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُوكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ
يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي
لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ الْجَنَّةِ النَّبِيِّينَ * وَاعْفُ عَنِّي إِنَّهُ كَانَ مِنْ
الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ * وَأَرْزَقْتِ الْجَنَّةَ الْمُتَّقِينَ * وَبَرَزْتَ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ * فَكُذِّبُوا فِيهَا ثُمَّ وَالْغَاوُونَ *
وَجُنُودُ ابْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *
إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَصْلَكُنَا إِلَّا الْجُحْرُومُونَ * فَسَاءَ لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ
حَكِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ نُوحُ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ
وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ * قَالَ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ *
* وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ
مِنَ الرَّجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَأَفْتَحْ يَنبُيَ وَيَنْتَهُمْ فَتُحَا وَنَجِّنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ *
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (واتل عليهم) على مشركي العرب (نبا ابراهيم) إذ قل لأبيه وقومه ما تعبدون) أى أى شئ تعبدون ، وهذا الاستفهام للاستخفاف بما يعبدون وأنه لا يستحق العبادة (قالوا نعبد أصناما فنظل لها با كفين) أى نقيم على عبادتها ليلا ونهارا (قال هل يسمعونكم) أى دعاءكم (إذ تدعون) هل يجيبكم الآلهة إذا دعوتهم (أو ينفعونكم) فى معاشكم إذا أطعتموهم (أو يضررون) فى معاشكم إذا عصيتهموهم (قالوا) لا (بن وجدنا) ولكن وجدنا (آباءنا كذلك يفعلون) يعبدونها فنحن نعبدهم مقتدين بهم (قال) ابراهيم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون) أتم وآباؤكم الأقدمون) وما كان يعبد آباؤكم الأولون (فانهم عندولى) أى أعداء لعندينهم لأن عبادتهم أضرت على العابدين من الأعداء وانما نسب الأمر لنفسه ليكون أدعى إلى القبول وأفرد العدو لأنه فى الأصل مصدر أو أريد به الجنس (إلارب العالمين) استثناء منقطع أى ولكن رب العالمين ثم وصفه بثان صفات ترجع إلى إفاضة الخير والنعمة على العبد فانه أولا خلقه (١) من نطفة (٢) ثم هداه لثدى أمه ولما بعده من أمور المعاش والعلم واصلاح نفسه (٣) وانهم عليه بالطعام (٤) والشراب لبقاء بدنه (٥) وأنهم عليه بالشفاء إذا مرض وذلك إما بالحقاير وإما بأجابه الدعاء حتى إذا دنا أجله (٦) أماته فإذا جاء اليوم المعلوم (٧) أحياه وإذا جاء دور حسابه غفر له خطاياه وأدخله الجنة ، فلخص ذلك أن ابراهيم دعا قومه إلى الله بما دعا به موسى وبما دعا به محمد ﷺ ألا ترى أن نبينا ﷺ جاء على لسانه فى أول السورة - أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم - وإلى موسى كيف ذكر السموات والأرض وخلق آبهم الأولين والمشرق والمغرب وما بينهما ، وهذا ذكر خلق الانسان وتطوره فى جميع أحواله من يوم الولادة إلى الوقوف بين يدى الله تعالى فرجع الأمر إلى العلوم الغيبية التى هى المنفذ الوحيد للسعادة فى الحياة من حيث منافعها وفى الموت من حيث التفكر فيها ، فانظر كيف جعل الله سعادة الآخرة متوقفة على التفكر فيما به حياتنا من غذاء وشراب ودواء وهداية لذلك ولغيره ، انظر كيف ذكر خلقنا وذلك عينه هو علم الأجنة وعلم التشريح وذكر الهداية وذلك منوط بعلم الحكمة وعلوم الدين والشرائع وذكر طعامنا وذلك متوقف على درس الأشياء المحيطة بنا والاجتهاد فى استئثارها وذكر السقى وذلك يكون بالماء وهو ينزل من السحاب الجارى بالهواء المتحرك بالحرارة السارية من الشمس الجارية فى مدارها الجاذبة لما حولها من السيارات المجذوبة بغيرها من الشمس وذكر المرض وهو أنواع كثيرة تختلف اختلافا كثيرا تحتاج إلى دراسة خاصة وعلماء يختصون بها وذكر الشفاء منه وذلك بدرس جميع العقاقير الطبية والمناسبة بينها وبين الأمراض وآثارها فى أجسامنا واختلاف الآثار باختلاف الأقاليم والفصول والأشخاص وأن هذا تشتت الحاجة إليه فى المدن وتقل فى البدو لجودة الهواء وقلة أنواع الغذاء وعدم تسكنها الموجب تعفن الأخلاط فى الجسم فهم أقرب إلى الصحة من أهل المدن كما أن الحيوانات الوحشية تقل فيها الأمراض وتكثر فى الحيوانات الأهلية كما تكثر فى الناس لفساد الهواء والازدحام فى المدن والحياة التكافية والأمور العارضة ، كل ذلك يستوجبه ذكر الشفاء ثم إذا جاء أجل الانسان مات ليخلو وجه الأرض لمن بعده لأنه لو بقى الناس بلاموت لازدحموا وفسدت الحياة فالمرتبة نعمة على الأموات وعلى من بعدهم من الأحياء وكراهة الموت ناشئة من جهل هذا الانسان وعدم إلمامه بعلم الحكمة ونظام هذه الدنيا . ولو فكر العتلاء وأدركوا الحقائق لفرحوا بالموت وكيف لا يفرحون بما هو نعمة عليهم . إن النعمة والرحمة حاصلتان فى حسن النظام العام والنظام العام لا يتم إلا بأن يرسل قوم من الأرض لتخلو لمن بعدهم لأنهم لو بقوا معهم لسكانت الحياة لا تنطق . فبهذا الاعتبار كان الموت من النعم العامة كالحياة وربما كان قدما المصريين قد أدركوا هذه الحقائق . ألا ترى إلى خطاب ابن الملك للكهنة فى الحكايات المتقدمة

في هذه السورة وقوله له انك بلغت الحال التي لاحياة بعدها وانك من قريب ستوضع في القبر الى آخر ما هذا معناه فارجع اليه فيما تقدم

(٨) ثم يبحث الانسان بعد الموت لينال جزاء ما عمل في الحياة الدنيا والبحث نتيجة هذه الحياة فهذا القول استدلال على الله وعلى الآخرة بعلم الطبيعة كما فعل موسى وكما جاء في أول السورة عند دعوة رسول الله ﷺ وهذه المعاني الثمانية هي قوله (الذي خلقني) الى قوله (وانادي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ثم أخذ يدعو الله بدعوات خمس متدرجا فيه من حال الحياة الى حال الموت على متوال ما تقدم في كلامه ، فأولا طلب من الله أن يهبه (حكما) أي كمالا في العلم والعمل يستحق بذلك خلافة الله ورياسة المخلقين وذلك هو صفة الصالحين التي تلحق الانسان بهم ولذلك أعقبها بالثانية فقال (والحقي بالصالحين) أي وفقني للكمال في العمل لأنظم به في عداد الكاملين في الصلاح بحيث لا يذنبون ذنبا صغيرا ولا كبيرا وذلك متى حصل يعقبه الصيت والذكر الحسن وهو قوله (واجعل لي لسان صدق) جاهها وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره (في الآخرين) الى يوم الدين ولذلك ترى جميع الأمم محبين لابراهيم عليه السلام وقد جاء من ذريته نبينا ﷺ يجتهد أصل دينه ويدعو الناس الى التوحيد كما دعا اليه ، ولما كان ذلك ليس بهذه الإثواب الآخرة قال (واجعلني من ورثة جنة اليميم) في الآخرة ، فانظر كيف طلب الكمال في العلم والعمل وذلك يلحقه بالصالحين وذلك يورثه الصيت والذكر الحسن وبعد ذلك تكون الجنة فلم يبق إلا أن يدعو لأقرب الناس اليه بعد أن أتم الدعاء لنفسه فقال (واغفر لاني انه كان من الضالين) عن طريق الهدى وهذه الدعوة للوفاء بوعد أبيه كما جاء في آية أخرى - وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه - الآية ثم أتبع ذلك بدعوة يريد بها وحف أحوال الآخرة فقال (ولا تخزني يوم يبعثون) أي ولا تخزني بمعاصيتي على ما فرطت أو بنقص مرتبتي والضمير في يبعثون للعباد لأنهم معاصون ، ثم أخذ يبين حال يوم البعث فقال (يوم لا ينفع مال) كثرة المال (ولا بنون) * إلا من أتى الله بقلب سليم) خالص من الذنب وحب الدنيا أي لا ينفعان أصلا إلا محضنا سليم القلب من العيوب وكبائر الذنوب فان مثل هذا يجعل المال فيما خلق له ويرشد البنين الى الحق ويعلمهم الخير ليكفونوا مطيعين لله (وأزلفت) قربت (الجنة للمتقين) فصارت لهم منزلا (وبرزت الجحيم) أي ظهرت (للعافرين) للكافرين ، ثم أخذ يصف ما يعانيه هؤلاء من قذفهم في النار وطرح بعضهم على بعض وحشر الآلهة معهم والجن وتخاصمهم مع المعبودين عند ما ظهر الحق وقولهم كيف نعد لكم رب العالمين وما دعانا الى عبادة تسكم إلا المجرمون ثم اعلانهم اليأس من كل شافع وكل صديق قريب ثم تحسرهم وتنبههم بعد اليأس أن يرجعوا الى الدنيا ليؤمنوا وهذا هو قوله تعالى (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون * من دون الله) في الدنيا من الأصنام (هل ينصرونكم) ينعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) لأنفسهم (فكسكبوا) جموا وقذفوا وطرحوا بعضهم على بعض (فيها) في جهنم (هم والغاؤون) الذين أغوهم وهم الآلهة والجن (وجنود ابليس أجمعون) أتباعه (قالوا وهم فيها يخضعون) مع آلهتهم ورؤسائهم وذرية ابليس (ثالثة إن كنا) انه أي الحال والشأن كنا (لبي ضلال مبين) ويخلق الله السمع في الأصنام كما يخلق النطق (إذ نسويكم رب العالمين) في استحقاق العبادة (وما أضلنا) ماصرفنا عن الإيمان (إلا المجرمون * فإلنا من شافعين) كاللؤمنين من الملائكة والأنبياء والعلماء الذين أفاضوا عليهم العلم في الدنيا فانتفعوا بالعمل في الآخرة فكانت الشفاعة وقوله (ولاصديق جيم) ذي قرابة بهمه أسرنا (فلو أن لنا كرة) لولتغنى أي ياليت لنا رجعة وجواب التثني (فنكون من المؤمنين * إن في ذلك لآية) أي ان فيما ذكر من قصة ابراهيم لحجة وعظة للمستبصرين فان ما جاء في هذه السورة مقوول للتعقل واتباع الحكمة والعلم فقد استبان لك كيف شرح حال الحياة الانسانية من خلق وهداية وطعام وشراب ودواء وموت وحياة ووصف أحوال السعداء والأشقياء وتخاصمهم وكيف يخضعون عند ظهور الحقائق ويلقي

بعضهم للتبعة على بعض ، وكيف أبان أن الحياة الآخرة لا خير فيها إلا لمن أخذ المقصود منها وهو سلامة القلب من حبها ومن الكفر والنفاق ثم كيف أظهر القوم اليأس وتمنوا أن يرجعوا إلى الحياة ككرة أخرى وانظر كيف كانت الآية هنا مؤيدة لآية موسى إذ صرف العقول إلى الحكمة والعلم ولم يعبأ إلا بالنظر في الكائنات ولم يكن المعجزة العسا واليد سبيل إلى الهداية إلا عند السحرة الذين هم علماء فأصبحت قصة إبراهيم وموسى ومبدأ السورة في مستوى واحد ولم يذكر في هذه السورة من قصص إبراهيم غير ذلك . كل هذا نيل لطريق السحرة ولطريق الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون بل الشعر الذي به تحسين اللفظ واحداث الصور التخيلية التي ذكرها علماء البيان والبدع والمعاني جعلت لفتح باب الخيال فهي مقدمات لولوج باب الحكمة والعلوم الطبيعية فن ظن من الأمة الإسلامية أن علم الشعر مقصود لذاته فقد جهل وضل ضالاً مبيناً . نعم علم الشعر وتاريخه من عصور الجاهلية إلى عصرنا الحاضر والنظر في تطوره وتطور الأمم التي كان فيها الشعراء والاعتبار بما كان في تلك الدول من ظلم وعدل وخفض ورفع . كل ذلك نافع في اتساع عقول المسلمين كما أخذ بذلك المسلمون في مصر بدار العلوم وغيرها في هذه الأيام ، وستتم هذا البحث إن شاء الله في آخر السورة عند ذكر الشعراء ، وقوله تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي أكثر قومه مؤمنين به كما حصل لموسى ولحمد صلى الله عليهما وسلم وكل واحد منهم دعماً قومه بالنظر والعلم الصحيح (وإن ربك هو العزيز) الفادر على تهليل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكي يؤمنوا هم أو ذريتهم

﴿ جوهرة في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - ﴾

اعلم أن شفاء الله للأمراض مثله كمثل الرزق ، فكما أن الرزق يعوز علم الإنسان وعمله كذلك الطب وإذا وجدنا الناس شرقاً وغرباً اشتركوا في أمور الرزق من حيث النظام العام هكذا نجد الأولين وآخرين من بني آدم اتحدوا وساعد بعضهم بعضاً في الطب . علم بذلك العلماء ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فساد ذكر لك ما حاولته أمة اليونان ومن نحاً نحوها في الطب ، ثم أتبعه بما أفادنا به قدماء المصريين في الكشف الحديث ثم أتبعه بشروط حفظ الصحة ثم الكلام على العلاج الطبيعي

يقول الله عز وجل على لسان إبراهيم - وإذا مرضت فهو يشفين - نسب الشفاء لله ليفتح لنا باب البحث والنظر في أسرار الشفاء وعلم الطب وقد جاء في سورة النحل عند قوله تعالى - يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - . اعلم أن العلماء لما بحثوا في أصل الطب من أين جاء تحيروا ولكن بعد التبا والتبي وجردوه ليعسدو ﴿ ثلاثة أحوال ﴾ الحال الأولى ﴿ التجربة ﴾ الحال الثانية ﴿ الإلهام ﴾ الحال الثالثة ﴿ المصادفة والافتاق ﴾ فهذه الأحوال الثلاث هي أصول الطب

﴿ الحال الأولى ﴾

(١) يقولون ﴿ إن امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والحلم مبتلاة بأعراض كثيرة منها ضعف المعدة ، ومنها امتلاء الصدر بأخلاق رديئة . ومنها احتباس حيضها فاتفق أنها أسكت (الراسن) صرارا كثيرة شهوة فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت إلى صحتها فلما سمع به الناس استعملوه فبرئوا من ذلك المرض ﴾ (٢) وقال حبيش الأعسم ﴿ إن رجلاً اشترى كبدا طرية من جزار ومضى إلى بيته فاحتاج أن ينصرف في حاجة أخرى فوضع تلك الكبدة المشتراة على أوراق نبات مبسوطة كانت على وجه الأرض ثم قضى حاجته وعاد ليأخذ الكبدة فوجدها قد ذابت وسالت دماً فأخذ تلك الأوراق وعرف ذلك النبات وصار يبيعه دواء للتلطف حتى فطن به وأمر بقتله ﴾ قال صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء بعد ما ذكر هذه الحكاية أنها كانت في زمن (جالينوس) * وروى عنه أنه قال ﴿ وأسرت أيضاً في وقت مروره إلى القتل أن نشد عيناه حتى لا ينظر إلى ذلك النبات أو أن يشير إلى أحد نحوه فيتعلم منه ﴾

(٣) وأيضاً قال حدثني جمال الدين النقاش السمرقندي أن في حلق الجبل الذي بناحية (اسرود) عشيرة كثيرة وأن رجلاً نام على نبات هناك فلم يزل نائمًا حتى رآه الناس والام يسرع من أناس ومن غريب فلقبوا حتى ظهر لهم أن ذلك من النبات الذي نام عليه . قال صاحب الكتاب إن جمال الدين أخبره أنه خرج إلى ذلك الموضع ورأى النبات وذكر أنه أشبه (بالهندبا) وهو من المذاق وقال له أنه شامد كثيرًا من الناس يقر برونه من أنوفهم ويستشتمونه مرارًا فيحدث لهم رعاف ، قال ابن أبي أصيبعة ولم يتحقق عندي أهو الذي أنكره (جالينوس) أم غيره ، قال ابن المطران : إن النفس الفاضلة تنظر وتقول إن الهواء فعل ذلك الفعل فلا بد أن يكون هناك دواء آخر يرفع هذا العدو ويخففه فأخذ في التجربة وطلب كل يوم سيوانا فلهذه الدواء الأول ثم الثاني وهكذا وأخذ يضرب الأمثال ، ولم يخشها أن أمثال هذه الحوادث تنبئ الأذكى إلى البحث والتشبيب حتى يركبوا أدوية كثيرة باجتهادهم . هذا ملخص أمر التجربة في الطب

﴿ الحال الثانية . الإطعام وذلك بالرؤيا الصادقة ﴾

حكى جالينوس في كتابه في النصد إذ فسد العرق الضارب لما أمر به قال : ﴿ إلى أسرت في منامى مرتين بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والابهام من اليد اليمنى ، فلما أصبحت فصدت هذا العرق وتوكت الدم يجري إلى أن انقطع من تلقاء نفسه لأنني كذلك أسرت في منامى فكان ماجرى أقل من رطل فسكن عني بذلك المسكن وجع كنت أجده قديمًا في الموضع الذي يتصل به السكبد بالحجاب وكنت في وقت معارض لي هذا غلاما

(٤) وقال جالينوس : ﴿ رأيت رجلاً عظم لسانه وانتفخ حتى لم يسمعه الفم فتعاجلت في مداواته فقي ليلته رأى قاتلاً يقول له أمسك في فك عصارة الخس فاستعمل هذه العسارة كما أمر في المنام وبرأ تمامًا ﴾ ثم قال جالينوس في شرحه لكتاب الايمان لأبقراط مانعه : ﴿ وعامة الناس يشهدون أن الله تبارك وتعالى هو المثلهم لهم صناعة الطب من الأحلام والرؤيا التي تنقذهم من الأمراض الصعبة ، وذلك أنا نجد خلقا كثيرا ممن لا يحصى عددهم أنهم الشفاء من عند الله تبارك وتعالى بمثل ذلك ﴾

(٥) قال (أريباسيوس) في كتابه الكبير : ﴿ إن رجلاً عرض له في المئانة حجر عظيم قال وقد دأوته بكل دواء فلم ينجح فلما أشرف على الهلاك رأى في النوم أنسانا أقبل وفي يده طائر صغير الجنة فقال له هذا الطائر يكون بموضع السباحات والآجام نخذه واحرقه وتناول من رماده حتى تسلم ، فلما انقضى فعل ذلك نفج الحجر من مئانته مفتتا كالرماد وبرأ برأ تمامًا ﴾

(٦) قال ابن أبي أصيبعة : ﴿ إن بعض خلفاء المغرب مرض مرضا طويلا وتداوى كثيرا فلم ينتفع بها فرأى في بعض الليالي النبي ﷺ في نومه فشكاه ما يجده فقال ﷺ ادهن بلا وكل لا تبرأ . فلما انقضى من نومه بقي متعجبا من ذلك ولم يفهم ما معناه ولم يعرف المعبرون عنه شيئا إلا على بن أبي طالب القيراني فإنه قال يا أمير المؤمنين ان النبي ﷺ أمرك أن تدهن بالزيت وتأكل منه فتبرأ لأن الله يقول : من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية . فلما استعمل ذلك صحَّ وبرأ ﴾

(٧) قال ونقل من خط علي بن رضوان في شرحه لكتاب جالينوس في فرق الطب مانعه : ﴿ قد عرض لي منذ سنين صداع مبرح عن امتلاء في عروق الرأس ففصدت فلم يسكن وأعدت النصد مرارا وهو باق على حاله فرأيت جالينوس في النوم وقد أمرني أن أقرأ عليه حيلة البرء فقرأت عليه منها سبع مقالات فلما بلغت إلى آخر السابعة قال فنسيت ما بك من الصداع وأمرني أن أحجم (القمح حذوة) من الرأس ثم استيقظت فخرجتها فبرأت من الصداع على المكان ﴾

(٨) وقال عبد الملك بن زهر في كتاب التيسير : ﴿ انني كنت قد اعتل بصري من قي بحراني أفرط علي

فعرض لي انتشار في الحديقين دفعة فشغل بذلك بالي فأريت فيما يرى النائم من كان في حياته يعني بأعمال الطب فأمرني في النوم بالاحتحال بشرب الورد وكنت لم أزل طالبا لم يكن لي حكمة في الصناعة فأخبرت أبي فنظر في الأمر مليا ثم قل استعمل ما أمرت به في نومك فالتفتت به ، ثم لم أزل أستعمله الى وقت وضعي هذا الكتاب في تقوية الاصار . هذا أيضا كثير مما يحصل بالرؤيا المصادقة فانه قد يعرض أحيانا لبعض الناس أن يروا في منامهم صفات أدوية ممن يوجد هسم إياها فيكون بها برؤهم ثم تشتهر بالمداواة بتلك الأدوية فيما بعد . انتهى الكلام على الحال الثانية

الحال الثالثة

أن يكون قد حصل لهم شيء بالاتفاق والمصادقة مثل ما حصل لأندروماخس وغيره فيما تقدم في آخر سورة النحل إذ ذكرت لك هناك كيف عرف الأطباء بالاتفاق كون سم الحيات يشفي بالحوما . وهكذا كل سم لحيوان يمنع ضرره لحم ذلك الحيوان . وهكذا يشفي كل مرض مزمن قوى بالحوما الحيات كالبرص والجذام فارجع الي إن شئت هناك لتعرف هذه الأحوال الثلاث وهي التجربة والاحلام والمصادقات والاتفاق وانما ذكرت لك ذلك لتفهم قوله تعالى هنا - وإذا مرضت فهو يشفين -

إن الشفاء من الله فانه إما أن يلهم الناس في أحلامهم وهذا منه تعالى وإما أن يلهمهم في اليقظة فيفسكرون كما في الحال الأولى وهذه هي التجربة وإما أن تقع لهم الأشياء مصادقة فيفسكرون فيها فواء أكان بالأحلام أم بالاعتبار والبصيرة فكل هذا من الله . ولتعلم أن الله عز وجل لا يحب أن تكون جميع علومنا بالأحلام والرؤى ولا بوسى الأنبياء لأن الأحلام انما هي موقظات فقط ثم ان الناس عليهم أن يجتروا بأنفسهم ليرتقوا أما الأنبياء عليهم السلام فان الله جعلهم قليلا في الأرض هكذا النابغون في الأمم والحكماء . ذلك لأن الله يريد أن يجعل هؤلاء الأنبياء موقظين فيوسى اليهم قولا اجاليا ويطلب من أتباعهم أن يفكروا فيه فلو أن الناس أتت لهم جميع أعمالهم بطريق الرؤى أو كان الأنبياء معطين الناس كل علم وكل حكمة بحيث لا يفكرون ولا يدرسون وانما يعيشون على أحلامهم المصادقة وأنبيائهم الصادقين لكان ذلك وبالا ولذلك تجد الأحلام المصادقة قليلة جدا . والأنبياء قلوبا والعلوم التي أتوا بها تحتاج الى التامل والتفكير حتى لا تموت عقول الشعوب التابعة لهم بالانكسار على ماسمعه . وعلى كل فالشفاء من الله إما بالرؤيا وإما بالجدة والاجتهاد والتفكير والأول مبادئ وما بعده هو الأغلب الأكثر الأعم

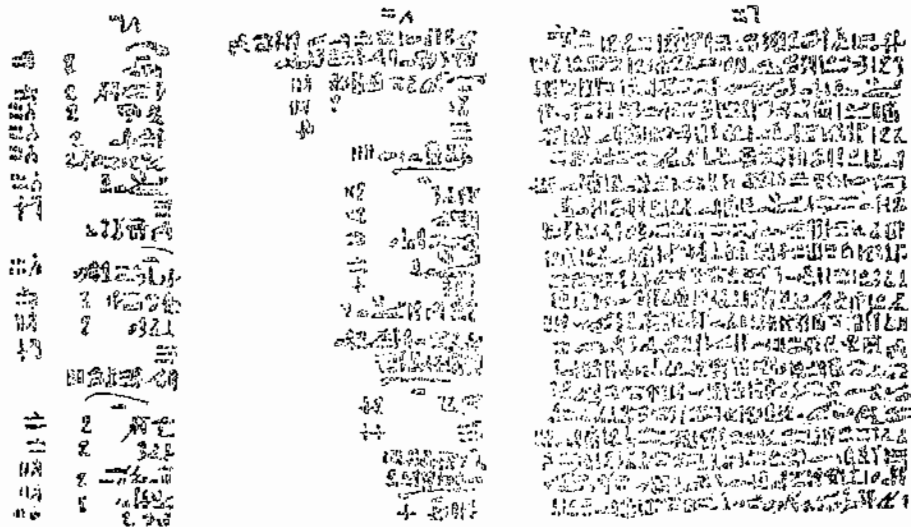
وهناك **حالة رابعة** وهي ما يشاهده الناس في الحيوان مثل ما ذكره الرازي في كتاب الخواص أن الخطاف اذا وقع بفراخه اليرقان مضى فجاء بحجر اليرقان وهو حجر أبيض صفيح يعرفه بخله في عشه فيبرأ وأن الانسان اذا أراد ذلك الحجر طافا فراخه بالزعران فيظن أنه قد أصابهم اليرقان فيمضى فيجىء به فيؤخذ ذلك الحجر ويعاق على من به اليرقان فينتفع به (هكذا يقول ابن أبي أصيبعة والله أعلم بالحقائق) وكذلك من شأن العقاب الأنثى انه اذا تهرع عليها بيضها وخروجها وصعب حتى تبلغ الموت ورأى ذكرها ذلك طار وأحضر حجرا يعرف بالقلقل لأنه اذا حرك تقلقل في داخله فاذا كسر لم يوجد فيه شيء وكل قطعة منه اذا حركت تقلقلت مثل صبيحه . وأكثر الناس يعرفه بحجر العقاب ويضعه فيسهل على الأنثى بيضها والناس يستعملونه في عسر الولادة على ما استنبطوه من العقاب . ومثل ذلك أيضا أن الحيات اذا أظلمت أعينهن لسكرتهن في الشتاء في ظلمة بطن الأرض وخرجن من مكانهن في وقت ما يدفأ الوقت طابن (نبات الرازيانج) وأمررن عيونهن عليه فيصلح ما بها . فلما رأى الناس ذلك وجربوه وجدوا من خاصيته اذهاب ظلمة البصر اذا اكتحل بمائه . وذكر جالينوس في كتابه في الحقن عن (أرودوطس) أن طائرا يدعى (ايبس) هو الذي دل على علم الحقن وزعم أن هذا الطير كثير الاغتذاء لا يترك شيئا من الاحوم إلا أكله فيحتبس بطنه لاجتماع

الأخلاق الرديئة وكثيرتها فيه ، فإذا اشتد ذلك عليه توجه إلى البحر فأخذ يلقاه من ماء البحر ثم أدخله في دبره فيخرج بذلك الماء الأخلاق المحققة في بطنه ثم يورد إلى طعانه الذي عادته الاغتذاء به

الحال الخامسة

ان يكون حصل شيء منها أيضا بطريق الإطعام كما هو لكثير من الحيوانات فإنه يقال ان البازي اذا اشتكى جوفه عمد الى طائر معروف يسميه اليونانيون (ذريفسوس) فيصيد به ويأكل من كبده فيسكن وجعه على الحال وكما تشاهد عليه أيضا السنابير فانها في أوقات الربيع تأكل الحشيش فمن عدت الحشيش عدلت الى خوص المسكانس فتأكله ، وسعوم أن ذلك ليس مما كانت تقتدى به أولا وإنما دعاها الى ذلك الإطعام لفعل ما جعله الله تعالى سببا لصحة أبدانها فإذا أكلته بقيت أخلاطا مختلفة قد اجتمعت في أبدانها ولا تزال كذلك الى أن تحس بالصحة المأثوس اليها بالطبع فتكف عن أكله ، وكذلك أيضا متى ناله أذى من بعض الحيوانات المؤذية ذوات السموم أو أكلت شيئا منها فانها تقصد الى السيرج والى مواضع الزيت فتسال منه ، وعند ذلك يسكن عنها سورة ما تجده * ويحكى أن الدواب اذا أكلت الدفلى في ريعها أضرت ذلك بها ففسارح الى حشيشة هي بادزهر للدفلى فترتعها ويكون بها برؤها ، ومما يحق ذلك حالة جرت من قريب وهي ان بهاء الدين بن فاذة الكاتب حكى انه لما كان متوجها الى الكرك كان في طريقه بالطليل وهي منزلة كثيرة نبات الدفلى فنزل هو وآخر في مكان منها والى جانبهم هذا النبات فربط الغلمان دراهم هنالك وجعلت الدواب ترى ما يقرب منها وأكلت من الدفلى فأما دوابه فان غلمانها غفلوا عنها فسابت ورعت من مواضع متفرقة ، وأما دواب الآخر فانها بقيت في موضعها لم تقدر على التنقل منه ولما أصبحوا وجدت دوابه في عافية ودواب الآخر قد ماتت بأسرها في ذلك الموضع * وحكى (ديسقوريدس) في كتابه أن المعز البرية باقر يطس اذا رميت بالنبل وبقيت في أبدانها فانها ترى النبات الذي يقال له (المشكطرامشير) وهو نوع من الفوتنج فيساقط عنها مارميت ولم يضرها شيء منه * وحكى القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكرندي أن اللقلق يمشي في أعلى القباب والمواضع المرتفعة وأن له عدوا من الطيور يتقصده أبدا ويأتى الى عشه ويكسر البيض الذي للقلق فيه قال وان ثم حشيشة من خاصيتها أن عدو اللقلق اذا شم رائحتها يعمى فيأتى بها الملقاق الى عشه ويجعلها تحت بيضه فلا يقدر العدو عليها . وذكر أوجد الزمان في الاعتبار أن القنفذ ليته أبواب يسدها ويفتحها عند هبوب الرياح التي تؤذيه وتوافقه * وحكى أن انسانا رأى الجبارى تقاقل الأفعى وتنهمز عنها الى بقلة تتناول منها ثم تعود لقتالها وأن هذا الانسان عاينها فنفض الى البقلة فقطعها عند اشتغال الجبارى بالقتال فعادت الجبارى الى منبتها ففقدتها وطافت عليها فلم تجدها فخرت ميتة فقد كانت تتعالج بها ، قال وابن عرس يستظهر في قتال الحية بأكل السذاب والكلاب اذا دودت بطونها أكلت السنبل وتقيأت واستطلقت ، واذا جرح اللقلق دأرى جراحه بالصعتر الجبلى ، والثور يفرق بين الحشائش المتشابهة في صورها ويعرف ما يوافقه منها فيرعاه وما لا يوافقه فيتركه مع نهمه وكثرة أكله وبلادة ذهنه ومثل هذا كثير ، فإذا كانت الحيوانات التي لا عقول لها ألهمت مصالحها ومناقها كان الانسان العاقل المميز المكلف الذي هو أفضل الحيوان أولى بذلك وهذا أكبر حجة لمن يعتقد أن الطاب انما هو إلهام وهداية من الله سبحانه نلحاه . وبالجملة فإنه قد يكون من هذا وما وقع بالتجربة والاتفاق والمصادفة أكثر ما حصله من هذه الصناعة ثم تكاثر ذلك بينهم وعرضه القياس بحسب مشاهدوه وأدبهم اليه فطرحهم فاجتمع لهم من جميع تلك الأجزاء التي حصلت لهم بهذه الطرق المتقنة المختلفة أشياء كثيرة ثم انهم تأملوا تلك الأشياء واستخرجوا عللها والمناسبات التي بينها فتحصل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادئ منها يبتدأ بالتعلم والتعليم والى ما أدركوه منها أولا ينتهى فعند السكمال يتدرج في التعليم من الكليات الى الجزئيات وعند استنباطها يتدرج من الجزئيات الى الكليات اه

هذا ما اصطفتيه من كتب المتقدمين وقد ظهر منه أنه ليس لمن قبيل اليونان طب ذلك لأن سلسلة التاريخ الطبي لم تظهر بين الأمتين في التاريخ فأنظر ماذا جرى . الذي جرى أن مدرسة الطب المصرية قد ضي لها منذ تأسيسها (١٠٠) سنة وصادف أن ذلك وقت طبع هذه السورة أي قبيله بقليل والأمة المصرية كثر عددها فوجب توسيع المدرسة فهناك أخذت الحكومة تبني لها بناء جديدا واجتمع مؤتمر طبي لهذه المناسبة ووضع الحجر الأول بحضورهم ، وبهذه المناسبة كتبت الجرائد المصرية تاريخ الطب فرأيت أن ما كتبتة الآن ليس أول الطب في العالم المعروف بل ظهر أن قدماء المصريين كان الطب عندهم منذ آلاف السنين مشابه للطب الحديث الآن كل المشابهة ، فينبغي نرى هؤلاء الأطباء الذين ذكروا هنا لا يزالون ينتظرون الطب من الرؤى في المنام ومن التجارب إذا قدماء المصريين قبلهم بألاف السنين قد وصلوا لما وصل اليه الناس الآن ، فهناك ما جاء في إحدى المجلات العلمية بتاريخ (٢٠) ديسمبر سنة (١٩٢٨ م) و٨ رجب سنة (١٣٤٧ هـ) وهذا نصه (شكل ٦)



(شكل ٦)

﴿ مخطوطات هيروغليفية ﴾

«منقولة عن ورقة البردي المعروفة بورقة (ايبر) التي اكتشفها العلامة (جورج ايبر) سنة ١٨٧٥ ويرجم تاريخها الى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد وهي تبين أول أقر باذين عرف في تاريخ العالم ، فالى اليمين إحدى عشرة وصفة لعلاج التهاب القرنية المصحوب بافراز ويحتوى على مرهم (فرديجورى) ويعرف بالمرهم المصرى ، ومن محتوياته بذور خامة تنبت فى الوجه القلبي واكسيد الرصاص وعسل بكميات متساوية ، وفى الوسط أربع وصفات لطرد الديدان من الامعاء تؤخذ فى مدة أربعة أيام وإلى اليسار ثلاث وصفات لعلاج الاسهال تحتوى على عنب وعسل و بصل وتين و رصاص أخضر (؟) ودقيق وزلال بيض ، والقراءة من اليمين إلى اليسار»

وقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية أنه ثبت من علم الآثار أن السكينة المصريين القدماء كانوا قسمين الأطباء والصيادلة على نحو ما هو جار الآن وأن بابل نقلت منهم هذا التقسيم واستمرت الحال الى يومنا هذا حيث يصف الطبيب الدواء فيحضره الصيدلى وكلاهما يفهمان بعضهما ، ولا يمكن للغريب عن هذه الدائرة فهم مخطوطاتهم حتى يقول العامة «خط الطبيب لا يقرؤه سوى الصيدلى» يقول العالمى ذلك وهو

متعجب ويؤمن أن يتمكن من سبل هذه الألفاظ ويقتد إلى من يعرف القراءة جيدا ولكن على غير جدوى لأن الأخير يتعجب بدوره لعدم امكانه قراءة الوصفة . هكذا كان الأطباء من الكهنة القدماء يكتبون وصفاتهم على ورق البردى إلى الصيادلة من الكهنة أيضا الذين يحضرون بدورهم الدواء للرئيس والمرضى بين الاثنين مذهول فنشأ عن ذلك الاعتقاد بأن الكهنة يعملون بالسحر اه

إن الله عز وجل قد أذن لهذا التفسير أن ينال حثا عظيما . فبينما نحن نقرأ في كتبنا القديمة أن الطب كان مبتدئا في أزمان قديمة إذا بحادثة مدرسة الطب المصرية قد قرأت البعيد ونشرت هنا النصوص المصرية القديمة مع نصوص الأدوية . إذن علمنا أن العلم قديم وتام أيضا وهذا يفسر قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - والذي قدر فهدى - وقوله - الذي خلقني فهو يهدين -

ولما وصلت إلى هذا المقام حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يسألني في الامور الهامة فقال هانت ذا ذرت أقوال الأطباء المتقدمين من أم اليونان والاسلام . ولما عثرت على أن الطب أقدم من ذلك أظهرته فما هذا التطويل ؟ فهل التفسير أصبح تاريخا للعلوم ؟ إن هذا شيء عجب . اللهم إن هذه الطريقة مما يزهده القارئ في القراءة فيقول انه بأدنى مناسبة يطيل الشرح والقول ويخرج القارئ عن المقصود من الكتاب الحكيم . فقلت لتتفارما يقول الله هنا . إنه يقول على لسان ابراهيم عليه السلام - الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا امرت فهو يشفين - ثم أتبع هذا بالموت والبعث . فهنا (ستة أحوال) (الخلق . الهداية . الاطعام . السقي . المرض . الشفاء) أما الخلق فقد تقدم في أول سورة المؤمنون . يقول الله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين - فكرر الخلق (٦) مرات وقال في آية أخرى - إنا خلقنا الانسان من نقطة أمشاج نباتيه - فالخلق وهي الحال الأولى ملازم الابتلاء والاختبار مع الاخلال لأن الانسان مخلوق هو والحيوان والنبات من عناصر مختلطة وكل مركب متوقف على كل جزء من أجزائه وهذه الأجزاء دائما في الذوبان والتحليل . ألا ترى رعاك الله إلى ما تقدم في (سورة النور) وكيف استبان هناك أن هذه الأجسام كلها راجعة إلى الجوهر الفرد والجوهر الفرد يرجع إلى كهرباء سالبة وكهرباء موجبة أي ان العوالم التي نعيش فيها ومنها خلقنا ما هي إلا حبيبات مضيئة نورية كهربائية السالبة تجرى حول الموجبة وتدور كما تدور الكواكب حول الشمس وذلك بسرعة ملايين في الثانية الواحدة فقرأه هناك محققا فأشبهت في نورها وفي جرمها أحوال الكواكب السيارات الجارات حول الشمس وهذه النقطة الضوئية الجارية بعضها على بعض من سالبة وموجبة باختلاف أبعادها وسرعتها وكميتها تختلف العناصر المركبات منها كالحديد والنحاس والذهب والاكسوجين والادروجين وهكذا مما وصل عدده إلى (٨٠) فأكثر . هذه هي العناصر وهذه هي التي خلق الله فيها أجسام الحيوان والنبات وخلق الانسان من أمشاج كما خلق كل نبات وكل حيوان . إذن الانسان مكون من أشياء قد خلط بعضها ببعض والجسم والعقل فيه مرتبط بهذه البنية . لذلك ترى الله كما جعل خلقه أخلطا وضع فيه وفي كل حيوان نوعا من الهداية والهداية مقترنة بقدرته على مقتضى الحاجة . فإذا كان النبات من أخلط فله هداية تخصه كما في إلقاحه ونموه (انظره في سورة الحج وغيرها) وإذا كان الحيوان أرقى من النبات والانسان أرقى من الحيوان فانك ترى الله ألزمهما قوى باطنة فطرية فطرحهم عليها . مثال ذلك الاحساس بالجوع والعطش والمرض والخوف من العدو والغيرة من القرين والحسد والغيظ والحلب والشبق وبالذلل والفخر . كل هذه عواطف خلقت مع أنواع الحيوان تقل وتكثر على حسب الحاجة ولولا هذه الاحساسات لم يبق حيوان ولا انسان على الأرض . أفلا ترى أن هذا الاحساس المتنوع إلى هذه الأنواع هداية . هذا هو معنى قوله تعالى هنا - الذي خلقني فهو يهدين - فبهذا الفاء إشارة إلى أن الهداية مقترنة بالخلق ملازمة له ملازمة تامة . فالخلق من المركب يلزمه هداية لحفظ هذا المركب ولذلك نجد كل حيوان يحسّ بألم الجوع والم

الشبق وألم العطش وألم المرض . فلماذا هذا ؟ هذا لحفظ ذلك المركب فان لم يكن هذا الألم وهذا السوط المؤلم أو هذه المقامع من حديد تساق بها النفوس الى حفظها ما عاشت فهذا والله عذاب أريد به الرحمة وشقاء أريد به النعيم وذل أريد به العزّ واهانة أريد بها الاكرام . إن العوالم التي في أرضنا ناقصة بالنسبة لعوالم أخرى والله لم يسلط عليها هذه الآلام نكابة بها ولا ذللاً لها ولكن سلطها عليها ليحفظ كيانها ويجعل لها حياة ولم يكن من الممكن بالنسبة لها أن تخاطب بخطاب ألطف من هذا لتتهدى به . فهذه المؤلمات هي اللغات الإلهية التي ليست بحرف ولا صوت ركبت في طباعها وغرست في نفوسها تهدي بها الى المطاعم والمشارب والأدوية . هذا هو معنى قوله تعالى - الذي خلقني فهو يهدين -

فلما سمع ذلك صاحي قال لقد والله شرحت صدرى . ما أجل العلم . هاأنذا أصبحت بعد هذا أقرأ في الهرة وفي الجبل وفي الانسان علوما هي أسمى مكشوفة ولكنى لم أفك طلاسمها ولا رموزها ولكنى الآن أخذت أفك رموزها وطلاسمها وقد ظهر لى أن هذه النوايا وهذا الانسان فضلا عن مساعدة الجميع بعضهم لبعض هم صحائف منشورة تقرؤها نفوس أعلى من نفوس أهل الأرض فان هذا القول يظهر لى أن وراءه ماهو أعلى منه وأجل وأبهج وأشرف مخبوء لم يظهر لنا معاشر بنى آدم في الأرض فأرجو أن تتم القول فانه جليل وهو حقا في نفس القرآن وفي نفس الآيات في هذه السورة . فقلت الحمد لله الذى شرح صدرى لما أقول وانى أشعر أن ما رضاه أنت يرضاه جميع أحبائى قراء هذا التفسير ويشعرون بما تشعر به أنت شعور سعادة ومحبة وسرور فلا تخم هذا المقام فأقول والله المستعان

إن الهداية في الآية على ﴿ قسمين ﴾ هداية فطرية وهداية تعليمية ، فأما الهداية الفطرية فهي ما قلته لك من الجوع والعطش وماتلاهما ، وأما الهداية التعليمية فانها تظهر أولا في الحيوان وترتقى في الانسان . وأضرب لك مثلا الغراب انه من أكالة اللحوم فان لم يجد حية أكل اللحم وهو يأكل الدود والقراش والخنفسا وصغار الحيوان وقد يسرق عش الطائر مع أفراخه الزغب ويخطف قطعة الجبن ولقمة الخبز وهو جبان وإذا صاح أحدها اجتمعت منها جماعات كثيرة وهو يقوم مبكرا ، كل ذلك بغريزة فيه . فانظر ماذا ترى ، تراه يعلم صغاره الطيران فهو يأخذها خارج العش ويطير بها . ههنا أيها الذكي وصلنا الى المقصود وهو أن الحيوان ارتقى بعضه طبقا عن طبق حتى كان منه ما وصل الى درجة في بعض شؤونه استعملها الانسان . فاننا نشاهد الضباط يمرّنون العسكر على الكرك والقر واستعمال السلاح والمشى والاصطفاف . فهذه هوذا الغراب لم يقف عند حد الهداية الفطرية بل أخذ يمرّن صغاره على الطيران كما فتحت الأم في أيامنا مدارس للطيران

الجراد لا يربى صغاره والعقرب الذكر يموت غالبا قبل وضع صغاره وأبنتى العقرب تموت متى قويت أبنائها كما ترى شرحه في سورة المائدة عند آية الغراب . فهذه هوذا الغراب أخذ يعلم أى أنه انتقل من الهداية الفطرية الى الهداية التعليمية . الله يقول - ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والأولى - فأنه تولى هداية خلقه كلهم فالهداية الفطرية عامة أما الهداية التعليمية فهي التي جعلت خاصة وترى مثلها في الغراب . ومثلا آخر في الغمل فقد تقدّم في هذا التفسير أن الخملات الصغيرة اذا كانت في شرنقتها (فيالجتها) وأرادت الخروج منها عند تمام مدتها حضرت لنجدتها وأخرجها الخملات الكبيرة كأنهن الأطباء أو القابلات فيمزقن الأربطة التي تستعصى على صغارها لتخرجها من محبسها كما تساعد القابلة الأم في استخراج جنينها من رحمها

فلما سمع صاحي ذلك قال أنا الآن عرفت الفرق بين الهداية الفطرية والهداية التعليمية ولكن أرى الفرق بينهما عسرا فما المانع من أن يكون تعليم الغراب لابنه الطيران غريزة أى فطرة تعليمية . فباليت شعري ما الفرق بين الغريزة والتعليم هذا مالا أتعقله . فقلت له ان الفرق بينهما عسر كالفرق بين الحيوان والنبات فانظر في سورة الحج وفي غيرها تجد عند قوله تعالى - فتصبح الأرض مخضرة - أن الفرق بينهما

عسر كذلك الفرق بين الفريزة وانهايم عسر دقيق واعلم بانك ان تقول ان هناك ارتقاء عن الفريزة شيئاً فشيئاً
يبتدىء ذلك في الحيوان ويرتقى في الانسان وكل كان الانسان ارقى كان أكثر تعقلاً وفعل باختياره ولم
يتكلم على غريزته . إن الانسان كما أعطى غريزة كالحيوان ارتقى ونال هداية أعلى من الفريزة وهذه
الهداية تبتدىء في طعامه وشرابه ولباسه والهواء والضوء . فالتاس غرقوا في الهواء وفي الضياء واحتاجوا
الى الماء والى الغذاء والى الدواء فهم في ذلك كالحيوان ولما كانوا أمم تركبوا أعطوا قوة عاقلة وهذه
القوة العاقلة سلطوها على أنواع النبات التي تعد بمئات الألوف وعلى أنواع الحيوان التي تعد بأكثر من ذلك
فمروا ما ينفعهم وما يضرهم وأخذت الأمم القديمة جميعها تتعلم لانها لم يكن ربحهم بل هناك أمم وأمم لم تصل لنا
أخبارهم وصلت الى مالانعام . وتنحصر الهداية الطبيعية عند جميع الأمم في (قسمين) قسم حفظ الصحة
وقسم مداواة المرض . فأما قسم حفظ الصحة فهو (نوعان) نوع يختص بالطعام والشراب والهواء والماء
وهذا تقدم في (سورة طه) عند ذكر آدم فأقرأ هناك وتدبره ونوع متمم لذلك

- (١) مثل المحافظة على نظافة الجلد بأن يستحم مرة في الأسبوع ومرتين صيفاً
- (٢) ومثل أن يغسل الانسان يديه بالصابون قبل الشروع في غسل عينيه ووجهه وقبل تعاطي الغذاء
- (٣) ومثل أن يغسلهما بعد الفراغ من الأكل وبعد لمس أى جسم غير نظيف وبعد الاستيقاظ من النوم
وقبل ارادة النوم ، كل ذلك بالماء والصابون فانه يبعث في الجسم نشاطاً وانشراحاً
- (٤) ومثل غسل القدمين بالماء والصابون صباحاً ومساءً كذلك يخلل مابين الأصابع ويزيل ما بينها
من الأقدار

- (٥) ومثل ان شعر الرأس يجب غسله كل اسبوع بالماء والصابون
- (٦) ومثل أن تغسل الأصابع بعد القص بالماء مع التليفة أو نحوها لازالة (الثف) أى
القدر تحتها

- (٧) ومثل غسل الأنف وتنظيفه وانه لا يجوز نفض الشعر الذى فيه أوقصه فان الله خلقه لصحة أبداننا فهو
يضعف تيار الهواء اذا كان شديداً

- (٨) ومثل انه لا ينبغي ادخال الأصبع في الأنف لأنها عادة رديئة وانه عند التخطئ تسد احدى فتحتى
الأنف ليخرج المخاط من الأخرى عند نفخ الهواء ثم يعاد ذلك بسد الثانية وفتح الأولى

- (٩) ومثل العناية بالأسنان وتنظيفها بحيث تغسل بالماء والصابون قبل الأكل وبعده ثلاثاً في بعض
الفضلات فتضر وتعقب أمراضاً لا قبل لنا بها . ويستحسن التنظيف بزحوا السواك (والفرجون) بعد غمسه
في بعض العقاقير عند الصيادلة ويكون ذلك التنظيف بالعقاقير مرتين في اليوم عند الاستيقاظ من النوم وعند
النهاب الى الفراش . هذا كلام الأطباء وديننا أمر بأكثر من ذلك بحيث يكون الدواك عند كل وضوء
وعند كل صلاة وهكذا . ويحسب تكبير الأجسام الصلبة بالأسنان ثلاثاً وتنف ويدخلها السوس

- (١٠) ومثل تنظيف الأذن من الخارج بالماء والصابون والأفضل أن يكون الماء (دفيئاً) . ولا ينبغي
استعمال أجسام صلبة في تنظيف الأذن هكذا لا يدخل جسم غريباً كالخصاصة او قطعة من الخشب

- (١١) ومثل أن يفعل بالعين ما يفعله بالأذن فيغسلان بالماء والصابون ثلاثاً يضع الباب يفضه فيهما .
فليغسل الانسان وجهه ويديه كل يوم مرتين بالماء والصابون ومعلوم أن الوضوء يتكرر وهذه نعمة اسلامية
عظيمة . ومن العجب أن عناية ديننا الاسلامى بالصحة ارقى من عناية الأطباء

- (١٢) ومثل أن وضع السكحل في العين مضره ومثل أن من ينام على فراش أرمم يصيبه الرمد سريعاً
ومثل انه اذا دخل جسم غريب من ذرات التراب في العين وجب غسلها بالماء الفاتر مرات كثيرة بعد اغلائه

فإن لم يتيسر إخراجهم بهذه الطريقة فليذهب الإنسان حالا إلى الطبيب

﴿ من بدائع عجائب الإسلام في الطب « السواك » ﴾

أيها المسلمون . هل كان منا أحد يظن أننا في القرن العشرين نرى دين الإسلام الذي ظهر في جزيرة العرب التي لا علم فيها ولا ملك ولا دين ولا مدينة ولا كتابة ولا قراءة تظهر آثاره ظهورا بينا في المستشفيات ومدارس الطب وكشف العلماء . ومن ذا الذي كان يخطر له ذلك . أيها المسلمون نحن كنا في الجامع الأزهر نحضر السروس على شيوخنا وهذه صفحة مما قرأناه من كتاب المنهج مع شرحه وحاشيته في مذهب الشافعي ملخصا قال ماملخصه ﴿ إن الاستياك سنة لأن النبي ﷺ يقول « السواك مطهرة للفم » ويسن أن يكون ذلك الفعل في عرض الأسنان لقوله ﷺ « إذا استكتم فاستاكوا عرضا » ويجوز أن يكون الاستياك طولا وهذا في الأسنان . أما اللسان فيسن فيه الاستياك طولا وتكون آلة السواك مادة خشنة كعود الاراك وجريد النخل والزيتون وكل ماله ریح طيب ثم بقية الأعواد وهذه يفضل فيها اليا بس المنتى بالماء ثم المنتى بماء الورد ثم المندى بالريق ثم الرطب ثم اليا بس غير المندى . ويقال إن اليا بس غير المندى مقدم على الرطب لأنه أقوى في إزالة التغير ﴾

﴿ فوائد السواك ﴾

انه يبيض الأسنان ويزيل قلعها ويثبتها ويطيب النكهة ويشدائلته ويزيل رخاوتها ويصفي الخلق ويفصح اللسان ويزيد في العقل ويذكرى الفطنة ويحسن الخلق أى لون البدن وقيم الصاب ويقطع الرطوبة من العين ويحد البصر ويطيب الشيب ويسوى الظهر ويرهب العدو ويصاب اللحم ويضاعف الأجر ويرضى الرب ويسخط الشيطان ويزيد في ثواب الصلاة وينمي الأموال ويقوى القلب والمعدة وعصب العين

﴿ أوقات السواك ﴾

هو مؤكد في مواضع وهى الوضوء والصلاة وتغير القم والقراءة ودخول المنزل وإرادة النوم واليقظة . ومن الأحاديث الواردة في السواك خبر ابن خزيمة ﴿ لولأن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء ﴾ وحديث الشيخين ﴿ لولأن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ﴾ أى أمر ايجاب . وحديث الشيخين أيضا ﴿ كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك ﴾ أى يدل كنه به . وحديث مسلم ﴿ كان النبي ﷺ إذا دخل البيت بدأ بالسواك ﴾ انتهى

هذا ماجاء في دين الإسلام من الحث على السواك . فلننظر الآن في الكشف الحديث ، من عادة طلاب العلم الديني في العالم أن بعضهم يعمل بأوامر دينه والأكثر من ينصرفون عن بعضها كالسواك لأنه سنة والسنة لا عقاب عليها وقد كنت أما أنساهل في أمر السواك ولا سيما لما صرت مدرسا في المدارس الأميرية ، ثم اتى يوما توجهت الى مدرسة الوعظ والارشاد التي أقامها الشيخ رشيد رضا فلما دخلتها وجدت المرحوم الدكتور صدقي يعطى درسا وفي يده كتاب باللغة الفرنسية وهو يترجم والتلاميذ يكتبون فسمعتة يقول وهذه الشجرة تسمى شجرة محمد عليه الصلاة والسلام (يريد بذلك شجرة الاراك) وأخذ يشرح المقام شرحا وافيا ، يقول ان مؤلف الكتاب يفضل في السواك شجر الاراك على الفرشة المعتادة ، وهذه الشجرة يسميها الفرنجة شجرة محمد ﷺ لأنه أمر أمته بأن يستاكوا بأعوادها . هنالك استيقظت من غفلتي وقلت يا لهعجب ، علم قرأناه ثم أهملناه جهلا بمزاياه ومن ذلك الوقت أخذت أواظب على السواك ثانيا . والأهم من ذلك ماجاء اليوم في الطب الحديث فسمعوا مايقوله الأطباء في عصرنا جاء في مقال طبيب بمجلة (الجديد) ماهذا نصه

خطر لا يفتن الى كثير

(هل للأمراض الباطنية علاقة بأمراض الفم ؟)

(للدكتور يوسف زكي)

قد يدهش القارىء اذا عرف أن بعض جهابذة الطب يطلبون من بعض مرضاهم أو بالأحرى من معظمهم أن يزوروا طبيب الأسنان ويأتوا لهم بتقرير منه عن حالة فمهم وأسنانهم ، وربما تزداد دهشتهم اذا عرفوا أن مريضاً بالرمد استعصى علاجه على أكابر الأطباء وكاد يئس اليأس هذا المريض وأن يفقد بصره لولا أن أشار عليه بعضهم باستئصال أسنانه أو بعضها ولم يكذب يفعل ذلك حتى استجاب مرضه للدواء ونال تمام الشفاء .

إن الفم هو أول أجهزة القناة الغذائية وهو العامل الأول في اعداد الغذاء لعملية الهضم فاذا حصل بأجزائه أو ببعضها عطب أضر ذلك بالجهاز الهضمي أو ببعضه وأفسد عمله وربما تعدى ضرره الى أجهزة أخرى وقد تختلف بالفم بقايا من الطعام تتعفن وتخوفها جراثيم الأمراض فتتسرب تلك الجراثيم الى الأعضاء المجاورة كاللحم والحنجرة ثم الى المعدة فتحدث بها الأدوار المختلفة المعروفة ، ثم إن نسبة سرطان الفم واللسان لتأكل الأسنان وتقيح اللثة مثلاً أمر معروف مؤكد بل قد ذهب بعض الأطباء الى أن سرطان المعدة نتيجة لازمة للأمراض التقيحية المزمنة التي تعترى اللثة أوخراجات الأسنان ، وأيد رأيه هذا بالأدلة الدامغة ثم جاء بعده كثيرون أثبتوا ذلك أيضاً . قلنا إن الأعضاء المجاورة للفم هي أول ما يتأثر بأمراضه وتأتي بعد ذلك المعدة فيؤثر بها الحادة والمزمنة قد تكون أيضاً من أمراض الفم ، وأول من نسب لذلك هو الدكتور (هنتز) سنة ١٩٠١ ونشر ملاحظاته فكان منها أن صار أطباء الأمراض الباطنية يفحصون أسنان مرضاهم قبل كل شيء فاذا بدا لهم أمر ما نصبحوا طولاء المرضى بمعالجة فمهم قبل البدء في معالجة أمراضهم الباطنية ، وقد أكد الدكتور (جوربي) أن التهابات المعلقة السودية وتقيح الأعور تنسب في الغالب من ذلك القيقح المتولد في الفم وأضاف الدكتور (هنتز) على ذلك أن القيقح المتولد في الفم يسبب أيضاً الأنيميا الخبيثة ، واذا وجدت خراجات الأسنان سبيلاً الى الدورة الدموية يحدث منها أمراض القلب مثل التهاب غشائه الداخلي أو غلافه المسمى (بالتامور) وقلمنا يشق القلب من الأمراض متى تسمم بالمواد القيقحية أو السفغة ، ولاننسى هنا أن نذكر أن مرض الريماتزم والمفاصل بنسبة ٩٠ في المائة تدخل في أسبابه أمراض الفم ، ففي انكلترا وألمانيا يبدؤون في المستشفيات بعلاج أسنان كل من تقدم اليهم بمرض من أمراض الريماتزم على اختلاف أنواعها . وأخيراً نقول ان كثيراً من الضعف أو النهوكة أو ارتفاع درجة الحرارة أو الخمول قد لا يكون لها سبب غالباً سوى فساد أسنان المريض وفيه . ولانذهب بعيداً اذا ذكرنا في النهاية أن مستشفيات الأمراض العقلية ارتفعت فيها نسبة من نالوا الشفاء التام من (٤٣ في المائة الى ٨٧ في المائة) عند ما بدؤوا يسرون أسنان المريض وفيه عناية تامة فيعالجونها بالاستئصال والنظافة التامة وما الى ذلك مما يعرفه أرباب الصناعة . كذلك زادت نسبة الذين تحسنت صحتهم في المصحات المعدة لمعالجة المرضى الندرن الرئوي (السل) عند ما أخذ الأطباء في إعارة أسنان المرضى اللثفات المطلوب . ويجدر في أخيراً أن أقول بأنه من البديهي أن يكون لقلّة وجود الأسنان بالفم أعنى سقوطها أسباب خطيرة لاضطراب عملية المعدة لأن المضغ يصدر الى المعدة دون أن يكون قد طععن في الفم طعناً كافياً وبذلك يقل مجهود الغدد المعدية ويصعب عليها أداء الوظيفة على كامل هيئتها فتندأ الالتهابات البسيطة والتي لاتلبث هذه أن تنقلب الى حادة . فعلى الانسان إذن أن لا يهمل أمر فمه وأسنانه بل يجب عليه أن يرض نفسه على الطبيب اذا ما شعر بأقل شيء فان ذلك خير له وأبقى . فاذا تهجد الانسان فمه بالغسيل وأخرج ما يعلق بأسنانه من بقايا الطعام ونظفها جيداً بالفرشة (أو السواك) عقب كل أكل آمن شريراً كثيراً من أمراض الفم

والإنسان وزرد من فقه أعداء كثيرة لا يستهان بها . انتهى

هذه أهم النصائح التي أعانها أطباء الأمم قديما وحديثا وهي متممات للمحافظة على الصحة التي تقدم بعضها في سورة طه من حيث الطعام والشراب والهواء وهكذا تقدم بعضها الآخر في سورة الأعراف عند قوله تعالى - وكالوا واشربوا ولا تسرفوا - قسم المحافظة على الصحة الذي ذكرت لك مجمله هنا لأنفع به أنا وأنت وكل من قرأ هذا التفسير هو المذكر في قوله تعالى - الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعني ويسقين - فذكر الخلق وقد بيناه سابقا وقد قلت لك إن الخلق تصاحبه الهداية وقلت إن الهداية إما فطرية وأما تعليمية ونحن الآن في الهداية التعليمية والهداية التعليمية كما قدمنا ﴿ قسمين ﴾ قسم حفظ الصحة وقد تم الكلام عليها وقسم مداواة المرض . فالهداية في الطعام والشراب المذكورين في الآية قد تقدم الكلام عليها وسيأتي بعد استيفاء هذا المقام شرح الأمراض في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين -

قد قدمنا أن المحافظة على الصحة تكون بالتعليم والتعلم على ﴿ قسمين ﴾ تعليم في تناول كل واحد معرفته وتعليم يختص بتعليم الأطباء ثم الأمة تتبعهم في ذلك

﴿ الكلام على التعليم الذي يختص بمعرفة الأطباء ﴾

فلأذكر لك هنا منه ﴿ مسألتين * المسألة الأولى ﴾ في بيان أعداء الإنسان في داخل جسمه . وكيف كنا ونحن في هذه الحياة نجد في أجسامنا جنودا مجندة داخلية خارجة تصطف صفوفًا وتتحارب في داخل هياكلنا ولا علم لنا بها . إن في ذكر هذا المقل جلا وحكمة ويانا لما جاء في القرآن من ذكر حفظ الإنسان وبيان الجباب فيهِ وهي دقيقة جدا فكيف يكون جسمي كأنه دولة وفيها آلاف آلاف الجيوش والجنود المجندة وهي ﴿ فريقان ﴾ فريق معي وفريق عليّ وهذه الجيوش لا تقتأ في حرب وضرب أمدا الحياة فهي في حركة دائمة ومد وجزر تشابه في سرعتها سرعة النور والكهرباء التي خلقت منها أجسامنا وأجسام نباتنا وحيواننا - إن الله بكل شيء عليم - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر - ﴿ المسألة الثانية ﴾ ما جاء في قانون الصحة من رسم الدودة الوحيدة ورسم عضلات لحم الخنزير التي تحوى هذه الدودة ورأس الدودة الوحيدة ، وكيف عرف هذا قدماء المصريين قبل نزول القرآن فحرموا أكله بقصة اختراعوها وهذا من أعجب المجانب في أسرار ديننا الاسلامي . إن في هذا القول حكما بدية . اللهم إني أحجك على نعمة العلم . أرى بنا العلم عيانا . حرمت في القرآن لحم الخنزير فتركه المسلمون وإن لم يتركوا الخمر ، وهل كان يدور بخلد أحد في العالم أن علماء الأمم الآن يرسمون لحم الخنزير والدودة الوحيدة فيه ، وهل كان يمرّ بخلد امرئ في الأرض أننا نسمع أن أمما قبلنا بألاف السنين حرمت الخنزير كالأمّة المصرية ، وهل كان يخيل لأحدنا أن لله جنودا مجندة تروح وتغدو داخل أجسامنا فنها الهلجة ومنها المدافعة . اللهم إن هذا توحيد وعلم ثم طب وبه نفهم قوله تعالى - فهو يهدين - فهو كما هدى أناسا بنصيحة الأطباء فغسلوا وجوههم وأيديهم ونظفوا أسنانهم هكذا هدى الأطباء فتوغلوا في العلم وعرفوا أسرارها هي عينها أسرار الاسلام . إذن فلأذكر لك المسألة الأولى من المسألتين المذكورتين لينشرح صدرك بالعلم والحكمة والطب لحفظ الصحة ، فهالك ما جاء في إحدى المجلات العلمية في ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧ م وهذا نصه

﴿ الوقاية أفضل من المعالجة ﴾

(أعداء الإنسان)

للدكتور شخاشيري

أما أعداء الإنسان فهي المكروبات التي إن أصابت الجسم أحدثت فيه مرضا يعرف نوعه من الأعراض

والتهغيرات التي تبدو على الجسم بسببها ، والأمراض المعديّة وأسبابها وطرق الوقاية منها هي التي أشتدت عنها الآن وتنتقل هذه الأمراض من المريض المصاب بها إلى السليم إما بواسطة الهواء أو الماء أو الحشرات أو الطعام أو باللامسة وأسبابها جميعا الميكروبات . ولكل مرض ميكروب خاص كما أن لكل شجرة فصيلة خاصة وهذه الميكروبات صغيرة جدا لا تراها العين المجردة وإنما ترى آثارها وما تفعله في الأجسام من آلام وتدمير وقد يختلف عدد الميكروبات في الهواء الذي نتنشق باختلاف المكان فإذا كان المكان مزدحما بالناس كان عدد الميكروبات فيه كبيرا بسبب اثرتهم للتراب ولهذا السبب يكثر الميكروب في هواء المدن ويقل في هواء القرى وإذا كان المكان المأهول بالسكان خاليا من معالم النظافة لأمصلحة الرشح والكس والساكن فيه يبذل جهدا ولو قليلا في تنظيفه ولا شك أن الميكروبات تخوفه بكثرة هائلة . وتكثر الميكروبات في الأماكن المنخفضة بنوع خاص لأن الهواء فيها غير طلق كما هو طلق في الأماكن العالية ولأن نور الشمس لا يدخل إلى جميع أجزائها ولذلك تراكم فيها الميكروبات العفنة فتحدث بحسب ميزتها التآكل والتخمر وتنبعث منها رائحة كريهة . وأما في المياه فتكثر الميكروبات في الرأ كددة منها كالتي في البرك وفي الجداول الصغيرة ، ومن الضروري أن تغلي المياه المشوبة أو المشبهة في سلامتها من الأدران . وفي التراب توجد ميكروبات وفي الأقدار كذلك وعلى جلد الانسان وفي فمه وأمعائه . وإذا علمنا أن الميكروبات موجودة في كل مكان يقيم فيه انسان أو حيوان استطعنا أن نتصور نطاق هؤلاء الأعداء الواسع وشدة حرصهم على الاشتباك بفرستهم واستعدادهم للفتك بها في كل ساعة وحين ولكن لحسن الحظ انه ليس كل هذه الميكروبات خطرة أي ليس كل هذه الأعداء تحدث مرضا وإنما فيها ما هو نافع ووجوده لازم وضروري للحياة الحيوانية والنباتية . ولولا هذا الأمر لانعدمت الحياة في مقاومتها والتخلص منها

يخلص لنا مما تقدم أن الانسان مهتد بأنواع من الميكروبات التي تنشأ عنها الأمراض المختلفة وأن للبيئة والعناية بنظافتها شأنًا عظيم الأثر في تقليل هذه الأمراض وإضعافها ، ومن هذا يتبين كم هو لازم أن نعمل بنص القول المأثور « درهم وقاية خير من قنطار علاج » وأن التوقي من داء خير من التعرض له مع وجود من يداويه ، وأنت تعلم أن ما تكابده من العناء وتبذله من المال في سبيل الوقاية من الأمراض هو أقل بكثير مهما عظم قدره من الاكلاف التي ندفعها على التداوي والمعالجة فضلا عن التي يدفعها جسمك ويظهر تأثيرها في بعض أعضائه ، وإذا تصورت عدوا قادمًا عليك يريد أن يفتصب منك الذي تملكه من مال ومتاع فهل تنتظره إلى أن يصل اليك ويمتد يده إلى متاعك فتنهض للدفاع عن ممتلكك وكيانك أم تعد عدتك وتستعد للاقائه قبل أن يشرف عليك مقدمه ؟ وهل لا ترى انه أسهل عليك بكثير أن تقاوم وتوقع أذاه وأنت مستعد له أكثر منك وأنت على غير استعداد . إن الحيوانات تحسن الدفاع عن نفسها ويخاف الضعيف منها القوي فيها وهي بذلك تساق لغريزتها إلى الدفاع عن حياتها وناموس الطبيعة قائم على قاعدة الأخذ والدفع وبقاء الأصلح والانسان بفطرته الأولى كان يحسن الدفاع عن نفسه وبق جسمه من تقلبات الجو وطوارئ الحدثن على قدر ما وصل إليه فهمه واختباره وعلى هذه النسبة ارتقت مداركه وأدرك اليوم ما لم يكن يدركه من قبل

وعلم الوقاية من الأمراض أفضل بكثير من علم المعالجة والتداوي ويريد منكم هذا العلم اليوم أن تنشروا لواءه في كل مكان وترفعوا علمه في صدر كل انسان . وأمة تريد أن تحيا سعيدة وأن يكون لها المقام المحترم بين الأمم هي التي تنشئ بنيتها على قاعدة صحة سليمة الأساس فتصلح البيئة وتطهرها من جراثيم الأمراض وتقضي على أثر هذه الأمراض في وسيلة علمية معروفة ، ففي تعليمهم كيف يعيشون وكيف يدافعون عن صحتهم من غواصي الأدوية وجيوش الميكروبات مرمى سام من أسس مراميها وغرض جليل من أجل أغراضها وهي الأمة التي يحق لها أن تعيش وأن يطيب لها العيش . وأنت تعلم أن للجسم أعضاء رئيسية كبرى وثانوية

حضرى ولكل عضونها عمل خاص به كما ان لهذا العضو وظيفة يقوم بها وحده فهو من هذا النوع حاصل على الاستقلال التام وحده أو فر من حظ الشعوب الصغيرة التي تشد الاستقلال وتتفنى به ولكن لا تنسى أن استقلال اعضاء الجسم إنما هو استقلال ذاتى فهى تشغل مسئلة ولكنها فى مجموعها تعمل لمصلحة الجسم كله وانها تعمل بمفردها لمصلحتها ومصلحة المجموع ولها نظام تحترمه وتريدك أن تحترمه لأن الاخلال به يشوش على ذلك العضو عمله أولا وعلى سائر الأعضاء ثانيا . فاذا أفتقت على معدتك بالأكل القليظ مثلا والشراب اللذيذ وأنت من غير نظام ولا ترتيب وبلا انقطاع أى استمررت فى الأكل والشرب من غير أن تحسب أن لهذا العضو الأسين نظاما وأن له قوة محدودة على الهضم وأن له دائرة وحجما لا يتعداهما وليس فى وسعه أن يتعداهما تكون النتيجة احداث الخلل فى نظام الجهاز الهضمى والارتباك فى وظيفته وتشترك المعدة بالمتعة وتحس بصداع وعسر بالتنفس وتوعك وانحراف ونفور من أهلك ومعارفك وتصيح كأنك بمنزلة النمل عن الناس جميعا لا يشغلك عن الافتكار بمعدتك أحد منهم

فقليل من العناية والنظام فى نوع الطعام ومواضيعه يهلك من هذا التعب ويدفع عليك أعراض التخمرة وتظل معدتك على ولائها لك كما وجدت أن تكون (كذا) ولولا قصر اضرار الاخلال فى نظام هذا العضو على ما تقدم فقط لكان الأمر وكانت الاساءة قصيرة المدى وانما تمت اضراره الى بعد من التخمرة والتلبك وفى الغالب أن من أهمل القاعدة الصحية ولم يكن له نظام صحى فى معيشته يكون عرضة لأعراض معدية وخيمة العاقبة عليه فعليك قبل أن تأكل وتشرب أن تفصل يديك ووجهك وفكك وبهذا تدفع عنك أخطارا عظيمة الأثر والذى يهمن هذه القاعدة أهمل النظام كله فبأكل كل ساعة ويشرب دائما لا يفصل يديه ولا فم لا قبل الأكل ولا بعده ويسخر منك ان رآك تفصل يديك قبل أن تجلس الى المائدة فتجد هذا المهم شاكيا مرعيا لأنه فى عدم غسل يديه قبل أن يتناول طعامه يرسل مع الطعام بعض الميكروبات والجراثيم الى معدته ومنها تجد هذه الجراثيم طريقها الى الدم وتبدى اذ ذلك تأثيرها بعد مدة قصيرة . ومن عود نفسه على النظافة أراح جسمه وفكره من مشاق وأهوال لا يدركها غير الخبير ، وأرجو أن لا تكون اختبرت بها بعد ولن نخبرها فى مستقبل أيامك

ولا يذهب عن البال أن للجسم جنودا جراء ويضاء متنوعة ، وهذه الجنود وظائف تقوم بها فى أمانه واخلاص لا مزيد عليهما مستزيد وليس لها غرض من وجودها غير الدفاع عن مجموع الجسم فهى أشبه بالأساطيل السابحة على الماء والجنود القائمة على حراسة الأمة وربما يصدر عن هذه الجنود المسلحة بعض التوائى والتسكوى فى الواجب الملقى على عاتقها . أما جنود الجسم وأساطيله السابحة فى دمه فلا تعرف للتوائى معنى وليس للخيانة سبيل الى عقيدتها فهى تحت السلاح فى الخدمة العامة دائما وفى كل وقت لاهبنة ولا هوادة فى عملها ، وتفرض انك أصبت بجرح فى أصبعك فماذا ترى ؟ ترى أن هذه الأمانة فى حركة غير عادية هى أقرب الى حركة حرب منها الى حركة سلم فتشاهدها حاجة على محل الإصابة خفقا وسرعا تبين أن ترمم الجرح وترغم أحيانا ان كان الجرح بالغا الى الخروج منه ، ومضى ثم هذه الجنود المكشافة الثبات فى محل الإصابة تقدم الى هذه الساعة لاسعافها جنود أخرى للناضلة والدفاع عن هذه الساحة ومقاتلة الميكروبات والجراثيم التى تريد احتلال الجرح واهدات الالتهابات فيه فتتشب المعركة بين هذه الجنود والميكروبات والغلبة تكون للأقوى كما هو متظر فاذا كنت بحالة حسنة تراعى بعيشتك النظام الصحى فلا خوف على جنودك من الغلبة واحراز النصر واذا كنت تسيء الى معدتك فتأكل من غير نظام وتشرب غير الماء النقي وتعرض جسمك الى متاعب غير لازمة فتصيب جنودك الفشل بلارب

بعد هذا التمهيد الاجالى أحدثكم قليلا فى إنجاز عن بعض الأدوية المنتشرة فى القطر ولا سيما فى الارياف وطرق الوقاية منها ، وأول هذه الأدوية هوداء الرهقان المنتشر انتشارا هائلا يكاد لا يحاط منه بيت من بيوت المدن

واقترى والكفور والربرية فهو عدو لسبعين ، بلان وأسرة وأنى وقتا ولفل وليلة من كل مائة منهم
أى ان سبعين في المائة من ساكني الأرياف يسايون به مشايون . وأسبابه ديدان تدخل الجسم من الفم مع
الماء أو مع الطعام فتستقر في هذا السقي وتتكاثر فيها وتنتج الحصاب دم وغذاءه وتصاب قوته بل حياته أه
فانظر في عجائب صنع الله وتذكر في الحكيم العلية والطبية ، وتعلم أن التهاون بأمر الصحة ولو في أمر
ضئيل يوجب اسراع الداء ، فانظر ما جاء عن نفس هذا الطبيب وأمه في ٢٩ مارس سنة ١٩٢٨ م

﴿ الوقاية أفضل من المعالجة أيضا ﴾

(داء الكزاز)

بينما كان أحمد حسن عبده المقيم في المقياس بالروضة أخذنا بهام عمله الذي يعيش وأولاده منه عشر بمسار
اخترق باطن قدمه اليمنى حول الإبراهيم الأكبر مدى ثلاث سنتين ثباتت فقد يده وهو من الأشداء واقترع المسار
من قدمه وظل مشابرا على عمله كأنه لم يحدث له شيء إلا أنه شهر بعد مضي خمسة عشر يوما على الحادث أن
بفصل فككه نيسا وأن هذا التيس امتد إلى عنقه فأصبح غير قادر على فتح فمه وغير قادر على تحريك عنقه
أو تحويل وجهه من ناحية إلى أخرى وعاده الطبيب ووصف له دواء وحقنا ، ولم يزل الداء ولا الحلقن مابدا
من نيس قصد في اليوم الثاني عيادة طبيب آخر فلم يجده ، وفي اليوم الثالث اظهروا الأعراض عاده طبيب آخر
وكانت أعراض التيس أو (داء الكزاز) قد ظهرت على أشدهما لافي الفك والعنق فقط بل في سائر الجسم
فوصف له الحلقن بالمصل المضاد لهذا المرض وحقنه بالوريد أولا وبالفصل ثانيا ، ولكن اذا انتشر سم الداء في
الجسم انتشارا ملك به عليه ارادته في تحريك المفاصل والأطراف قلما يجدي الدواء في معالجة الداء قلما تعادل
قوة الدواء قوة الداء اذا خسر الجسم المعركة الأولى وفقد اسباب المقاومة والدفاع السكامة فيه فقتضى المرض
على أحمد وذهب ضحية اهماله وعدم اكترائه للجرح الخزي الذي أحدثه المسار في باطن قدمه وذهب اهتمام
اهله وذويه واهتمام الأطباء وما استخدموه من دواء في سبيل اتقائه ذهبت هذه الآمال والوسائل العلمية أدراج
الرياح ، والمرض اذا احتل الجسم احتلالا تاما صمد عليه منافذ الرجاء عن المعالجة والمداواة وأبعدته عن امنية
الشفاء . وفن الوقاية على صواب في نظريته وصواب في الدعام القائم عليها هو يقول لأمثال أحمد الذي
ذهب مبكيا عليه من ذويه وأهله تاركا زوجه وأولاده على رجة الأقدار ، فإن أصابك جرح وخزي من مسار
أو غير مسار فلا تهمله مهما كان في نظرك بسيطا بل اعرض نفسك على طبيب في الحال وهو يتولى أمره ويدفع
عنك خطر هذا المرض والخوف منه ، وأعني بقولي « في الحال » في الوقت الذي تصاب به بالجرح لافي اليوم
الثاني وافي اليوم الثالث أو الرابع منه

ها أنت ذا قد رايت ما جرّه الاهمال على أحمد من البلاء وأنزل بأهله من الأحران والأكدار ، فاعمل
بنصيحتي أو بالخرى بنصيحة علم الوقاية والله يقيك شر الاضرار ويريح جسمك من أوصابها ويبعد عنك
وعن أهلك غمة تشجها والسلام . وبهذا تم الكلام على المسألة الأولى
(المسألة الثانية) وهي أن لحم الخنزير مضر وأنه يحوي البودة الوحيدة ، وبيان ذلك بالرسم وأن قدماء
المصريين عرفوا ذلك ، واليك ما في تاريخ مصر القديم عنه

﴿ صفحة من تاريخ مصر القديم ﴾

(تحريم الخنزير . أصله من الأساطير المصرية)

قال كاتب وجدت الأسطورة التي أترجها فيما يلي في ورقة مما يسميه علماء الآثار « كتاب الموتى » ومع انها تصنف

إحدى المعارك التي حثي وطبها بين (حورس وست) لم يذكرها فيما كتب عن تلك الحرب على جدران معبد حورس في (ادفو) ولا في موضع آخر من هذه الورقة ، على أن الفرعينة التي ترسمها هذه الاسطورة كانت تعمرس في هذا المعبد فيؤتى بخنزير فيقتل في نهاية استقبال كان يقام هناك لإحياء ذكرى انتصار حورس على ست وقتله ، ويؤخذ من نقوش فيه أن العادة كانت قبل هذه الفرعينة أن تمثل في هذا الاستقبال معارك الحرب فيمثل الملك دور (حورس) ويمثل (ست) رجل من العامة كان يقتل في ختامه

وواضح أن هذه الاسطورة قد وضعت إذن لإبطال هذه الديانة البشرية وكان وضعها في زمن متأخر من الزمن الذي وضعت فيه الاسطورة التي تضمنت سائر معارك هذه الحرب المقدسة المنقوشة على جدران معبد (ادفو) فلم تكتب معها لهذا السبب . أما كتاب الموتى الذي تألف بهذه الاسطورة أحد فصوله في مجموعة صاوات وأنشيد وتعويذ وشعيرات من قصص الآلهة وهي في اعتقاد الأقدمين أحراز تقي من عذاب الآخرة فإذا كان لأحدهم ميت فلما أن يضع الخرز منه أو يكتبه على الكفن الذي يلف به هذه الغاية ومن ذلك تسميتها بكتاب الموتى والاسم حديث استحدثه علماء الآثار وأولوا الفضل في جمع هذه الأحراز ومراجعتها وترجيحها . أما اسمها القديم فهو (فصول في التقدم نحو اليوم) أي يوم الدين ، وفي هذا الاسم إشارة غير خافية إلى فائدتها عندهم

﴿ أسطورة الخنزير الاسود ﴾

(حورس) و (ست) خصمان يتر بص أحدهما بالآخر الدوائر من فرط العداوة والحقد وكانت الحرب بينهما سجالاتا بيد أن الآلهة كانت في صف (حورس) وتلك العداوة لأنهما على طرفي نقيض . أما (ست) فغيب غائل يعتمد في الحرب على الخديعة أكثر من اعتماده على الشجاعة والخبرة فبنون القتال فتراه يلبس لكحل حالة لبوسها ويتشكى بالشكل الذي يراه فينا بأن يضل الناس والآلهة على السواء . وأما حورس فلم يكن كذلك حاشا له أن يغش أو يكون من السكاذبين ، انه على صراط مستقيم ، ائق والاستقامة من أخص صفاته ، عيناه الزرقاوان لوح مسطور حسب المراء أن ينظر فيهما ليتكشف المستور ويسرف المستقبل . من أجل ذلك يهرع اليه الناس والآلهة جميعا ليلتمسوا عنده علم ماسيكون ، علم ست مرة أن سيجمع (رع بحورس) للتشاور في بعض الشؤون وألتي ست الفرصة قد سنحت لضرب حورس ، وكان من تدبيره لذلك أن اتخذ هيئة خنزير أسود بلون الفهام ذي أنياب حادة طويلة شمس هائل المنظر يلقي الرعب في قلوب الرجال ، وأقبل (رع) على (حورس) وخطبه فقال « دعني أقرأ في عينيك ماسيكون » ونظر في عينيه اللتين لونهما كلون البحار حينما يكون الفصل صيفا والسماء صافية مشرقة بالنور وبينما هما في ذلك ظهر الخنزير وصراخا هب لكن غم عليهما أمره فلم يفتن (رع) انه إله الشر وصاح وهو مأخوذ بروعة منظره انظر هذا الخنزير الاسود أنا ما رأيت قط أضخم منه جثة أو أشرس منظرًا ، تلفت (حورس) ليراه فما وقع بباله هو كذلك ، أن صاحب هذه الهيئة المنسكرة هو (ست) لكن حسب خنزيرا برياً من أدغال الأرض الشمالية وفي هذه الفترة وحورس غافل عن صدوه تهباً (ست) فنفخ عليه نارا أصابه في عينه فصرخ من الألم وملكه الغيظ فصاح « قد قذف على ست نارا أصابني في عيني » وكان ست قد حمل نفسه بعيدا واختفى الخنزير الاسود عن الأنظار ولعن (رع) الخنزير من أجل (ست) وقال « ليسكن الخنزير نجسا ومكروها حورس » والناس الى هذه الأيام كلما بلغ البدر التمام يذبحون الخنزير تشفيا لأن (ست) عدو (حورس) وقاتل أوزيريس اتخذ هيئة ليعاق الأذى بالإله ذي العينين الزرقاوين ، ولهذا السبب يعتبر رعاة الخنازير في أرض مصر أنجاسا لا يؤذن لهم في دخول المعابد ولا تقبل منهم قربان للآلهة ولا يسمح لأولادهم أو بناتهم أن يتزوجوا من المتعبدين لله المخلصين له العبادة

هذا ما جاء عن قدماء المصريين بلقظم في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨ فانظر ما جاء في كتاب (قانون الصحة) ونصه ﴿ الأغذية المتعفنة أو المتحللة خطرة جدا ولا تصلح في الغذاء وذلك كاعدام الحيوانات المصابة بالدرن لأنها

قد تسبب الإصابة بهذا المرض عند الإنسان . وكذلك لا ينبغي استعمال الحفر قبل غسلها خوفاً من أن تحمل البكتريا بعض الديدان كمن في الصورة اليسرى (انظر شكل ٧ وشكل ٨ وشكل ٩) والطيخ في أوان من أناس قدرة بحالتهم ويكون ذلك معدوماً يبقى ومنهض . وسهال . وطيخ الأغذية مع خلل في أوان من الرصاص بسبب التسمم بالرصاص . انتهى



(شكل ٩ - « التريشين »
ديدان لحم الخنزير)



(شكل ٨ - رأس
الدودة الوحيدة)



(شكل ٧ - عضلات من لحم الخنزير تحتوي
على أكياس سوداء الوحيدة)

﴿ اشراق النور الإلهي في هذا التفسير واعانة الله تعالى فيه إذ انه نور السموات والأرض ﴾
في هذا التاريخ فبحي يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م بعد أن كتبت هذه المقالة ومعها رسم لحم الخنزير والسوداء التي تبش فيه خرجت من المنزل فشاهدني في نفس الشارع الذي أسكنه وهو شارع زين العابدين أحد الاخوان فأسرع جرياً مشيراً الى يناديني يافلان يافلان فوقفت وسلمت عليه فقال اسمع اسمع هنا أمر عجيب في القرآن والاسلام . فقلت وما هو بركك الله . فقال ماذا تفهم في حديث ﴿ فر من المجدوم فرارك من الأسد ﴾ فتذكرت أن بعض محرري الجرائد المصرية الكبرى في مصر مرة قال لي ﴿ إن الفرنجة قد وجدوا أن الحيوان المكروكوي الذي يحدث الجذام في الانسان مخلوق على شكل الأسد ﴾ ولكني لم أرد أن أقول له هذا المعنى لأنني لم أراه في كتاب ولم أسمع من طبيب مطلع ، فأجبت قائلاً وماذا أصنع بفهمي في مثل هذا الحديث أنا لا أعرف فيه شيئاً . قال إذن أقص عليك قصصاً عجيباً . ذلك أن رجلاً عظيماً من ضباط الجيش المصري الذي هو أركان حزب فيه مع عرابي باشا أيام الحرب مع الانجليز كان له تاريخ عجيب إذ اختلف مع انضباط في الاستحكامات العسكرية وظهر صدقه وهو من أمهر الرجال العلماء العسكريين الذين تعلموا في أوروبا وقد ظهر في البلاد المصرية الطاعون بعد دخول الانجليز فكان مما استعملته الحكومات لدفع الخطر عن البلاد انها احضرت أطباء من ألمانيا ، ولما كان هذا الضابط (وهو قسم بك الهلالي) ممن يعرفون لغات كثيرة قابلهم وأنس بهم وتحدثوا في أمور الطب التي هم قادمون لأجلها فخرى في المجلس العدوى بمرض الجذام فقال طبيب ألماني ان حديث ﴿ فر من المجدوم فرارك من الأسد ﴾ لما اطلع عليه الأطباء عندنا أخذوا يبحثون لماذا عبر النبي العربي ﷺ بالأسد ولم يسبق بكلمة أخرى مثل أن يقول فرارك من النار أو من السيل أو من الغمر أو نحو ذلك فوضعوا تلك الذرات التي تخلق في جسم المجدوم تحت المنظار المظلم فوجدوها على صورة الأسد فأدهش علماءنا النبي العربي ﷺ فاما سمعت هذا عجب لماذا أخذ يحدثني بهذا الحديث يناديني من بعيد

حق استوفيتي ثم لماذا قص علي هذا القصص الآن ، ولماذا لم يكون إلا في هذا اليوم وفي هذه الساعة بعد كتابة موضوع لحم الخنزير الذي هو معجزة نبينا ﷺ والقرآن تبينا لقوله تعالى -- حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير -- فلماذا يكون النص على لحم الخنزير في القرآن دون غيره ولماذا يحرمه قدماء المصريين وهننا نقول أيضا كما روينا عن علماء الألمان لماذا خصص النبي ﷺ مرض الخُذَام بالأسد ، فرأيت أن أثبت هذا اعتراف بنعمة الله تعالى واعترافا من كوثر علمه وباهر حكمته وبلدح تبيانه وسايغ رحته والحمد لله رب العالمين . انتهى الكلام على المسألة الثانية وبها تم القول في أمر حفظ الصحة التي هي أفضل من المعالجة في تفسير قوله تعالى -- الذي خلقني فهو يهدين -- والذي هو يطعمني ويسقين --

فهنا نحن اولاء عرفنا جمال الله عز وجل وحكمته في الحيوان وأنه درجات وفي الانسان وأنه أرقى ورأينا العلم يتدنى في الحيوان وينتهي في الانسان وأن هذا الأخير تماطى ماحولة من نبات وحيوان وغيرهما فأكل ولبس وشرب ثم ظهر فيه أطباء استخرجوا بواطن الأشياء كما عرفوا ظواهرها ، أسروه بغسل جسمه والمحافظة عليه وتنظيفه ، ثم درسوا له جسمه وأجسام الحيوان فوأ ما لم ترد أمم قبلنا من جيوش منسججات بالأسلحة متقاتلات ثم أروه السودة الوسيطة في الخنزير الذي حرّم الله على الناس وبهذا ظهر أن دين الاسلام هذا وقت ظهور عجائبه بل هودين الحب العام والعلم العام وأن حصر أفكار المسلمين في علوم نافعة في القرون المتأخرة بعد العصر الأول يظهر لي أنه كان عقابا من الله لهم لما شمره ماؤتهم على حطام الدنيا وتركوا وصايا القرآن خبيهم الله في قساياء الميوع والميراث والتاجرات والحيف والنفاش وقالوا أيها المسلمون لقد أفتدت قضائي فيكم لأنني أرسلت نبي محمدا ﷺ لينقذ الناس من الضلال وتعاليمه قد جاوزت حدود الصين ودخلت أوروبا والكتب القديمة ترجت ، ولما علمت أن المتأخرين منكم لا يصلحون لاصلاح عبادي أرجعتكم من أوروبا الى الأقطار الأخرى واهلتم الأمم الأخرى أن تحمل العلم عنكم فرقوه بأسمى وأرجعت العلم الآن أنكم من بلاد الغرب فطلعت شمس من مفر بها فهل أنتم متبهون ؟

اللهم إن هذا التفسير وامثاله التي فوجي المسلمون بها اليوم سترجع هذه الأمة الى سيرة السلف الصالح ويحيون الأرض بعد موتها الى الله عاقبة الامور ، فلنشر اليوم مبادئ علوم الدين الاسلامي في هذا التفسير فانهضة قائمة والأمة مستيقظة وعين الله ترعاه -- ألم نشرح لك صدرك -- ولنختم الكلام في هذا القسم أي قسم حفظ الصحة ونشرع في القسم الثاني وهو المعالجة لتفسير قوله تعالى -- واذا مرضت فهو يشفين --

فاعجب لقوله تعالى -- واذا مرضت فهو يشفين -- هو يقول -- فهو يهدين -- والذي هو يطعمني ويسقين -- ولم يذكر في ذلك لفظ -- اذا -- أما الشفاء فجعله علقا على الشرط وهذا من النكت المظيفة لأن الأطباء أجبروا ان تعاطي الأدوية أمر اضطراري كاستعمال السلاح لطرد العدو ، ومن الحرج والجهن أن تترك أبواب الحصون في المدن حتى يلج منها العدو ويدخل ثم يحارب داخل البلاد ، فهذه هي حال المحافظة على الصحة ، فإذا حافظنا على صحتنا ثم رأينا مرضا لم نقدر على الاحتراس منه هنالك نستعمل العقاقير ، اما ذلك الذي يشرب المسهل لسكل طارئ ويتعاطي المقويات ويشرب التبغ والقهوة والشاي والككاو كما تقدم في (سورة طه) وغيرها فهو لاه ملومون يخربون اجسامهم بأيديهم ويفتخون حصون مدتهم لأعدائهم جهالة ، فهذا معنى قوله تعالى -- واذا مرضت فهو يشفين -- معبرا باذا الشرطية

﴿ الكلام على مداواة لمرض وهو القسم الثاني من تفسير الآية ﴾

لقد وعدت في (سورة طه) أن أذكر لك ما استحسنته مما جمعه الزعيم الهندي (مهاتما غاندي) الذي نشره « المنار » في المجلد (٢٦) و (٢٧) من « مجلة المنار » ونشر في كتاب وحده وهذا نصه

(الباب الأول . العلاج بالهواء)

قد فرغنا الآن من البحث في أساسات الصحة وأصولها وكذلك عن طرق حياتها والحفاظ على صحتها ولأن جميع الناس رجالا ونساء يخضعون لقوانين الصحة ويحسبون بالتجرد الماء لا تبقى أى حاسة للأبواب الآتية لأنهم يكونون في مأمن من جميع الأمراض والأضرار سواء في أجسامهم أو عقولهم . ولكن أين نجد هؤلاء الناس ؟ وأين الذين لا يصابون بالأمراض ، وعلى كل فانا كلما اعتدنا بالتمسك بالاصول التي دؤنت في هذا الكتاب فالأغلب اننا نعلم من الأمراض والسكن ان أصابتنا مرض يجب أن نعالجه باهتمام والأبواب الآتية تبين كيفية العلاج بدون الاستعانة بالطبيب . إن الهواء النقي كما هو لابد منه احيانة الصحة كذلك لا غنى عنه في معالجة الأمراض ، فإصابة بالتهقرس مثلا اذا عوج بالبخار الساخن يعرق بكثرة وتلين أعصابه وتستريح مفاصله ، وهذا القسم من علاج البخار يسمى (الاستحمام التركي)

ومن كان يشكو حتى شديدة فليجرد من ملابسه ويلقى في الهواء الطلق تنزل الحرارة حالا ويشعر براحة جيدة وعند ما يحس بالبرد يلف في ثوب فيعرق حالا وتزول الحمى سريرا ، ولكن مائة على عادة هو على عكس ذلك تماما حتى اننا نمنع المريض من البقاء في الهواء الطلق ولو اراده بنفسه ونعلق عليه جميع أبواب تجربته ونوافذها ونغطي جميع جسده مع رأسه وأذنيه باللفظ والأغطية فتكون النتيجة ان المريض يجزع فيزداد ضعفا عن مقاومة مرضه . ينبغي أن نفهم أنه ان كان سبب الحمى شدة الحر فالعلاج بالهواء الذي ذكر آنفا غير مضر أصلا ويشعر بتأثيره حالا ، نعم يجب الاحتراس لئلا تأخذ المريض القشعريرة في الهواء الطلق فان كان لا يستطيع البقاء عاريا يجوز تغطيته جيدا بالبنار . إن تغيير الهواء علاج مفيد للحمى المزمنة وغيرها من الأمراض فالعادة العاتية التي جرت بتغيير الهواء ليست إلا عملا باصول العلاج الهوائى وكثيرا ما نغير محل اقتنا متوهين أن البيت الذي تعالده الأمراض محل الأرواح الشريرة ، هذا وهم محض

إن الأرواح الشريرة الحقيقية في مثل هذه الاحوال انما هي الهواء الفاسد في داخل البيت . إن تغيير البيت يتبعه تغيير الهواء وهذا هو الذى يدفع المرض . إن العلاقة بين الصحة والهواء قوية جدا حتى إن التغيير القليل له يؤثر حالا تأثيرا رديئا أو حسنا . يستطيع الاغنياء أن ينتقلوا الى أماكن بعيدة وأما الفقراء فكذلك يستطيعون الانتقال من قرية الى قرية ، أو الى الأقل من بيت الى بيت بل إن تغيير حجرة بالحجرة في البيت نفسه كثيرا ما ينفع المريض نفعاً محسوسا ولكن يجب مراعاة الاحوال ليكون للتغيير نفع حقيقى فالمرض الذى سببه الهواء الرطب مثلا لا يمكن علاجه بالانتقال الى محل رطب . وبما أن الناس لا يهتمون بمثل هذه الاستيطات البسيطة الاهتمام الكافى لذلك لا يجرى تغيير الهواء نفعاً في أكثر الأحيان

(الباب الثانى . العلاج بالماء)

إن الهواء غير منظور فنحن لا ندرك تأثيره الجيب ولكن عمل الماء وتأثيره الصحى يمكن ادراكه وفهمه بسهولة . يعرف جميع الناس شيئا من استعمال البخار وسيلة صحية فكثيرا ما نستعمله في الحيات ونعالج به وحده الصداع الشديد ، وكذلك المصاب بالوجع الروماتيزمى في المفاصل يشعر بالراحة السريعة عند استعمال البخار واتباعه استعمالا باردا ، والسائل والقروح لا تبرأ بمجرد وضع المرهم أو السحان عليها ولكنها تشفى تماما باستعمال البخار ، ثم إن الاستحمام الحار أو الاستحمام بالماء الحار يتبعه مباشرة الاستحمام البارد مفيد جدا فى التعب الشديد ، وكذلك النوم فى الهواء الطلق بعد الاستحمام البخارى يصحبه استعمال حمام بارد نافع جدا فى الأرق . إن الماء الساخن يصح استعماله دائما كبديل للبخار . واذا أصيب الانسان بوجع شديد فى بطنه يشبهه حالا تدفئة البطن بقينة مملوءة بماء مغلى توضع فوق قماش غليظ على البطن . واذا ما أريد التقيؤ يمكن ذلك بشرب كمية وافرة من الماء الساخن . إن الذين يشكون الامساك يستفيدون كثيرا بشرهم

كثرة من الماء الساخن إما وقت النوم في الليل أو بعد تنظيف الأسنان صباحاً مباشرة
أن سير (جوردن سبينج) قد عزي صحته الجيدة الى تقوده شرب كوباً من الماء الساخن يومياً قبل
النوم في الليل وبعد اليقظة صباحاً إن كثيراً من الناس لائنين معتهم إلا إذا شربوا الشاي صباحاً فيعتقون
حقاً أن الشاي هو الذي أحدث هذا التأثير مع ان الشاي وحده مضر في الحقيقة وإنما الذي أثر هذا التأثير
هو الماء الساخن في الشاي فهو الذي يلين المعدة ويزيل الامساك

قد اخترعت أرجوحة تستعمل عادة للاستحمام البخاري ولكنها ليست ضرورية جداً بل يصح أن
يوقد وابتور من الاسبريتو أو الفاز أو كالمون من الوقود أو الفحم تحت كرسى اعتيادي من الخيزران ويوضع فوق
الموقد قدر ملء بالماء مغلي بغطاء وينشر فوق الكرسي رداء أو ثياب بحيث تنزل أطرافه الى الأمام لتلق المريض
من حر النار ثم يقعد المريض على الكرسي ويلف في رداء أو ثياب وعند ذلك يرفع غطاء القدر بحيث يكون
المريض معرضاً للبخار الذي يتصاعد منه ، أما ما تعودناه من تغطية رأس المريض فهو احتياط غير ضروري
إذ حرارة البخار تساعد من طريق الجسم الى الرأس وتسبب عرقاً كثيراً في الوجه وإن كان المريض ضعيفاً
بجداً بحيث لا يستطيع القعود حينئذ يصح أن يجمع على سرير ذي فتحات وكرجات ولكن يمتنع أن لا يذهب
شيء من البخار سدى ، وكذلك كما لا يخفى يجب الاحتياط لئلا تصل النار ملابس المريض أو ثيابه ، وكذلك
تجب المراعاة التامة لحالة صحة المريض لأن استعمال البخار بدون مبالاة يخشى منه الخطر أيضاً . إن المريض
لا بد من أن يشعر بضعف بعد هذا الاستحمام البخاري ولكن ضعفه لا يلبث أن يزول . إن الأكثر من
استعمال البخار يضعف البنية على كل حال ولذلك لا ينبغي أن يستعمل إلا للضرورة شديدة والبخار كما يستعمل
للمجسد كماه كذلك يصح استعماله لجزء خاص منه ، فمثلاً إذا استعمل في الصداع فلا احتياج الى عرض سائر
الجسم له بل يوضع الرأس وحده فوق قدر صغير الفم ملء بماء فاتر ويلب عليه قماش ثم يستنشق البخار
بالأنف ليتساعد الى الرأس ، وإذا كانت المناخر مسدودة فهي تفتح بهذا العمل وهكذا ان تورم عضو من
الجسم فهو وحده يعرض للبخار

قليل من الناس يعرفون القيمة الصحية للماء البارد مع انه في الحقيقة أنفع في هذا الباب من الماء الساخن
ويمكن أن يستعمله حتى أضعف الناس بنية ، فالتلف بثوب مبلول بالماء البارد نافع جداً في الحلق والجدري
والأمراض الجلدية ويمكن لجميع الناس استعماله بدون أدنى خطر . إن السوار والوتر (جنون الحلق) يمكن
دفعه حالاً بلف ثوب مبلول في ثلج مذاب على الرأس ، والذين يشكون الامساك ينفعهم جداً لف ثوب مبلول
بثلج مذاب على البطن حين من الزمن . وكذلك يمكن منع كثرة الاحتمال في أكثر الأحيان بهذه الطريقة
نفسها . إن نزف الدم من أى عضو كان يمكن منعه باستعمال ثوب مبلول بماء بارد مثليج . وكذلك الرعاف
يمنع بصب الماء البارد فوق الرأس . إن أمراض الأنف والزكام والصداع يمكن معالجتها باستنشاق الماء
البارد من الأنف ويمكن استنشاقه بمنخر واحد بمنخر آخر أو يستنشق بمنخرين معاً ويخرج من الفم ،
ولا ضرر من وصول الماء الى المعدة إن كانت المناخر نظيفة ، إن هذه أحسن طريقة لجعل المناخر نظيفة دائماً
وأما الذين لا يستطيعون استنشاق الماء بالمناخر فيجوز لهم أن يستعملوا المحقن ولكنهم يتصمون بسى قليل كيفية
الاستنشاق بسهولة بل يجب على جميع الناس ان يتعلموها لأنها سهلة ونافعة جداً للصداع والرائحة الجيدة في
الأنف وكذلك لازالة الأوساخ في مجرى الأنف

يخاف كثير من الناس من استعمال المحقنة بل يزعم بعضهم أن الجسم يضعف به ولكن هذه المخاوف ليست
إلا وهمية ليس هناك طريقة للاسهال القوي أكثر تأثيراً من هذه الطريقة وقد ثبت نفعها العظيم في كثير
من الأمراض حيناً لم نجد غيرها من المعالجات ، ولا يجب فهي تظف الأحشاء تماماً وتمنع تراكم المواد السامة

لها ، إن الذين يأخذون من الأوجاع الروماتيزمية أو سوء الهضم أو الأوجاع من سوء حالة الأحشاء الصحية يبقون لهم أن يعتقدوا برطلين من الماء فيرون تأثيره السريع القوي ، قال أحد الكتاب في هذا الموضوع إنه كان يشكو مرة سوء هضم مزمن واستعمل جميع الأدوية سدى وعينها فحصل جسمه بذلك ، ولكن حقة الماء ردت إليه شهية الشفاء وسفت من ذلك في بضعة أيام حتى أن بعض الأمراض مثل اليرقان يمكن معالجتها باستعمال حقة الماء . إن الذي يستعمل الحقة أحيانا كثيرة يجب أن يستعمل الماء البارد لأن الماء الحار ربما يفسد البذبة بشداده . إن الدكتور الألماني (لويس كوهن) قد سلك أخيرا بعد التجارب المتوالية بأن العلاج المائي نافع في جميع الأمراض . وقد نالت كتبه في الموضوع قبولا عاما حتى أنها ترجمت إلى جميع لغات العالم تقريبا ومن جلتها بعض اللغات الهندية . قل هذا الدكتور : « إن البطن هو بيت الأدوية كلها فإذا كثرت الحرارة في البطن كثرة رائدة تثبت على الجسم في صورة الحمى والروماتيزم والقروح والنبش وغيرها من الأمراض إن منافع العلاج المائي قد عرفها قبل (كيوهن) بكثير أناس عديدون ولكنه هو أول من قال بأنه أصل مشترك لجميع الأمراض . لستنا مجبورين على أن نسلم بأن رائد كلها على علاتها ولكنه الحقيقة التي لا راء فيها هي أن أصوله وطرقه قد ثبتت نجاحها في كثير من الأمراض وإني أذكر لك مثالا واحدا من ثملة كثيرة قد اختبرتها بنفسى وذلك في مصاب بروماتيزم شديد جدا فقد حصل له الشفاء التام بطريقة (كيوهن) بعد أن خابت جميع المعالجات الأخرى »

قال الدكتور كيوهن : « إن حرارة البطن تزول باستعمال الماء البارد » وعلى ذلك أكد غسل البطن وما حوله من الأعضاء بماء بارد جدا . ولتسهيل الغسل قد اخترع نوعا خاصا من المغاسل من الصفيح ولكنها ليست بلازمة إذ قصاع الصفيح المعدنية الشكل في مقادير مختلفة لأناس مختلفي القامات التي تباع في أسواقنا تقوم مقامها تماما . يجب أن يملأ ثلاثة أرباع من القصعة بالماء البارد ويجلس فيها المريض بهيئة تبقى معها رجلاه وجسمه الأعلى خارج الماء ويبقى وسطه من الفخذ إلى مافوق البطن في داخله والأحسن أن تستند الرجلان على كرسي قصير ويجلس المريض في الماء عاريا بملء وان كان يحس بالبرد يغطي رجله وجسمه الأعلى برداء وإن لبس القميص فليبق القميص خارج الماء بالرة . يجب أن يكون هذا الغسل في مكان طلق حيث يكثر الهواء النقي والنور ثم يفرك بطنه بنفسه أو غيره بخرقه خشنة من خنس إلى ثلاثين دقيقة أو أكثر فيرى نفع هذه العملية حالا في أكثر الأحوال . ففي الروماتيزم مثلا يأخذ الرج في الخروج حالا في صورة الحشاء وغيره . أما في الحمى فتتزل الحرارة درجة أودرجتين وتنظف الأعضاء بهذه العملية تماما ويؤزل التعب وإن كان يشكو الأرق يحل محله النوم وإن كان الهنداس والارتحاء يأخذ مكانه البقطة والنشاط . لا تعجب من اختلاف النتائج لأنه ليس في الحقيقة أمرا عجيبا كما يظهر وذلك لأن قلة النوم وكثرته عليهما واحدة وكذلك الدوسنطاري والإمساك اللذان هما نتيجة لسوء الهضم يعالجان بنفس هذه الطريقة ، والبواسير المزمنة يمكن معالجتها أيضا بهذا الاستحمام مع ترتيب حسن في الغذاء ، والذين يشكون كثرة البصاق الدائم يجب أن يسرعوا حالا إلى هذا العلاج ، وكذلك المصابون بالضعف يتقوون بهذه الطريقة وقد عولج بها حتى الروماتيزم المزمن فشفي تماما وهو كذلك علاج مؤثر في النزف الدموي والصداع وقد قل عنه (كيوهن) أنه علاج ثمين حتى للسرطان والحامل التي تستحم بهذا الاستحمام بنظام تجد الوضع سهلا ، والحاصل أنه يمكن لجميع الناس بدون استثناء في العمر والجنس الاستفادة به . وهناك نوع آخر من الاستحمام يسمى (ويت . شيت . بك) وهو علاج نافع دائما للأمراض المختلفة وطريقته كما يأتي : « يوضع سرير أو كرسي يمكن نوم المريض فيه براحة نامة في هواء طلق وينشر فوقه نحو أربع بطانيات كبيرة بتدلى طرفها من جانبيه أو أكثر أو أقل حسب حالة الجو وتنشر فوقها ملاءتان يضاوان مغموستان في الماء البارد وتوضع المخذة تحت البطانيات

في طرف من السرير وعند ذلك يجرد المريض من ثيابه إلا أزاره سفيرا في وسطه إن كان برده وينام على الملاءتين مع بسط يديه حذاء جنبيه وعند ذلك تلف الملاءتان ومن فوقهما البطانيات على جسمه مع الاعتناء برفع الأطراف النازلة جهة الرجل حتى تغطيها جيدا ، وإن كان المريض متهربا للشمس يوضع ثوب مبادل فوق رأسه ووجهه مع ترك الأنف مكشورا دائما فيشعر المريض في أول الأمر ببعض القسوة وإنه لا يثبت أن يزول ويحمل معها الشعور بحرارة اليد فيبقى في هذه الحالة من خمس دقائق إلى ساعة أو أكثر ويهدأ بهدوء يتسبب الحرق من جسمه ويفرق هو في النوم في أكثر الأحوال ، وعقب خروجه من هذه الفاقت يجب أن يغتسل بالماء البارد وهذا علاج ناجع للجدرى والحمى والأمراض الجلدية مثل الجرب والقوباء والنفطات والسمامل حتى إن أقبح أنواع الحصبة والجدرى يشفى به تماما ويمكن لسائر الناس أن يتعلموا بسهولة استعمال (ويت . شيت . باك) بأنفسهم ويصفوه لغيرهم وهكذا يرون بأنفسهم تأثيره العجيب ، وبما أن الداس كله يقتل من الحميم إلى الملاءة السفلى الملائمة للبشرة يتمتع أن تستعمل ثانيا بدون غسلها جيدا في ماء فاتر لا احتياج إلى التكبير بأن الفائدة التامة من هذه الاستعمالات لا يمكن أن تحصل إلا بعد مراعاة الأصول التي ذكرت في أبواب الغذاء والرياضة وغيرها مراعاة تامة فإن كان المصاب بروماتيزم مثلا يستحم استحمام (كيوهن) أو استحمام (ويت . شيت . باك) ولكن يأكل غذاء رديئا ويعيش في هواء فاسد ويعرض عن رياسته فلا يزال أي فائدة من الاستحمام . إن المراعاة التامة لجميع قوانين الصحة هي التي تجعل العلاج المائي نافعا ناجحا بالريب والافلا .

﴿ الباب الثالث . العلاج بالتراب ﴾

نشرع الآن في بيان الخواص الصحية للتراب الذي نفعه أكبر من الماء في بعض الأحوال . لا ينبغي لنا أن نتعجب من خواصه لأن جسمنا نفسه مركب من عناصر أرضية وفلا نحن نستعمل التراب للتطهير فنغسل به الأرض لنزيل الروائح الخبيثة منها ونعطي به الأشياء المتعفنة لنفخ فساد الهواء وننظف به أيدينا ، وكذلك نستعمله لتنظيف أواني المراحيض . إن رهبان الهندوس يلطخون به أجسادهم ويعالج به بعض الناس القروح والبثور وتدفن الأموات فيه لئلا يفسد الجؤ . كل هذا يثبت جليا أن في التراب كثيرا من الخواص القيمة للتطهير والعلاج . وكما أن الدكتور (كيوهن) بذل جهده الخاص في موضوع العلاج المائي كذلك الدكتور الألماني الآخر قد تفرغ لدرس التراب وخواصه وقد توسع حتى قال بأن التراب يمكن استعماله بنجاح في معالجة جميع الأمراض حتى أشدها وأعقدها . وقد حكى عنه أنه قال ﴿ لسع أسنان رجلا فيئس الناس من حياته ولكنني داريته بأن واريته في التراب مدة من الزمن فرأى السم من جسمه وشفى تماما ﴾

ليس لنا أن نطعن في صدق الدكتور لأننا نعلم أن حرارة شديدة تتولد في الجسم إذا دفن الإنسان في الأرض وأنا وإن كنا لا نستطيع بيان تولد التأثير تماما لا يمكن أن ننكر أن في التراب خاصية جذب السم . أجل قد لا تنجح هذه الطريقة في كل حادثة للمسوع ولكن يجب حتما تجربتها في كل حادثة وأنا أستطيع أن أقول بتجربتي الشخصية أن استعمال الطين في مثل حوادث لدغ العقرب نافع جدا

قد جربت بنفسى الأشكال الآتية للعلاج الترابي ونجحت فيها ، فالإمسالك والدوسنطاريا ووجع المفاصل المتأصل قد عالجته باستعمال لبخة من الطين فوق البطن يوميا مدة يومين أو ثلاثة أيام وقد تحقق النفع العاجل في حوادث الصداع باستعمال ضمادة طينية تشد على الرأس ، وكذلك قد عولجت العيون المتورجة بنفس هذه الطريقة فشفيت . إن الإصابات سواء كانت متورمة أو غير متورمة تعالج كذلك بها ، وإن قد كنت في حياتي الماضية السوداء لا أسترخ بدون المواظبة على استعمال ملح الفاكهة (فروت سالت) وماشاكه من المسهلات ولكنني منذ علمت في سنة ١٩٠٤ قيمة العلاج الترابي لم أستعمل أي مسهل ولا مرة واحدة إلى الآن

إن لبخة طينية فوق البطن والرأس تنفع كثيرا في الحمى الشديدة وأن الأمراض الجلدية مثل الدمل والقروح والقوباء والحرق بالنار أو الماء الحار قد عولجت بالطين أيضا إلا أن القروح المتقيحة ذات الصديد لا تشفى به بسهولة وكذلك البواسير تعالج بنفس هذا العلاج ، وإذا اجرت الأيدي والأقدام وتورمت بسبب البرد فالطين علاج نافع جدا لها وكذلك وجع المفاصل يزول به ، فهذه وغيرها من التجارب في العلاج الترابي قد علمت أن التراب عنصر مفيد للعلاج البيتي للأمراض

نعم إن جميع أنواع التراب ليست نافعة على سواء ، فالتراب الجاف الذي سقر في مكان نظيف يكون أنفع بكثير من غيره . لا ينبغي أن يكون التراب لزجا جدا بل أحسنه ما كان بين الرمل والألمس ويجب أن يكون خاليا من الروث والقذرة فيصفى جيدا في غربال نقيس ويحجن بماء بارد عجنا جيدا قبل الاستعمال ثم يربط في قماش نظيف غير مكوى ويستعمل كلبخة غليظة ، ويجب رفعها قبل أن يأخذ الطين في اليبس وهو لا يتجفف في الأحوال العادية من ساعتين إلى ثلاث ساعات . إن الطين الذي استعمل مرة لا يستعمل بعد ذلك أبدا ولكن الثوب المستعمل يصبح استعماله ثانيا بعد أن يغسل جيدا ليتنظف من الدم وغيره من المواد الوسخة وإذا أريد استعمال اللبخة على البطن يوضع فوقه قماش دافئ ، يجب على جميع الناس أن يبقوا عندهم صفيحة من التراب المجهز للاستعمال لئلا يضطروا إلى البحث عنه هنا وهناك عند الحاجة إليه وربما تقوت الفرصة في حوادث مثل لدغ العقرب التي يؤدي التأخير فيها إلى خطر شديد

﴿ الباب الرابع . الحمى وعلاجها ﴾

لننظر الآن في بعض الأمراض الخاصة ونبحث في طرق علاجها وأولها الحمى . نحن نطلق كلمة (الحمى) على حالة للحرارة في الجسم غير أن أطباء الأفرنج قد نوعوا هذا الداء على أنواع كثيرة وخصصوا لكل منها علاجاً ولكننا نظراً للخطة التي سلكناها في هذا الكتاب والاصول التي دوناها فيه نقول إن أنواع الحمى كلها يمكن معالجتها بعلاج واحد وبطريقة واحدة . لقد جربت هذا العلاج الساذج في جميع أنواع الحمى من أخفها إلى أشدها مثل الطاعون العدوى وحصلت على نتائج حسنة عاتمة فقد انتشر هذا الطاعون سنة ١٩٠٤ بين الهنود في أفريقية الجنوبية وقد كان فظيحا للغاية حتى إن (٢٣) إصابة حدثت قدمات بها (٢١) نفساً خلال (٢٤) ساعة . أما الاثنان اللذان بقيا فقد أرسلا إلى المستشفى ولكن لم يسلم منهما إلا واحد وقد كان هذا الناجي هو ذلك الذي استعملت له اللبخة الطينية . نعم ليس لنا أن نستنتج من ذلك بأن هذه اللبخة هي التي شفته ولكن مما لا شك فيه أنها لم تضره أي ضرر . كلاهما كانا مصابين بحمى شديدة كان سببها التهاب الرئوى وكانا قد أغشى عليهما وكان الرجل الذي استعملت عليه اللبخة الطينية في أخطار الأحوال فكان يصبغ الدم وعلمت بعد ذلك من الدكتور بأنه كان لا يغذى إلا بلبن قليل جدا

وبما أن أكثر أنواع الحمى تكون نتيجة للارتباك في الأحشاء فأول ما ينبغي عمله هو تجويع المريض والقول بأن الضعيف يزداد ضعفاً بالتجويع وهم باطل إذ علمنا بما تقدم أن الجزء الذي ينفع من الغذاء إنما هو ذلك الذي يتحلل في الدم . وأما الباقي فيبقى حلا على المعدة . وبما أن القوى الهاضمة تضعف جدا في الحمى لذلك يتوسخ اللسان وتتصلب الشفاه وتجب فإن أعطي المريض طعاما في هذه الحالة فلا ينضم ويزيد الحمى ، ولكن التجويع يعطي القوى الهاضمة وقتاً لاتمام أعمالها ولذلك فإن تجويع المريض ليوم أو يومين ضروري . وكذلك يجب عليه في الوقت نفسه أن يستحم كل يوم على الأقل مرتين على طريقة (كيوهن) فإن كان ضعيفا أو مريضا إلى درجة لا يستطيع فيها الاستحمام يجب أن يستعمل على بطنه اللبخة الطينية وإن يشتك الرأس كبيرا أو يحس بحرارة شديدة تستعمل اللبخة على رأسه أيضا ومهما أمكن ينبغي أن ينوم المريض في الهواء الطلق ويقطى جيدا ويعطى وقت الطعام عصير الليمون بهدأً ينصف جيدا ويمزج بماء بارد أو مفلى حار

ولا يخطأ معه السكر ما أمكن . إن هذا النصير يؤثر تأثيرا نافعا جدا و يقدم وحده للمريض إن كانت أسنانه تعمل حوصته ويجوز بعد ذلك أن يقدم اليه نصف موزة أو موزة كاملة بعد أن تمنح جيدا بملقعة من زيت الزيتون و بملقعة من عصير الليمون وإن كان المريض يعس بالعنث فيعطى ماء مغليا مبردا ولا يسمح له بشرب ماء غير مقلى ويجب أن تكون ملابس المريض خفيفة وتغير كثيرا

وقد شفى بهذا العلاج السهل محمومون كثيرون حتى الذين أصيبوا بالحمى التيفودية وأمثالها من الأمراض الخطيرة وهم يمتنعون الى الآن بصحة نامة . إن (السكينا) كذلك تؤثر وتنفع بأدى الرأى ولكنها فى النتيجة تجلب أمراضا أخرى حتى إن الحمى الملاريا التى تعتبر فيها السكينا نافعة جدا قلما رأيتها تعطى شفاء دائما ولكنى بالعمكس رأيت حوادث مختلفة فى المصابين بالملاريا قد شفوا شفاء دائما بالعلاج الذى ذكر آنفا

يقصر كثير من الناس على اللبن وحده أثناء الحمى ولكنى وجدته بتجربى مضرا فى الدرجات الأولية من الحمى لأنه عسر الهضم فإن كان لابد من اللبن فالأحسن أن يكون مخلوطا بقهوة القمح أو بقليل من دقيق الرز المخلى جيدا بالماء ولكن لا يصح أبدا أن يعطاه فى الحمى الشديدة بل ينفع فى مثل هذه الحالة عصير الليمون نفعا كبيرا فإذا زالت الحمى وتنظف اللسان يصح أن يزداد الموز فى الغذاء على الطريقة المبينة آنفا وإن كان هناك إمساك خففة من الماء الساخن والبورق (لزاق الذهب) عوضا عن المسهل يصحبها غذاء زيت الزيتون لتنظف البطن جيدا

﴿ الباب الخامس . الإمساك والسوسنطاريا والمفص والبواسير ﴾

يبدو لأول وهلة ذكر هذه الأمراض الأربعة المختلفة فى باب واحد عجيبا ولكن الحقيقة أنها كلها مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا شديدا ويمكن معالجتها تقريرا بطريقة واحدة لأنها إذا انضطت المعدة بغذاء غير مهضوم سببت مرضا من هذه الأمراض حسب استعداد الرجل واختلاف بنيتة فيحدث عند بعضهم الإمساك فلا تتحرك المعدة مطلقا أو تتحرك بعض التحرك أو يحدث وجع شديد عند قضاء الحاجة حتى أنه ينتج نزيف الدم أو المادة المخاطية أو البواسير ويحدث لبعضهم الاسهال الذى كثيرا ما ينتهى بالسوسنطاريا ويحدث لبعضهم المفص المعوى الشديد مصحوبا بالوجع فى البطن والمادة المخاطية فى البراز ، وفى جميع هذه الحوادث يقهى المريض أى يفقد شهوة الطعام ويصفر جسمه وتضعف بنيتة ويتوسخ لسانه ويتعفن نفسه ، وكذلك يتذى كثير من الناس بالصداع وغيره من الأمراض . إن الإمساك عام جدا حتى إن المئات من الحبوب والمسحوقات قد أوجدت لمعالجته . إن الوظيفة الأصلية لمثل هذه الأدوية المسجلة مثل ملح الفاكهة (فروت سالت) إزالة الإمساك ، ولذا ترى ألوفا من الناس يحرون وراءها فى رجاء باطل لينالوا فيه الشفاء . كل طبيب يخبرك بأن الإمساك وماشاكله من الأمراض إنما هو نتيجة لسوء الهضم فأحسن طريقة لمعالجتها هى إزالة سبب سوء الهضم وقد صرح أصدقهم قولا بأنهم قد اضطروا الى اختراع هذه الحبوب والمسحوقات لأن المرضى لا يتركون عاداتهم القبيحة التى ألفوها وفى الوقت نفسه يريدون الشفاء

إن أرباب الاعلانات عن هذه الأدوية يبالغون بمبالغة عظيمة حتى أنهم يعدون الذين يشترونها بأنهم لا يحتاجون الى مراعاة أى أصل من أصول الغذاء والوقاية بل يجوز لهم أن يأكلوا ويشربوا ما يحبون اذا استعملوا أدويتهم ، وأظن أن قرائى لا يحتاجون الى التذكير بأن هذا كذب محض . إن جميع أنواع المسهل حتى أكثرها اعتدالا مضررة بالصحة لأنها وإن أزال الإمساك ونفعت نفعا بالجملة تحدث أوعا أخرى من الأمراض فيجب على المريض أن يغير طرق معيشته تماما حتى لا يضطر الى المسهل مرة أخرى فيقع فى مرض جديد . إن أول ما يجب عمله فى حالة الإمساك وأمثاله من الأمراض هو تقليل الغذاء لاسيما السمن والسكر والقشدة وماشاكلها والاحتراز التام من الحر والدخان والحشيش والشاى والقهوة والكافور والخبز المصنوع من

دقيق المطاحن وأن يحتوى الغذاء في أكثر أجزائه على ثمار طرية مع زيت الزيتون يجب ان يجوع المريض قبل البدء في العلاج (٣٧) ساعة وتستعمل أثناء هذا وبعد البسطة الطينية على البطن أثناء النوم ويستحم المريض كما ذكرنا مرة أو مرتين كل يوم على طريقة (كيوهن) ويجب أن يكره المريض على المشي على الأقل ساعتين كل يوم . لقد رأيت بنفسى أشد حوادث الإمساك والبواسير والبرص والمغص قد شفيت تماما بهذا العلاج السهل . لاشك أن البواسير لا تزول كلية ولكنه يبطل أذاها حتما . ثم انه يجب على المصاب بالمغص أن يحتاط فلا يأكل شيئا غير عصير الليمون في ماء حار حتى يبطل نزيف الدم أو الحاطية وإن كان وجع المغص شديدا جدا في المعدة يمكن معالجته بتسدفئة البطن بقرورة من ماء ساخن أو باجر ساخن جدا ، ولا احتياج الى التنبيه بأن المريض يجب أن يعيش في هواء طلق إن الثمار مثل البرقوق والزبيب والبرتقال والعنب نافعة خاصة في الإمساك لكن ليس معنى ذلك انها تؤكل حتى بدون الجوع ولا يجوز تناولها أصلا في حال المغص الذي يصعبه طعام رديء في الفم انتهى بالحرف

﴿ فوائد صحية عامة ﴾

(من كتاب ويلسكوكس في الطب)

- (١) حسن المضغ يمنع البواسير ، وفيه فوائد كثيرة ويكفي الانسان نصف ما يأكله عادة
- (٢) تحديد مواعيد الأكل يمنع الإمساك
- (٣) كل من غير أن تشرب واشرب من غير أن تأكل . إن الأكل من غير شرب عدو الإمساك فلتشرب بعد الأكل بساعتين أو ثلاث أو أربع باختلاف الأحوال ولك أن تشرب قبل الأكل ساعة أو بنصف ساعة
- (٤) كل بمقدار طاقتك
- (٥) يجب تنظيف المعدة بدون دواء كل سنة لأكثر الناس مرة أو مرتين وذلك بصيام (٤) أو (٧) أو (١٠) أو (١٣) يوما فلا يشرب إلا عصير الفواكه مثل البرتقال والليمون والعنب مع الماء ، ولتين الشوكي ينظف المعدة اذا أكلته صباحا قبل كل أكل
- (٦) لا تشغل عقب الأكل والاكنت مهوؤا للإمساك
- (٧) اذا مشيت كيلومترين قبل النوم فهو يمنع الإمساك
- (٨) لا تأكل الفواكه قبل نضجها ولا الخضراوات البائنة وامتنع عن الفطير والسكر الأبيض والحلويات ومتى كان عندك إمساك لا تعاط إلا عصير الليمون والبرتقال
- (٩) كل طيبخ طبع مرتين تضعي قوته تقريبا
- (١٠) هذه الفواكه صلبة حسب منفعتها (البرتقال ، اليوسف أفندي ، الليمون الافرنجى والبلدى والتين ، والتفاح ، والعنب ، والكمثرى ، والبرقوق ، والخوخ ، والمان ، والفراولة ، والبطيخ ، والشمام ، والجوافه) كل هذه الفواكه وكل كل قشرها الذي تقدر عليه ثم الزبيب المنقوع في الماء عشر ساعات يقوم مقام العنب

(١١) اذا كان طفل عنده جرب فليعط عصير البرتقال كل يوم فانه يبرأ ، وقد ظهر للأطباء قوى ثلاثة عليها مدار الحياة قوة (أ) و (ب) و (ج) فقوة (ج) تساعد الهضم وتمنع الجرب وتحرس النعم وتنظفه وهي ﴿ أربع درجات ﴾ الدرجة الأولى ﴿ البرتقال ، الليمون ، الطماطم ، كل الخضراوات الخضراء بورقها الأخضر ﴾ الدرجة الثانية ﴿ البصل ، الجزر ، الكبدية النية ، ورق الفجل ﴾ الدرجة الثالثة ﴿ بقى الفواكه تقريبا والخضراوات الخضراء المطبوخة مدة قصيرة والبطاطس المسلوقة واللبن الحليب الذي لم يغل والكبدية المطبوخة مدة قصيرة ﴾ الدرجة الرابعة ﴿ اللفت الأبيض البنجر . وأما قوة (ب) فهي ﴿ ثلاث درجات ﴾ الدرجة

الأولى في الحيرة والسِّن الذي في القميص (الدرجة الثانية) العُندس ، الفول ، البسلة ، الدقيق بحاله أى مع الرِّدة والسِّن ، ومعنى هذا أنه لا يدخل والجوز وصفار البيض والكبد والقلب والمعدة والسكبة والمغخ . وقوة (أ) تنفع من ضعف الأسنان (كما أن قوة (ب) تساعد في منع مرض (البري بري) الذي ينتج من أكل الرز المقشور وقوة (ج) تساعد على الهضم وتمنع الجرب وتحفظ الدم ونظافته كما أنه وهى (أربع درجات للدرجة الأولى) زيت كبد السمك (الدرجة الثانية) بطارخ السمك ، الزبدة ، صفار البيض (الدرجة الثالثة) السكبة ، السكبة ، قلب الحيوان ، النعنع الطازج ، اللبن الحليب ، جميع الخضراوات ، الجزر ، الطماطم (الدرجة الرابعة) جميع أنواع السمك من الدقيق الذى لم يدخل أى ، لم يخرج منه النخالة ولا السِّن (جدول لأدوية طبيعية)

مرض	دواء طبيعى
السكبة	أكل البقدونس ، كشك الماز ، فجل
الأعصاب	أكل الخس والسبانخ
مرض الرجرج	أكل الطماطم والليمون
لأجل حصول الشجاعة	أكل البرتقال والليمون

(لطيفة في إزالة سوء الهضم)

ابتدى بتنظيف المعدة ثم كل من غير أن تشرب الخضراوات المطبوخة مثل (السبانخ ، الخس ، الجزر ، البصل ، الكرفس ، الكرنب ، البامية ، الباذنجان ، الخبزة ، الملوخية ، أوكل الخضراوات التى لم تطبخ وإذا كانت أسنانك ضيقة يجب أن تدقها فى (هاون) وهى (الخس ، الكرفس ، الطماطم ، الكرنب ، الفجل ، الخيار) خصوصا قشره وأعصر عليها زيتا مع ليمون ، أوكل فواكه مثل (البرتقال ، التين ، الرمان ، العنب ، البرقوق المسلوقة مدة قليلة ، التفاح المحمر) فهذه تبعد عنك سوء الهضم ، انتهى ما ردته من الفوائد الطيبة

فقال صاحبي ، أهذا كتاب طب حتى أنك تسأله من هذه المسائل . فقلت ليس كتاب طب وإنما هو كتاب الله تعالى والله يقول على لسان نبي من أنبيائه - وأمرضت فهو يشفين - فقله - فهو يشفين - جلة اسمية خبرها فعل مضارع تقتضى الثبات والدوام مع التجدد كقولك - هو يحيى ويميت - فهنا استفيد (فائدتين) فائدة الطب العملى ينتفع به قارئ التفسير وفائدة علمية حكمية . ألا ترى رعاك الله أن الأذكاء يدهشون حينما يقرؤون فى هذا التفسير أن السكبة فى جسم الإنسان إذا مرضت قد زرع الله لها فى حقولنا البقدونس والفجل وأهم الناس فصنعوا لها الكشك . وأن أعصابنا إذا مرضت خلق الله لها الخس والسبانخ وأن نفوسنا إذا أصابها الخور والجبن والخوف ذهب ذلك بما أنبتته هو لها فى الأرض من شجر البرتقال والليمون وأن مرض الرجرج أنبت الله له الطماطم والليمون . وأن مرض الجرب ومرض الامساك وعدم نظافة الدم ينفعها كلها أكل مافى قوة (ج) من الأطعمة مثل الطماطم والجزر وهكذا . وأن مرض الأسنان يزول بأكل مافى قوة (ب) وأن الجير الذى يشفى الجروح ويفيدى العظم يوجد فى الكرنب واللبن والجبن التى لم ينزع زبدتها والسبانخ والبصل والشمس والتين والبرقوق والطماطم والكرفس والبامية والرِّدة وأن المغنسيوم الذى يساعد الفضلات ويمنع الفتق موجود فى السبانخ والخس والخيار والطماطم والبرتقال والشمير والذرة والقمح والليمون والتين والبامية . وأن السكرى الذى ينظف الدم وهو عدو الروماتيزم موجود فى السبانخ والقرنبيط واللفت والفجل الأحمر والطماطم والقرلة وكشك الماز والجزر والكرنب والبصل والبامية . وأن الفوسفور

الذى يغذى المخ موجود في السمك والخس وصفار البيض والسبانخ والكشك (الماز) والفجل والقنبيط والخيار
والجوز والبسلة والعنبر والقمح . وأن الحديد الذى يعطى الدم حرته ويمنع فقر الدم موجود في الكرنب
الأحمر والسبانخ والبصل والزبيب وصفار البيض النيء والتمر والبرقوق والبنجر وكشك (الماز) والطماطم .
وأن الكنورين المساعد للهضم المنظف للعدة موجود في الكرنب وملح البحر والجزر والسبانخ والبنين وسمك
البحر المالح والفجل والجبنه وجوز الهند والبنجر

وأن كبار الأطباء كما جاء في ﴿ بحلة الجديد ﴾ يقررون أن مخ الانسان تعلمه طبقة خضراء رقيقة هي
وحدها مصدر تفكيره وهي تتجدد في كل ست سنوات وتكون في كل مرة مخالفة من حيث طبيعة مادتها
لطبقة السابقة ، وذلك لعدة عوامل أهمها اختلاف الغذاء ، فإذا كان الشخص مثلاً قد وجدت عنده رغبة
وقية في أن يكثر من أكل الجزر فإن الخلايا التى تتكون في الدهن تكون (فوسفورية) وتتكون صالحة
للتفكير وتكون على العكس من ذلك إذا أكثر من أكل الخوخ . وإذا استمر الانسان مدة ثلاثة
شهورياً كل التفاح كان ذلك منتجا لخلايا قوة التفكير . ويعرف « الشليك » بأنه من أحسن أنواع الأغذية
في هذا الشأن . وعلى ذلك يكون الدهن متغيراً حسب الفصول وما ينتج فيها من الثمار والحبوب (وأحسن
أوضاع خلاياه ما كان في شهر ديسمبر أو مارس وأسوأها ما كان في أغسطس واکتوبر) وأن الدهن وإن
يكن يتغير بأجمه كل ست سنوات فالتغير الجزئى يحصل فيه من وقت لآخر وعلى ذلك يكون الدهن في كل حين
قصير بشكل جديد . ويقدر عدد هذه الأشكال التى تظهر في رأس انسان عاش ثلاثين عاماً نحو (١٨٠)
شكلاً أى (١٨٠) ذهنًا مختلفاً . وإذا كان هذا الشخص قد ابتداء يفكر وله من العمر (٥) سنوات فإن
مقدار ما عرض له من الأفكار التى اشتغل بها ذهنه يبلغ (١٩٢٠٠٠٠٠٠) فكرة . وإذا كان يشتغل
عملاً عقلياً فإن عدد فكرانه يكون ضعف ذلك . ويبلغ ذهن المرأة نحو (٥٠) أوقية وهو أخف من ذهن
الرجل واسكنه أجود من حيث المادة وأشد كثافة منه . ويمتاز ذهن المرأة في الستين من عمرها بنحو ٢٠
في المئة على ذهن رجل في سنه

وإنه ليس بين الثمار ما هو أعظم نفعا من الليمون فإن فوائده الكثيرة لا يمكن أن نقدر فإن في استعماله
اقتصاداً للوقت والمال وتخفيفاً للعمل والمشقة ولا يمكن أن يحصى ما يستعمل فيه من الأغراض . فإذا أريد
تنظيف المناديل وقطع النيل بوضع معها عند الغلي قطع من الليمون فإنها تصير بيضاء كأنها جديدة . وإذا
أريد أن يجلى النحاس بسرعة وأن يكت بريقه ولهاذه مدة طويلة فليحلك بخرقه مبتلة بعصير الليمون .
ويمكن أن ينظف به الرخام الأبيض إذا تغير لونه بتأثير الدخان أو غيره . وإذا أرادت ربة الدار أن تذهب من
يديها رائحة السمك التى بعد أن قامت بتنظيفه فلتستعمل الليمون بدلاً من الصابون . وإذا تأملت العين من
أثر الرمذ فليقطر فيها بعض نقط الليمون . وإذا ظهر في الوجه الشمس يمكن إزالته بشرب عصير الليمون في
كوب ماء في الصباح . وإذا ظهر اسوداد في الأسنان يمكن جعلها بيضاء إذا استعمل الفحم وعصير الليمون
وهكذا من الفوائد التى يطول سردها . انتهى والله أعلم

أقول لك أيها الذكي إذا قرأ هذا القول قراء هذا التفسير يدهشون ويعجبون ويقولون هذا الجير نراه
أماناً . وهأنذا في مصر أراه يستخرج من جبالنا وأصله وأصل جميع الجبال مخلوقات في البحر المالح يربى
هناك في أجيال ودهور فهذا الجير أدخله الله في نبات الكرنب والسبانخ والبصل والشمش والتين وهكذا الخ
وأعد هذه كلها للانسان وجعلها مضمدة لجراحه مقوية لعظامه . وهنا موضع الدهشة . بعض الجير يدخل
في البصل والشمش مثلاً وكلاهما يشقى الجروح ويقوى العظم . فهذا عجب . ماهذه العجائب . جير يدخل في
نبات يصلح جسم الانسان . إن العقلاء إذن يقولون إن الله مافرق في هذا الجير في أنواع النبات ثم أحوج

الانسان اليه إلا الأمر عجب وهو أن يدرس هذا الوجود . إذن هذه الأمراض خلقت فينا لنعلم . فمن اقتصر على مجرد علم الطب فيها ونعمت ، فالطبيب عالم والمريض يتداوى بماعلم الطبيب ولكن ليعلم الطبيب والمريض أنهما لم يخلقا هذه الدنيا وحدها فللمداواة الجسمية لهذه الحياة ولكن المداواة العقلية هي المقصودة بالذات وهي أن النفس تتفكر بهذه العلوم وتسعد وتتذكر جمال هذه الدنيا وأن الحكمة التي أبدعت الجير أولاً ثم استألت في ادخاله في النبات ثم أبدعت الانسان وألهمته أن يتداوى ويتغذى بتلك النباتات تريدنا شيئاً أعلى من هذه الحياة وهو أن نكون سادة هذه المادة وأن هذه المادة لوحنا نقرؤه وكتابنا نفهمه . إذن المداواة الجسمية مقدمة للمداواة العقلية . يمرّ الناس على هذه الجوانب ويحمدون ربهم انه قد شفاهم من أمراضهم والأطباء يرضحون بأنهم نجحوا في طبهم . إن الوقوف عند هذا حقارة لهذه الإنسانية في الأرض ، فليست هذا الانسان لم يخلق . إن الأمر العظيم . يمرّ الليل والنهار ونرى الكواكب ليلاً والنبات وغيره نهاراً وتعرض أجسامنا وتصح والفسفة مستحكمة في أكثر الناس ونرى الأمم تفرح بأنها غلبت أمماً أخرى والناس يسكاري وماهم يسكاري ولكن عذاب الله اليوم شديد . اشتدت الحرب على الأمم والمداواة والأمراض في الأجسام وكر الليل والنهار والناس كلهم غافلون . إنى أرى هذا الانسان محبوساً في هذه الأرض ويتخيل لى انهم كلهم يجلدون ويهذبون . ذلك لجهلهم ولقصور عقولهم ، فالليل والنهار يرجعان لعوالم جيلة والأمراض في الأجسام يراد بها فتح البصائر لما في الأرض من الجوانب

فلعمري أى مناسبة بين عصير البرتقال وبين الجرب ، فالذى عنده جرب يشرب هذا العصير فيذهب المرض وأى مناسبة بين نحو البرتقال والليمون والطعام وما أشبهها من كل أنواع قوّة (ج) وبين شفاء الجروح وكذلك ما العلاقة بينها وبين العين بحيث اذا قلت تلك القوّة مرضت العين وتعام قوّة (ج) يمنع مرض العين وهكذا تعاطى زيت كبد الحوت يشفى العين ، فما هذه المناسبات في البر والبحر لامين ولاجلد أقسم طنطواى قسماً حقاً لاحاثاً فيـه ولا أتأماً أن هذه كلها لغات أفصح من لغات الألسنة فالمرض لغته تفهم العناصر الأرضية وتذكرنا بها اجالا والنور والظلمات افتان لبحث الجوانب السماوية وهذا مما يرمز اليه قوله تعالى - يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فهذه الأمراض عذاب لنا ولسكنها من جهة أخرى رجة لأنها مذكرات لنا لنعلم هذه العوالم فترقى الى عوالم أخرى أرقى من هذه الأرض المبرعنها بالجنات فقله تعالى - فهو يشفين - معناه أن الأمراض تتجدد بتجدد الأجيال والنباتات وغيرها تتجدد بتجدد تلك الامراض وأنا الذى أدير الأفلاك وأنظر لكم فى أرضكم وأصالح أحوالكم وأصنع معكم صنع الأب الشفيق مع الابن الصغير أرى بكم بالخير وبالشر والناتج كلها أردت بها الخير . والدليل على ذلك أن الأسبانيين لما دخلوا بلاد أمريكا منذ نحو أربع قرون رأوهـم يحفرون حفراً ويضعون فيها حشيشة (التبغ) الذى يدخله الناس فى أفواههم فأصروا بقتل كل من فعل ذلك ثم وقع نفس الاسبانيين فى نفس الشرك ثم تقاوه الى أوروبا ومادخل التدخين أمة إلا قابله قسيسوها بالنكفير وسواها بالمنع ثم تغلب التبغ حتى هاجم بلاد الاسلام ودخل قلبها إذ ذاك وهى بلاد الترك سنة ٩٩٩ هجرية خرمها علماء الدين وقواها السوا فقلبت ودخلت بلاد الاسلام . إذن التبغ هاجم الأمم كلها واستحوذ عليها واستعمرها فأصبح الناس فى الشرق والغرب يدخنون لماذا ؟ لأن المتوحشين فى أمريكا كانوا يدخنون . فلعمري أى فرق بين الحيوانات التى ظهرت فى اللثة فانتشرت فى جميع الجسم وبين التدخين بالتبغ الذى ظهر فى القارة الجديدة فانتشر فى القارات كلها . إذن الإنسانية كلها جسم واحد ولن تنجو أمة من الذنب والعقاب فى هذه الدنيا إلا بمساعدة غيرها . اللهم إن الأمم كلها أشبه بجسم واحد فى الأرض كما أن عوالم السموات والأرض أشبه بحيوان واحد . وقد قام الدليل على أن العضو فى الجسم يمدى بقية الأعضاء والضعف فى أمة له أثر فى سائر الأمم وستكون الإنسانية بعد اليوم

أشرف من السانية اليوم وأرقى ولله عاقبة الامور

﴿ بهجة السلم والطيب ﴾

(محاورات طيمائوس الحكيم مع سقراط)

إن الله عز وجل قد أنعم بهذا التفسير وجعله معرضاً لآراء الأمم ، هاأنذا قد ذكرت لك آراء الأمم في علم الطب قديماً وحديثاً بحيث اصطفت اللب ونبتت اعشور وجعلت بآذن الله عذبا سائغاً شرابه صافياً فلا ذكر لك الآن محاورات طيمائوس الحكيم مع سقراط وهي المحاورات الموسومة بطيمائوس ذلك انه لماور سقراط فبحث معه في السماء ونظامها وجمالها وأبان أن العالم حادث وأنه جميل وأنه نسخة لما هو أبجل منه وهي عوالم جوهرية ارفع من المادة ، وذكر أن صانع هذا العالم إنما صنعه لأنه جواد ولولم يصنعه لم يتصف بهذا الوصف وأنه عمد الى المادة المضطربة فنظمها وجعلها متزنة مهندسة وأن هذا العالم كله أشبه بحيوان له عقل عام يديره وله نفس وله مادة ، فالعقل العام لا يتصرف في المادة إلا بنفس تكون واسطة بينهما . وذكر الأيام والليالي فأبان أنهما من صنع خالق العالم وبهما يحصل الزمان ولا زمان بالنسبة لصانع العالم بل الزمان مقياس لنا فلما مضى والمستقبل والحال لنا نحن أما الله فلا يحكم عليه زمان لأنه هو محدث الزمان ، ويقول أيضاً ان هذه السكواكب كلها منظمة بعقول تدبرها مستديلاً بالنظام السكامل في دوراتها وأن السكواكب والعقول القائمة بها قد حدثوا بعد العدم . ويقول إن الأرواح الانسانية بينها وبين الأرواح التي تدبر السكواكب (وهي بلفظة الشرع ملائكة) مناسبة فكما تدبر أجسامنا عقول هكذا السكواكب تدبرها نفوس كبيرة . وذكر أن الله جمع الأرواح الانسانية وشرح لها العوالم قبل نزولها الأجسام وأبان لها الآثار التي تحصل لها اذا اتسلت بالأجسام . وأن من اتبع الشهوات فانه يرجع بعد الموت الى أسوأ حال ومتى عدلت في الأرض رجعت الى حال أرقى وتسكن الأماكن الشريفة في العالم العاوى . وبين أن البصر إنما خلق فيما يعرف به الليل والنهار وبهذا نعرف الزمان ونتجه الى الحكمة والفلسفة وهما أعظم نعمة من الله . ثم ذكر المادة بمسب زمانهم وانها عناصر أربعة الخ وأن ذكر العناصر لا معنى له لأنها كلها أمر واحد غير الظاهر فهي أمر غائب عن الحس يظهر في صور هذه العناصر إذن المادة في أصلها لا صورة لها . ثم ذكر اللذة والألم وأن المادة عبارة عن مثلثات تتركب منها أشكال هندسية بسيطة وياجتماعها تكون النش واللين والبارد والحر والمؤلم والذي يحدث اللذة فالاختلاف في الأشكال يوجب الاختلاف في التأثير في أجسامنا فالتأثير الملائم لطبعنا به تكون اللذة والتأثير الذي لا يلائم طبعنا يكون به الألم وإن كان متوسطاً لم يكن ألم ولا لذة . ثم تكلم عن الجسم الانساني وهو الذي سقنا لأجله السكلام هنا لأننا في السكلام على صحته ومرضه بمناسبة الآية ولم أذكر ما تقدم إلا كالمقدمة لينشط الأذكاء للقراءة وليفرحوا بما يسمعون من العلم والحكمة وليزدادوا علماً بما جاء من الطب المجل في كلامه . ثم قال بالحرف الواحد وشرع بعد ذلك في السكلام على تصوير الانسان على يد (الملائكة حسبما أمر به الله) فقال انهم تسلموا من الله النفس الأرية التي خلقها للإنسان وأطلقوا بها نفساً مائة جملوا مركزها في الصدر . أما الجزء الغضبي منها ففي أعلى الصدر . وأما الجزء الشهواني منها ففي أسفل البطن ثم صوروا بقية البدن بقافية الانقان نظراً الى مصالح النفس وما تحتاجه من الخدمة حتى تكون جميع أجزاء البدن متصلة بالروح مستعدة لقبول أوامره . ثم بين مدفع جميع الأجزاء جزءاً جزءاً وكيفية منفعتها ثم تصوير العروق وتفرعها من الرأس الى أقاصى البدن كما تتفرع السواقي في البسائين لحمل الدم المركب من أجزاء الأغذية وتوصيله الى الأعضاء والمفاصل لتختلف ما تحلل منها . قال فإذا كان ما تحلل زائداً على ما يتحلله الغذاء فإن الحيوان ينقص ويذبل وإذا زاد الغذاء على ما تحلل من الحيوان فقد ينمو البدن ومنه يتبين نمو الحيوان في شبابه ثم تناقصه شيئاً فشيئاً في الشيخوخة والمرض

الى أن ينتهى ذلك به الى الموت . وشرع في بيان الأمراض البدنية وأمراض النفس وهي تابعة للأمراض البدنية وقسمها في ثلاثة أقسام : منها ما يتبع افراط المذاقة والألم المؤثر في الفكر ، ومنها ما سببه افراط المزاولة والبلغم والاختلاط إذ بها يتسطل سريان النفس في البدن فيكون سببا لسوء الخلق والتهور والجبن وسوء القريحة والنسيان . وحاصل ما آل اليه كلامه أن الشر غير اختياري وأن له ﴿ علتين ﴾ العلة الأولى : فساد المزاج ﴿ والثانية ﴾ سوء التأديب ، فالشرير كالمريض يستحق الشفاق عليه والعلاج لأن أغلب ما يستتريه من أسباب خارجة عن قدرته . قال واذا سأل سائل عما ينبغي فعله لتدارك الأمراض وحفظ الصحة للبدن والنفس مما فالجواب أنه لا طريق الى ذلك إلا الحفظ للمعادلة بين البدن والنفس فان النفس اذا كانت مفرطة القوة في بدن ضعيف لا تصير على محبته ولا تزال مضطربة فيه لتجهده وتملؤه أمراضا ، وبالعكس اذا غلب البدن على النفس فان العقل يجمد ويفتر ويهجز عن أعماله ، فالقاعدة أن نروض البدن والنفس معا ، أما البدن فبأنواع الرياضة والحركة البدنية ، وأما النفس فبالموسيقى وبإعطاء كل من أجزائها أى النفس العقلية والفضية والشهوانية ما يناسبها من الحركة والرياضة حتى تبقى كل واحدة منها على ما اختصت به من العمل وتكون النفس العقلية الأزلية رئيسة على الجميع كما يوافي شرفها . وأشار في آخر المحاضرة الى منشأ الحيوان وذكر ما كانوا يعتقدونه في زمانهم (وهو يخالف الاسلام وهو أيضا لا دليل عليه) فقال ان الحيوانات كانوا من البشر فعوقبوا وردوا الى رتبة أدنى مما كانوا عليها لما اقترفوه من الذنوب . أما النساء فقد كانت من قبل رجلا أظهرن في سيرتهم الجبن والبطور فأنحطوا عن رتبتهم السابقة . وأما السواب الأرضية فهي مما كان مدة حياته مستغرا شهوانته والحيوانات فاضلها ممن كان في حياته قد استعبد لأخس الشهوات وأدناها ففسخوا الى أصم الخلائق وأنقصها عقلا

ثم ختم المحاضرة بأن قال ، وليكن هذا آخر كلامنا عن العالم ، وقد كانت هذه صورة تركيب هذا العالم المحتوى على الحيوانات المائنة وغير المائنة وهو الحيوان المرئي المحتوى على جميع الحيوانات المرئية وهو إلى محسوس على مثال الإله المعلوم (أقول وهذه الجملة لا تجوز في ديننا والتعبير بها كفر ولكن هم كانوا قبل النبوة فأرادوا بذلك أن هذه العوالم ظهرت فيها آثار القدرة الدالة على الجلال الإلهي ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان الحكمة والعلم والقدرة ظهرت آثارها في هذا العالم المجسم فالظاهر لنا من العوالم عنوان الله الذي اختفى عن أبصارنا وظهر لبصائرنا بتلك الجوانب) ثم قال عن العالم ﴿ فهو السماء الرحيسد المنفرد والطبيعة ذو العظم والحسن والجمال الوافر الكامل من جميع الجهات ﴾ انتهى تلخيص كلام طيماوس

هذا كله نقله من كتاب الأستاذ (سنتلانه) وهو مترجمه من اليونانية الى اللغة العربية وبذلت جهدي في أن أمنع الألفاظ المنوطة شرعا أو أنه كفر وأشرحها اه

﴿ هذه تذكرة ما جرى به في حياتي من الأعمال الطبية ﴾

قبل أن أختتم تفسير هذه الآية وهي قوله تعالى - الذي خلقني فهو يهدين - الى قوله - واذا مرضت فهو يشفين - بما عالجته به نفسي لاسيما في أيام الكبر ليكون تبصرة لأحبابي قراء هذا التفسير فاني من إبان صغري وجدت في نفسي ميلا قويا الى رقي الأمم الاسلامية وهذا الميل ازداد بازدياد سني

لقد ذكرت في مواضع كثيرة من هذا التفسير وغيره اني نشأت في قرية كفر عوض الله حجازي من بلاد الشرقية واعتزاني في نحو العشرين من سني حياتي مرض جسمي رشك في هذا العالم وفي الصانع فكنت موجهة قلبي الى ﴿ أمرين ﴾ صحة جسمي وهداية نفسي فالأول بالطب والثاني بالعلم وكنت أسأل كل من أتوسم فيه الافادة ولم أجد وسيلة خيرا من توجه النفس الى مبدع هذا العالم فلا أقصر القول على امر الطب لأنني الآن في صدد الكلام عليه . أقول أخذت إذ ذاك أمتنع شرب الماء مع الطعام وعقبه وأقلل الطعام وتأخير

ما هو أطف وأتهدى الأمر بالشفاء . ثم أتى لما بلغت الستين بدا لي أن أترك اللحم بتاتا لما رأيت في الكتب الطبية ذمه وقد كان مرض الروماتزم ملازما لي فتناقص هذا المرض الى أدنى حد ولستكنى كنت أجده أترا باقيا يخفى تارة ويظهر أخرى وذلك أتى كنت آكل الخضراوات المطبوخة أتى طبخت في سرق اللحم فكنت أعطاه مع أسرتي بالمزول في سرقه ، ثم لما قرأت في العلم الماضي كلام العلامة (غاندى) المصالح الهندى الذى حدثتكم أيها الذكى عنه في سورة طه (اقرأ ما كتبته هناك في أسر الطعام عند ذكر آدم وفي سورة الحجر عند قصة آدم أيضا في أولها وما ذكرته في سورة الأعراف عند قوله تعالى - ولا تسرفوا - الخ وما ذكرته في سورة البقرة عند قوله تعالى - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - الخ) تركت الخضراوات وجعلت طعامى ما يأتى إلا نادرا

(١) آكل الخبز المصنوع من دقيق البر وفيه جميع أجزائه فما يسمى (نخالة) وما يسمى (السن) يبقى فيه (وبعبارة أخرى) آكل خبز القمح بحيث لا ينخل أدنى نخل فهو إذن بحاله ، وقد تقدم في (سورة الحجر) أن أجزاء البر (١٦) جزأ كلها داخله في الدم وإخراج النخالة والسن منه إخراج لأهم أجزائه المانعة من الامساك القوية للبدن والعقل

(٢) وآكل معه زيت الزيتون والفواكه مثل التمر والتفاح والبرتقال والليمون وربما أكلت من الخضراوات المطبوخة بشرط أن لا تكون مطبوخة لأن المطبوخة ضارة بالصحة بنص الأطباء وتجربى وتركت الملح اللهم إلا ما يوضع في الخبز وتركت السكر المصنوع مكفيا بما في الفواكه (وبعبارة مجملة) اقتصر على الفواكه والحبوب اجالا ولكن التفصيل هو الذى ذكرته لك الآن

أقول لما اتبعت هذه الخطة زال الروماتزم بتاتا وصرت أفتح شبابيك حجيرة النوم ليلا ونهارا وأنا أكتب الآن ليلا وهى مفتوحة فلا أحس بذلك المرض ، وأنا أعلن جدى لله عز وجل جدا كثيرا فقد وجدت أنى أصبح جسميا وأصح عقلا وأقوى تفكيرا من جميع أيام حياتى كما أتى أحده إذ أقدرنى أن أكتب بعض خواص النبات للمسلمين كما كنت أفنى أيام الشباب عند مرضى ، فإذا كنت الآن في العقد السابع من سنى حياتى فأتى أقول أتى لم أكن يوما ما في أيام شبابى وقبلها وبعدها منتظم الصحة والعقل والسكر مثل ما أنا عليه اليوم فأنا أقول الآن الحمد لله ولكن هذا الحمد ليس على صحتى وحدها لأن أوقات الحياة محصورة والموت لا يتوقف على حال ما فهو يأتى بغتة - وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت - ولكن جدى لله على النعمة العامة الحمد على نعمة خاصة جد ضئيل لا يليق بالربوبية والاختلاص لها بل لا يليق لعاقل . وأنا جدى لله في هذه النعمة على أنها نعمة على كل ذكى مطلع على هذا الكتاب لأن هذا القول يترك في نفسه أثرا وهذا الأثر سيفيده بيقينا وكم من رجال ذوى عقل عند ما يطالعون عليه يغيرون حالا أسلوب معاشهم مع انهم هم أنفسهم قد يكونون أطباء أو معلمين على الطب واسكن تجربتى هذه تشجع على إبطال عادات موروثه عن الآباء والبيئة ، فهذه نعمة عامة على قراء هذا التفسير فى حياتى وبعد موتى . إذن جدى لله على توفيقى للصحة موجه لعموم المنفعة للأحياء المنتفعين بهذه التجربة فى كل جيل لأن الحمد انما يكون على النعمة الواصلة من المنعم الى الخادم أو غيره وهذا سر قولته تعالى - الحمد لله رب العالمين - ولم يقل المصلى ربى وحدى فهو مربى جميع العوالم كما تقدم فى محاوره (طباوس) فالإنسان يجب عليه أن يوجه وجهه تلقاء العوالم كلها . فأما سمواتها وأرضها فبالفكر والعلم والاعجاب بصفاتها . وأما نوع الإنسان فيكون ذلك بالعطف عليه وتعليمه وأشر الحكمة فيه . ولقد أثر فى نفسى ما جربته غاندى الهندى مما كتبته فى (سورة طه) أن الإنسان عادة يقتدى بمن يثق بقوله أنه مجرب وأنا تجربت بتى مضت لها بضعة أشهر ولا أزال فى حال التجربة ولقد وجدت منافع لاحد لها فى الصحة والعقل كما قدمنا ولستكنى لا أعد هذه المدة كافية وأنا موجه وجهى جهة مبدع الكون أن يلهمنى

المحافظة على صحتي مدة حياتي فنه أستمّد ومنه التوفيق . ولقد تبين لي من هذه التجربة معنى قوله تعالى
 - قتل الانسان ما أكفره - وقوله تعالى - وان تطع أكثر من في الأرض يضالوك عن سبيل الله إن يدهون
 إلا الظن وان هم إلا يحرصون - ذلك أن هذا النبا كلما علم به طبيب مدحه وقال ان هذا عمل جليل ولكنه
 لا يكاد يقدم عليه هو نفسه ولا يأمر به المرضى وإنما الذي انتهج بعض هذه الخطة قوم آخرون . إني لا أشرب
 إلا الماء وقد تركت القهوة والشاي وما أشبه ذلك ولا أشرب شيئا إلا إذا عطشت وصرت أنادي بأن هذا الانسان
 في سجن الامادات وعرفت اليوم أن الانسان منا هو الذي يضعف عقله وصحته بيديه ، ألبس الطعام الذي تتعاطاه
 به قوام بيتنا . إذن اقامة بنيتي وصحة عقلي راجعان لما ألقى في في يدي فإذا لم أتخير فإني لم أتخير بناء
 جسمي وحفظ عقلي ، ومن أكل بغير حساب ولا نظام أصبح عقله تبع ما يأكل فتكون الصحة بالمصادفة والعقل
 بالمصادفة . واعلم أن هذا الانسان لما كان ضعيفا في تصرفه حكم الله على أكثره بالفقر لأن الفقر هو الذي يمنع
 القدرة على حوز الطعام الكثير الضار بالصحة والسقل ، وفي ظني أن الناس لو كانت ارادتهم قوية لامتألت
 الأرض بالخيرات ولكن القوى الارادية لما كانت ضعيفة أنزل لهم المطر والأنهار والسعادة في الأرض بحساب
 لتكثر حركتهم في الطلب وحركات عقولهم في التدبير فتصح الأجسام والعقول بالحركتين - ولو بسط الله الرزق
 لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خير بصير - فهو يعلم ضعف الارادات وضعف
 التفكير فأرغمهم على العمل وعلى التفكير بهذه الوسيلة لأن العقول في عالمنا هذا مبلغها وهذا هو نصيبها من
 الفكر والقوة . ومن أعانني على تدبير الصحة قرينتي (السيدة عائشة الحسنية) من ذرية الحسن بن علي
 رضي الله عنهما فهي التي سارعت الى تدبير الخبز على الطريقة المتقدمة وأسرتها كلها أطباء ، وما أعانها على
 ذلك انها شاهدت أهل مكة هكذا يفعلون في خبزهم ، وقد خالفت بذلك عادات النساء في مصر واستفادت
 ذريتي بذلك فائدة ظاهرة في هذه السنة كما أنها خالفت أكثر النساء في انها تواظب على العبادات والعبادات
 هذا وأذكرك بما تقدم في (سورة طه) عند مسألة الطعام وما ذكره العلامة ابن خلدون عن أهل المغرب
 وأهل فاس ومصر وشرح مضر الأطعمة المشهورة في هذه البلاد وشرح المنافع التي يعاينها الناس في الاقتصاد
 على النافع من الأغذية ، ففي قرأته نشطت للعمل ببعض ما هنا وما هناك تدريجا وما لا يدرك كله لا يترك كله
 وما ذكره ابن خلدون أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا ينجحون الدقيق زهدا وهذا عجب أن
 يكون هذا الزهد هو الذي يطلبه الطب للصحة فالجيب كل الجيب من حكم ديننا ، يقول الله - أذهبتم طبياكم
 في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما
 كنتم تفسقون - ويقول عمر رضي الله عنه للربيع بن زياد لما حضره هو والأمراء معه وعلى رأسهم أبو موسى
 الأشعري وقد ظهر الربيع بمظهر القانع بالخش من الطعام والثياب المرقعة ﴿لوشئت للأت هذه الرحاب صلاتي
 وسبائك وصنابي﴾ يريد بذلك المالحم والرفاق والزيب المصنوع مع الغرذل ولكني رأيت الله عبر قوما فقال
 - أذهبتم طبياكم - الخ وإنما عجت لأن هذا هو الذي به سعادة الناس في نفس الدنيا فالأقلال من اللذات
 هو الذي به الصحة والعافية ، والأغرب من ذلك أن سقراط أثبت أن الذي لافقة عنده لالذة له وبرهن على
 ذلك بأن من شرب الماء وعطشه قليل لالذة له فيه ، إذن الذي لا عفة عنده لالذة عنده فهو يطلبه اللذة
 فقددها والعييف ترك اللذة فجاءت اليه . إذن الصحابة رضوان الله عليهم بزهدهم في اللذات نالوها وبزهدهم
 في الدنيا ملكوها ، ومن عجب أن تكون هذه الأخلاق بنفسها هي التي استنتجها سقراط وأفلاطون بعقولهما
 قبل النبوة بنحو تسع قرون فانك اذا قرأت ﴿جهورية أفلاطون﴾ وجدت الزهد متجاليا فيها والحكمة
 والعلم ومع هذا الزهد ينظم المدن ويقم الملوك والأمراء والحكام والجند ويبين مراتبهم ودرجاتهم وآدابهم
 وآداب العامة معهم ومع الأمراء فالجد لله الذي علمنا ما لم نعلم وأرانا العلم والدين توهمين متحدين عند

ذوى البصائر وهذه من أعجب المعجزات إذ كيف تكون نتيجة الفلسفة قرونا وقرونا يزل بشيرتها الوحى على
أجى قيدوم به ملك لم يحلم بها فيلسوف ولا ملك من الملوكة
وأختم هذا القول بذكر الحجة التى اتبعها فأقول ﴿ لئذ كانت عادى انى اذا ارتبكت معدنى أن أعطانى
زيت الخروج وبعدها لا أكل بل أشرب اللبن أياها من ثلاثة أيام الى (١٤) وفى تلك المدة يصفى جسمى ثم
أعطانى الغذاء المعتاد بالتدريج وهذا فيه ما فيه ، ولكنى فى التدبير الجديد حصل لى منذ شهرين ارتباك فى
المعدة فامتنعت عن الطعام نحو يومين لم أعطط فيهما إلا ماء (البرتقال) أتباعا لنصائح الطيبة فشفيت والأطباء
يأثمون بالجوع أكثر من يومين (اقرأ فى كتاب غاندى) انتهى ليلة الجمعة ٢٩ مارس سنة ١٩٢٩ الساعة
الثالثة بعد نصف الليل والحمد لله رب العالمين

﴿ الاستشفاء بنور الشمس ﴾

(ذكر ما خطر لى يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٢٩)

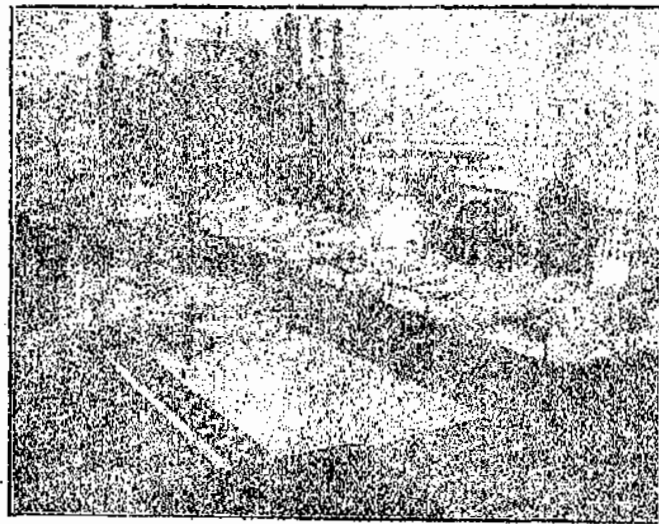
عجب لهذا الانسان يعيش ويموت وأكثره غافل ساه ، يرى المادة ويرى الكواكب والشمس والأرض
وما عليها ولكن العلم يقول له هذا كله ظل الحقيقة والحقيقة غير ما تراه وفى نفس الوقت يقال له أتم أعمالك
بحسب مظهر لك من الخواص ، يكون غنيا ويقول أنا اليوم نلت ما أتمناه فىرى الحوادث تكذب ظنه وتغتريه
الحوادث سرورا وعمما ويخطبه العلم قائلا : كلا ، فالصحة والمرض والغنى والفقر والعلم والجهل كلها عوارض
والنفس هى هى معرض للسعادة والشقاء . يقول الفلاح ليتنى كان لى مال كثير فلا أخرج الى الحقل ولا أقف
فى الشمس طول يومى لزراع حقلى ، إن الله غضب علىّ ولولا غضبه علىّ لأعطانى أرضا واسعة وأجلسنى فى
الظل وأخذت أقابل الوفود من كل صوب يحادثوننى ، فيقول له علماء الطب كلا أنت جهول أيها الفلاح ان
من اتسع ملكه فى الأرض وهو لا يعلم شروط الصحة كما أكثر ذوى اليسار من جهال المصريين وغيرهم يستريحهم
المرض لقلة حركاتهم وعدم تعرضهم لضوء الشمس القاتل للكروبات الضارة بأجسامهم وهم لا يعلمون ، فأنه
الذى علم غفلة عباده وجهلهم هو الذى تولى قيادة الشعوب والأمم وأكثر من الفقراء وقلل جدا من ملاك
الأرض الواسعة ليكون هؤلاء الأقالون أشبه بفداء للأكثرين الذين أجاعهم فأخرجهم الجوع الى طلب الرزق
والرزق يكون بالعمل فى الحقل بحرقها وسقيها والوقوف فى الشمس ساعات من النهار ، فهنا أمور ثلاثة طلب
للرزق من الأرض . وتعرض للشمس . وحركات الأعضاء ، الفلاح يحس بالجوع فيضطرب طلب الرزق وهذا الرزق
لا يعمل له إلا أن يمنع هذا الجوع ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لا يعمل له عند الفلاح إلا إزالة ألم نسبه جوعا كما أنه
لا يتزوج إلا لطلب دفع الألم وهو الشبق هذا هو المقصد له فاما أن جسمه يقوى واما أنه يلد واما أن الحركات
تساعد على هضم الطعام واما أن الشمس وإلحاح ضوءها عليه طول النهار يقتل المكروبات (الحيوانات الدرية)
التي هى أكبر عدو للإنسان والحيوان وهى السم القاتل لكل حي فانه لا ذكر لهذا كله عنده ولا وزن له ولا
عبارة به ولا خبر بل اذا سمعه يحقره وهكذا اذا قيل له ان الجالس فى بيتك وأقبال الوفود عليك وعدم حركاتك
وعدم تعرضك لضوء الشمس أو اذا قيل له ان أكلك المأكول الدسم وأنواع الفطير وكثرة أنواع الطعام
مذهبة لمدحتك مضعفة لك ذابة بعمرك فان الفلاح يحقر هذا كله ولا يصدق أن قلة المال فى يده وقلة النقود
هى أكبر عون له على السعادة إذ لولا ذلك لم يعمل فى الحقل ولم يتعرض لحرارة الشمس . هذه حال الناس أيام
جهلهم لذلك تولى الله بنفسه علاج الأمم فأكثر من الفقراء وقلل من الأغنياء وبذلك الفقير هو العلاج
لأجسام هؤلاء الفقراء وأسمعنا ذلك فى القرآن إذ قال - واذا مرضت فهو يشفين - فاذا قلت حركات الانسان
لجهله أو اذا قتم الظل على الشمس أو اذا أحب أكل الطعام الفاخر رحم الله عباده فألجأهم الى الحركات فى

طلب الرزق وعرضهم للشمس ليقتل الأمراض الداخلة بالجركات ويقتل الميكروبات بضوء الشمس ثم في نفس هذه الحال يقلل المال عند أكثر الناس لئلا يعطروا فيأكلوا مالم يوطأ فتذهب صحتهم ويكونون مرضى فلم يروى أى رافة وأى رحمة أعظم من هذه ، عيال مليئة لا يميزون كما لم يميز الأطفال بين الضار والنافع فيمنعهم الآباء من تعاللى ما يضرهم هكذا الله نظر الى عباده فعاملهم كما تعامل نحن أطفالنا فجعل السواد الأعظم فقراء لتصح أجسامهم وجعل أغل الناس أغنياء وقال هم فداء لكم أيها الأغنياء فإذا مرض أكثرهم وصحت أجسام أكثركم فاني أهتم بالأصالح العام لأنه أولى

هذا كله في أيام جهل الأمم ، أما إذا عمّ العلم فإن الجهلاء يفهمون هذه الحكم بطريق التعليم فيرضون وتكون عندهم سعادة على قدر ما يشعرون بهم أفضل إذ ذاك من آبائهم الجهلاء ، وأما فريق الأغنياء فإن العلم ينقلهم الى حظيرة الصحة ويتعرضون لضوء الشمس اختيارا لا اضطرارا ، وهاك مثلا مما جاء في إحدى المجلات العلمية وهذا نصه

الاستشفاء بأشعة الشمس

« أصبحت المداواة والتقوية بأشعة الشمس أهم ظاهرات العلاج في المستشفيات والمصحات الأوروبية والأمريكية . ويقول الأخصائيون من علماء الطب ان أشعة الشمس أنجع دواء لعلاج كثير من الأمراض وأن الفتاة التي تداوم كل يوم على التعرض للأشعة ساعة من الزمن تنال الصحة التامة والجمال المشرق المبهجة . وترى في هذه الصورة (انظر شكل ١٠) قسم من مستشفى الأشعة في فندق ايفرجلاد بكاليفورنيا وأكثر قاصديه من الفتيات الحسنات . فهل آن لفتياتنا أن لا يخفن من التعرض لأشعة الشمس لأنها تسود وجوههن ؟ وهل من الجمال أن تبدو صفراء ممتعة اللون حرمانها من أشعة الشمس ؟ انتهى »



(شكل ١٠ - رسم قسم من مستشفى الأشعة في مصح فندق ايفرجلاد بكاليفورنيا)

أقول إياك أن تظن أن معنى هذا أن تقف أو تقعد في الشمس بدون علم ولا هدى ولا كتاب منبر وإنما يجب أن تستشير الطبيب الصادق والافاقر ما نقتم في هذا التفسير في (سورة يونس) فانك ترى هناك ذكر الاستشفاء بنور الشمس وأنه يكون بالتدرج والحافطة على الرأس وليس معنى هذا أنك تأخذ ما قيل هنا قضية مسلة بدون بحث ولا تنقيب كلا

إذا عرفت هذا فهمت قوله تعالى : وإذا مرضت فهو يشفين - فالفلاح الفقير يشفيه بحيلة وهي أنه يجعه

وهذا الجوع يقوده الى الحركة والى ضوء الشمس والمتعلم الفنى يشفيه بحركات المشى والعمل والتعرض لضوء الشمس بسبب العمل وهكذا . إذن الشفاء قد يكون له ﴿ سببان ﴾ سبب طبيعى وهو الجوع المسبب للحركة والعلم المسبب للعمل ، فهذا من المعانى الداخلة فى قوله - واذا مرضت فهو يشفين -

ومن أسباب الشفاء تلك الرؤى التى رأها قدماء الأطباء ومنها التجارب المذكورة وهكذا . إذن ظهر أن الشفاء من الله ولكن بالأسباب فالأسباب كلها مستندة اليه وهو الذى هدانا لها وهذا معنى قوله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم - فالجهد (الذى يجعل الانسان كافرا بالنعمة بحيث يلجأ الى أن يتعرض للشمس والى أن يحرك أعضائه لعمل قهرا بدافع الجوع وحده) حال غير مرضية عند الله أى ان الله لا يحب أن يبقى عباده جهالا بما حولهم وبما يعنى أنفسهم أى انه لا يحب أن يقولوا كالأطفال تحت مراقبة آبائهم بل هو يحب أن يعرفوا النعمة ولا سبيل لشكر النعمة غير المعرفة فلذلك قال سبحانه - وان تشكروا يرضه لكم - فالصلاح لا يعد ظهوره فى الشمس نعمة بل يقول انها نعمة ولا يعد الحركة نعمة ويظن ان صاحب الأرض الذى هو طول النهار فى الظل وهو مريض لقلة الحركة أسعد منه حالا وذلك كله من الجهل ﴿ نجر بى فى هذا المقام ﴾

أقول وأنا اليوم وقعت فيما وقع فيه الفلاح فى الحقل . ذلك أنى اليوم أكتب فى التفسير وليس لى همم فى هذه الحياة أعظم منه فأراه منية نفسى وأعظم مقاصدى قد ملك على مشاعرى بل أصبح أعظم اللذات . ولكنى ارى قواطع وقواطع من أعمال داخلية وأخرى خارجية توجب أن أقطع العمل وأجد فى تلك الأعمال وأسافر خارج القاهرة وقد خلق الله لى من يناوئنى فى أمور تافهة فى الحقل وفى أمور صغيرة جدا فأوازن ما بين السعادة التى أحس بها فى كتابة هذا التفسير وبين الشقاء الذى أحس به فى الانقطاع عن مواصلته والبحث فى مدافعة هذه القواطع فماذا أفهم فى هذا ؟ أفهم فيه أن الله عاملنى معاملة الفلاحين فى الحقول فقال لى بلسان الحال أنت اليوم مستلذ بما تكتب وتعكف عليه وهذا ربما يسبب ضررا فى صحتك وضعفا فى قواك العقلية لأن المداومة على فكر واحد تؤثر فى المخ ولست أكتفى بمعلوماتك فى الطب وهى قليلة فلا تقوى على حفظ صحتك ولا تسكى الرياضة الجسمية التى تقوم بها لأنك تقوم بها محملا واختيارك وحده غير كاف فلذلك خلقت لك من يناوئوك فى الحقل لحفظ صحتك لأنى بهذا أخرجك فى الهواء الطلق فتسافر وتقابل الناس وتحادثهم فيحصل هناك تعادل فى قواك وتنوع فى الفكر وفى الحركات وتذكر أن نبيك محمدا ﷺ مع أنه نبي أوحى اليه كان يخرج للغزوات ويسافر ويقوم بأمر الأمة ولم يقطع ذلك عن الدين والعلم بل انه فى آخر الأسر كان ينزل عليه الوحي وهو فى سفره وجهاده والحرب قائم فلنسكن لك من ذلك موعظة ولترض بما عملته . هذا ما فتح الله به يوم ٢٨ مارس سنة ١٨٢٩ أكتبه ذكرى لأولى الألباب

هذا عمل الله فى الأفراد . أما عمله فى الأمم فانه علم أن أمم العالم اعترأها الخول فى بلاد الشرق وبلاد الغرب فبلاد أمريكا كانت قد وصلت الى درجة الانحطاط بعد العز والمدنية بدليل ما وجدوا فيها هذه الأيام من آثار المدنية والحضارة والمباني العظيمة كاهرام الجيزة بمصر وكانت بلاد اليابان والصين والهند كلها قد سيم عليها الجهل والخرافات والنصارى بأوروبا قد أصبحوا فى غاية الخضوع للقسيسين وهم فى حال الوحشية والهمجية فأرسل الله سيدنا محمدا ﷺ فقامت الأمة العربية بالحسبة الدينية فهزت العالم من أقصاه الى أقصاه . فترى الدولة الأموية بلغت جبل طارق وسطت على اسبانيا وفرنسا ونزعتهم من الجرمانيين الحاكمين عليها منذ ثلاثة قرون وهكذا فعلوا فى بلاد المشرق ووصلوا الى الهند والى أطراف الصين . فانظر ما يقوله العلامة (سديو) صفحة ١٠٣ ﴿ خرج من عمان لفتح الهندستان أساطيل اسلامية سنة (١٦) هجرية فأخذت جزيرة طنجاق القريبة من مدينة ممباى ومن جزيرة البحرين أساطيل أخرى دهمت فى خليج كامبى (مدينة بارود) وخرجت أساطيل

ثالثة الى مصاب نهر السند ثم أخذ عبد الله بن عامر سنة ٣٣٠ بلاد كرمان وسجستان ثم حارب والى اقليم مكران وملك السند فغلبهما وأخذ عبد الرحمن بن سمرة بعد ذلك بسنين قليلة (اقليم داور) ومدينة (بست) فساكن ممالكنا قبول والسند حدود الممالك العربية ، ثم ذكر بعد ذلك انهم وصلوا الى جبال (هماليا) ثم أخذوا بلاد (خوارزم) وماوراء النهر ومعظم مملكة التتار وأحرقوا أصنام (مدينة فرغانه) و (تخشب) و (يكند) و (بخارى) و (سمرقند) سنة ٩٤٠ و (مدينة كشمير) و (اقصوا) و (خوكان) و بعث الأمير قتيبة من قبل الحجاج اثني عشر سفيرا الى ملك الصين وهددوه بالاغارة فغمرهم بعطايا الذهب والوافرة اتقاء لشركهم وحكم قتيبة مملكة قبول بشرق سجستان وأخذ منها الجزية فلحقه جيش في أرض مكران وانتشر في سهول مدينة (كشمير) ودافعت مدن على شواطئ السند فهزم هؤلاء وهكذا كانوا يناوئون ملوك القسطنطينية ، هذا هو الذي حصل منذ (١٣) قرنا ، لم ذلك ؟ كان ذلك لانه القوة الانسانية في الشرق والغرب إذ كانوا نياما ، فهامى ذه الأمم النائمة استيقظت وهذه الحركة العمرانية انتشرت في الغرب والشرق والمسلمون الذين قاموا بهذه الحركة جميعا ناموا كنعين أبتعين أبصعين . وكان الله يقول لنا ليس نومهم دائما . كلا ، فسلكا سلطنتهم على الناس فأيقظوهم هكذا أنا أسلط الناس عليهم ليوقظوهم فهامى ذه المدافع والطائرات والغازات الخائفة وشن الغارات عليهم صباحا ومساء والجيوش الأوروبية تصبجهم وتسميهم ، لماذا هذا ؟ كل هذا لايقاظهم من نومهم ولقد استيقظ كثير منهم وسيتبعهم الباقون ، يظن الجهال من المسلمين أن هذه الحروب وهذا الاذلال نعمة ، نعم هو نعمة ظاهرا ولكنه نعمة باطنا فهو أشبه بالجوع في مثال الفلاح في الحقل الذي قدّمته لك في هذا المقام أجاع الله الفلاح وقلل ماله فسعى للزرع فتحركت الأعضاء للعمل وأصابته الشمس وأكل الطعام فكان للجوع (ثلاث فوائد) غذاء بالطعام . ودواء بحركات الجسم . وضوء الشمس ، فالجوع ضرور واحد أنتج ثلاث منافع . إذن الجوع ليس ضررا بل هو نفع بل هو لغة يخاطب الله بها عباده بل هو أفصح من اللغات هذه لغة الجوع . أمالفة احتلال مصر وتونس والجزائر ومراكش وطرابلس وبلاد الشام وفلسطين والعراق بالاطليان وفرنسا وانكانرا فهي تشبه هذه شهبانا . فالله بهذا الاحتلال يقول لنا

(١) تعلموا جميع العلوم

(٢) ويقول تعلموا جميع الصناعات

(٣) ويقول لنا أيها الناس (تعرفوا)

فهذه فوائد اذلال المسلمين الآن . إن اذلال الأمم لمنفعتهم واذلال الأفراد لمنفعتهم . إذن الله عز وجل حكيم يعطى الدواء على مقتضى الداء . الله علم ضعف هذا الانسان في الأرض فجعله ديانات مختلفات ليفعل ذلك فعل الجوع في الجهلاء . الله سلط الناس بعضهم على بعض ليستخرج قواهم بهذه العداوة . يقول الله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قلنا أتينا طائعين . قالت السموات والأرض أتينا طائعين ، لماذا ؟ لأن المدبر لهما ملائكة والملائكة تدبر حركات هذه الكواكب الكبيرة فلا تخطئ . أما هذه العوالم الأرضية كالأمم الاسلامية والافرنجية فانها تسلس بطرق أخرى ولاسبيل لذلك إلا ببعث البواعث في عقولهم بالديانات ثارة والعداوات أخرى فسلط المسلمين على الأمم ثم أنامهم وأيقظ الأمم وهامى ذه الأمم تحيط بأكثر المسلمين وهذه الاحاطة نعمة لأنها بعثت فينا الهمم ومن ثمراتها كتب كثيرة وخطب . ومنها هذا التفسير الذي جعله الله مقدمة لنهضة مصاحبة لظهور الطيارات في الشرق والغرب متى ارتقى المسلمون قريبا سيشاركون مع الأمم في رقي الانسانية العامة . إذن السموات والأرض أتتا طوعا . أما المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم فانهم أتوا كرها لا طوعا ولا كراه بالأمراض في أجسامهم والفقر وقلة المال وحبس المطر والعداوات بينهم ليجتدوا في العمل فيعيشوا سعاداء وهذا هو قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - فهو

الذى لما مرضت الأمم بالسكسل شفانها بالاعتقاد الاسلامي إذ صار بهم الجيوش ولما سمرض المساكين بالسكسل والجهل ساط عليهم الأمم - فاربهم وخلق لهم مؤلفين ليقظوهم ، ومن التأليف هذا التفسير الذي هو من الأدوية التي ساقها الله للمسلمين لا يقاطعون ورفيقهم تفسيراً للآية والله هو الولي الحميد

﴿ جوهره في قوله تعالى - إلامن أتى الله بقلب سليم - مع قوله تعالى - الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ والذى هو يعنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذى يعنى ثم يبين - مع ملاحظة ما جاء في أول السورة من الأمر بالنظر في الأرض ونباتها على لسان رسولنا ﷺ ووصف السموات والأرض وخلق نبي آدم قديماً وحديثاً وخلق المشرق والمغرب على لسان موسى عليه السلام ﴿

يقول الله تعالى على لسان إبراهيم - يوم لا ينفع مال ولا بنون - الخ فوهنا ذكر الطعام والشراب والمرض والشفاء والموت والحياة كما ذكر خلق السموات والأرض وخلق الإنسان خاصة ، فبالت شعري لم خلق هذا الإنسان على الأرض

﴿ فسكرك في خلق هذا الإنسان بمناسبة هذه الآية ﴾

اعلم أن هذا الإنسان لا يهيم في الحياة إلا المحافظة على هذا الهيكل المنسوب ، فسكل علم وصناعة وإمارة وتجارة ترجع الى المحافظة على هذا الهيكل . إن الله لما خلق هذا الإنسان جعل له حافظاً من نفسه وواعظاً من نفس هيكله وموقفاً من جسمه ، وما هو ذلك ؟ هو الألم ، فالألم هو التاموس العام الذى نصبه الله في الأرض برحمته فسبحانك اللهم ، نعم أسبغك يا الله ، أنزلك عما يؤذينا . إنك لم تجعل الألم فينا لمجرد الإيذاء بل جعلته نعمة ولولا هذا الألم في الحيوان وفي الإنسان لم يمش . إن الله عز وجل لما خلقنا في هذه المادة لم تسكن هناك وسيلة في هذا العالم المادى لبقائنا إلا بالألم ، فنحن نتردد في صلواتنا فنقول ﴿ سبحان ربي العظيم ﴾ في الركوع و ﴿ سبحان ربي الأعلى ﴾ في السجود ونسبح تقب الصلوات ، وقد مدحت يا الله بونس عليه السلام فقلت - فلولا أنه كان من المسبحين لبث في بطنه الى يوم يبعثون - المسبحون هم الذين أدركوا أسرار هذا الوجود واغترفوا من بحار الحكمة فعرفوا أن كل مافي هذا العالم من الآلام لم يقصد الله منه إلا المنفعة وأن الضرر التليل ينتج الخير الكثير وهذه طبيعة عالمنا . هذا هو القانون فالسبح الحقيقي هو ادراك هذه المعاني ، فإذا سمعت المسلمين صباحاً ومساءً يسبحون فاياك أن يحتاج في قلبك أن اللفظ هو كل المقصود ، إن الله لا يصل اليه إلا أناس ارتقوا عن هذه الأوساط الانسانية وعرفوا نواميس هذا الوجود بقدر طاقتهم وهؤلاء وحدهم هم الذين يفهمون لم كان الطعام ولم كان الشراب ولم كان المرض ولم كان الموت الخ وينظرون الى تلك الأحوال نظر الطبيب الى الأدوية المعطاة للمريض ، إن الطبيب لا يبالي بالآلام المريض لأنها عنده لا قيمة لها في جانب منفعة ، فن عرف هذه الأسرار عرف السر في كثرة التسبيح والتقديس الواردة في الكتب السماوية ، ومتى أدركت النفس سر الوجود نزهت الله عن الإيذاء قصداً بل هو ترقية واسعاد لا اشقاء ، فنبعث إذن في ألم الجسم ليتضح المقام وينشرح صدرك لفهم العلم والحكمة فان الذى ذكرته إنما هو مقدمة لجمال المقال . إن هذا الجسم الانسانى كما قدمنا لا حياة له ولا بقاء ولا سعادة إلا على قاعدة الألم . وبيانه أن الألم ﴿ قسماً ﴾ ألم داخلى وألم خارجى . أما الألم الداخلى فهو الجوع والعطش والشبق لطلب الطعام والشراب والوقوع لصحة الجسم وبقاء النوع يحصل التربية ، وأما الألم الخارجى فذلك بالحر والبرد وتظاهر الأعداء من الوحوش والشرارات والأشياء من نوع الانسان فكان لابد من اللباس والسكن والقلاع والحصون والجيوش والعدد . وهذا هو الذى حكم على هذا الانسان بالصناعات والحرف والزراعة والتجارة الخ ولهذا فتحت المدارس وأنظم المدن وعظمت المدنية ، إذن الأسر كله راجع لهيكل الانسان والمحافظة عليه فهذا هو

الأصل وهذا الهيكل له حامل والحامل له ﴿ فرعان ﴾ هما الألم الداخلي والألم الخارجي وما ألم المرض بخارج
عن هذين الفرعين لأن المرض من داخل ومن خارج

﴿ اللذة تلازم الألم ﴾

ومن عجب أن هذه الآلام مهما تنوعت بصحتها اللذة ولا لذة إلا بسابقة ألم ، فالألم واللذة كفرسي رهان
أو كالشبح وظله ، هما شيان متلازمان وعلى مقدار الألم تكون اللذة ، ومن فقد الألم فقد الحياة ، ألا ترى رعاك
الله أن الإنسان إذا لم يحس بألم الجوع حزن وذهب إلى الطبيب شاكيا له فقد هذا الألم ، وإذا لم يحس بالشبع
حزن وذهب إلى الطبيب شاكيا له هذا المرض . ذلك علما منهما أنه إذا لم يكن ألم الجوع فلا طعام وإذا لم يكن
ألم الشبع فلا وقاع كما أنه إذا لم يكن عطش فلا لذة في الشرب ولا شراب

الله أكبر . إذن الألم كمال لانقص فانه أثبتنا أن عدم الجوع نقص فالجوع كمال . فكما نقول الذي
لا يقدر على التكلم ناقص هكذا نقول الذي لا يجوع ناقص لأنه لا داعية عنده لطلب الأكل . إذن الألم قوة كإلية
لأنها سبب فيما به قوام أبداننا وما ألم المرض إلا كمال لأن ألم المرض احساس يؤدي إلى تعاطي الدواء كما أن ألم
الجوع كذلك فلو لم نحس بالنقص في أجسامنا عند المرض لمتنا . وأى فرق إذن بين من يحرق بالنار وهو
لا يحس وبين من يعرض فلا يحس فنحن لو لم نحس بأحراق النار لمت أكثر الناس وهم لا يبالون بما يصيبهم
منها ، هكذا لو أن المرض أصابنا ولم نحس به لزال أكثر هذا الإنسان من الوجود . إذن ألم المرض نعمة وألم
الجوع نعمة . إذن لا يكمل دين المسلم إلا إذا عرف معنى ﴿ سبحان الله والحمد لله ﴾ وعرف قوله تعالى
- فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون -

هذا معنى . وإذا مرضت فهو يشفين . فالخير والشر مقرونان في قرن والخير متبع والشر محذور
وهذه نفسها حال العشاق إذ يقول شاعرهم

إذا لم يكن في الحب صد ولا جفا * فأين للذات الرسائل والكتب

ولقد حكم (سقراط) على من لاعقه عندهم بأنه لا لذة لهم . إذن علمنا حكم هذا العالم فهذا العالم فيه ليل
ونهار وظلمة ونور وحياة وموت . وبالجملة فيه كل متقابلين لذلك بنيت حياتنا على هذه القاعدة فكانت الصحة
وكان المرض كما كان الجوع والعطش وتعاطي الطعام والشراب وهكذا الموت والحياة ، ويظهر لي أن عقولنا لو
أنها ارتقت عن هذه الحال قليلا وأدركت سر الوجود لفرحت بالموت كما فرحت بالحياة لأنها إذ ذاك تكون
قد اتصلت بالعالم العلوي التي تدرك الحقائق وأدراك الحقائق هو نفس السعادة

﴿ ايضاح الكلام على الذات ﴾

لقد علمت أنه لا لذة إلا بألم في كل شيء ، فلاشفاء إلا بعد ألم المرض وآلام تعاطي الدواء ، ولافرح بالفضي
إلا بعد الفقر ، ولا بالنجاة إلا بعد البأساء ، ولا بالعلم إلا بعد الجهل ، ومن عجب أن الفرد له أعوان ينفعونه
ويساعدونه والأمة لها أم تساعدها بالمعاهدة والصداقة ومع ذلك ترى القاعدة الآتية مطردة وهي أن أقارب
الإنسان هم أكثر الناس حسدا له بل كل من كان أقرب منك نسبا أو صناعة أو منزلا أو مرتبة أو علما كان
أسرع إلى كراهة نعمة الله عليك وأحق عليك وأبغض لك بطريق المنافسة وحب العلو ، وهذه حال الأقارب
من كل أمة ودين وشكيلة ، فمنهم آلام ومنهم لذات وعلى مقدار الاقتراب تكون العدوات ، إذن قاعدة هذه الدنيا
واسعة . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون . وائل عليهم نبأ بني آدم . الخ
- قلنا اهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدو . يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم .
- فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليبتليهم بها في الحياة الدنيا . الخ هذه حال أقرب الناس إلينا
وأحبهم وأقربهم منازل منا ، ومثل هذا يقال في الدولة وحليفتها فكل منهما تتر بص بالآخرى الدوائر فإذا قلنا

الناس للناس من بدو وحاضرة * بنض لبعض وان لم يشعروا خدم

تقول أيضا

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب

قان الداء أكثر ما نراه * يكون من الطعام أو الشراب

إذن الألم مصحوب باللذة لا فرق في ذلك بين ما به بقاء الجسم أو النوع أو ما يمين على ذلك كالأصحاب .
إذن القاعدة مطردة ، ألم اللذة ، وغاية الأمر أن اللذة إما لشهوة كالحاصلة من الطعام والشراب والوقوع ببلقي
بهما الحاصلة بلباس الجسم لا نقاء الحر والبرد ، وأما غضبية كاللذة الحاصلة بقهر الأعداء من وحش وإنسان
فهذه لذة أعلى من سابقتها ومنبعها ومحل آثارها فتحات القلب وهي الأذنين والبطينان ، فهذه الفتحات
الأربع محل توارد الدم فاليها يرد ومنها يصدر صاعدا ونازلا في الجسم من فرق الرأس إلى أخمص القدم ومتى
أحس الإنسان بما يحس إحساسه وصل الخبر من الحواس إلى الدماغ والدماغ يرسل حالا بأعصاب الحس رسولا
عصيا أشبه بالبريد البرقي (التلغراف) فيوصل الخبر للدم في القلب فيسرع في الجريان ويضطرب ويهتز الجسم كله
ويضطرب بنار الأخذ بالنار ويحترق ويغلي كالرجل ، فهذه قوة أرقى من سابقتها ومتى أخذ بالنار سكنت تأثيره
وهذأت حركته واطمأنت نفسه وتكون اللذة على مقدار الألم وإنما تكون أعلى من لذة الطعام والشراب
واللايس والمواقع ، فكل هؤلاء لذاتهم تشاركونهم فيها جميع النوايا والأنعام . أما لذة الانتصار فهي خاصة
بطبقة أرقى وهي الوحوش والأساد والنمور فلذلك كانت أرقى من سابقتها ، فاتضح بهذا كله أن النعم في الحياة
بالفرح واللذة مقرونة بالألم وهذا الألم نعمة لا نقمة ويشير لذلك قوله تعالى - يَأْتِيكَ إِلَى أَخَافَ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابَ
مِنَ الرَّحْمَنِ - فجعل العذاب من اتصف بالرحمة ، ثم أقول إياك أن تذكر صفوا العلم هنا بأن تذكر الكافر
وعذابه فهذا المقام لا يسع تفصيله ولقد قدّمته في مواضع كثيرة كاللذني في آخر (سورة هود) عند قوله تعالى
- فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَهَازِئُوا فِيهِمْ - الخ إذن هذا الوجود كله لم تخلص فيه لذة من ألم حتى نفس العلم
يتقدمه جهل ولولا الإحساس بنقص الجهل ما كانت لذة العلم في هذه الأرض ، فما الحكمة في ذلك ياترى ؟
وهل الحكمة الإلهية لم يكن سبيل عندها لاسعادنا أقرب من هذه ؟ ولماذا لم تكن اللذة خالصة ؟ اليس هذا

ألقى بمبدع العالم

أقول ، أعلم اني لما فكرت في هذا أيقنت بأن صانع هذا العالم خلقنا في الأرض وهو يعلم أن هناك عالما
أرقى منه فلم يشأ أن يجعلنا طمئنين فيها بل ابتلانا بالخير والشر وقال - ونبأكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون -
يعني انه لو لم يكن عندكم إلا الخير ولم نصبكم بالشر لم تحنوا إلى حال أرق من حالكم التي أنتم عليها ، لذلك قرنا
خيركم بشركم لتبشحو عن حال تكون كلها سعادة وخيرا وارتقاء ولذلك قال - والينا ترجعون - فرجوعكم
الينا لا يكون بشوق إلا اذا أصبناكم بالآلام فتسكروهن المقام في الدنيا فلا تزالون في جوع وشبع وفقير وغني
وحسد وقراة وحب وبغض حتى تنتقلوا الينا وتخلص نفوسكم ومتى خلصت نفوسكم كانت هناك السعادة التي
لا شقاوة معها وهذا كله معنى قوله تعالى - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - فالقلب السليم
هو الذي خلص من هذه المتناقضات وارتقى عن هذه الدرجات ولم يكن كالغافلين الذين قال الله فيهم - إن
الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار
بما كانوا يكسبون - لماذا هذا ؟ لأنني أذقتهم الحلو والمر والخير والشر فريضوا بهذه الحال ولم يهتلقوا الجبال في
هذا الوجود ، ثم قال - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم - الخ لأن هؤلاء رأوا حالا
ناقصة ففزعوا لأحسن منها وفهموا قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - إذ عرفوا
أنهم خلقوا بين آلام ولذات كحزن وفرح وخير وشر وسرور وحرارة وبرودة ففزعوا من هذا العالم بقوله ولذلك أعقبه

بقوله - ففرّوا الى الله - إذن قوله تعالى - وإذا أمرت فهو يسئرين - يقصد من هذه المتناقضات الفرار الى الله لتكون - عند ملك مقتدر -

﴿الابداع في هذا الوجود﴾

قلنا إن الألم داخلا وخارجا هو الباعث على المسهل ، ومن يجب أن الطعام والشراب ولذة التناسل ولذة القلب مع إقترانها بالآلام صاحبت ادراك الجلال ، فهذا الوجود من سموات وأرضين كما أنه غذاء ودواء وفاكهة وشراب هولوح يدرسه الناس وهو علم وضو جمال . فانظر لآلام حفرتنا الى طلب الطعام والشراب فبقيت أجسامنا حية ونفس النبات والحيوان مصنوعات صنعا دقيقا يصير دراسة لنا فيرقى عقولنا ومناظر النبات والحيوان في البر والبحر وكذا النجوم في السموات ، كل هذه ترىنا الجلال ، فكما عاشت بها أجسامنا ارتقت بها عقولنا علما وابتهجت أنفسنا بجمالها وبهجة أشكالها فهي الغذاء وهي الرياضة البدنية وهي السواء وهي الجلال وهي العلوم . فهذا هو الابداع فالذين أرساوا لهذا العالم بقوا فيه أغبياء لم يعقلوا علوم هذا النبات وهذه الحشرات وهذه السموات أى لم يتفكروا فيها فان هؤلاء غافلون والغفلة متى استحكمت في طائفة لم يتأهلوا لقاء ربهم وهل يجالس السوقة الملوك ؟ فالأغبياء يكتفون من الحياة بقشورها - وفرحوا بالحياة الدنيا - مع أن الدنيا كلها كدر وكيف يفرحون بوجود ضئيل زائل - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - فهذه الآلام في الدنيا كأنها مخاطبة من الله للناس بلسان الحال فن فهم الخطاب وأدرك أن هذه الآلام يراد بها استيقاظ النفس لادراك العلم والجمال والحكمة طار إلى ربه فرحا وأحب الموت وسارع الى لقاء ربه ومن لم يفهم هذا الخطاب ولم يعقل ما يراد به بقي مسجوناً في عالم ضئيل مهان معذب على حسب مرتبته . هذا هو السر في الآلام التي نحس بها إن المنائل لأهل الشرق ولأهل الغرب يجدهم متعاونين وان لم يناموا كل ينفع الآخر وان لم يعقلوا وهم مع ذلك أعداء وهم يعلمون متنابدون متشابكون . أهل السكر الأرضية ينفع بعضهم بعضاً بالتجارة وبالصناعة وكل لكل مساعد . هذه الحياة كلها حيرة واضطراب . وإذا وجدنا الفرد منا يألم اذا لم يكن عنده ألم الجوع لاعتقاده أن عدم ألم الجوع نقص أى ان نقص الألم فينا عيب في أجسامنا فانا نجد المجموع يألم اذا لم تقم حرب الأتري ما قاله علماء الألمان قبيل الحرب الكبرى العاتية إذ كانوا يقولون ﴿إن الأمة التي أصبحت آمنة مطمئنة يكون مصيرها الزوال ومن أراد رقي أمة فليتر الحمية فيها بحرب فانها تبعثها من مرقدتها﴾ وانظر الى ما جاء في مواضع من هذا التفسير ان أرسطاطاليس قل لتلميذه اسكندر في الرسالة المنسوبة اليه ﴿ان الأمة الآمنة المطمئنة اذا أصبح أفرادها غير موكول بهم نظام ولا محجّين في أعمال عظيمة فان هؤلاء ينزلون الى الخسيف ويصبحون في ملك غيرهم يتولى أمرهم﴾ إذن لافرق بين الاجسام الانسانية والاجسام المجازية الاجتماعية وهي الأمة بتمامها فالفرد اذا لم يحس بالجوع مثلاً والأمة اذا لم تؤلمها الحوادث وتهذبها النوازل والكوارث فان الفرد وان الأمة يعتريهما إذ ذاك الاختلال والاضلال . إذن ثبت بهذا أن حياة الأفراد وحياة الأمم لا تتم إلا بشر يصيبهم ومصائب تنزل بهم والام يرتقوا . وأذكرك بما تقدم في سورة البقرة إذ ذكرت لك (نفر قبس) اليوناني القائل ﴿ان الانسان الذي لم تهذب به الحوادث معرض لنواب الخلدان لا يزال ذليلاً وليس يحظى بالسعادة إلا من مرت النوازل والمصائب عليه﴾ وهكذا كتاب ﴿الكوخ الهندى﴾ وقد أنثرت اليهما في سورة البقرة عند قوله ... وبشر الصابرين - إذن العلم شئ ورأى الجمهور شئ آخر وبناء عليه تكون هذه الحياة مبناه النقص فليبحث الناس عن حياة أرق من هذه

فقال بعض الفضلاء بعد ما اطلع على هذا . هذا كلام حسن أى اننا لا نجعل هذه الحياة هي المقصودة بدليل انها لا تكون كاملة في مرتبتها الا بالآلام وما أقبح حياة يكون من شروطها الشرف أى خير فيها ؟ هذا حسن ثم ان قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لملككم تذكرون * ففرّوا الى الله - أظهر لنا الموضوع

وجعله بهجاء بدعيًا حسنا وأصحبنا نفس مقصود سياقاتنا الدنيا فهي شر ونير والفرار إلى الله سبحانه في خير لا شر فيه

(اعتراض على المؤلف بأنه لا مسيح إلا من يعرف هذه المعاني)

والكن أنت قلت إن التسبيح في الميانات كتسبيح يونس في بطن السمكة يفهمنا أن المسيح الحقيقي من يدرك هذه المعاني ويعرف أن الله بهذه الآلام أنعم علينا بنفس الآلام وأنه بهذا منزله عن أيدائنا ، فعلى هذا القول تكون رسالته ﷺ خاصة بأفراد عد الأصابع في كل جيل من الأجيال . إن الذين يعمون ما تقول في هذا المقام قليل . إذن المسامون في (١٣) قرنا أي بعد العصر الأول لم يسبح الله منهم إلا أناس أقل من القليل وعليه تكون الصلوات والتسبيحات كلها لأفائدة منها . فقلت له إن التسبيح اللفظي والعبادات كلها لها آثار فعلية فلا تسبيح ولا تحميد إلا وآثاره ترجع إلى النفس وتؤثر فيها كما يؤثر الموقود (بالسكر) في الموقود (بالفتح) ولولا هذا لأفيت العبادات من الأرض والله عز وجل لا يبق إلا النافع ، ولقد قرأنا في التاريخ وفي الألواح التي نصبها الأمم في كتبهم أنهم جميعا يعبدون والعبادة أقوال وأفعال وهذه كلها تؤثر بطريق الاستهواء الداني فكل قول يلفظه جاهل أو عالم مع المعنى الاجمالي يؤثر في النفس تأثيرا حقا فهو نوع من تنويم الإنسان نفسه إذن المنفعة عامة بالصلوات والتسبيحات لا خاصة بالعلماء والحكماء . فقال هذا حسن . فقلت الحمد لله رب العالمين واعلم أيها الذي أن كلامي هذا لا يعقله إلا قليل وهؤلاء القليلون يتأملون فيجدون أننا أشبه بكره يتجاذبها الحزن والفرح والقرب والبعد والبكاء والضحك والجمال والقبح فتى عرفوا ذلك يقولوا نريد حياة بحال أرقى فيقال لهم - وإن الدار الآخرة ملي الحيوان لو كانوا يعلمون - إذ ما بعد القص إلا الكمال ، فمن فهم هذا فهم قولهم قولة تعالى - إلا من أتى الله بقلب سليم - وقوله - ونزعنا ما في صدورهم من غل - أخوانا على سرر متقابلين - أما أخوان الدنيا فهم حاسدون قد شاب الضر ففهمهم كالطعام والشراب والدول والممالك انتهى ليلة ٢ أبريل سنة ١٩٢٩ م (نصف الليل)

وانرجع إلى بقية التفسير اللفظي للقسم الثالث والرابع فنقول ، قال تعالى (كذب قوم نوح المرسلين) أي جماعة قوم نوح وكذب نوح تكذيب المرسلين لأنهم يدعون إلى صراط مستقيم واحد والاختلاف في الطرق وفي الفروع ، وأما الأصول فهي واحدة الإيمان بالله واليوم الآخر (إذ قال لهم أخوهم نوح) وقد كان منهم (الأتقون) الله فتركوا عبادة غيره (إني لكم رسول أمين) مشهور بالأمانة فيكم (فاتقوا الله وأطيعوا) فيما أمركم به من التوحيد والطاعة (وما أسألكم عليه) على ما أنا عليه من الدعاء والنصح (من أجز أن أجرى إلا على رب العالمين * فاتقوا الله وأطيعوا) كرهه للتأكيد ولينبه على أن طاعته تجب عليهم لأمانته أولا ولأنه لا يطمع في مال منهم ثانيا وكل منهما وحده كاف في دفع الشبهة عنه ووجوب طاعته فإياك إذا اجتمعوا فأوردوا عليه شبهة (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) الأقلون جاها ومالا جمع أرذل فانك وإن كنت أمينا ولا تطالب منا أجرا فلاضير عليك من هذه الوجهة إنما الشبهة واردة عليك في اتباعك الفقراء الذين ربما أرادوا باتباعك أن تطعمهم من جوع وهذه شبهة فيها فرد عليهم (قال وما علمي بما كانوا يعملون) أنهم عماوه اخلاصا أو طمعا في مال وما علمي إلا اعتبار الظاهر (إن حسابهم إلا على ربني) ما حساب بواطنهم إلا على الله فانه هو المطلع عليها (لوتشعرون) لو علمتم ذلك ولستكم قوم تجهلون فنقولون ما لا تعلمون . ولما كان قولهم ان أتباعك هم الأرذلون يفيد أنهم يريدون طردهم قال (وما أنا بطارد المؤمنين) بغية أن تؤمنوا بي على دعواكم أنهم هم المانعون لستكم من اتباعي (إن أنا إلا نذير مبين) لا أفرق في انذارى بين عزيز وذليل فكيف يلبق بي طرد الفقراء . فلما أعيتهم الحيلة (قالوا إئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المضروبين بالحجارة (قادر ان قومي كذبون) في الرسالة وقتلوا من آمن بي من الغرباء (فافتح بيني وبينهم فتحا)

فأفرض بيني وبينهم قضاء بالعدل (ونجني ومن معي من المؤمنين * فأنجيناهم ومن معي في الفلك المشحون)
المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائهم (الباقين) من قومه . وقد تقدمت هذه القصة في سورة هود مستوفاة
فارجع اليها (إن في ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم)
انتهى تفسير القسم الثالث والرابع من السورة

(الْقِسْمُ الْخَامِسُ)

كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ
* أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَكُمْ تُخْلِدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ
بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَمَدَّكُمْ
بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ
عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ
بِعَمْدِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ *
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا
تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَتْرَكُونِ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
* وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَمْتَحُنُ مِنْ الْجِبَالِ يَبُوتًا فَرِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا
إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *
قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَمَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْمَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (كذبت عاد المرسلين) أنت باعتبار القبيحة سموا باسم أيهم (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون)
إلى قوله (إلا على رب العالمين) كررت هذه العبارة في دعاء الأنبياء للدلالة على أن دعوة الأنبياء نافذة إلا
إذا كانت مقسورة على ما يقرب إلى الله وثوابه ويبعد عن عقابه وهكذا العلماء لا ينجع في الناس إلا بهم إلا
إذا كانوا مخلصين في تعاليمهم كأنبياهم وبغير ذلك لا فائدة (أبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع . ويقال

ربيع الأرض ارتفعها وكما يطلق الربيع على الشرف من الأرض يطلق على الفرج وهو الطريق بين الجبلين (آية)
 علامة للمارة (تنبئون) أى بمن مرّ بالطريق لأنهم كانوا ينشرون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة
 فيسغفروا منهم ويعشوا بهم (وتتخذون مصانع) قصورا مشيدة وحصونا مأمنة وما أخذ الماء وهي الخياض
 (لعلكم تخلصون) أى كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون (واذا بطشتم) أخذتم وسلطتم وعاقبتهم (بمشتهم
 جبارين) متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة (فاتقوا الله) بترك ذلك (وأطيعوا)
 فيما أَدْعُوكم اليه (واتقوا الذى أَمَدَّكم بما تعملون * أَمَدَّكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون) أى اخشوا الذى
 أعطاكم ثم بين ما أعطاهم فقال أعطاكم أنعاما وبني وكررت القوى لتفاوت المعنيين وهما ترك المنهيات في
 الأول والخبر من انقطاع النعم اذا أهملوا في الثاني وقد فصل النعم في الثاني كأنه على مساوهم بقوله - ألا تتقون -
 ثم أجل ذلك كله بقوله (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة وذلك العذاب يكون لفعل المعاصي
 أول كفران النعم (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لا نرجع عما نحن عليه (إن هذا
 إلا خلق الأولين) ما خلقنا هذا إلا خلقهم نجيا وتموت مثاهم ولا بعث ولا حساب (وما نحن بمعدين) على ما نحن
 عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بريح صرصر عاتية سخرناها عليهم (إن في ذلك لآية) الى
 قوله (وان ربك هو العزيز الرحيم * كذبت نمرود المرسلين * إذ قال لهم أخوهم صالح) الى قوله (إلا على
 رب العالمين) تقدم تفسيرها، وقوله (أنتركون) انكار لأن يتركوا خالدين في نعيمهم (في ما ههنا آمنين) أى
 في الذى استقر في هذا المكان من النعم آمنين من العذاب والزوال والموت ثم بين ذلك فقال (في جنات
 وعيون * وزروع ونخل) وخص النخل الداخلة في ضمن الجنات تفضيلا للنخل على بقية الشجر (طلعهما)
 أى ثمرها الذى طلع منها (هضيم) لطيف يانع نضيج (وتنتحون من الجبال ييوتا فارحين) بطرين أو حاذقين
 من الفراحة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب (فاتقوا الله وأطيعوا * ولا تطيعوا أمر المسرفين)
 أمر المشركين (الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) فان الفساد الذى غلب صلاحه على فساده يجوز
 بقاؤه، فأما من غلب فساده أو كان فساده لا اصلاح معه فاهلاك أولى به (قالوا إنما أنت من
 المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم (ما أنت إلا بشر مثنا) هذا تأكيد (فانت بآية إن
 كنت من الصادقين) في دعواك (قال هذه ناقة) وذلك بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه (هاشرب)
 نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي ومن القوت (ولكم شرب يوم معلوم) فلان زاجوها في شربها
 (ولا تمسوها بسوء) كضروعقر (فياخذكم عذاب يوم عظيم) وعظم اليوم لعظم ما يحل فيه (فحقروها)
 عقروها بعضهم برضاهم فكأنهم عقروها كلها (فأصبحوا نادمين) على عقروها خوفا من حلول العذاب
 (فأخذهم العذاب) الموعود (إن في ذلك لآية) الى قوله (العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها . انتهى التفسير
 الذي ظلى للقسم الخامس

(الْقِسْمُ السَّادِسُ)

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
 أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ *
 أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ إِنْ مِنْ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْتُمْ
 أَعْيُنُكُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَحْنُ أَمْ تَتَلَوْنَا بِآيَاتِكَ يَا لُوطُ لَسَكُونَنَّ مِنَ الْخُرُجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ

مِنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَسْمُوكَ * فَتَجِيئَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَرَسْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْسَانَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْصِيَاءَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَئِنْ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (كذبت قوم لوط المرسلين * إذ قال لهم أنوهم لوط) الى قوله (من العالمين) أى أتطون الذكور من أولاد آدم مع كثرة الاناث فيهم (وتذرون ما خلق لكم ربكم) لأجل استمتاعكم (من أزواجكم) - من - تبين لما خلق ويحتمل أن يكون التبويض أى انكم تذرون العضو المباح منه وتجاوزونه الى ما هو محرّم فيه لأن أديار الزوجات والمملوكات محرّمة (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون الحد في الشهوة لأنكم تذرون ما هو محل التناسل من النساء الى غيره منه ومن الرجال (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن نهينا وتقيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من بلادنا (قال إني أعلمكم من القالين) من المبعضين غاية البغض فأنا أحد المبعضين فلست وحدى في هذا الانكار ثم رجع الى ربه فقال (رب نجني وأهلى مما يعلون * فتجيئاه وأهله أجمعين) أهل بيته والمتبعين له على دينهم إذ أمرنا باخراجهم من بيوتهم وقت حاول العذاب (إلا عجوزا) هى امرأة لوط (في الغابرين) أى كائنة فيمن بقوا في القرية فانها لم تخرج مع لوط فهلكت مع أهل الكين (ثم درسنا الآخرين) أنسلكتناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم * وقيل بل أتبع الاتفاق مطرا من حجارة (فساء مطر المنذرين) مطرهم (ان في ذلك لآية) الى قوله (لهو العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها أيضا

﴿ لطيفة في قصة قوم لوط عليه السلام ﴾

اعلم أن الله عز وجل أذن اليوم بإبراز العجائب والحكمة في القرآن لتقرّبه النواظر وتشرح به الصدور وتستقر الامور، فانظر أبداً الى ما جاء اليوم من الكشف والعلم في هذه القصة في المجلات والكتب مثل « مجلة السياسة » الأسبوعية يوم السبت ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢٨ وهذا نص ما جاء فيها

﴿ قصة سدوم وعمورة ﴾

(هل هي حقيقة أم خرافية . أحدث آراء علماء الآثار)

في السكتب المنزلة ان الله أهالك مدينتي سدوم وعمورة وثلاث مدن أخرى بجوارهما بأن أمطر عليهما نارا وكبريتا من السماء فلم ينج من سكانها سوى ابراهيم الخليل وأهل بيته ولوط وابنتيه . ولم يكن ابراهيم من أهل تلك المدن ، وإنما كان قد نزح اليها من الشمال طلبا للرحى حسب عادة القبائل الرحل في ذلك الزمن ، وقد اختلف المؤرخون في قصة سدوم وعمورة فذهب بعضهم الى انها خرافة لا طائل تحتها ، وزعم آخرون انها قصة رمزية ترمي الى العظة والتذكير ، وقال فريق ثالث انها حقيقية وان في آثار البلاد المجاورة للبحر الميت ما يثبت صدقها ، ولعل الدكتور (أولبرايط) المشهور بمباحثه الأثرية في بلاد المقدس في مقدمة الذين سعوا لمعرفة حقيقة قصة (سدوم وعمورة) التي قدموا عليها أربعة آلاف سنة وهي لا تزال من الأسرار المستغلة على علماء التاريخ ، ويظهر من المباحث الأخيرة التي قام بها أن تلك القصة حقيقية بجميع تفاصيلها واننا على وشك اكتشاف مأساة من أفظح المآسي التي شهدتها التاريخ

قام الدكتور (أولبرايط) بمباحث واسعة النطاق في وادي الأردن وعلى سواحل البحر الميت وهما المسكان الوحيدان اللذان يظن أن سدوم وعمورة والثلاث المدن الأخرى كانت فيهما ، وقد انتهى من المباحث الى هذه النتيجة وهي أن القصة الواردة في السكتب المنزلة ليست خرافية ولا رمزية بل هي تاريخية بجميع تفاصيلها وبجزئياتها ، وخلاصة هذه القصة هي أن حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد انحدر ابراهيم الخليل من بلاد ما بين النهرين الى فلسطين ومعه أهل بيته وابن أخيه لوط وأهل لوط ومع كل منهما مواش كثيرة ، وفي رواية التوراة أن الأرض لم تحتما لهما لكثرة ما كان معهما من الغنم والبقر والرعاة ، وانه حدثت محاصرة بين رعاة مواشيهما فافترق لوط عن ابراهيم حفظا للسلام ، واختار لوط دائرة الأردن أي الوادي الذي كانت فيه سدوم وعمورة وأقام بسدوم ، واختار ابراهيم المرتفعات التي في الشمال وضرب خيامه في موضع يقال له (بلوطات عمرا) وأقام هناك مذبحا لله لأنه كان مؤمنا ، أما لوط فيظهر أن اختلاطه بأهل سدوم أنساه عبادة الخالق فافترق أثر الوثنيين (هذه يكذبها القرآن) وكان ذلك في القرن التاسع عشر قبل الميلاد أي منذ نحو أربعة آلاف سنة وهذا هو العصر المعروف لدى علماء التاريخ بالعصر البرونزي ، على أن آثار فلسطين التي ترجع الى أربعة آلاف سنة تدل على أنه كان في فلسطين في ذلك الزمن حضارة راقية وليس في تفاصيل قصة ابراهيم ما يناقض آثار تلك الحضارة بل ان جميعها تنطبق على عادات القوم وطقوسهم وشعائرهم كل الانطباق ، فقد كان الناس الرحل يستجمعون المراعي النضرة ويضربون خيامهم حيث تسكن المياه وتسهل وسائل المعيشة وكانت المدن تشاد في الأودية على مقربة من مجرى الأنهر كما كانت الخيام تضرب على المرتفعات وهذا عين ما فعله ابراهيم وليس في هلاك مدينتي سدوم وعمورة ما هو مدهش من الوجهة العلمية أو التاريخية فقد أخرجت صروف الدهر مدن (تروادة) و (بابل) و (بعلبك) و (قرطاج) و (بطرا) و (بومباي) و (تدمر) وغيرها ولكن لم ينج أثر إحداها محو تاما بل لا يزال لسكل منها آثار تدل عليها وعلى ما كان لها من المجد والعظمة

أما سدوم وعمورة بل المدن الخمس التي كانت في دائرة الأردن فقد زالت ولم يبق لها أثر قط وهذا ما جعل الكثيرين من المؤرخين يعتقدون أن قصة سدوم وعمورة خرافة لا طائل تحتها أو أنها حكاية رمزية كما تقدم على أن الدكتور (أولبرايط) قد اكتشف آثارا يمكن أن يستدل منها على صحة القصة فقد وجد هناك آثار حصن قديم يعلو نحو خمسة مائة قدم على سطح البحر الميت وبجوار هذا المذبح أي حجارة منصوبة بشكل أعمدة يرجح انها المرتفعات التي كان الوثنيون في ذلك الزمن يقدمون عليها قربانهم ، ويسمى أهالي الأردن المكان

الذي توجد فيه تلك المرتفعات (باب الدراع؟) وهو على الأرجح الموقع الذي كانت فيه سدوم وعمورة لأن الوثنيين كانوا ينصبون مذابحهم في المدن (في المعابد) حيث يقيمون شعائر عبادتهم فلا بد إذن أن باب الدراع كانت مركز حضارة وثنية ترجع إلى ذلك العصر ولكن أين آثار تلك الحضارة؟ أيمكن أن يكون البحر الميت قد طما عليها فطمرها وأزالها؟

هذا فرض كثير الاحتمال وفي التاريخ حوادث كثيرة تشبهه ، ففي سنة ١٨٨٣ نار بركان (كرا كاتو) بين جافا وسومطرة (وكان العلماء يظنون أنه قد انطفأ منذ زمان طويل) فغير جغرافية تلك الأنحاء تغييرا تاما وقبها رأسا على عقب ، وفي سنة ١٨٨٦ أي بعدها بثلاث سنوات نار بركان (تاراورا) ببلاد نيوزيلندا (وكان العلماء يزعمون أنه من البراكين المنطفئة) فغير معالم البلاد المجاورة وأحدث بها تغييرات حتى صار أهالي تلك الأنحاء لا يعرفونها ، وعليه فمن المحتمل جدا أن يكون البحر الميت قد طما على المدن الخمس التي كانت في دائرة الأردن بل أن بعض علماء الجيولوجيا يؤكّدون أن هذا البحر يفمر اليوم بلادا كانت أهله بالناس أما المدن الخمس فهي سدوم وعمورة وأدمة وبناع وصبوتيم ، وقد نشر المتقّبون في (باب الدراع) على آثار يؤخذ منها أن طقوس العبادة الخاصة بالمرتفعات السابق ذكرها استمرت من سنة ٨٠٠ إلى سنة ١٨٠٠ قبل التاريخ الميلادي أي أن باب الدراع كان من أمكنة القوم المقدسة مدة نحو ألف سنة ثم هجره أصحابه ولماذا؟ لسبب بسيط وهو خراب سدوم وعمورة

وليس في تسميتنا سدوم وعمورة وأخواتهما بالمدن ما يدل على حقيقتها فانها لم تكن مدنا بالمعنى المعروف عندنا بل كانت على الأرجح قرى صغيرة تضم كل منها بضعة عشرات أو أكثر من المنازل وكان ملوك تلك المدن أشبه بشيوخ بلد لولا ما كان لهم من الشأن عند رعيتهم ، ويؤخذ من رواية التوراة أن ملوك المدن الخمس المذكورة خرجوا لقتال أربعة ملوك من ملوك البلاد المجاورة وحدثت بينهم موقعة تعرف بموقعة (عمق السديم) فهزم الملوك الأربعة أهداهم وأخذوا لوطا وأملاكه في جلة من أخذره من الأسرى والغنائم لأنه كان يقيم بسدوم ، فلما سمع إبراهيم بما جرى لابن أخيه خرج في (٣١٨) من رجاله وهجم الغزاة وكسرههم وأخذ لوطا وأملاكه وأهل بيته ، وفي هذه الرواية عينها أن ملكي سدوم وعمورة قتلا في (عمق السديم) حيث كانت آبار حرك كثيرة وآبار الحرك لا يخفى هي قنطرة للأنهاب وفي ذات يوم إذ كان إبراهيم جالسا بباب خيمته في حر النهار أقبل عليه ثلاثة رجال ، وفي التوراة أنهم كانوا ثلاثة ملائكة فاستقبلهم بترحاب عظيم وصنع لهم وليمة واحتفى بهم وفي أثناء الطعام علم أنهم ذاهبون إلى سدوم وكان أهل هذه المدينة مشهورين بشروهم وانتماسهم في شهواتهم البهيمية ولا سيما المحرمة منها ، فلما وصل الرجال الثلاثة إلى سدوم ساروا إلى منزل لوط ابن أخي إبراهيم ليتنوا عنده وعلم أهل سدوم بتقدمهم فأرادوا أن يرتكبوا بهم موقبا ولكن لوط دافع عنهم وعرض أن يضحي ببنتيه لينقدهم فأبى أهل سدوم إلا أن يرتكبوا بهم الفحشاء ولكن الضيوف تمكنوا من الفرار وأقنعوا لوطا وأهل بيته بالفرار معهم ، واليك رواية التوراة بعد ذلك

« واذ أشرق الشمس على الأرض دخل لوط (صوهر) فأمر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من السماء وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن، ونبات الأرض ونظرت امرأة لوط إلى وراء فصارت عمود ملح » ومعنى قوله صارت عمود ملح أنها اختشت بالغازات الكثيرة المتصاعدة من آبار الحر التي انبثت إما بسبب حدوث زلزلة أو بسقوط صاعقة من الجوّ ، وكلا السببين يكفي لاشتعال آبار الحر وجعلها أتونا يلتهم ما حوله من نبات وحيوان وإنسان ، ومثل هذا الحادث غير مناقض للنواميس الطبيعية بل له في التاريخ نظائر كثيرة ، وفي تاريخ الكرة الأرضية انقلابات جيولوجية كثيرة شبيهة بحادثة (سدوم وعمورة) فقد يشور بركان وتتدفق حممه على المدن المجاورة فتطمرها وتهلك أهلها وقد تنخفض بلاد واسعة فيطموع عليها البحر وتزول

هي ومافوقها من نبات وحيوان وانسان وقد نشق الأرض فتبتلع مدنا بأسرها ، وهما يدبر بالذكى انك اذا وضعت الخطرطة أمامك ورسمت خطا من بحر الجليل مارا بوادى الأردن فالبحر الميت فالبحر الأحمر فبلاد الحبشة كان لك مايسميه علماء الجيولوجيا (منخفض ارتيريا) إذ يقولون ان الكرة الأرضية انخفضت فى زمن من الأزمان على مدى الخط المذكور فأصبح بحر الجليل يصب (٢٥٣) قلما على سطح البحر الأبيض المتوسط حالة أن البحر الميت أصبح تحت مستوى البحر الأبيض المتوسط بزهاء (١٣١٦) وهذا دليل على أن المدن الخمس التى كانت هناك غمرها البحر الميت وانخفض معها الى أسفل وقد احترقت بالثقل والحر واستحق أهلها بالغازات المنبعثة عن ذلك (أقول نحن لا نقر من هذا إلا ماوافق القرآن) انتهى

وقد كتب كاتب فى جريدة الاهرام بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٢٩ م مانصه

﴿ البحر الميت أو بحيرة لوط ﴾

لما كان اسم هذا البحر أو البحيرة يرد كثيرا فى تفرقات الاهرام الخصوصية بمناسبة امتياز استنباط أملاحه المعدنية وهو المشروع الذى تدور المناقشة عليه فى البرلمان البريطانى بين حين وحين فى خلال السنوات الأخيرة وكنت قد زرته مرارا فى أيام حدائتي التى قضيتها فى القدس الشريف رأيت أن أذكر هنا موجز تاريخ هذه البحيرة ووصفها وما أعرفه عنها فأقول

« إن موقع هذه البحيرة التى هى أكبر بحيرات فلسطين وسورية هو فى الجنوب الشرقى من القدس الشريف على مسيرة ١٨ ميلا فى منخفض من الأرض يسميه الكتاب (غور السديم) ويرجح انها تغمر جانبها عظيما من المدن الخمس التى أمطرها الله نارا وكبريتا كما ورد فى سفر التكوين من التوراة وطولها من الشمال الى الجنوب يقارب خمسين ميلا وعرضها عشرة أميال وسطحها منخفض عن سطح البحر المتوسط (١٣١٦) قدما . ولما كانت هذه البحيرة مصبا لمياه غريزة وكان لا منفذ لها ظاهرا ولا يبدو فيها أثر من زيادة مائها أو نقصانها تضاربت فى امرها آراء العلماء أذكرهم (رأينى) قال فرىق ما خلاصته ان غور أرض هذه البحيرة وانخفاضها العظيم واكتناف الجبال التى تشدد على مخنفها طوي مجلبة أشدة الحر الذى يبعثر من مائها يوميا كمية تعادل الكمية التى تصب فيها ، ولا ينكر أحد أن حرارة الجو الشديدة ينشأ عنها بخار وافر وضباب كثيف متكاثر ينتشر ويغطى سطحها وضواحيها مسيرة أميال ولكن يلوخ من المستحيل تحويل كل الماء الذى يصير اليها بخارا أو ضبابا على ما علمه المحققون من علماء هذا الفن وقد عدلوا كمية الماء الذى يجرى اليها يوميا من نهر الأردن وحده بما يربى على ستة ملايين متر مكعب ، هذا عدا مياه الغدران والجداول ومجارى الأودية التى تصب فيها أيام الشتاء من أكثر جهاتها ولا سيما (نهر المرحب) الذى يأتيها من منحدرات الجبال التى تلى شرقها فانها تعمى كمية لا سبيل الى تحويلها بخارا مهما تباطأت شدة الحر ، وقال فرىق آخر انه لا بد لها من منفذ سفلى تصب منه فى عمق أحد البحور التى لا يعلم الى الآن غور لجبها تماما وراقبوا الماء الذى يخمره سنويا بالتبخر وبذهابه فى المنفذ المفترض فاذا هو يزيد على القدر الذى يأتيها . وأما خواص مائها فليس له ثقل نوعى واحد بل يختلف فى الكثافة والمرارة باختلاف مواضعه منها ، حيث يدخلها ماء الأنهار والسواقي يكون أقل ثقلا ومرارة من غيره ، وعلى وجه العموم يقدّر أن فى كل مئة جزء منه خمسة وعشرين جزءا من الأملاح المعدنية ذائبة فيها وهى لكثرة أملاحها لاجية فيها لحيوان البتة . ومعالم أن مياه البحار الأخرى لا تفوق أملاحها أربعة فى المئة . وأعظم جزء بين موادها هو (كلورور الصوديوم) وهو ملح الطعام فانه يبلغ ثلاثة أرباع المواد الأخرى التى فيها مثل (كلورور المغنيسيوم) وكبريتات الكلس والمغنيسيا وغيرها من مواد أخر قارية وزفتية وكلها تولد فيها تلك المرارة والكرهية وهى من فرط هذه المواد المعدنية وكثرة ما يتصاعد عنها من الضباب والأبخرة صافية راتقة تسبج النواظر بجمال رواثها غير أن الأبدى تتجافى عن لمسها لأنها تذر فيها أثرا

زيتا ولا مناص لمن خاض فيها أن يتطهر بعد ذلك بماء عذب زلال وأنه لا يلبث زمنا قليلا حتى تجوس في جسمه حكة تهيج فيه البثور كما جرى للكثيرين وأكثر الذين يقصدونها للاستحمام يستحمون فيها على مقربة من مصب الأردن في الجهة الشمالية حيث يتكثرون بعيد ذلك من الاغتسال في ماء الأردن . ولتقل ماء هذه البحيرة يطفو فوقها مارسب في غيرها وإنما لاحذر فيها على من لا يحسن السباحة فإنه يعوم ولور بطت كاتا يديه وراء ظهره وكل ما عليه هو أن يرفع رأسه ، و يبلغ عمقها نحو (٤٠٠) متر في الجهة الشمالية وستة أمتار وما ينفقها في الجهة الجنوبية ويختلف ما بينهما باختلاف مواضعها تدريجيا ، وبالاجمال فانها تصلح لتسيير البواخر الصغيرة

أما أرياف هذه البحيرة فسكلها بلاقع قفرة خالية من السكان والصور والشجر ولا يقيم بها إلا بعض البدو وقبائل التمرين الرحل وذلك في فصل الشتاء وتحيط بها الجبال الوعرة إلا في الجهة الشمالية الشرقية منها فانها سهل فسيح الأرجاء ولكنه عميق حتى التربة تغطي قشرة ملحية جعلت أرضه سبخا لا تنبت نباتا إلا حيث تجرى فيها المياه الخلوة ونباتها لا ينتفع به وهو في الغالب الحلفاء والابأة وماشا كلها من النبات المائي وقديما كان ينبت في جوار هذه البحيرة وأريافها نوع من الشجر يعرف ثمره بالعنب السام أو العنب المرفكان ظاهره بهي المنظر إلا ان داخله كان قننا عفنا مملوا رمادا وبخارا وقد أشار اليه النبي موسى في سفر التثنية قال « من جفنة سادوم وجفنتهم ومن كرم عمورة عنبهم عنب سم وعناقيدهم من صرارة » والى الآن نرى أكثر ثمار هاتيك الأرض المجاورة لها نضرة شبيهة غير أنك اذا ما قطفها تحوأت بيدك الى غبار ورماد ، على أن هذه الأرض وان لم تصلح الآن للزراع والتمير فهي صالحة لاستخراج المعادن فانها كثيرة غنية بها بالحجر والنطرون والكبريت وزيت البترول الخ . والأسماء المشهورة بها هذه البحيرة هي ما يأتي

- (١) بحيرة لوط نسبة الى لوط ابن أخى ابراهيم الذى أنجاه الله مع آله من سدوم
- (٢) البحار الميت لأن مياهه لا تعيش فيها الحيوانات المائية وتلبث راكدة هادئة إلا عند اشتداد العواصف
- (٣) البحيرة المنتنة لأنها تنبعث عنها في الغالب رائحة خبيثة لوفرة موادها المعدنية
- (٤) بحيرة الملح اعتبارا لمائها الأجاج ووفرة الملح فيها
- (٥) بحيرة الزيت لكثرة موادها الزيتية والتفارية
- (٦) البحر الشرقى لمقابلته البحر المتوسط لكونه غربيه
- (٧) بحيرة البرية والسهل لأنها في برية فاصلة وشمالها الشرقى سهل فسيح
- (٨) بحيرة سدوم باعتبار انها محلها على الرأى الأرجح ، أما المدن الخمس التى أشرت اليها في أوّل هذه المقالة ويقال انها كانت حولها وفي موضعها فهي سدوم وعمورة وصبوتيم وادمه وزغر . وقد اختلف علماء الآثار على موقعها فمنهم من جعله في الجهة الجنوبية من البحيرة حيث السهل الخراب . ومنهم من زعم انه في الجهة الشمالية حيث السهل القاحل الكبير حتى الممتد منها الى اريحا . على أنهم وان اختلفوا في ذلك فهم مجمعون رايًا على أن موقعها بجوار هذه البحيرة وأن جانبها منها تغمره مياهها الراكدة . وما يمكن قوله عن هذه المدن انها كانت قبل أن شملها الخراب الإلهي حافلة بالسكان متردية ثوب الحضارة والمدنية . ونخبرنا الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين أن كلا من هذه المدن كانت قاعدة ملوك جبارة فضلا عن أن موقعها الطبيعي يستدعى أن تكون زاهرة غناء مزدهية بجمال موقعها بديعة بجنانها وغياضها غنية بوفرة مائها وخيراتها لأن نهر الأردن كان يتشعب في غورها الزكي الغربية سيولا فيسقى أرباضها ورياضها وحدائقها التى كانت ولا شك تفوق جنات دمشق كثرة وخصبا . ويمكن القول أيضا أن تحضر هذه المدن قديما وتألب السكان فيها قد حلا ابراهيم الخليل على أن يتقدم الى الله العلى مسترسلا في كلامه مكررا تضرّعه اليه تعالى أن يعفو عنها

(تكونين اصحاح ١٨) غير انه لما كان الفساد قد شمل سكانها وكان جميعهم قد سكبوا بلذة الاثم حتى انه لم يعد فيها بار سوى لوط وآله انتقم الله من أهلها بأن أمطر المدين نارا وكبريتا من السماء فألب ما كان هناك خريفا معدا من البراكين النارية التي عججت دمارهم فطبق ماء الغور الزائد تحتها وجه هاتيك الأرض فنارت بهم خاسفة وظهرت البحيرة على ما نراه اليوم . انتهى والله أعلم (من . مخ)

ثم قال تعالى (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) الأيكة غيضة تبت ناعم الشجر ، يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعبيا كما بعث الى مدين وكان أجنيا عنهم فأنذرك قال (إذ قال لهم شعيب ألا تقون) ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم وإنما كان من مدين وأرسل اليهم * ويقال الأيكة الشجر المتف وكان شجرهم اللوم (إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون) الى قوله (إلا على رب العالمين * أوفوا الكيل) اتموه (ولا تكونوا من الخسرين) حقوق الناس بالتطيف (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى أو القبان ، وإذا جعلناه عربيا جعلناه من القسط وهو العدل (ولا تبغضوا الناس أشياءهم) أى لانقصوهم حقوقهم كدراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافها وغير ذلك (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى خلقكم والجبال الأولين) أى وذوى الجبال الأولين أى الخليفة والأئم المتقدمة (قالوا إنما أنت من السحرة) * وما أنت إلا بشر مثلنا) فقد جمع بين وصفين منافيين للرسالة (وانظرك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعا منها (إن كنت من الصادقين * قال ربي أعلم بما تعملون) من نقصان الكيل والوزن وهو يجازيك بأعمالكم فعلى البلاغ وعلى الله الحساب (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) إذ أصابهم حر شديد فسكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فأظلمتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (إن فى ذلك لآية) الى قوله (الرحيم) انتهى التفسير اللفظي للقسم السادس

هذه هي القصص السبع التي جاءت فى هذه السورة مختصرة وهذه القصص دالة على أن هذا وحى من الله فان النتائج التي حصل عليها الأنبياء هي التي حصل عليها النبي ﷺ ولم يكن وقت نزولها ذا شوكة ولا قوة . وهذه القصص السبع نموذج لما أصيب به النبي ﷺ من التكذيب والأذى ولما عوقب به القوم من الخذلان والصغار ولما منح ﷺ من النصر المبين والفتح ، والمتأمل فى هذا يجد هذا معجزة فانه أولا لم يكن من القارئ حتى يطلع على مثل هذا ، وثانيا لم يكن يدور فى خلد أحد أن تكون هذه عاقبة من لامال بيده ولا رجال ولا جند عنده وهذا من أغرب المعجزات . واعلم أن هذه القصص قد تكلمنا عنها فى سورة الأعراف وفى هود فارجع اليها إن شئت

(الْقِسْمُ السَّابِعُ)

وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهِمُ الْعَمَلُ * بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ تَرَّكَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا

يَسْتَعِينُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ * وَمَا أَطْلَقْنَاهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ * وَمَا تَنْزَلُ بِهِ أَنْشِيَانِ * وَمَا يَنْفَعِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّمَا عَنْ السَّمْعِ كَمَزُورُونَ * فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُنْذَرِينَ * وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاحْذَرِ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِمَا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمُرْزِقِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ جِئِينَ تَقُومُ * وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ * تَنْزِلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (وانه لنزيل رب العالمين) منزل منه (نزل به الروح الأمين) أي جبريل لأنه أمين على الوحي والوحي فيه الحياة * وقرئ -- نزل -- بالتشديد أي نزل الله الروح بالنصب أي جعل الله الروح نازلا به والباء للتعدي (على قلبك) أي حفظك وفهمك إياه وأثبت في قلبه إنبات من لا ينسى كقوله -- سقرتك فلا تنسى -- (لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) واضح المعنى فصيح ، وانما كان نزوله على قلبه بلسان عربي مبين لأنه لو كان بلغة غير لغته لسكان أول توجه نفسه الى انما يظن المعنى مهما كان ماهرا فيها ، فاذا كان بلغته التي نشأ عليها كان توجه نفسه الى المعاني بدون عائق . هذه هي العادة فيمن يعرف لغات كثيرة وهذا سبب نزوله بلغة العرب وهي لغة الرسول ﷺ (وانه لفي زبر الأولين) وان معناه لفي كتب الأولين أودكر محمد ﷺ وصفته ونعته (أولم يكن لهم آية أن يعاصه علماء بني اسرائيل) أولم يكن هؤلاء المعاندين دلالة على صدق محمد ﷺ أن يعرفه هؤلاء العلماء بنعته في كتبهم فقد بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ فقالوا ان هذا زمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدق محمد ﷺ والذين شهدوا بذلك خمسة عبيد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد (ولو نزلناه) أي القرآن (على بعض الأعجمين) جمع اعجمي على التخفيف وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا في النسب (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه) أي أدخلنا الكفر المدلول عليه بقوله -- ما كانوا به مؤمنين -- في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) الملحق الى الايمان (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) باتيانه (فيقولوا هل نحن منظر) معناه انهم يسألون الامهال فلا يجابون ، ولما تكرروا الانذار على أهل مكة وسعوا بعذاب الأمم السابقة في مثل هذه السورة قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب ؟ فقال الله (افعبذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متعناهم) متعنا أهل مكة (سنين) ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) وهو العذاب (ما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يمتعون) كأنه قيل ليكن الأمر

كما يستقذرون من تنعيمهم وتعميرهم فإذا طال الأجل وتمتعوا ثم لحقهم ما أنذروا به فإذا ينفعهم من طول ذلك الأمد والتمتع بالنعيم ، يقول الله إن العذاب واقع عاجلاً أو آجلاً فإذا لم يكن عاجلاً فإنا نفيدهم نعيم وطول عيش هو ذاهب لا محالة بوقوع العذاب ، إن النعيم المنقطع لا فائدة منه ولا خير فيه * وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظمي فلم يزد على تلاوة هذه الآية ، فقال ميمون قد وعدت فأبقت * وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يترؤفها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذر) ورسول ينذرونهم إلزاماً للحجة كما هي عادتنا في أننا نقدم المرض قبل الموت غالباً إذا رأينا حكمة ، وكما أنذرنا الناس بالردى قبل وقوع الكوارث والحوادث ، وهكذا إذا جاء أجل الأمة أطمنا خطباءها وعقلاءها فذكروا المستقبل المظلم الذي لها ، وإنما فعلنا ذلك (ذكرى) أى لأجل التذكرة (وما كنا ظالمين) فهلاك غير الظالمين وقبل الانذار . كلا .

﴿ جوهره في قوله تعالى .. وما أهلكنا من قرية إلا لها منذر ﴾ ذكرى وما كنا ظالمين - مع قوله تعالى في سور أخرى - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - وقوله - وما كنا مهلكي القرى إلا أولاهم الظالمون - وقوله - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - والظلم هنا الكفر وقوله - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً - وقوله - حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون * لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون - وقوله - خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً - ﴿

ها هوذا القرآن يقول لنا أيها الناس إن الترف والنعيم والظلم مبدأ الخراب في الأمم ، ويقول إن الأمم إذا أدبر شبابها وولت أيامها وأقبل هرمها أنذرهما منذرهما وحذرهما المحذرون ، وهنا نقول ، لما إذا أنزل الله هذه الآيات في القرآن الكريم ، مجرد التلاوة والتعبد ، كلا ، بل للتلاوة والتعبد ومعهما العمل . أم الإسلام اليوم في حاجة شديدة إلى الإصلاح والتذكير والله يقول - وذكرهم بأيام الله - إذن نحن مأمورون أمراً حتماً وواجباً وجوباً كفاً وعلى كل مشتغل بعلوم الأمم الإسلامية أن يذكرهم بما علم . فإذا هنا أذكر المسلمين عموماً بأمتين أنذرهما المنذرون وحذرهما المحذرون قبل سقوط دولتهما وهما أمة المصريين القدماء وأمة العرب بالأندلس . أنا أكتب هذا هنا تذكيراً للمسلمين وخروجاً من الإثم بالتقصير لعلمي أن ما أكتبه أنا ويكتبه غيري من أهل العلم ببلاد الإسلام يرفع همهم ويوقظهم إلى المستقبل كما قال تعالى - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - وإذا كانت الذكرى قد نفعت الأمم الفرعية وأتارت دولهم وممالكهم القوية في عصرنا فإنها ستكون هنا في بلاد الإسلام أسرع أثراً وأنفذ قولاً وأبعد مدى . فهناك ما حدث بفرنسا قبل أوائل هذا القرن العشرين . ذلك أنهم أعلنوا أن تحضر الفتيات عاريات في المراسع ليطلع الناس على الجبال باللباس في مرقص من مرقصهم ، فأعلن أحد علمائهم أن يلقى خطبة في ذلك الأمر واستقباحه ، فلما حضر واجتمع القوم رموه بالطماطم حتى صارت ثيابه جميعها ملوثة بلون الطماطم فلم يزد على أن قال « ما كنت أعلم أن هذا يوم الكرنفال » الكرنفال معناه يوم يلبس الناس فيه الملابس المضحكة لمجرد الفكاهة (المسخة) فضحك القوم وأنصتوا للخطبة فقص عليهم تاريخ الرومان قائلين « إن الرومان في أواخر أيامهم قد تمادى النساء في غوانيهن حتى وقفت فتاة في الشارع وخطبت على عربة وقالت والله لا ترجع عن الزينة والزخرف حتى تكون عرابتنا من ذهب وتصبح المالقة وقفاً على أفتننا في الخلاعة والزينة ، وزاد التجور والفسوق فالتحت تلك المدينة وذهبت » فلما سمعه القوم أعرضوا عما عزموا عليه ومنعوا حضور النساء عاريات ، ذلك لأن الخطيب ذكرهم بذهاب مجدهم وانحلال ملكهم ، هكذا هنا أذكر المسلمين الآن بهاتين الأمتين وسيكون لذلك أثره إن شاء الله

والله هو الهادى الى صراط مستقيم

فلأجعل الكلام فى « أربعة فصول » الفصل الأول فى الخطاط ديانة المصريين بعد ارتفاعها

« الفصل الثانى » فى ورقة انسطاسى البردية أوسفرا بورر النبى المصرى القديم ونبوة الفيلسوف هرمس

« الفصل الثالث » فيما حل بالأنلس من احتجاب الخلافاء ونشب الفتيات بالفتيان وشيوع الترف والانغماس

فى اللذات وتفرق المصيبة

« الفصل الرابع » فيما توقعه العقلاء من زوال ملكهم

« الفصل الأول فى الخطاط ديانة المصريين »

أنا أسوق هذا الفصل لأذكر قومنا بأيام الله حتى لانقع فيما وقعوا فيه فأقول ، لابد قبل البدء فى ذكر الخطاط هذه الديانة من ذكر ارتقاها وعلاؤها حتى نعرف كيف انحطت . إن المصريين استدلوا على الله بعقولهم أجيالا وأجيالا حتى عرفوا اسمه وصفاته وأحبوه حباً جماً آلاف السنين ثم رجعوا القهقري ونسوا أصل الدين وعبدوا الحيوانات فزال مجدهم ، وقد جاء فى نص فى قبر الملك (ببى الأول) انهم أولاً كانوا يقولون ان أنوم وذريته (آدم) وذريته كانوا يسكنون مدينة (هليوبوليس) وأنوم هذا كما انه أبو الآلهة هو رئيسهم ورئيس الآلهة التسع المذكورة فى عقيدة هليوبوليس التى كانوا يسمونها الفردوس الأرضى (هى قرب القاهرة الآن) وكانت هذه النورية الآدمية خليطاً من الآلهة والبشر فى طهارة وسلام ، ثم ان (رع) كبير الآلهة انتصر على الحية وهى إلهة الشر (رع) هذا بحكم للأرباب والمربوبين وبعند ذلك زالت الهيبة هؤلاء الآلهة الذين استعبدوا الناس ثم زالت هيبة المعبود (رع) ثم خافوا منه فهربوا للعجبال فأهلكهم ثم استبقى من كان يحترمه من الناس ثم تكبر على الناس جميعاً لأنهم مطبوعون على الشر وسكن السماء بعد أن نظمها واستخلف غيره من الآلهة البشرية وهذه الآلهة جميعها تعرض وتموت كالشرا انتهى ملخصاً

ثم تطوار القوم فعرفوا أن آدم هذا وذريته جميعاً مخلوقون وأن لهم خالقاً بدليل ما جاء فى « كتاب الموتى » (فصل ٤ العدد ١ - ١١ - ١٢) « لا يعرف الانسان اسم الخالق » وجاء فى أنشودة المعبود آمون « ان اسم الخالق خفى عن الناس » وجاء فى نصوص اهرام الملك أوناس من الأسرة السادسة « ان الخالق لا يمكن معرفة اسمه لأنه فوق مدارك العقول » ثم استعملوا ألفاظاً عامة كاللوهية وبعض ألفاظ تدل على الخالق بطريق السكناية فقالوا « السيد المطلق المالك كل شئ وأنه لانهاية له ولا حده » ثم اهتموا لمعرفة صفاته وربما عرفوا اسمه من الأنبياء القدماء فقد جاء لفظ الجلالة مراراً فى أمثال وحكم (حسب) الأديب المصرى القديم منصوطة فى كتابه الذى هو أقدم كتاب فى العالم وهذا نصه « لا توقع الفزع فى قلوب البشر لئلا يضربك الله بعضاً انتقامه » . قال (لباج رينون) « إن اليونان والرومان كانوا عريقين فى الوثنية حتى لم يسمع عنهم انهم ذكروا اسم الله أصلاً . أما قدماء المصريين فلم يرد فى تاريخهم انهم عرفوا الوثنية » وأن الورقة البردية فى المتحف البريطانى تضمنت ما يأتى « أنت الإله الأكبر سيد السماء والأرض خالق كل شئ ، يا إلهى وربى وخالقى قو بصرى وبصيرتى لأستمر مجدك واجعل أذنى مصغية لقولك » فأما اتخاذهم السماء إلهاً أو عبادتهم السكواكب فأنما جعلوا ذلك رمزاً لله الواحد الصمد . هذا وأذكرك أبها الذكى بما ذكرته فى سورة البقرة من التشيد الذى جاء فيه التوحيد ومحبة الله والابتهاج بأنواره التى خلقها فى الليل والنهار التى فيها أنت العالم بأسرار الحياة تظهر بحجج الملك فى آفاق السماء

هذا هو ارتفاع مدنيتهن ، أما الخطاطها الذى سقنا له هذا الفصل التى مبدؤها سنة ١٦٠٠ ق . م الى سنة

٤٣٠ ق . م أى بعد خروج الرعاة من مصر وهذا بيانه

« انحطت مصر فى الدين والأدب فى الدولة الحديثة بسبب الثورات العديدة التى توالى عليها واستمرت

الى العصر الروماني لاختلاطهم بالأجانب ، وقد كانت الحيوانات منذ قد انهم رمزاً للإله أطلق ولكن في الدولة الحديثة جعلوها فوق الهياكل والمعابد وجعلوا المعبودات في المنزل الثانية من الاعتبار وكثرت الخرافات فمبدوا الطيور والسمك والحيتان والخنازير والقطة والكلاب والذئب واشتدوا آلهة لهم وخطووها ودفنوها بعد موتها بالاحترام والاحترام ، وهذا كان من مبدأ الأسرة (٢٣٩) وامتد الى العصر الروماني ، وقد عظموا هذه الحيوانات حتى انها اذا لدغتهم أو نهشتهم واقترسهم لا يدفنونها احتراماً

وقد أنجب (ديودور الصقلي) أن رومانيا قتل خطأ فقتله الشعب المصري انتقاماً ، وذكر (بوتارك) أن أهل (سينبوليت) بالأقاليم الوسطى أخذوا سرقة نوعاً من السمك الذي كان معبوداً عند أهل إقليم (اكسرينيك) وأكلوه فأعلن هؤلاء عليهم حرباً عواناً وأخذوا يكلبوا معبوداً لهم وذبحوه انتقاماً وتشفياء . وقال (استرابون) أنهم كانوا يتكفون وضع المسك للشمس في البحيرات المقدسة ويكابدون في ذلك نفقات عظيمة . وقال هيردوت أنهم كانوا يدفنون حيواناتهم المقدسة في قبور على مقربة من قبور ملوكهم وأسيانهم وعنوا بدفنها أكثر من عنايتهم بدفن جثث آبائهم وأعراسهم ، وقد كشفوا أخيراً حفراً عميقة وأنفاقاً واسعة مملوءة بمئات الألوف من القطط والخنازير الخنطة ، وقد كشفوا مع أموات الدولة الحديثة كثيراً من التماثيل الصغيرة المسماة (أوشاني) أي الحيات تجيب السماء وتجيب عن الميت يوم الحساب أو تقوم مقامه أو تكون في بدن الميت في الأعمال التي يستخرج الميت فيها (سوريس) وهكذا عبدوا الأفاعي والحيتان . انتهى الفصل الأول

الفصل الثاني في نبوة الفيلسوف هرمس وفي ورقة انسطاسي البردية أوسفر (ابور) النبي المصري القديم : ان ديانة قدماء المصريين طال أمدها أربعة آلاف سنة ، وقد أخبر الفيلسوف هرمس بمسئلتها فقال : يجب عليكم أيها الحكماء أن تستدركوا كل شيء وتعرفوا انه سيأتي وقت يترك المصريون عبادة الله فيغضب عليهم ويترك أرضهم ويهجر مصر يدون ديانة وتهمل الأشياء المقدسة ويأتي اليها الأجانب من كل صوب فيضعون لها قوانين تحرم ممارسة الديانة الحقة والتقوى وعبادة الإله وتعاقب من يباشرها وترى في القبور والأموات بدلاً من المعابد والهياكل التي تدنس أرضها ، أوام مصر . سيأتي عليك وقت لا يبقى فيه من دينك القويم إلا الخرافات وتختصر أخبارك في بعض أشجارك ويستوطن فيك البرابرة والهنود ويصعد الإله الى السماء ويموت البشر وتصبح مصر قاعاً صفصفاً لا يقيم فيها الآلهة ولا عقلاء الناس . وأنت أيها النيل المبارك أنبئك انه سيدنس مياهك المقدسة أمواج من الدم وتفيض الى شواطئك وتكثر الأموات وتقل الأحياء وان بقي من المصريين من يتكلم بلغتهم فانهم يكونون أغراباً عنها بأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم التي تسمى اليهم من الأجانب . أنت تبكي اليوم يا هرمس . سيكون في مصر أشياء محزنة كثيرة . واحسرتنا ستقع مصر في الضلال والكفر تلك الأرض التي كانت وطن الأتقياء وحيدة الإله ستفسد فيها أخلاق القديسين بعدما كانت مدرسة التقوى والعبادات وستصير مسرحة للشُرور والموبقات . سيكونه العاقل الدنيا وما فيها ويؤثر الموت على الحياة لما يراه من قلب الحقائق وتفضيل الظلام على النور حتى يعتبر الفاسق تقياً والأحق عاقلاً والجبان شجاعاً والضلال رشداً وتكون حياة الرجل التي عرضة لجميع الأخطار انتهى (منذ ٤٠٠٠ سنة)

وجد في متحف (لندن) تحت رقم (٣٤٤) ورقة بردية طولها ٣٧٨ سنتي في عرض ١٨ سنتي اشتهرت بورقة (انسطاسي) لأنه هو الذي كشفها في مدينة منفيس بقرب (سقارة) ثم باعها الى متحف لندن سنة ١٨٢٨ وهي مكتوبة من وجهتيها بالخط الهيروغليف في مدة الأسرة الثانية عشرة . وقيل انها كتبت في الأسرة التاسعة عشرة وترجمت الى الألمانية والإنجليزية واللاتينية ثم الى العربية . وفي هذه الورقة تنبؤ (ابور) النبي المصري القديم وهذا نصها : سيأتي على مصر زمان ينضب فيه ماء النيل وتبطل زراعة الأرض . وأطال في وصف الخراب . ثم قال ويتقلب الصغار على الأكابر وأكثر من الكلام في الثورة الداخلية . ثم قال ويحدث البرابرة

فرصة للاستيلاء عليها واستضعاف أهلها وتسود العبيد وينهبون أموال أربابهم حتى تتخذ نساؤهم عقود الذهب والفضة والحقيق بينما تكون الأميرات في الطرق بأسات إلى أن قال « ثم تنتهي هذه الشرور ويهود اهناء على يد رسول يرسله الله فيعيد الحياة في أرض مصر فيسود السلام وتفيض مياه النيل وتتم الزراعة ويسترد المصريون ثغورهم عن تنلبوا عليهم من العبيد والليبيين والنوبيين ويحلّ العمار محل الدار » اه ومعالم أن مصر قاست الشدائد ودخلها الأجانب وقد احتلتها الزراعة وبقوا فيها (٥٠٠) سنة والفارسيون وأهل النوبة واليونان والرومان والله مقلب الليل والنهار

ومن العجيب أن أنبياء بني اسرائيل تنبؤوا في التوراة بمثل ما تنبأ به نبي المصريين . انتهى الفصل الثاني وكله ملخص من كتاب (الأدب والدين) عند قدماء المصريين

(الفصل الثالث فيما حلّ بالأندلس من احتجاج الخلفاء وتشبه الفتيات بالفتيان

وشيوع الترف والانغماس في اللذات وتفرق العصبية)

لقد كثرت الترف والنعيم وأخذ الخلفاء الأمويون في أواخر أيامهم في الملاذ والمشهورات والاحتجاج في القصور وقد كان المنشدون والسفراء يكلمونهم من وراء حجاب ويقف الحاجب من دون الستر فيكرموا يقولونه ومما يحكى أن ابن مقانا الأشبوني ألقى قصيدة على مسمع من الخليفة المحتجب ادريس بن يحيى الجوى قال في آخرها

أنظرونا نقتبس من نوركم * إنه من نور رب العالمين

فرفع الخليفة الستر وقابل وجهه بوجهه وأجازه جائزة حسنة ، وبينما الخلفاء يحتجبون عن الناس كالنساء إذا النساء يتشبهن بالرجال * قال الوزير بن شهيد

ظبية دون الظباء قنصت * فأنت غيداء في شكل صي

فتح الورد على صفحتها * وحماه صدغها بالمقرب

وقد شاعت مجالس الخمر والسماع والرقص على نعمات الأوتار . ولقد صار المرابطون الذين أسسوا ملكهم على التقوى والصلاح في أوّلها أهل خلاعة في آخرها فسكنوا القصور في الأندلس وأكثروا من مجالس الطرب واللهو فضعفت عصبيتهم ودينهم وأخلاقهم فتغلب عليهم الموحدون وانتزعوا منهم البلاد التي بقيت في أيديهم ٢٢ سنة من سنة ٤٨١ الى سنة ٥٤١

جاء في سورة الاسراء عند قوله تعالى .. وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا .. من كتاب (الرحلة الأندلسية) للأستاذ البتوني بيان لما حاق بالمسلمين في الأندلس بسبب الاكثار من الاستعانة بالبربر الذين نصروا عبد الرحمن الداخل كما استعان العباسيون بالفرس فكسروا شوكة الأمويين واستكثروا من الممالك . فهؤلاء الأمويون بالأندلس قلدوا العباسيين في الاستكثار من الممالك الصقلية وغيرهم حتى صارت لهم السكامة النافذة في البلاد ثم صار حكمها في أيديهم كما صارت البلاد الشرقية التي حكمها العباسيون في حوزة الترك والفرس في أزمان مختلفة . إذن هذه قاعدة مطردة في ان الترف والنعيم واتسكال الأمم على الدخلاء يضع المجد ويذهب الملك .. والله الأمر من قبل ومن بعد ..

فاقرأ ما في سورة الاسراء ثم اسمع ما جاء في نفس تلك الرحلة تحت عنوان

(للعبرة والتاريخ)

العلة الأولى لضعف العرب في أسبانيا هي تفرق الجماعة وانقسام الدولة الأموية بعد أن طويت حقيقة بني عامر الى عشرة دولة صغيرة استقل بها ولاتها وهي اشبيلية . جيان . سرقسطة . الثغر (ما كان منها في شمال طليطلة) طليطلة . غرناطة . قرمونة . الجزيرة الخضراء . مرسيه . بلنسية . دانية . طرطوشه .

لارده . باجه . المريه . مانقه . بطليوس . اشبونه . جزائر البليار . قرطبة . فسكان هذا الانقسام داعيا الى كثرة الاختلاف وقتال الدول بعضها مع بعض وطمع كل منهم في الآخر واشتغال نار حرب كل منهم مع جيرانه وقهر القوى للضعيف ، وقال ابن حزم : « فضيحة لم يأت الدهر بمثلا ، أربعة رجال كل منهم يسمى بامير المؤمنين واحد بأشبيلية والثاني بالجزيرة الخضراء والثالث بمالقة والرابع بسبته وأصبح العرب والبربر في خلاف مستديم والجميع في خلاف مع أهل المغرب الأقصى وفي حرب مع الأمم الأسبانية والبرتغالية » الى ان قال : وكثيرا ما يستظهر الابن على أبيه والأخ على أخيه بملوك النصرانية وقد استنصر المأمون بن اناصر من بني عبد المؤمن بملك قشتاله على أخيه يحيى وكثرا استنصار بني الأحر بملوك النصرانية بعضهم على بعض في آخر دولتهم حتى سقطوا . وأن طليطلة ما أضعها صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذى النون إلا لشهوته في الاستيلاء على بلنسية واستنصاره بملك قشتاله (الفونس السادس) لمساعدته في ذلك ، وكان الفونس لا يرح بورطه في حربه لبني عامر حتى أضعفه واستولى هو على بلاده سنة ١٠٨٥ بعد أن بقيت مستقلة في أيدي بني ذى النون سنة ٧٣ انتهى ملخصا

إذن ملوك النصرانية كانوا نشطين في اشغال نار الحرب بين ملوك الطوائف وهؤلاء الملوك جاهلون ليس عندهم من علم السياسة والتاريخ ما به يعرفون مواطن خراب الأمم وضياح مجدها ، وفي اعتقادى أن المسلمين بعدنا سيكونون أرقى من آبائهم الذين لم يعرفوا من التاريخ مكان العبرة ولا من العلم مقام الإصلاح بل ترك العلماء الأمم الإسلامية حبلها على غاربها وأمعنوا في الشعر والغزل ونسوا حفظا مما ذكروا به أيها المسلمون ليقرأ التاريخ للعبرة والتذكرى . وجاء في الرحلة الأندلسية أيضا مالم يخلصه أن ملوك العرب وأمراءهم كانوا يخرجون في أول أمرهم الى معصية الحروب بأنفسهم فيشربون الحية في قلوب الجيوش فسكانوا يغلبون فلما استنماوا للترف والنعيم استعابوا بالصقالبة والمدجنين والعبيد بل كانوا يؤجرون مرتزقة من الأسبان ممن لا يهيمهم النصر ولا يخافون من الهزيمة ، وأول من فعل ذلك المنصور بن أبى عامر في زحفه على شانت ياقو وكان بنو هود (بسرقة) يستأجرون البطل سيد درجاله في حروبهم ضد أخوانهم المسلمين . ومن العجيب أن المنصور كان يستخدم المرتزقة من الأسبان في حرب الأسبان أنفسهم ، فلما المنصور بن أبى عامر فانه استعان بهم على حرب اخوانه المسلمين ، وأما البطل سيد المذكور فانه هو (رودريك) الذى يسمى عند العرب (السيد قبطور) وكان مشهورا بفروسيته وهو الذى ساعد الأمير شانجه ابن الملك فرديناند الأول على أخيه الفونس ، فلما تولى الفونس عرش البلاد نكسب به وصادره في أمواله فهاجر الى صخرة قريبة من سرقوسة وبنى بها مسكنا اجتمع عليه (٣٠٠) من المهجرين به فهؤلاء كان بنو هود ملوك سرقوسة يستأجرونهم في حروبهم ، والسيد هذا حاصر وهو رئيس جيوش يوسف بن أحمد بن هود بلنسية وهو مع انه دخلها صلحا أحرق قاضيها (ابن الجفاف) لأنه لم يده له على خزائن المقتدر بن هود صاحب بلنسية ثم أشعل النيران في المدينة حتى ألقها * وقال في ذلك ابن خفاجة

عاشت بساحتك الظبا يا دار * ومحا محاسنك البلا وانار
فاذا تردد في جنبك ناظر * طال اعتبار فيك واستعار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها * وتمحضت بخرابها الأقدار
كتبت يد الحداث في عرصاتنا * لا أنت أنت ولا الديار ديار

ولا كتف بهذا من فضائح الأمة العربية في الأندلس ، ففما لخصته مقنع لنوى الألباب بعدنا فيعلمون ويعلمون وأنا لله وأنا اليه راجعون . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فيما توقعه العقلاء من زوال ملكهم ﴾

اللهم انى أحمدك حمدا كثيرا . اللهم إنك أنت المعلم . اللهم إنك أنت الرب الرحيم العليم المنعم المتفضل

اللهم انى أشكرك شكرا كثيرا على انك ألهمتنى وعلمتني وأيدتني وقويتنى وسهلت لى هذا التأليف وما كان ليخطر لى أن أجمع ما بين تفهيم الأمم المصرية والأمم المصرية وأوازن بينهما فى الخطاط شأنيهما . وأن الأولين والآخرين تشابهت قلوبهم لما انحطت أخلاقهم وانغمسوا فى اللذات . فالأمتان تفرقتا والأمتان سقطتا من شاطئ فلان الحمد على هذه النعمة

أيتها الأمم الإسلامية . أنا لست الآن مؤرخا . كلا ، بل أنا مذكركم . أذكركم بكتاب الله تعالى . لم أكتب هذه الأخبار إلا لتفسير الآية . إن الله يقول لنا نحن - وما أهلكتنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين - وكيف نفهم هذه الذكرى إلا بدراسة التاريخ دراسة تشبه ما نكتبه الآن . وإياكم أن تفقوا على ما أنقله بل انظروا كما يأمركم الله . سيقرا هذا القول ذوو عقول من أبناء الأمم الإسلامية فيقفون على سبب خراب الأندلس وطرد المسلمين من تلك البلاد ويقفون على تفرق الحكمة عند المصريين القدماء فى دينهم وأخلاقهم فماذا يجدون فى صدورهم ؟ يجدون انهم كانوا قبل أن يعرفوا هذا جزعين آسفين عليهم واسكن بعد هذا البيان يعلمون أن الله عدل ولا يفعل إلا ما فيه المصلحة - فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض - فهؤلاء ذهب فائدتهم وأصبحوا عائلة على الأمم فأخرجهم الله من بلاده لأن الملك لله عز وجل وهو لا يحب إلا المصلحين - فذلك يبيّنهم خاوية بما ظلموا - ويرون أيضا أن الأمم المصرية أصبحت بعد تفرق دينها وضياعه تستحق احتلال بلادها وتذل فى عقود دارها ، هذا معنى قوله تعالى - ذكرى وما كنا ظالمين - وهذا هو الذى يشفى الصدر ولقد شفى صدرى ما نقلته لك الآن وعرفت أن الأمم لا تموت إلا بعد المرض ثم يشتت ثم يكون النزاع ثم الموت فأن الله عدل ، هو عدل حقا ، منظم محسن النظام ، عدل ياله فى نظام النبات والحيوان وأدنى الحشرات قرأنا به وفرحنا به وبجبننا منه وهذا قد ملئ به هذا التفسير فالحمد لله ولكن النظام والعدل فى الأمم يحتاج الى علم أوسع حتى يدرك الانسان العدل واضحا ، وفيما لمصلحة المقنع ، وفيه اعتبار ليحترس أبناء المسلمين من الوقوع فيما وقع فيه آبائهم ، وهل يفيدهم إلا دراسة العلوم ومعرفة الحكمة والتاريخ ، وأنا وإنى وقلبي مطمئن أن الله سيبيث فى الأمم الإسلامية همما تتلوها هم وتقوم هذه الشعوب قومة رجل واحد ذلك لأنهم يكونون على مشرب واحد لاسيا قراء هذا التفسير فانهم هم الذين يرون الدين أمرا واحدا لا يفرقه خلاف فى عدد الركعات أو أعضاء الوضوء أو مسائل الطلاق أو شروط البيع والجاراة أو أبواب الطهارة وأنواع التجاسة أو ما أشبه ذلك مما ظنه المسلمون ليس وراءه علم ولا حكمة ، ومن عجب أن تفرق أهل الأندلس الى (٣٠) دولة وتفرق أهل مصر فى عبادة الحيوانات قد حصل نظيره عند المتأخرين من المسلمين وإن لم يكن مثله من كل وجه ، تلك الأمة التى اقتسمها رجال الصوفية ورجال الدين وأخذ كل يفخر ويكتفى بما لديه من العلم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون - * وفى الحديث « لتبعن سنن من قبلكم الخ »

﴿ معجزة للنبي ﷺ ﴾

قد ذكرت فى أول سورة الأنفال الحديث الآتى وهذا نصه ﴿ عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل أو يأتى الخير بالشر ؟ فسكت رسول الله ﷺ ورأينا انه ينزل عليه فأفاق يمسح عنه الرضاء وقال أين هذا السائل وكأنه حسده فقال انه لا يأتى الخير بالشر وإن مما يثبت الزرع ما يقتل حبطا أو يلم إلا آسكة الخضرفاتها أسكت حتى امتدت خاضرتها ﴾ وتفسير ألفاظه هناك . والنبي مهمنا الآن أن نقول أن خوف رسول الله ﷺ علينا قد حصل فعلا وهذه نبوة وأخبار بالغيب ومعجزة كبرى بل هى من أجل المعجزات فى زماننا . إن الله أحل الغنائم ولقد تقدم فى سورة الأنفال انه ﷺ بكى عند اقتسام غنائم بدر هو وأبو بكر وسيدنا عمر لأن النبي ﷺ كان يتوقع العذاب بسبب أخذ الغنائم وقد ظهر أثر ذلك فعلا فبينا نحن فان

المسلمين ظنوا أن الغنائم بعد العصر الأول جعلت لقتلهم بالشهوات ولم يجحدوا من الحكماء والعلماء من يرشدونهم إلى خطر الأمر كما سمعت فيما تقدم من الخطيب الفرنسي الذي ذكر الفرنسيين بخطرتهم من النساء (وإن كانوا هم أيضا وأكثر أهل أوروبا صائرين إلى ماصاريليه من قبلهم من الأمم الفاسقة)

أقول أفليست هذه معجزة وأى معجزة ، النبي ﷺ أخبرنا بهذا الحديث الوارد في الصحيحين وما وقفنا فيه الآن وهذا هو قوله تعالى - ذكرى وما كنا ظالمين - فهاهو رسول الله ﷺ أنذرننا بأن المال مال الله وليس معنى حل الغنائم لنا أن نتلهى بها . كلا . والله بل كان ذلك لخاصة أهل الأرض ، انظر واجب من هذا الدين ومن النبي ﷺ . أحل الله الأسر وأحل الاسترقاق وأحل أخذ الأموال ولكنه زهد المسلمين فيه وأمرهم أن ينفعوا به الأمم وأكثر من الأمر بالعقوبة والصيام والقيام إذ يقول - وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو أطعم في يوم ذي مسغبة * يتيمًا ذاهبًا * أو مسكينًا ذاهبًا * الخ إذن هذا الدين لم يجد من يعرف مقصده إلا قليلا . إن هذا الدين جاء مقدمة لاصلاح عظيم أن لا يذل أحد أحدا وأن يكون النوع الانساني كلهم متعاونين متحدين شرفهم وغربهم فقد حرم المسلمون الاستئثار بالمال والنساء فكان جزاؤهم الدل لأنهم لم يفهموا ما يرى إليه نبينا الصادق ﷺ هذا هو الذي أردت أن أجهله مقدمة لذكر ماتوقه العقلاء من زوال ملك الأندلس

﴿ بيان ماتوقه العقلاء والمصلحون ﴾

فأولهم رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم فانه أشار إلى ذل المسلمين في الشرق وفي الأندلس وأبان أن الاستحواذ على الغنائم يكون ضررا بالأمم ويميتها اذا لم يوضع في موضعه كالدابة التي تأكل الحشائش الضارة فتضرها أو تميتها وهذا هو الذي تم فعلا ، ثم ان ابن خلدون ذكر في مقدمته أن أهل الأندلس كانوا يقلدون أهل اسبانيا في ملابسهم وأخلاقهم وعوائدهم ويكتبون على حوائثهم بلغة الفرنجة ، وختم العيار بما معناه « انهم لاشحالة صائرون إلى أن يكونوا تحت إمرتهم لأن الأمة اذا تركت أخلاقها وعوائدها اندمجت في الأم التي تقلدها » وقد تم هذا التنبؤ فاقراء في المقدمة وقال شاعر من شعرائهم

حشوا رجالكم يا أهل أندلس * فيا المقام بها إلا من الفاظ
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منشورا من الوسط
من جاور الشر لم يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات في سفظ

ولقد تحققت نبوءة هؤلاء لما استولى ملوك الأسبان على غرناطة وأوقعوا بالمسلمين وطاردهم من ديارهم ولقد تقدم في مواضع من هذا التفسير انهم لما أزالوا ملكهم منعوهم من الاغتسال من الجنابة ومن الرقص المغربي وأوجبوا عليهم أن تكون نساؤهم مكشوفات الوجوه ، وأقول الآن انهم حرموا عليهم أن يستأجروا نصرانيا أو يظهر عليهم أية علامة من علامات الاسلام سرا أو جهرا - والله هو الولي الجيد - وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى الكلام في تفسير قوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا الهما منبرون * ذكرى وما كنا ظالمين -

ثم إن هذا القرآن لم يكن مفترى (وما نزلت به الشياطين) كما زعم المشركون أن هذا القرآن مثل ما تلقى الشياطين على السكينة فليس من عند الله (وما ينبغي لهم) وما يصح لهم أن يتنزلوا به وكيف يصح لهم ذلك وقد جاء في الأمثال العامة ﴿ وكل إناء بالذي فيه ينضح ﴾ . ان هذه الأرواح التي سكنت أجسام الناس في الأرض وهم بنو آدم لا يهدون أحد اثنين إما شريرا وإما بارا والأرواح التي في غير عالم المادة كذلك لا تخلو من الأمرين إما شريرة وإما صالحة وكما أن السمك لا يعيش في البر والأنعام لا تعيش في البحر والانسان لا يسامر الحيوان والحيوان لا يفرح إلا بأبناء جنسه ولا يمرح إلا معها هكذا الأرواح الشريرة التي هي خارج عالم المادة

لأنه أبحث الأرواح الفاضلة من بنى آدم كما لا تكلم السموات الإنسان ، والأرواح الشريرة المجرّدة عن المادة لا تأنس من بنى آدم إلا بمن كان من أمثالها وأشكالها من الأرواح الشريرة ولا يتسنى لها أن تحدث الشريرة من بنى آدم كما لا يتسنى للإنسان في الأرض أن يكلم الحيوان ويأنس بمحادثته . وأنت أيها الذكي إذا قرأت ما كتبتناه في (كتاب الأرواح) ونقلنا من علماء هذا الفن رأيت أن هؤلاء العلماء قد بحثوا ودققوا وقد نقلنا في هذا التفسير سابقا بعض ذلك ، فإذا استحضرت الشرير روحا لا تلبس إلا بروح شريرة ، وإذا استحضرت الصالح روحا لا تلبس إلا بروح صالحة . ولقد وجدوا أن الأرواح الشريرة لا تلتصم بطبائعها بطباع الصالحين من الناس ولا الأرواح الصالحة العالية هناك أرواح الفاسقين هنا ، وثبت هناك أن المدار في التخاطب على المشاكسة والتقارب فالصالحون والطالحون كل منهم لا يآلف إلا أشكاله وأمثاله وأن الله عز وجل وضع نظام العالم كله لا تفاوت فيه ولا اضطراب ، فالتقانون العام واحد وهو أنه لا يمنع الله أحدا عن شيء ولكن المانع إنما هو تفاوت الدرجات وتباعد المراتب كما أن المالك في الأرض لا يخاطبون إلا المقرّبين إليهم ولا يتزلون إلى الشعب ، هكذا لا تخاطب الملائكة من أهل الأرض إلا من كان مناسباً في طبيعته لهم وسواء أكان ذلك باستحضار الأرواح الصالحة كما تفعله أهل أوروبا أو بتصفية النفس ، فترى السمرة الذين تركوا الأمور المادية وترهبوا وهجروا الطعام والشراب أيما وأيما قد تجرّدت نفوسهم من هذه المادة واتجهت إلى عالم الأرواح اتجاها ملائماً لها ومناسبا لمزاجها فر بما أخبرت ببعض الأمور الأرضية أنني لا أهمية لها في رقي النوع الإنساني كفقري يد وغنى عمرو وعلاقاتها مع بعضهم وما أشبه ذلك مما يدعيه بعض صفار النفوس ممن يتمنون للصوفية زورا وبهتانا وبعض المترفين لهذه الغاية وهم يدعون بأدعية إسلامية أو غير إسلامية وأسماء عربية أو سريانية أو غيرها ، كل ذلك من هذا القبيل . وربما توجهت إلى أمر من أمور العالم كضرع عدوّ فاتفق أن أصيب به ، وترى الأنبياء الذين خلقوا مطبوعين على الكمال قد قرّبت نفوسهم من نفوس الملائكة فهناك أمكن التخاطب ونزلت السموات على الأنبياء بالمنفعة النوع الإنساني ، وهكذا الأولياء والصالحون والحكماء من جميع الأمم يلهمون الخير والعلم تلهمهم الملائكة ذلك للنسبة بينهما ، فإذا سمع الأنبياء قولاً أو رأوا الملائكة وهم يخاطبونهم أو ألهموا في قلوبهم العلم ، وإذا ألهم العلماء والأولياء معارف وعلموماً فذلك إلا للمقارنة والمجانسة القريبة والبعيدة ، وإذا رأينا أناسا نبغوا في الشر والفتنة وهم قادة للشر وآخرين أقل منهم فيه فذلك لأن أرواحا شريرة تتولى الوسوسة لهم وتعليمهم علوم الشر ، والأصل في ذلك كله المناسبة والمقارنة والمجانسة

هذا هو ما جاءت به الأرواح وعلمته الناس وذلك لاشك محجزة للقرآن فإن ما تقدم عن علماء الأرواح هو معنى قوله تعالى - وما ننزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم - أفلا يعجب أيها الذكي كيف يقول تعالى - وما ينبغي لهم - جلّ الله وجلّ هذا القرآن . أفلا يعجب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أن تكون هذه الآيات هي ملخص علوم الأرواح المنتشرة في أمريكا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وسائر دول أوروبا ، أفلا يعجب المسلمون كيف كان إعجاز القرآن ، أفلا يعجب المسلمون كيف يقول الله - وما ينبغي لهم - (وما يستطيعون ه إنهم عن السمع لمعزولون) أي وما يقدرّون أنهم عن سماع كلام الملائكة لممنوعون ، لماذا ؟ لعدم المشاركة في الصفات ، لعدم التقارب في حب الخير ، وعليه إذا أحب الإنسان الخير للناس وأحب العلوم ألهمته الملائكة الخير ، نعم لا يوحى إليه لأنه ليس نبيا ولكنه يلهم الخير . اللهم إني أبرأ إليك من الكتمان . اللهم انك قد أظهرت محجزة هذا القرآن . انك قد أبنت للمسلمين صدق دينهم ولقد وفقني لتأليف (كتاب الأرواح) والكتاب جميعه محجزة للقرآن وللنبي ﷺ وهو كفسير لهذه الآية وأمثالها

لقد نقلت من (كتاب الأرواح) المذكور جملا في مواضع من هذا التفسير ولا ذكر لك منه جملا اطلع على عجائب القرآن في العلم الحديث وتعجب كيف ظهر سر قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم -

جاء في صفحة (٦٣) من (كتاب الأرواح) المذكور نقلا عن علماء الأرواح مانصه: ﴿سأل هؤلاء العلماء الأرواح، لماذا نرى بعض الوسطاء الصالحين ذوي الخصال الحميدة لا يتمكنون من مناجاة الأرواح الصالحة﴾ الجواب «قد يمكن أن يكون ذلك قصاصا لهم لذنوب ارتكبوها، وربما يكون ظاهر الفضيلة قد دفن تحت صفات باطنية كالكبر والعجب، إن الأرض ليس فيها كامل فالكمال انما يرجع للبوطن وليس يطرد الأرواح الشريرة إلا التقرب من طبيعة الأرواح الشريفة الصالحة﴾ وجاء في صفحة (١٠٩) الأسئلة الآتية (س) هل من وسيلة لطرد الأرواح الشريرة

(ج) نعم وإن أحسن طريقة لطردهم هو اجتذاب الصالحة وذلك بعمل الخير واجتناب الشر واصلاح نقائصكم فبذلك تهرب الأرواح الشريرة عنكم

(س) كثير من أهل الصلاح يكونون مع هذا عرضة لزعجات الأرواح الشريرة

(ج) ان كانوا صالحين حقا فهوهم تجربة وترويض وحث على الصلاح ولكن لا تنقوا بظواهر الفضيلة فالفضيلة شيء وذكرها شيء آخر

وجاء في صفحة (١٢١) مانصه

(س) أى وسيط يدعى كاملا

(ج) كاملا، بالأسف إذ ليس من كمال على وجه أرضكم ولولا ذلك ماسجتم فيها، قل وسيطا صالحا ان قدر وجوده، على أن الوسيط الكامل لا تجسر الأرواح الناقصة أن تدنو منه لخداعه، وأما الصالح فان الأرواح الصالحة تألفه وقلمها يكون عرضة لخداع الشريرة

(س) ماهى أخص الشروط الواجبة لفوزنا ببعاليم الأرواح العلوية منزهة عن الضلال

(ج) صنيع الخير واستئصال الكبرياء والتجرد عن حب الذات خاصة

ثم جاء في جواب سؤال آخر ﴿ان النور يضيء على كل من طلبه فن أراد أن يستنير فليتحاش الظلمة والظلمة هي نجاسة القلب، إن الارواح العلوية لاتألف قلوبا شوها الكبرياء والطمع وقلة المحبة فن طلب النور فليتضع وبالتواضع يجتذب الارواح العلوية اليه﴾

وجاء في صفحة (١٢٤) مانصه ﴿إن الروح مع علمه قد يكون تحت سلطة الرذيلة والأوهام، إن في عالم الارض من هم في متهمي الكبرياء والحسد والتعصب فهم لا يتجردون من هذه النقائص حال مبارحتهم الحياة والرذائل تحيط بالروح بعد الموت ملتصقة بها كاهولاء وهؤلاء أشد خطرا من الأرواح الشريرة﴾

أقول أيها الذكي اقرأ ذلك الكتاب فكفي مانقلت منه الآن ملخصا، وأعجب كيف يكون ما ذكرته ومالم أذكره الآن تفسيرا للآية وكيف يتضح الأمر اتصاحا وفهم معنى قوله تعالى - إنهم عن السمع لم عزولون - لأن نفوسهم ليست خالصة من الرذائل (فلاندع مع الله إلهنا آخر) فان التوحيد والاخلاص لله والتقرب له

بفعل الخسیر مما يدعو الى قرب الروح الانساني من الملائكة، إن تشرك بالله ولا تخلص له تسقط مرتبتك (فتكون من المعدنين) والخطاب للنبي ﷺ والقصد غيره لأنه معصوم (وأندر عشيرتك الأقربين) الأقرب منهم فالأقرب * روى انه ﷺ لما نزلت صعد الصفا وناداهم نغذا نغذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبرتمكم

أن بسفمح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدق قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم * يقال خفض الطائر جناحه اذا أراد أن ينحط (فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل إني برىء مما تعملون) أى تعملونه (وتوكل على العزيز) الذي يقدر على قهر أعدائك (الرحيم)

الذي ينصرك وينصر كل محاص في عمله النافع العام (الذي يراك حين تقوم) الى التهجد والى كل صلاة والى كل دعاء وأينما كنت (وقلبك في الساجدين) أى تردك في تصفح أحوال المتهجدين فانه ﷺ لما نسخ

فرض قيام الليل طاف تلك الليلة بيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدوها كبيوت الزناير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقهود إذا أغمتم، أمر الله النبي ﷺ بالتوكل عليه قائلا أنه ينصره ويخذل أعداءه وأبأن لم يستحق ذلك فذكر وصفه بأنه يوم الساجدين ويتصفح حالهم فهو امام للمصلحين ومن كان كذلك تولى الله أمره (إنه هو السميع) لدعائك (العليم) بنيتك وعملك

﴿ لطيفة ﴾

جاء في البخاري ومسلم أنه ﷺ لما نزلت هذه الآية صعد على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدى ابطون من قریش حتى اجتمعوا فقال اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبأ لك ساوأ يوم، ألهذا جمعنا فنزلت - تبأ يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب -

ومما جاء في الصحيح أيضا أنه ﷺ قال يا معشر قریش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا . انتهى ملخصا

واعلم أن النبي ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية ضاق ذريعا وعرف انه متى بادأهم بهذا الأمر رأى ما يكره فصمت حتى جاءه جبريل فقال يا محمد إلا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لهم طعاما فعند ذلك أمر عليا أن يصنع الطعام ويملا عسا لبنا وجع القوم وأنذرهم وحذرهم الخ

انظر، أأنت ترى أن انذاره عشيرته الأقربين وتحذيرهم مع علمه أنهم يؤذونه ويفعلون معه كل مكروه مما يقرب الملائكة اليه ويجعله مستحقا للوحي . أليس ذكر هذا الكلام بعد قوله - وما أنزلت به الشياطين * وما ينهى لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لعزولون - ليكون كالبرهان على أن هذا القول وحى لأن الوحي يكون بالخير والتعليم الأقربين وغير الأقرب بين خير والشياطين مبعدون عن الخير أي لا يأفونه بل لا يستطيعونه ولو كان من الشياطين لكان الأمر خلاف ذلك فلا يندبر عشيرته الأقرب بين بل يفتح لهم باب الشهوات والمخاضات والعداوات . أما الإنذار والتعليم فليس من الطبيعة الشيطانية بل من الطبيعة الملكية فقوله - وأنذر عشيرتكم الأقربين - كالبرهان على أن هذا ليس مما نزلت به الشياطين بل هو مما يجانس طبائع الملائكة فكأنه قيل إذن كيف يكون نزل الشياطين ، هاتحن أولاء عرفنا ما يكون من وحى الملائكة فكيف يكون ضده فقال لست ممن تنزل الشياطين عليهم لعدم المشاكاة والمجانسة (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم) أي كذاب فاجر وهم الكهنة وأمثالهم للمجانسة بين طبائعهم كما اتضح فيما نقلناه لك قريبا ومحمد ﷺ ليس كذلك فلا يصلح لنزل الشياطين عليه ، وكيف يصلح لذلك وهم ينزلون على الكذابين الفاجرين وهوليس كذلك بل هو منذر معلم للخير صادق ، وأما أولئك الأفاكون الآثمون من الكهنة وأمثالهم فانهم (يلقون السم) أي أساعهم الى الشياطين ويصفون اليهم ويتوجهون بقاوتهم اليهم فيتلقون منهم ظنونا لنقص علمهم كما جاء في ﴿ كتاب الأرواح ﴾ المذكور فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها وقد ورد في الحديث « الكلمة يخطفها الجن فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة » ولا كذلك محمد ﷺ فالغيبات التي أخبر بها طابقت كلها (وأكثرهم كاذبون) والأكثرية باعتبار أقوالهم لأنهم يسمعون شيئا ويزيدون عليه ، ويصح أن ترجع الضمائر للشياطين أي يلقون السم الى الملا الأعلى فيعرفون بعض الغيبات فيوحدون بها الى أوليائهم مشوبة بالكاذب لنقص عقولهم وقصور أفهامهم وعدم ضبطهم وكلا المعنيين صحيح فالكهنة ومحضرو الأرواح في أوروبا الآن يسمعون من الأرواح الصغيرة أكاذيب كثيرة فيها

بعض الصادق لنقص تلك الأرواح لأنها لا تعرف إلا بطريق الحدس والتخمين ، وهذا المعنى يؤيد رجوع الضمير للشياطين وهكذا الكهنة وأهل الرياضة قد اتصل بهم أرواح على شاكلتهم فيختبرون بأشياء ويزيدون عليها من تلقاء أنفسهم استنتاجا وهذا يؤلف رجوع الضمير لقوله - كل أفاك أنيم - والحاصل أن الأرواح سواء أكانت في حال البرزخ أم في الدنيا متى كانت ناقصة وأرادت معرفة المغيبات فنالت حقا منه فانه يكون مخاوطا بأثرائها ، فأما الأرواح العالية سواء أكانت في الدنيا كالأنياء أم في العالم الأعلى فانها لا تهتم إلا بما ينفع الناس وهؤلاء لا يتطرق إليهم الكذب لأن الله معهم ويؤيدهم

﴿ لطيفة ﴾

إذا عرفت هذا فاعجب كيف يظهر صدق لقول القرآن وكيف يأتي العلم بالحديث بتدريج هذه الآية شرحا وإقيا وإلى لأقول لك أكثر من أن أتق لك ما جاء في ﴿ كتاب الأرواح ﴾ المذكور وهو يتفق على ما جاء في هذه الآية وأن الأرواح الناقصة تعش الناس وتخدعهم وتخبرهم بالمغيبات ، فأما الأرواح العالية فانها لا تهتم بالأمور الجزئية ولا تخبر الناس بالأمور الدنيوية وتحب أن ينصرف الناس عن ذلك إلى العلوم والمعارف وأن لا يتطلعو المستقبل أمورهم لأن ذلك يشغلهم ، واليك ما جاء في الكتاب المذكور

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾

يتوهم البعض أن الروحانية واسطة سهلة وباب رحب لكشف الكنوز واستنباء المستقبل وفتح القال وجعل المسائل العلية إلى غير هذه من دواعي الطمع وحب الأرضيات ، فدفعنا هذه الأوهام رأينا أن نذكر في هذا الفصل خلاصة تعليم الأرواح في هذا الموضوع نقلا عن ﴿ كتاب الوسطاء ﴾ للعلم الفيلسوف الآن كاردك

- (س) هل تجيب الأرواح عن كل سؤال يطرح عليها
- (ج) كلا فان الأرواح الرصينة لا تجيب إلا عن أسئلة غايتها خيركم الروحي وترقيكم الأدبي
- (س) هل الأسئلة الجدية هي الواسطة لابعاد الأرواح الطائشة
- (ج) ليست الأسئلة التي تبعد الأرواح الطائشة بل صفات من يلقي الأسئلة
- (س) أية أسئلة تسكرها الأرواح الصالحة
- (ج) هي التي لا فائدة منها أو يشتم منها رائحة الفضول أو الطمع
- (س) هل من أسئلة تسكرها الأرواح الناقصة
- (ج) لا تسكر إلا الأسئلة التي تزيح النقاب عن جهنها وخذاعها
- (س) ما قولك فيمن يتخذون الخافرة الروحانية بابا للهو والهزل أو لاستنباء أمورهم صوابهم الزمنية
- (ج) هؤلاء تسر بهم جدا الأرواح الناقصة لمداعبتهم وخذاعهم
- (س) هل تستطيع الأرواح أن تكشف لنا أمر المستقبل
- (ج) كلا إذ لو عرف الإنسان المستقبل لأهمل الحاضر
- (س) أليس مع هذا من حوادث تنبأنا الأرواح عنها وتم في حينها ؟
- (ج) قد يتفق أحيانا أن الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لا يمنع الأرواح الماكرة من نشر النبوات الكاذبة

(س) ماهي أخص دلائل النبوات الكاذبة

(ج) هي التي لا تأتي بفائدة عامة أو يكون مرجعها النفع الخاص

(س) لماذا تكون الأرواح الرصينة عند تنبئها عن أمر لا تعين زمن حدوثه

(ج) يكون هذا إما عن عمد منها أو عدم معرفة ، إن الروح يستشعر أحيانا وقوع أمرنا زمن وقوعه يكون في الغالب متعلقا بحدوث لم تتم بعد ولا يعلمها إلا الله ، أما الأرواح الطائشة فلا يميزها أمر الحقيقة وتحدد الأيام والساعات من دون التفات إلى صحة النبوة وعدمها ، ومن الواجب ههنا أن أكرر عليكم القول أن غاية رسالتنا إنارة بصيرتكم وترقيكم الروحي لا المعرفة وفتح القال ، فمن أحب هذه تألفه الأرواح الماكرة ويصبح ألموبة بين أيديها

(س) ما قولك فيمن تنبئ الأرواح بموته في ساعة معينة

(ج) هذه أرواح مأكرة لا تقصد إلا المضحك بما تسبب من الرعب لصدفها

(س) كيف يتفق أن بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويتحدون زمن وقوعه

(ج) تطلع أرواحهم على ذلك عند انطلاقها من قيود الجسد ويبقى فيها ذكره عند اليقظة ، فهو لاهو لهم أمر الموت ولا يرون فيه إلا انتقالا من حالة إلى حالة أو تغيير كساء خشن بكساء لطيف ، إن خشية الموت سوف تناقص وتلاشى عند انتشار الحقائق الروحية

(س) هل تستطيع الأرواح أن تطلعنا على حياتنا الماضية

(ج) تستطيع ذلك إن سمح لها الرب ولا يكون سماحة إلا لغاية جيدة مفيدة لا لفضول باطل ، وعليه لانسدقوا نبأ كهذا إلا إذا صار بديها لغاية مفيدة . كثيرا ما تنحب الأرواح الماكرة أن تهزأ بالوسطاء والمؤمنين بقولها لهم انهم من أصل سام ومرتبة رفيعة فينقبل بعضهم ذلك بمزيد الانبهاج ولا يفقهون أن حالتهم الروحية الحاضرة لاتدل على المرتبة التي تنسبهم الأرواح إليها مع أن الأخرى بهؤلاء المساكين تجنبنا للسخرية أن يلاحظوا أن الترقى خير لهم من الانحطاط وأن التفتقر في الكمال مخالف لنا موسى تعالى

(س) إن كان لا يمكن للإنسان أن يعرف شخصيته في وجود سابق فهذا يمكنه على الأقل أن يطلع على مركزه والصفات أو النقايس التي تغلبت عليه فيه

(ج) قد يمكن كشف أمر كهذا لكونه مفيدا لاصلاحكم ولكن لا حاجة اليه لأنكم إذا تأملتم جيدا في أنفسكم تستدلون على الصفات والنقايس التي تغلبت عليكم في الحياة الماضية

(س) هل نستطيع استطلاع شيء من مستقبل حياتنا بعد الموت

(ج) كلا وإياكم وتصديق شيء من هذا القليل فانه إفك وخداع محض والدليل واضح وهو أن وجودكم المقبل سيكون نتيجة سيرتكم الحاضرة فكما قل الدين خاف الوفاء وازددتم في المستقبل سعادة وراحة ولكن ابن وكيف يتم هذا الوجود ، هذا أمر لا تعرفونه إلا بعد عودتكم إلى الحالة الروحية وتبصركم فيها

(س) هل يسوغ استشارة الأرواح في الصلوات الزمنية

(ج) قد يمكن ذلك في بعض الظروف وعلى مقتضى نية المستشير وصفات الروح الموجهة إليه الاستشارة ومن الواجب أن تتأكدوا أن الأرواح الصالحة لا تتواطأ قط على مجازاة مطامعكم ، وأما الشريرة فتتهزأ بكم بمواعيد سرابية ما وراءها إلا الخيبة والحسرة ، ثم اعلموا أنه إذا قدر عليكم محنة فالأرواح الصالحة تساعدكم على تحملها وتخفف عنكم وطأتها ولكنها لا تستطيع أن تدركها عنكم لأن بها خيركم الروحي ونجاح مستقبلكم (س) إذا توفي شخص وكانت مصالحه معروفة ألا يسوغ استشارة روحه في حل بعض المشاكل وهلا يكون هذا من باب العدل

(ج) لعلكم نسيتم أن الموت باب النجاة من هموم الحياة وأن الروح المعنوق من الأسر لا يعاود سلاسله للتدخل في أمور ما عادت تهتمه ولخدمة ورثة ربما ابتهجوا بموته لما نجم لهم عنه من الفائدة المالية ؟ تقولون إن هذا من باب العدل والعدل قائم بخيبة مطامعهم وهذا بدء القصص التي سئوهم من تعلقهم المفرط

- (س) أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتَنْبِئَ الْأَرْوَاحَ عَنْ أَحْوَالِهَا وَمَا كَرَّهَا فِي عَالَمِ الْغَيْبِ ؟
- (ج) نعم بشرط أن يكون هذا الاستنباء ناتجا عن المحبة وطلب الفائدة الروحية
- (س) هل تستطيع الأرواح أن تصف لنا نعيمها أو شقاءها
- (ج) نعم لأن فوائد عظيمة تنتج لسك من ذلك أخصها اطلاعكم على ماهية الثواب والعقاب ورفع الأوهام المتركة على عقول بعض السذج من هذا القبيل وإحياء الإيمان فيكم وتقوية رجائكم السماوى . إن الأرواح الصالحة يلد لها وصف نعيمها والشريرة تجد راحة في تبيان ما تقاسيه من تباريح العذاب خصوصا إذا لاقَت من سامعها عواطف الاشفاق والناسى ، لا يخفى أن غاية الروحانية هى اصلاحكم الروحى . والفرض من كل الأمثلة والمقالات التى تأتىكم هو وقوفكم على حقائق ما بعد الموت لتتجردوا من الأرضيات وتسعروا وراء السماويات
- (س) إذا فقد أحد من الوجود ولم يعرف أمر مصيره فهل يمكن استحضار روحه للوقوف على الحقيقة
- (ج) قد يمكن ذلك إذا لم يكن الارياب فى موته محنة قد راحت لها على من يهمهم أمره
- (س) هل يجوز استشارة الأرواح فى الصحة
- (ج) نعم لأن الصحة شرط ضرورى لحسن القيام بالعمل الذى تجسد الانسان لأجله ، وإنما لا ينبغي استشارة أى روح كان من الأرواح لأن الجهلاء يكثرون بينهم
- (س) أيجوز استشارة مشهورى الأطباء للمتوفين
- (ج) ليس هؤلاء المشهورون بمصومين من الغلط وقد تتصلب فيهم أحيانا بعض آراء فاسدة لا يبرزها الموت عنهم بسهولة . إن العاوم الأرضية ليست بشئ بالنسبة الى العاوم السماوية وهذه لا يمكنها إلا الأرواح العالوية فالها يجب أن تلجؤا فى كل أمر
- (س) هل العالم بعد موته يقر بأذاليله العلمية
- (ج) إن كان قد تجرد من الكبرياء وأدرك نفسه يقر بها بلا خجل ولا تبقى فيه بعض الأوهام التى تركت عليه فى الحياة
- (س) هل يمكن للطبيب أن يحضر الموقى الذين ماتوا على يده ويستوضح منهم بعض الدلائل ليزداد بها خبرة ومعرفة
- (ج) قد يصح ذلك وينال المساعدة من الأرواح العالوية ذاتها بشرط أن يكتب على درسه هذا بالاستقامة وصفاء القلب لانية حشد المال وكسب المعارف من دون جد ولا عناء
- (س) هل يمكن استرشاد الأرواح فى المباحث والاكتشافات العلمية
- (ج) إن العلم هو صنع العقل ولا يتقرب إلا بالعمل وبالعامل وحده يتقدم المرء فى طريقه ، أى فضل يبقى للإنسان إذا أمكنه أن يعرف كل شئ باستنباء الأرواح ، ألا يصبح الفجى الجاهل بهذه الطريقة عالما ؟ ثم إن لكل شئ وقتا معيناً يأتى فى حينه أى عند ما تكون الافكار مؤهلة لقبوله وأما بتلك الطريقة فيقلب الانسان نظام الأشياء إذ يقطف الثمرة قبل نضجها
- (س) ألا ينال إذن العالم والمخترع من الأرواح المعونة فى مباحثه
- (ج) إن العون لا ينقصه عند ما يكون أو أن الاختراع قد دنا فتوافيه وقتئذ الأرواح وتلقى اليه بعض الإلهامات الفكرية فيفكر فيها هو ويشغل بها إلى أن ينتج منها الاكتشاف المقصود فيكون معظم الفضل راجعا اليه ، فليأكم إذن والزيف عن محجة الروحانية والتطرف الى أمر لا ينبو بكم منه إلا الخداع والسخرية
- (س) هل يمكن أن ندلنا الأرواح على السكنوز والأحافير الخفية

(ب) قد قلت لكم ان الأرواح العاوية لا تنزل إلى مواضع مطامعكم . وأما المأكرة فتدل دائماً سائلها على أنها كن لا وجود لكتفها فيذهب المسكين عذائه وتعبه أدراج الرياح

(س) ماقولك في الاعتقاد بحراسة الكونز المدعوة رسدا

(ج) إن بعض أرواح البخلاء يلبيون متيمين حول الكونز التي طمروها في الأرض وخوفهم على اكتشافها يكون عذاباً مستديماً لهم إلى أن يتجردوا عن الماديات ويدركوا بطلانها اه

حينئذ قات يا شير محمد تأمل في هذا الحديث . ألم تجد فيه علماً جديداً في فهم القرآن . قال وماذا ك . قلت قال الله تعالى - فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجفن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين - فان الجن أيام سليمان عليه السلام بقوا أمداً طويلاً مسخرين وكان سليمان عليه السلام متكئاً على عصاه فلما أكلت دابة الأرض تلك العصا خرت على الأرض فلو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في ذلك العذاب ولعلموا أن سليمان ميت . ولا جرم أن هذه القصة ثمرتها أن لا يثق الإنسان بأخبار الجن . هذا هو المقصد الحقيقي منها ولقد تجلى واضحا في هذا الحديث . ألا ترى انهم لما سألوا الروح « هل تستطيع الأرواح أن تكشف أمر المستقبل » فكان الجواب « كلا . إذ لو عرف الإنسان المستقبل لأهل الحاضر » ولما سألت الأرواح « أليس مع هذا من حوادث يتنبأ الأرواح عنها وتم في حينها » فكان الجواب « قد يتفق أحيانا أن الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لا يمنع الأرواح المأكرة عن نشر النبوات الكاذبة » ثم أفاد أن الأرواح الرصينة قد تستشعر بأمر يكون في الغالب متعلقا بحدوث لم تتم ولا يعلمها إلا الله فلا تقطع في جوابها ، أما الأرواح الطائشة فلا يهتمها أمر الحقائق فتنتشر الأخبار الكاذبة ، ولا جرم أن ذلك مغزى قصة سليمان عليه السلام وشرح ما انطوت عليه من العلم وبرهان صدق لما فيها من التوقف عن تسديق ما تلقى الجن من الأكاذيب اه

ثم انظر يا شير محمد إلى قول الروح « إن بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويحددون زمن وقوعه وأن هؤلاء الذين انطلقت أرواحهم من قيود الجسد لا يهولهم أمر الموت ، أليس ترى يا شير محمد أن هذا مصداق قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم * ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين - فتعجب يا شير محمد كيف يقول - تتنزل عليهم الملائكة - ليلهم وهم السرور والبهجة ويحاطبهم ، وانظر إلى قوله تعالى - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم - فقد قل ﷺ لما سئل عن البشري قال « هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له » . وتعجب يا شير محمد من قول الروح في هذا « ان الطيب اذا أكب على درسه بالاستقامة لا يذيق حشد المال وكسب المعارف بدون جته ولا عناء ينال مساعدة الأرواح العاوية » . وأليس هذا من مساعدة الملائكة للمجدين . وقد قال ﷺ « إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم » . فلا علم بلاجد ونصب ولا حلم بلا شكاف وتصبر وجد . وقال تعالى - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقال - وكل شيء عنده بمقدار - وقد علمت فيما مضى أن الأرواح لا تخص من ممنوا من عالم الأرض بل هناك من هم أعظم بل هم الملائكة المكرمون . ثم انظر قوله تعالى في سورة النحل - الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فالتقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون - ثم قال - وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة - ثم قال - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون - أليس هذا يا شير محمد يوحى إلى ما يقوله الروح هنا « إن

أرواحهم تطلع على ذلك عند انطلاقها من قيود الجسد ويبقى فيها ذكره عند اليقظة فهؤلاء لا يهولهم أمر الموت ولا يرون فيه إلا انتقالا من حال إلى حال أو تغيير كساء خشن بكساء لطيف ، وهل يعطى من لا يستحق الحكمة ؟ كلا » ثم انظر إلى قوله « فالأرواح الصالحة تساعدكم على تحمل المحنة ولكنها لا تدركها عنكم لأن بها خيركم الروحي ونجاح مستقبلكم » وهذا قوله تعالى - فمسي أن تكبروها شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم - وقوله - ما أصاب من مصيبة في لرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير - وقوله - وإنباؤكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صوابات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - ثم تأمل قول الروح « وهذا بدء القصص التي سترونها من تعلقهم المفرط بالخيرات » وقوله « إن العدل قائم بخيبة أناسهم » فتعجب كيف كان مطابقا أشد المطابقة لقوله تعالى - ولا تهيبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهد أنفوسهم وهم كافرون - وقوله تعالى - المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا أملا - فجعل الله المال والولد عذابا في الدنيا وفي الآخرة إن تعلق بهما ولم يجعلهما وسيلة لارتقاء روحه ثم جعل المال والبنين زينة الحياة الدنيا ولا خير إلا فيما يبقى من الصالحات الباقيات ، وأما قول الروح « إن العلوم الأرضية ليست بشئ بالنسبة إلى العلوم السماوية » فهذا قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكتبنا ربنا على ما نحن عليه قبل أن تنفذ كلمات ربنا وأوحينا بمثل ما مددا - وقول الروح « لا ينبغي أن غاية الروحانية هي إصلاحكم الروحي والغرض من كل الأمثلة والمقالات التي تأتاكم هو وقوفكم على حقائق ما بعد الموت لتجربوا من الأرضيات وتسعوا وراء السماويات » هذا وكثير أمثاله يفهم من قوله تعالى - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين - ومفهومه أن الذين صدقوا ولم يستكبروا تفتح لهم أبواب السماء ، وقوله تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون - ومفهومه أن الذين يرجون لقاء الله ولم يرضوا بالحياة الدنيا وجعلوا لها حظا واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا ولم يطمأنوا لها ولم يغفلوا عما أودع فيها من آيات الله فأولئك مأواهم الجنة بما كانوا يكسبون اه

﴿ حكاية ومجزة ﴾

يا شير محمد ، إن قول الروح هنا أيضا « إن الطبيب ينال المساعدة من الأرواح العالوية » وقوله في العالم والمخترع « انهما ينالان المعونة من الأرواح العالوية إذا آن وقت الاختراع » دال على مداخلة الأرواح في أعمالنا عند الاستحقاق ، أليس هذا مطابقا لقوله تعالى في سورة آل عمران - ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين * وما جاهد الله إلا بشئى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم - ألا فاطر كيف ربت الأرواح المعونة للمخترع والعالم على الجهد والمثابرة وهي تطابق الآية إذ جعل مساعدة خلقه آلاف من الملائكة موقوفة على الصبر والتقوى وهجوم العدو ، أولست ترى أن بيان الأرواح معجزة لا قرآن ، لقد كنا نسمع هذا ونسأل علماء الله تعالى فأصبحنا نروى نظائره عن الأرواح العالوية أنفسها ، وقال في سورة الانفال - إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أن يمدكم بألف من الملائكة مسومين * وما جاهد الله إلا بشئى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * إذ يفشيك الناس أمة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام إذ يوحى ربك

الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب - فانظر كيف أمر الملائكة أن يثبتوا الذين آمنوا وأنه سألني في قلوب الذين كفروا الرعب ، فترى أنت مقاتلة الروح هنا من إلهام الأرواح الأحياء ومساعدتهم وانارة بصائرهم موافق للآيات ومهجزة في هذا الزمان فتأمل اهـ

الكلام على الشعراء

اعلم أن الشعراء والكهنة والسحرة بينهم تشابه وتجانس ، فالشاعر ينظم القول ويفخر بأن أ كذب الشعر أعذبه ، وكلما أوغل في التخيلات وابرز الصور المشوقة للسامع التي تجذب قلبه وتأخذ على سمعه و بصره كان ممدودا من فطاحل الشعراء ، فاذا خيل السامع للناس صوراً لاحقيقة لها وأبرز الامور على خلاف ما هي عليه ، واذا كذبت الأرواح الناقصة على بني آدم وهي في برزخها وهكذا الأرواح التي في أجسامها اذا تلقفت من تلك الأرواح شيئاً وزادت عليه ، فكلمها في الإفك متجانسة فليست تصلح لهداية البشر ، لذلك قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) أي السفهاء والرواة فانهم يتبعونهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب ومدح من لا يستحق المدح ، فهؤلاء السفهاء والرواة هم الذين يستحسنون ذلك منهم ويفرحون به وأتباع محمد ﷺ ليسوا كذلك وقد قرر هذا بقوله (ألم ترأنهم في كل واد من أودية الكلام يهيمون) فهم حائرون وعن طريق الحق حائثون ، وإلهامهم هو الذهاب على وجهه لامتصاصه لأن أكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالنساء والغزل والهجاء وتمزيق الأعراض والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحق المدح والاطراء الكاذب واليه أشار بقوله (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) والقرآن ليس كذلك فتتج مما تقدم أنه ليس معناه مما تنزلات به الشياطين ولا لفظه من كلام الشعراء ، ثم استثنى الشعراء المسالمين الصالحين الذين يذكرون الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولا يهيجون أحداً إلا انتصاراً ممن هجأهم فلا يتخذون الهجاء إلا آلة لمقاتلة الأعداء لا طلباً للمال فليس الهجاء منهم لأغراض ذاتية بل ذلك لأصلاح الجميع بإذلال أعدائهم ، فهؤلاء لما آتاهم الله قوة الشعر صرفوها للمنافع العامة ولم يجعلوها أداة لكسب المال كما يفعل شعراء الجاهلية وأكثر شعراء الاسلام الذين تكسبوا بالشعر في الدولة العباسية وفي الدول الأندلسية ، فهؤلاء هم الغاؤون الذين يقولون ما لا يفعلون إن الشعر نور من الله كالجمال وكالحرف وكالصناعات بل ان مخاطبة الأرواح التي حدثت الآن في العالم والاستمداد لها كل ذلك جاء امتحاناً للناس فان صرفوها لشهواتهم ساءت حالهم وان استعملوها لمنفعة العموم سعدت أعمهم . فالشعر والجمال والحكمة وسائر المواهب على هذا النحو فان بذلت للعموم كانت خيراً وان بذلت للصاحبة الخاصة كانت شراً . ظهر الحق واستبان السبيل وتبين أن المسلمين لم يفعلوا هذه الآية وسار شعراؤهم في سبيل الغواية حتى كانوا هم من أهم أسباب ذهاب الدولة العربية بالشرق وبلاد الأندلس كما سأوضح لك قريباً لتعجب من هذه الأمة كيف نامت أمداً طويلاً ولم يفتن كثير من الناس لهذا القرآن ونبذوا تعاليم حكماهم . وسيظهر في الاسلام جيل لم تحلم به الأرض وأمم تكون خير من أخرجهم الله للناس . قلت إن الله استثنى الشعراء الصالحين المسلمين وذلك قوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظالموا) فهم يجعلون الشعر كالنساء يصيب الداء أي انهم لا يجعلونه مكسباً يتكسبون به كما فعل المتنبي وأبو تمام وأمثالهما من سيأتي ذكرهم . كلا . بل غاية الأمر انهم ينتصرون اذا ظالموا كما انتصر حسان بن ثابت بهجاء المشركين وهم كانوا باديين (وسيعلم الذين ظلموا) بالشرك رهجاء رسول الله ﷺ (أي منقلب ينقلبون) أي أي مرجع يرجعون اليه بعد الموت * قال ابن عباس « الى جهنم وبئس المصير » اهـ

واعلم أيها الذكي أن الأمة الإسلامية أصابها داء الجاهلية بل زادت تليها وعكف أذكياؤها على الشر لئلا
الشعر والسكائب لا لصلاح الجمهور ولا لإقامة العدل ولا لحفظ الأمة ولا لحفظ البلاد وحياته الأيمن
ومقاتلة الأعداء إلا قليلا فأناروا الشهوات البهيمية والسبعية وأناموا الفضائل العائية والقوى العقلية فريحت كفة
الشهوات ومالت كفة المعتولات والمزايا الشريرة والامور الرذيلة فاستحلت بذلك الأمة الإسلامية ، وقد وجدت
أبناء بلادى فى هذا الزمان على هذا النحو وقد تركوا الأمة حبلها على غاربها ، ولأحدثك عمارة أيتها فى ذلك
(١) لقد رأيت وزيرا من وزراء بلادنا يباهى بأنه يحب للشعر وأمر مفتشا كبيرا من مفتشى اللغة العربية
أن يشرح ديوان ابن الرومى ، وقد ظن ذلك الوزير أن ارتقاء الأمة موقوف على أمثال ذلك ، وقد صدع
ذلك المفتش بأمره وشرح ذلك الكتاب وأيضا كان يحقر من شأن النيات ولا يبالى بها

(٢) قابلت شاعرا كبيرا من شعرائنا وقد اطلع على مقالة من مقالات « نهضة الأمة وحياتها » وقد
كتبته فى (جريدة اللواء) التى كان يديرها الرحوم مصطفى باشا كامل وسيأتى ذكرها وتحدث معى فى أسرار
المقالة فقلت له أنا لا أعجب بشعر شاعر إلا اذا كان مما ينفع العموم . فأما ما عداه فأنى أحقره ولا أعتد شيئا
مذكورا وقد رأيت لك قطعة فى وصف المشمس أعجبتنى فبعد ذلك رأيت لهذا الشاعر قطعة كثيرة فى المعانى
الوطنية والعامة

(٣) إن فى بلادنا المصرية شاعرا كبيرا هو (شوقي بك) رأيت له مقدمة لكتاب شعره تنحون نحو المقالة
المذكورة وأخبر أنه عدل رأيه وأخذ ينظم شعرا لرقى الأمة بعد ما كان على طريقة أبى تمام والمتنبى . وهالك
المقالة المذكورة فى نهضة الأمة وحياتها

﴿ الشعر والتاريخ ﴾

(المقالة السابعة والأربعون)

الشعر والتاريخ فنان بينهما علاقة ونسب يمتدعان ويفترقان ، يكادان يكونان طبيعة فى الانسان ، وكان
الكهرباء سرت فى عاتق الأجسام خلقت معها ركبت فى طبائعها ومقدارها يغلب فى الأجسام الحيوانية فالجواهر
المعدنية ويندر فى النباتية ونحوها ، فهكذا ترى أناسا نبغوا فى الشعر وآخرين يشبهون ويتقاربون ويتكلمون
وقد يصلون ، إن شئت فقل الناس شعراء ومؤرخون ، قم واجلس فى مجلس فلا تسمع إلا قول الناس فى
سمرهم الأسعد فلان وشقى فلان وتارة يحلون المجلس بالشعر والموالى أو يذكرون تحيلا شعريا غريبا ، لم ترفع
هذه عن صغرى الطبقات كما لم تنسأ عنها أرقى الطبقات ثم ترى الأهم فى مبدأ أمرها تكون فى الشعر أطفال الرقى
البلاغة صفارا ، يجيهم ما كان غريبا للفظ عويص المسمى كأنهم يخضعون لما تقصر عنه طاقهم ، فإذا أخذوا
فى الرقى قليلا ما نالوا الشبان فى العقل فأحبوا الخيال والنكت البلاغية غالبا فإذا ارتقوا مالوا الى جمال المعانى
واعتبروا من اللفظ وروقه ومن الخيال سبكه ونظمه وغاصوا على الحكمة وجمال المعنى . هذا ما عنى لى فى
درجات الشعر ، فنى رأيت الرجل تدهنه تلك الكلمات وغرابتها فاعلم انه عاى . ألا ترى أن العامة يقولون
لكلام لا يدرون معناه هذا فصيح اذا كان معربا وان رأيت لا يثق الا عند الخيال ويحب به فهو فى الطبقة
الثانية فان سرق من الخيال الى ما فيه من حكم ووازن بينه وبين الحقيقة المقصودة من التأثير فهو فى المرتبة العليا
قلنا إن الناس أجمع يميلون للشعر ويحبونه ومنهم فريق استمر فى قرصه قدح المأوك وذمهم . فباليت
شعرى لم غرست هذه الطبيعة فىنا ؟ وهل مارأينا من الذم والمدح لغلبة الشهوات كان مقصود تلك الفطرة
السامية . ان الله أكبر وأجل أن يضع هذه العريضة لمثل هذه الصفات . وانظر كيف كان أبو الطيب أحمد بن
عبد الصمد الجعفى المتوفى سنة ٣٥٤ فى جهة سواد بغداد كان عظيم القدر شريف المنزلة سامى النفس

ومع هذا يقول الشعر ارضاء الشهوات النفوس . فكلم مدح سيف الدولة وكلم ذمه . وكلم مدح كافورا وكلم ذمه يقول في مدح الثاني وذم الأول تعريضا

تجاذب فرسان الصباح أئمة * كأن على الأعناق منها أفاعيا
بهزم يسير الجسم في السرج راكبا * به ويسير القلب في الجسم ماشيا
قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا
بجاءت بنا انسان عين زمانه * وخت بيضا خلفها وما قيها
نجوز عليها المحسنين الى الذي * نرى عندهم إحسانه والأأيديا

وهذا من قصيدة يمدح بها كافورا الاخشيدي إذ ورد عليه وأكرم مشواه في جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ هجرية ، ثم ذمه بقصائد منها قوله

إني نزلت بك ذابين ضيفهم * عن القرى وعن الترحال محدود
جود لرجال من الأيدي وجودهم * من اللسان فلا كانوا ولا الجود
لا يقبض الموت نفسا من نفوسهم * إلا وفي يده من تنها عود
أكلنا اغتال عبد سوء سيده * أو خانته فله في مصر تهديد
صار الخصي إمام الأبقين بها * فالحر مستعبد والعبيد معبود
العبد ليس حر صالح بأخ * لو أنه في ثياب الحر مولود
لا تشر العبد إلا والعصا معه * إن العبيد لا تجاس منا كيد
ما كنت أحسبني أحيا الى زمن * يسى في فيه عبيد وهو محمود

ولسنا نقيل الثقل فقل هذا الشعر مع حسنه وضع في مقام غير شريف تنزع به الأهم في أول أمرها وشبابها
فاذا وصلت للحكمة أتهما طباعهم ولا يرون لأمثال هذا قيمة وهكذا كثير من قصائد أبي تمام والبحتري وأضرابهم
يمدحون ويذمون لتلك الشهوات . وهذا لعمرك ماضح به القرآن إذ قال - والشعراء يتبعهم الغاؤون *
ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون - فانظر كيف وصفهم بأهليهم في كل واد من أودية
المدح والذم كأنهم يهيمون بالشهوات وتسموهم بالخيالات . إذن لماذا غرس الله هذه الفطرة في نوع الانسان ؟
أجمع العلماء أن كل غريزة فينا ذات حكمة شريفة وتشر منزلة سامية في النفوس ، لعل نفوس كثير من
الشعراء حادت عن الطريق المستقيم ، لعل هذه الفطرة تخرج الى وصف ما تراه من جلال هذه العوالم وبهاشها
تصف السحاب ، تصف النجوم والشمس والقمر ، تصف الأمهار تلك الحسك الزاهرة الباهرة الشعر كهر بام
الأرواح الانسانية تشع منها الى النفوس فتطوف هذه العوالم المشاهدة فتستخرج المنافع المادية والمعنوية
وتنقود النفوس الى الفضائل وتبتعد بها عن الرذائل في العوالم المشاهدة عجائب وغرائب فيها حكم وبدائع رائعة
يستخرجها الشعراء بقرائهم . وانه ليحجبني ما يغني به شعراؤنا اليوم من وصف الكون وحكمه والتشويق
للعلم وتغيبهم للوطن والألفة والرقى . أذلك خير أم أولئك الذين يذمون ويمدحون كأنهم للشهوات عابدون
المدح والذم صفتان عرضتا للشعراء إذ حاد ثلوك عن التصدد وأنوا عن الصراط السوي فاستعطفوهم
واستجلوهم . الله أكبر . كلما مالت الحكومات عن النيابية الى الاستبدادية مال الشعر الى الأشخاص ووصفهم
وكلما عدلت الحكومات اعتمد الشعر وصار ملصقا للأمة يجرؤ أبناءها ويرشدتهم الى المعالي . يغيرهم
بمكارم الأخلاق . واني لأرى اتنا لانتخار من الشعر إلا ما يقوى ارادة الشبيبة ويهديهم الى طرق الرشاد . أما
شعر المدح والذم فلن يفيد إلا حسن الألفاظ وجمال الخيال وهو خال من كل فائدة . هذا هو الذي أراه في تعليم
الشعر مثاله ما قال أبو الطيب في الحكم

هَوْنٌ عَلَى بَصْرٍ مَاشِقٌ مَنَظَرُهُ * فَأَمَّا يَتَطَاتَّى الْعَيْنُ كَالْحَلَمِ
يَقَالُ شَقُّ الْأَمْرِ عَلَيْهِ صَعْبٌ وَالْمَعْنَى هَوْنٌ عَلَى عَيْنِكَ مَاشِقٌ عَلَيْهَا مَنَظَرُهُ فَإِنْ مَاتَرَاهُ فِي الْيَقِظَةِ شَبِيهَ مَا
تَرَاهُ فِي الْمَنَامِ وَكَأَنَّ الْحَيَاةَ أَحْلَامٌ وَلَمْ يَحْزَنْ عَلَى حَوَادِثِهَا

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمَتُهُ * شَكَوَى الْجُرَيْجِ إِلَى الْعَقْبَانِ وَالرَّخْمِ
وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتَرُهُ * وَلَا يَفْرُكْ مِنْهُمْ قُفْرَ مَبْتَسِمٍ
سَبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذْنُهَا * فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ *
الْأَمْرُ يَجِبُ مِنْ حَلَى نَوَائِبِهِ * وَصَبْرُ نَفْسِي عَلَى أَحْدَاثِهِ الْخَطَمِ

وَمِنْ حَكَمِ أَبِي تَمَامٍ الطَّائِي حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٣١
خَطُوبٌ إِذَا لَقَيْتَهُنَّ رَدَدْنِي * جَزِيحًا كَأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ كِتَابَهَا
وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ لِنَوَائِبِ أَصْبَحَتْ * خِلَافَتُهُ طَرَا عَلَيْهِ نَوَائِبُهَا
وَمَنْ أَجَلٌ مَا يَنْسِبُ لِعَاقِبَتِهِ

وَلَا حِينَ النَّفْسِ عَنْ شَهْوَاتِهَا * حَتَّى أَرَى ذَا ذِمَّةٍ وَوَفَاءٍ
فَلَمَّا بَقِيَتْ لِأَصْنَعَنْ عَجَائِبُهَا * وَلَا بِكَمْثٍ فَصَاحَتُهُ الْبُلْغَاءُ
وَلَا جُهْدَنْ عَلَى الْإِقْدَاءِ لَكِي أَرَى * مَا أُرْتَجِيهِ أَوْ يَحِينُ قَضَائِي

وَمِنْ حَكَمِ أَبِي الْعَلَاءِ وَهُوَ يَشْهَدُ لَنَا قُلْنَا

وَمَا شَعْرَاؤُكُمْ إِلَّا ذُنُوبٌ * تَلَصَّصَ فِي الْمَدَائِحِ وَالسَّبَابِ
أَأُذْهِبُ فِيكُمْ أَيَّامَ شَيْبِي * كَمَا أَذْهِبُ أَيَّامَ الشَّبَابِ

فَإِنْ كَانَ وَلَا يَدُ مِنْ مَدْحٍ فَلْيَكُنْ بِمَا عَرَفَ مِنْ فَضَائِلِ الْمَدُوحِ وَاسْتَهْرَثَ بِجَعْلِ ذَلِكَ قُدُوةً لِأَهْلِ وَطَنِهِ
فَيَرْجِعُ الْمَدْحَ إِلَى تَرْغِيبِ النَّاسِ فِي الْإِقْدَاءِ بِهِ وَهَذَا كَأَنَّهُ دَرَسَ أَخْلَاقَ وَمَاعِدَاهُ فَلَا أَمْدَحُهُ وَلَا أَرْضَاهُ . الشَّعْرُ
وَالتَّارِخُ لَا يَقْصِدَانِ لِدَاثَهُمَا إِنَّمَا يَرَادَانِ لِإِنْعَاءِ الْعَوَاطِفِ وَالْخُصْ عَلَى الْمَكَارِمِ وَمَاعِدَا ذَلِكَ فَمُبْدُودٌ ، فَالشَّعْرُ
الَّذِي قَصَدَ بِهِ الشَّهَوَاتُ يَهْبِئُونَ بِهِ فِي كُلِّ وَادٍ ، فَأَمَّا الْآخَرُ فَهُوَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ - إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا - الْحُجَّ أَرَادَ بِهِ الشَّعْرَ الَّذِي قَصَدَ بِهِ غَرَضٌ شَرِيفٌ وَنَفْعٌ عَامٌ وَهَكَذَا التَّارِخُ أَرَى
أَنْ يَمُطَّنِي مِنْ حَوَادِثِهِ مَا يَقُودُ الشَّيْبَةَ إِلَى الْمَنَافِعِ وَالثَّمَرَاتِ ، التَّارِخُ يَرَادُ مِنْهُ إِثَارَةُ الْحَيَاةِ وَالْغِيَرَةِ فِي الرُّؤُوسِ ،
التَّارِخُ وَصَفَ شَجَاعَةَ الشُّجْعَانِ وَخَذْلَانَ الْجَبَانَ وَسِيَاسَةَ الْعَادِلِ وَحُبَّ صَالِحِ الْوَطَنِ وَرَجَالَ الْأُمَّةِ وَعِظَمَاءُهَا
حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَى رُقَى الْأُمَّةِ وَالْعَمَلِ لَهَا ، وَانْجِبَ مَا رَأَيْتُ تِلْكَ الْقِصَصَ الْقِرَآئِيَّةَ فَمَا رَأَيْتُ حِكَايَةَ
قَصِيرَةٍ أَوْ طَوِيلَةٍ إِلَّا وَتَحَلَّلَهَا حَكْمٌ وَمَوَاطِعُ وَأَمثالٌ وَتَرْغِيبٌ أَوْ تَرْهيبٌ كَأَنَّهُ يَرِينَا كَيْفَ نَعْمُ التَّارِخُ كَأَنَّهُ يَقُولُ
لَيْسَ التَّارِخُ فَنَامِعِيوْدَا أَلَا إِنَّمَا التَّارِخُ آلَةٌ لِنَقْوِ الْقِرَائِحَ وَإِثَارَةَ الْقَوْلِ لِلْغَرَضِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ ، وَمَتَى
عَرَى عَنْ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ فَأَنَّمَا هُوَ مِنْ سَفَاسِفِ الْأُمُورِ وَضِيَاعِ الْوَقْتِ وَقِرَاءَةُ بَعْضِ كُتُبِ الْإِفْرَنْجِ شَاهِدٌ بِذَلِكَ
فَمَا يَكْتَبُونَ . انْتَهَى

﴿ لطيفة ﴾

لَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مَقَامُ الشَّعْرِ وَعُرِفَتْ حَقَائِقُ عَامِيَةِ فِيهِ ، فَلَا يَبِينُ لَكَ آثَارُ الشَّعْرِ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ وَكَيْفَ كَانَ
الْمُقَادِي فِي الشَّعْرِ سَبَبًا فِي الْخَطَايَا بَعْضُ الْأُمَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَقْلًا عَنِ الْعِلَامَةِ (لُؤَيْسُ فَيَارْدُو) تَرْجَمَهُ صَدِيقِي
عَبْدُ الْحَمِيدِ بَلَكُ فِيهِ مَي

جَاءَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ تَارِيخِ عَرَبٍ وَمَغَارِبَةِ إِسْبَانِيَا وَهُوَ الدُّورُ الْإِسْلَامِيُّ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ تَحْتَ عُنْوَانِ الشَّعْرِ
مَا نَصَهُ ﴿ ذَكَرْنَا الْعَرَبَ فِي الْأَنْدَلُسِ قَدْ بَالِغُوا فِي اسْتِعْمَالِ الشَّعْرِ حَتَّى صَارُوا يَكْتُبُونَهُ فِي الْمُرَاسِلَاتِ السِّيَاسِيَةِ

وعقد الصلح بل بخيل للإنسان أنهم لا يكادون يتفقون إلا بالشعر قال وكان عدد الشعراء عندهم عظيما جدا وكان حماد الراوية الذي كان في ابتداء القرن السابع يحفظ مائة ألف قصيدة عن ظهر قلب من قصائد الجاهلية على كل حرف من حروف الهجاء غير القطع الصغيرة وأن أبا تمام كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير المقاطع الصغيرة والأصمعي ستة عشر ألف أرجوزة ، وكان أبو مضمم يروي أشعارا لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو ، ونقل هو عن أحد الفرنسيين (أن بلاد العرب أنتجت من الشعراء أكثر من خرج من بقية بلاد العالم) ثم ذكر أن مجالس الخلفاء كهرون الرشيد ازدان بالشعراء . وذكر المتنبي وهو أبو الطيب أحد بن الحسين ابن عبد الصمد الجعفي المولود بالكوفة سنة ٩١٥ وهو مادم سيف الدولة بن حذاف أمير حباب وكافور الأخشيدي وقد تقدم سابقا ، وذكر أبا العلاء المعري ولزومياته وأبا تمام حبيب بن أوس الطائي المولود بالشام وكان ناسجا ويسقي الماء في الجامع بالقرب قبل أن يكون أمير الشعراء والبحتري وهو أبو عباد ، ثم ذكر أن الشعر كان يرفع الرجل من المسكنة إلى الدرجة العليا ، واستدل على ذلك بأنهم يؤرخون حواديتهم كما يؤرخون للملوك ويدكرون وفاتهم باليوم والسنة والساعة كأيدي كرون وفاة ملوكهم وحجابه ، ودخل الشعر أسبانيا مع الفتح حين دخلها موسى بن نصير وقد كثرت الشعراء هناك ووقفوا في قرطبة واشتد عليه وغرناطة على أبواب عبد الرحمن الداخل وأبي عبد الله الصغير وغيرهما ، وقد كانت تجمع القصائد في مجلدات بالدواوين فيقال ديوان الشاعر فلان ، وقد كان الخليفة الحكم الثاني هوناش ومنظم ديوان ابن عبد رب (أحمد بن محمد بن عبد رب) من شعراء قرطبة وصاحب (العقد الفريد) وبعض السواوين يحتوى على مجموعات لشعراء مختلفين مثل مجموعة أبي بكر بن داود الأصبهاني المسماة بالأزهار ومجموعات أخرى ، ثم قال إن زمن الحكم الثاني كان زمن رقي شعري عظيم وقد اشترك أهل الأدب في المناظرة الأدبية التي قامت بينهم على أثر ما نظم أحد شعراء قرطبة (محاسن الورد) وما نظم شاعر آخر في وصف المطر فتشبت الآراء وصار القوم فريقين ، فريق يفضل هذا وفريق يريد ذلك وقد أثرت هذه المناظرة الأدبية ولدت كثيرا من النظم والنثر وقل أن يوجد مثل أشهر من المناظرة بين الورد والمطر مؤيدة برأى المعصدين لها انتهى ملخصا

(نتائج الغرام بالشعر والسياسة في الأندلس)

ثم قال مانصه بالحرف الواحد (غير أننا إذا فهمنا الشعر على هذه السكيفية فانه بدلا عن أن يعلى قدر الأمة فانه يجرها إلى النذل والهوان ، وبدلنا دلالة كافية على انها قريبة من الزوال آيلة إلى الانحلال في زمن قريب بدلا من أن تمسك وتستقر ثابتة في أوج عزها ومجدها وبعد هذا الزمن بقليل استوزر ابن عباد الثالث الشاعر (عبيد الله بن زيدون) واتخذ أمير بطليوس وزيرا له (أبا محمد بن عبد المجيد بن عبدون) عند ذلك كثرت تقلد الشعراء وظائف الدولة وراجت سوق الأشعار فيها حتى كانت المراسلات السياسية تكتب بالشعر ، ثبت ذلك ما كتبه ابن عباد إلى الأمير يوسف وإلى الفونس السادس . ولما اشتغل المسلمون بذلك وألهاهم الشعر عن النظر في أمور الدولة قام الأسبان واستردوا مدينة (طليطلة) وهندوا الأندلس بجيوشهم ولم يجد الأمراء ووزراؤهم الشعراء خلاصا من بطش المسيحيين بهم إلا بابا واحدا وهو الاحتماء بأمراء أفرقية فاستدعوهم إليهم وساموا إلى رئيس المغاربة مابقي بأيديهم من بقايا الخلافة العربية فسكرتهم قضوا بأيديهم على تمدنهم كما قضوا على دولتهم انتهى المقصود منه

وانما ذكرت لك هذا أيها الذكي لتعرف نتيجة قوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - فانظرو كيف هام الأندلسيون من المسلمين في الشعر وأوديته حتى قارنوا بين المطر والورد وتركوا الأمة وراءهم جاهلة لا يعلمونها نظام الحياة ولا رقي البلاد ولا الاستعداد لمقاتلة الفرنجة ، فهذا هو الهيام في كل واد من أودية الضلال ، وهذا هو الذي عناء القرآن وهو معجزة أخرى ونتيجة سياسية لهذه الآية

﴿ خاتمة السورة ﴾

اعلم أن هذه السورة بدأها الله بالعلوم فدكر النظر فيما خلقه في الأرض من عالم النبات وعجائبه وذكر في قصة موسى عليه السلام ذلك النظر كما شرحناه وعممه في الأرض وفي السماء وفي المشرق والمغرب وما بينهما وفي نوع الانسان وكذلك في قصة ابراهيم عليه السلام من الأحوال الانسانية خلقاً وهداية وشفاء الخ ثم أعقب ذلك في القصص الخمس الباقية بالعمل بعد العلم فذم الكبرياء على الضعفاء في قصة نوح عليه السلام وذم المتعالي والتعظيم بما أنعم الله من النعم لا يذم الناس وأذلالهم وأهانتهم كما كانت تفعل عاد من احتقارهم للناس وبطشهم بطش الجبارين ، وذم ثمود بكفر النعم التي أنعم الله بها عليها كالبيوت المتخذة في الجبال ، وذم قوم لوط إذ جهلوا نعم الله في النساء البنين وتركوهن واكتفوا بالذكور ، وهكذا قوم شعيب إذ ظلموا في كيالهم ووزنهم فرجع الأمر الى نظام البلاد بأقامة العدل في المعاملات وحفظ النسل وترك ظلم الناس وقتلهم وسفك دماهم هذا ما يخص مافي القصص الخمس الأخيرة ، فالسورة ابتدأت بعلم النظر وختمت بعلم النظام الاجتماعي والحق أنه لا مساعدة لأمة إلا بالنظر في هذا الوجود أولاً وحفظ النظام وضبط القوة الشهوية والقوة الغضبية ثانياً وهذا ملخص السورة ، وختمها ببيان أن القرآن لم ينزل به على النبي شيطان وأن النبي ﷺ ليس بشاعر ثم وصف الشعراء وقد عرفت كل ما يتعلق بذلك

﴿ كيف يعلم الشعر في الاسلام ﴾

اعلم أن السورة قد ختمت بذكر الشعر كما قدمنا وكان ابتداءها يذكر الحكمة والعلم والنظر في هذا الوجود كما شرحناه ، ألا تعجب من هذا النظام ، ألا تعجب أن التعليم الحقيقي يكون على هذا المنوال فقد جاء في كتاب أميل القرن التاسع عشر مما يخصه ان العلوم الأدبية والشعرية والقصص الخيالية والجغرافية تقرأ أولاً ثم يقرأ التلميذ بعد ذلك العلوم الطبيعية كالحيوان والنبات والانسان والعلوم الرياضية كالحساب والهندسة والفلك الى آخره وذلك لأن الشعر وما معه تفتح للعقل باب الخيال ، أما العلوم العقلية فانها تصقل العقل وتمهذه . فبهذا تعرف كيف سقطت دولة الأندلس فيما تقدم وتعرف ما يجب في المستقبل على المسلمين

﴿ في تعليم الشعر ﴾

ليقرأ الشعر بالطريقة الحديثة بحيث يذكر تواريخ الشعراء ، وما السبب في هذا الشعر ، ولم كان على هذا المنوال ، وكيف كان حكم الدولة في تلك الأيام ، وما الذي أثر في الشاعر حتى نطق بهذا القول ، وما حال الدولة في أيامه ، وما مدينتها ، وفي أي درجة كانت من الرقي حتى يخرج الطالب من ذلك وقد كسب ملكة النقد ليرقى البلاد بأرائه . ولا بد من العلوم الطبيعية كما جعل القرآن مبدأ السورة فيها في أولها وفي قصة موسى وإبراهيم . وكما ذكر بعد (سورة الشعراء) سورة النمل وهي من العلوم الطبيعية . أفلا تعجب من القرآن . ألا تعجب كيف سمى هذه السورة بالشعراء وأردفها بما هو من علوم الطبيعة ونظام الخليفة وبدائع الحكمة وهي (سورة النمل)

تم تفسير سورة الشعراء يوم الثلاثاء ١٧ من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

﴿سورة النمل مكية﴾

(وهي ثلاث وتسعون آية نزلت بعد الشعراء)

﴿ وهي أربعة أقسام ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ في مقدمة في الايمان وفي قصة موسى عليه السلام

﴿ القسم الثاني ﴾ في قصة سليمان عليه السلام

﴿ القسم الثالث ﴾ في قصة نوح وقوم لوط

﴿ القسم الرابع ﴾ في حكم عامة وآيات بينات في معرفة الله واليوم الآخر ، وقصة موسى ونوح وقوم لوط
أشبهه بأقسام القصص في سورة الشعراء

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَهُمْ
أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَمُوتُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْمَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِضَرُونَ *
وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَ تَكُونُ
مِنْهَا بِخَبِيرٍ أَوْ أَنِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ أَمْسَكُكُمْ تَضْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ
فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي
لَا أَخَافُ لِلَّذِي الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَلَمَّا نِي غُفُورٌ رَحِيمٌ * وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِظَتِهَا
أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلوًّا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(طس) تقدم تفسيرها وتفسير جميع أمثال هذه الحروف في أول بعض السور وفي أول سورة ﴿ آل عمران ﴾
وستقرأ قريبا ذكر ما يخصها هنا بإيضاح (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أي هذه آيات القرآن وآيات كتاب
مبين فيه الحكم والأحكام والاعجاز وفي هذا الكلام عطف إحدى الصفتين على الأخرى . وقوله (هدى)

وبشرى للمؤمنين) حالان من آيات، فهي هدى من الضلالة وبشرى بالجنة (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الجلة الاسمية عطف على ما قبلها (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا طم أعماهم) القبيحة فأصبحت مشبهة لهم طبعها (فهم بمهمون) أى يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والأسير يوم بدر (وهم في الآخرة هم الأخسرون) أشد خسارنا لفوت الثواب واستحقاق العقاب (وانك لتلقى القرآن) تلقته وتواته (من لدن حكيم عليم) فعلم القرآن (قسمان) علم وهو يشمل الحائرات والمستحيلات والواجبات وهو يشمل القصص والأخبار والمواعظ ويشمل اتقان الفعل وهذا الأخير هو الحكمة وهي القسم الثاني وهذه تشمل العقائد والشرائع والأحكام، ثم شرع في بعض العلوم فقال اذكر (إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا) أى اذكر قصته وقوله (سأتيكم منها بخبر) أى عن حال الطريق لأنه قد ضله في ذهابه من مدين الى مصرأى امكثوا مكانكم سأتيكم بخبر عن الطريق (أوأتيتكم بشهاب قبس) على الاضافة بمعنى شعلة نار مقبوسة وشعلة النار تكون مقبوسة وغير مقبوسة ومنونا فيكون القبس وصفا لاشعلة بمعنى مقبوس (لعلكم تعطلون) رجاء أن تستدفئوا بها من البرد وكان في شدة الشتاء (فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها) أى نودى بأن بورك من في النار الساطع الذي ظنه موسى نارا أى قدس وهو الله تعالى كما قاله ابن عباس ومن حولها وهم الملائكة وموسى . ولا جرم أن الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم وقد خاطب موسى من ناحية الشجرة فلاضير فيها قاله ابن عباس في هذا المعنى وتقدس الله بمعنى تزيهه عن جميع النقائص وأحوال الخلق وتقدس موسى والملائكة بمعنى ترك الذنوب ومعصية الله تعالى ولا جرم أن الملائكة موكلون بهذا العالم فهم حاضرون في كل مكان . ولما كان قوله - من في النار - يومه الظرفية الحقيقية ويومهم اشراك موسى والملائكة مع الله في التقديس أو كثرة الخير من كل وجه أردفه بقوله (وسبحان الله رب العالمين) وهذا من تمام التذاه أى تزيه الله مربي العالمين والمربي بتعالى عن الذين هم مربوبون فلا يشاركونه في كثرة الخير ولا في التزيه عما لا ينبغي . ثم وصف الله نفسه لموسى فقال (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) القاهر الغالب واست أقهر إلا الحكمة فأنا قاهر هذا العالم ولكن القهر مصحوب بحكمة فأن قلبت العصا حية فأنما ذلك لأنبت قدرتي وأعجازك لما أظهرته على يديك ولكنى لأظهر ذلك على يدى عبد من عبادى إلا الحكمة فلا أجعل مثل هذا شائعا لأن شيوعه وتداوله ينافي الحكمة بل انى أجعله نادرا ولكن جميع ما يحصل في الطبيعة إنما يسير بنظام تام فهناك حكمة في دوام النظام وهنا حكمة في خرقه على شريطة أن يكون وقت الحاجة . ثم أبان عزته وقهره لحكمة هنا فقال (وألقى عصاك) عطف على بورك أى نودى أن بورك من في النار وأن ألقى عصاك (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سرية (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع * يقال عقب المقاتل اذا كره بعد الفرار . وأنما رعب لأنه ظن أن ذلك لأمر أريد به فلذلك قال الله له (يا موسى لا تخف) منى ولان غيرى ثقة بي (إني لا يخاف لدى المرسلون) إذ لا يكون لهم سوء عاقبة فيخافون منه . أما الخوف الذى هو من شرط الإيمان فهو ملازم لهم . واعلم أن الأنبياء قد يأتى بعضهم بغير الأفضل وقد يأتى بالصغيرة وموسى عليه السلام قتل القبطى ثم تاب وقال رب انى ظلمت نفسى فاعف عني فاعفله * وقال ابن جريج « قال الله لموسى انما أخفكتك لقتلك النفس » ولذلك قال تعالى (إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم) أو الاستثناء منقطع أى لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب و بدل حسنا بعد سوء فإني أعفله وأزيل خوفه (وأدخل يدك في جيبك) أى جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) آفة كبرص . يقول الله وأدخل يدك حال كونها آفة مع تسع آيات أنت مرسل بهن (الى فرعون وقومه) فتكون الآيات إحدى عشرة المذكورتان والفاقى (٣) والطوفان (٤) والجراد (٥) والقمل (٦) والضفادع (٧) والدم (٨) والطمس

(٩) والجذب (١٠) والنقصان في مزارعهم (١١) وقوله (إنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الطاعة (فإذا جاءهم آياتنا مبصرة) بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) الذي نراه (سحرمبين) ظاهر (وسجدوا بها) أنكروا الآيات ولم يقرّوا أنها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أى علموا أنها من عند الله فهم سجدوا بها بأنفسهم واستيقنوها بقرابهم (ظلموا) لأنفسهم (وعلو) ترفعا عن الإيمان وهما مفعولان لأجله لقوله - سجدوا - (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) فقد أغرقوا في الدنيا وأحرقوا في الآخرة . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة

﴿ لطيفة ﴾

انظر عجائب هذه الآيات في (سورة طه) وغيرها مما تتمة كالعصا والحية وكيف قلب الله العصا حية وما أشبه ذلك قد أوضحناه في سورة طه ، فان الله يظهر هذه العجائب كأنه يقول لعباده انظروا الأرض وما عليها تلبس ألوانا وألوانا ، يكون ليل ففجر فصبح فظهر فعصر فغرب فمساء ، ألوان وألوان وظلمة وضياء وجمال في النجوم ، وهذا كله تغير سريع متتابع وهناك تغير غير متتابع كالنبات وتتابع زرعه وهكذا الحيوان فالتناس يحبون من قلب العصا حية لجهلهم بصنعه فأنهم لما شاهدوا قلب النجوم والشمس والقمر وجلا يدب النبات على الأرض وأنسوا بذلك صباحا ومساء أصبح ذلك عاديا لا يؤثر في أنفسهم لجهلهم وأنما ذلك يؤثر في نفوس العقلاء والحكماء ، ولكن لما رأوا العصا قد قلبت حية عجبوا من فعل ربهم وذكره . هذه هي الحكمة في ظهور أمثال هذه الخوارق

﴿ بهجة العلم في بعض أسرار - طس - ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هذا ذكر بعض أسرار الطاء والسين في هذه السورة)

اعلم أن الله عز وجل - الذي خلق أرواحنا من أجل الأنوار وأبهج الجبال قد أنزلها في هذه الأرض واستقرت في الطين واصقت به فوصفت بالجهل حتى لا تعلم فلذلك أخذ يعلمها الله ليرجعها الى مقامها الأول تقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب إلا للحبيب الأول

لهذا أخذ ينزل لها العلوم إما بالوحي وإما بالعقل والحكمة ، والوحي مبدأ والحكمة النهاية وكلاهما منه تعالى ، وها هو ذا سبحانه أخذ في أمثال هذه السورة يعلمنا كما يعلم الاستاذ تلميذه بالبدسات قبل المركبات والجزئيات قبل الكليات فابتدأ يقول لنا (طاء . سين) وهذان الحرفان لا يفهم القارى منهما معنى لأنهما حرفان لا معنى لهما . ولقد تقدم شرح هذا المقام بأوفى بيان في سورة (آل عمران) فهناك تجد العجب العجيب ، ولكن نحن هنا نريد ما يخص هذه السورة من المقصود من الطاء والسين . اننا ذكرنا في سورة (آل عمران) من المعاني التي تختص بالألف واللام والميم ما به يستيقظ المسلمون النائمون الى حوز مجدهم وشرفهم وأن هذه الحروف موقظة هناك الى قصة اليهود المبذوة بالألف واللام والميم وهذه القصة تفيد أنهم قد أنكروا على شفاعته آبائهم وعلى أنهم لا يدخلون النار إلا لتحلة القسم كما وعد الله يعقوب بالنسبة لأبنائه وأنهم لا يدخلون النار إلا أربعين يوما عند أيام عبادة آبائهم الجبل ، وهذا الانكسار الذي ادعوه جعلهم يستحلون المحرمات وينكرون الأحكام الشرعية ويكتمون ما أنزل الله حتى قالوا إن التوراة ليس فيها الأمر بجمع الزانية والرأى ، وهذا الانكسار أوقعهم في النكال فأزال الله ملكهم وحل المسلمون بساحة بلادهم وملكوها ، وقد بينا هناك أن هذه الحال بعينها هي التي حلت بالأمة الإسلامية اليوم سواء بسواء وأنهم أنكروا على شفاعته من شيوخهم وعظمائهم وناموا جهلا بمعنى الشفاعه وبعدا عن معرفة الحقائق فلم يقدروا أن يفهموا ما هي الشفاعه ولا ما هو

الواجب فوقنا فيما وقع فيه اليهود من ضياع ملكهم وذهاب مجدهم فاتخذوا الشفاعة التي هي حق وصدق لاشك فيها سببا في الجهل والسكسل والظلم والنوم على فراش الراحة الوثير وهدموا الدين هدمًا . إذن هم ذكروا حقا وأرادوا به باطلا وأضل الله كثيرا منهم على علم . إذن - الم - في سورة (آل عمران) يراد بها ارتقاء المسلمين اليوم وخروجهم من الظلمات الى النور ومن الغرور المذكور في قوله - وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون - الى الحقائق ومعرفتها ، وهناك بيان أنواع المفرورين في زماننا وبيان الطريق التي يسلكها المسلمون للخروج من هذا الغرور فافهم هناك فانه شاف واف . هذا ملخص ما هناك مجلا

فلنظر هنا في الطاء والسين ، فهل فيهما مان كالتي هناك ؟ أقول نعم فيهما وفيهما ، ههنا حضر صديق العالم الذي اعتاد أن يناقشني في المسائل المطامة في هذا التفسير . وقال إن هذا الملخص الذي ذكرت أنه في (سورة آل عمران) لم تأت فيه بتمام الفرض هنا ولكن الاطلاع عليه في المنفصل هناك يكفي اللبيب انما الذي بهمني الآن أن أعرف هل - طس - فيها معان تفيد الأهم الإسلامية كالتي تقدمت في (آل عمران) فأجبتة نعم تضارعها وتشرح الصدر . فقال وما هي تلك المعاني . قلت انظر وتجب . إن هذه السورة تشتمل على (١) حديث سليمان والطير والنمل وبدخل في أمر الطير مسألة بلقيس وعرشها . ولاجرم أن ذلك يدعو

(لأمرين) ارتقاء العالم وارتقاء النظام السياسي في الأمم

(٢) وعلى أن صالحا طير به قومه فوكل الأمر لله فنصره

(٣) وعلى أن لوطا نصر إذ آذاه قومه

(٤) وعلى نتيجة ذلك كله وهو وصف الله بجمال خلقه في قوله - قل الحمد لله وسلام على عباده - الخ ثم الأمر بالسير في الأرض وبقية النصائح

هذا ملخص السورة ، علم الله قبل أن يخلق الخلق وينزل القرآن أن المسلمين سينامون نوما عميقا . لماذا ؟ لأن العرب لما فتحوا البلاد تفرقوا فيها ولما تفرقوا نسوا مجد آبائهم لما أسكرتهم خيرة الانتصار وطال عليهم الأمد وقست قلوبهم وصاروا مترفين . مع أنهم هم الذين علموا الأمم وهم الذين رققوها وهم الذين نقاوا علم اليونان وهم الذين ساءوا ذلك العلم الى أوروبا فأحاطت بهم الأمم من كل جانب وهم نائمون فقال الله لهم - طس - وهذان الخرفان أشبه بطلمس مكنون يقرؤه الناس جيلا بعدجيل وزمنا بعد زمن وسلمه الآباء للأبناء وهذا زمان المعرفة والعلم ، هذا زمان استيقاظ المسلمين من العرب ومن تلك الأمم التي أيقظها العرب الفاتحون ، ولما نام العرب ناموا أجمعين ثم رجعت أكثر الأمم التي ليست بعربية الى أنفسها فعقلت واستردت بعض مجدها ولكن - طس - يراد منها أن توقظ أمم العرب وغير العرب بأدراك بعض سرها في هذا التفسير فقال صاحبي فبين لنا ما هذا السر الذي قدّمت له هذه المقدمات . فقلت انظر الى (الطاء) أليست تراه في لفظ (الطير) ولفظ (أحطت) و (تحط) فهي أول كلمة طير وآخر كلمة أحاط وتحيط . قال بلى . قلت انظر الى السين أليست تراه في أول لفظ سليمان . قال بلى . قلت هذا هو مفتاح العلم في هذه السورة ، فالطاء والسين هما مفتاح الرقي للأمم الإسلامية وكان الطاء قفلا وكان السين مفتاح كالمفاتيح المعتادة في بلادنا . قال نعم . قلت فاذا اجتمع القفل مع المفتاح وأدخل فيه فتح الباب . هكذا هنا اجتمعت السين مع الطاء ففتحت خزائن العلم . فقال صاحبي أريد أن أرى هذه الخزائن . فقلت ههنا للعلم (خزانتان) خزانة العلم وخزانة السياسة

اللهم إني أجدك على نعمة العلم . اللهم لا معصم إلا أنت . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . اللهم إن القلوب بيدك والفتوح منك فلا حول لنا ولا قوة إلا بك أنت . أنت الذي ألهمتني هذه المعاني فلا قلها للمسلمين . اللهم إن سليمان نبيك كلم الطير ولم يكن ذكر ذلك في كتابك لمجرد حكاية تحكمها عن سليمان لافرح بها ونحن جاهلون أولتها هي بغيرنا ونحن مجرّدون . كلا

إن القرآن ذكر مبارك والذكر يقبضه الذكر كما قلت . - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض . - فهمنا بفكر المؤمن في أمر سليمان وأمر الطير فيقول إن الطير يقول سليمان أحطت بما لم تحط به فوالله ما كان علماء الأمم البائدة من قدماء المصريين والآشوريين والبابليين ولا علماء الأمم الحاضرة من الأمم العربية بأقل علما من الهدد الذي يقول سليمان - أحطت بما لم تحط به . - ولا نحن بأغزر علما من أنبياء الله تعالى فليس لنا حق أن نتبرأ من علم الأمم أو أن نجعله بل نضرب في كل علم بسهم ويكون منا لسكل علم قوم نابفون فيه ، فلو أننا تكبرنا على علم منها لسكان سليمان أولى بالكبرياء على الهدد ، فلانحن أعلم من أنبياء الله ولا علماء الأمم بأضعف من الهدد . ولقد ذكرت هذا المعنى في سورة (يونس) عند تفسير قوله تعالى - فاليوم نتجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية - ورسمت لك هناك صورة منطقة فالك البرج المنقولة عن قدماء المصريين المرسومة على صندوق موتاهم ، وثبتت كل العجب أن يكون علم الفلك مرسوما ملخصه على صناديق أموات قدماء المصريين ، ونرى أن جميع الأمم الإسلامية من مصريين وغير مصريين لم يحط أحيائهم بهذا العلم ، إن الله جعل هؤلاء لنا آية ، يقول لنا هؤلاء الأموات رسمت على صناديقهم عجائب سمواتي فكيف كان أحيائهم إذن ؟ وإذا كان الأموات يشرفون بجمال سمواتي وبرهجة علوي فكيف بأحيائهم ، وهل يصح منكم ذلك يا مشركي المسلمين الذين أرسلت لكم خاتم الأنبياء وجعلتكم رجة العالمين أن تكونوا أجهل أمة في الأرض ويكون الأموات من الأمم السابقة أحسن على جمال نظامي ونقوشه وبدائع كواكبي من أحيائكم وأنتم مسلمون ، ألاساء مثلا القوم المغفلون الجاهلون

أهل مصر كأكثر بلاد الإسلام ليسوا مفرمين بجمال علم النجوم وقد دفنت تحت أرجلهم أم كانوا قبلهم وهذا العلم مرسوم على صناديقهم وهما إذا أبرزه لهم اليوم وأقول - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - هذا هو بعض ما جاء في (سورة يونس) مع بيان أن علماء قدماء المصريين ليسوا أقل من الهدد بل هم أشرف منه ولاهم الإسلام بأرفع مقاما وعلما وقدر من سليمان فاذا نزل سليمان إلى سماع الهدد أفلا يسمع المسلمون كلام العلماء . فقال صاحبي هذا حسن وقد تقدم ولكن هذا كله أشبه بمقدمة ويظهر لي أن ههنا هو أجل من هذا وأبين . فقلت نعم هنا ﴿ أربعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ في أن الأمراء ورؤساء العشائر يجب عليهم مراعاة صغيرات الأمور وكبيراتها

﴿ الفصل الثاني ﴾ في أن الطيور وسائر الحيوان معلمات للإنسان في الحال والاستقبال نماذج تعليمية

﴿ الفصل الثالث ﴾ في أن هذه المخلوقات الحيوانية فيها مضار ومنافع لا بد من علمها الرقي الإنسانية

﴿ الفصل الرابع ﴾ في أن قصة بلقيس تذكرة للعرب قد دخلت في حديث الهدد وفيها تقييد لأبناء العرب عموما ولأهل اليمن خصوصا إذ هم في بلاد كانت لها مدينة مع وثنيهم لم يصل لها المسلمون الحاليون مع جلالة قدر دين الإسلام

﴿ الفصل الأول في أن الأمراء ورؤساء العشائر يجب عليهم مراعاة صغيرات الأمور وكبيراتها ﴾

اعلم أن الله عز وجل لما أطلعنا على رقة المنشور وكتابه المفتوح وهي الطبيعة التي درسناها ألفيناها لم يفرق في الرحمة والعناية والحفظ بين الكواكب في مداراتها والحشرات في مخابها بل وجدناه أعطى الفل من الأعين وعددها ما لم يعطه للجمل والفيل . جعل الله للكواكب مدارات منظمة بحساب متقن ولكه لم يدر النرات والحشرات الصغيرة الضعيفات بلا حساب ولا عناية بل أعطاهما كل ما تحتاج إليه . إن الإنسان الذي يوقن بهذا قد دخل أبواب الجنة فعلا في هذه الدنيا . هذا هو الذي رأيتاه في عمل الله فانظر إلى عمل نبي من أنبيائه وهو سليمان عليه السلام ، فانظر ماذا فعل ؟ تراه يعاشر الوزراء ويدير الملك ولكنه في الوقت نفسه لم يغفل عن الفيلة في مسكنها والهدد في الهواء فهو يكلمهما ويتفقد الطير ويهدد الهدد ويستمع جوابه ويقبل منه

القول الحسن ويعمل بقوله ويسمع مخاطبة الفلّة ويتبسم ضاحكا من قولها . إذن هو كالم الوزراء وأدار الملك وتنزل الى الفل فهو إذن في عمله نموذج لفعل ربه ﴿ وبهارة أخرى ﴾ يعني انه يجب علينا نحن المقصودين من هذا القول كله أن نلاحظ مآدق كما نلاحظ مآجل وتتفقد كل صغير وكل كبير في عملنا كما يتفقد الأب جميع أبنائه بل يتفقد الصغير أكثر مما يتفقد الكبير كما فعل الله إذ أعطى الفلّة من الأعين كما سيأتي في هذه السورة مشروحا ما لم يعط الجبل والفيّل وذوات الأربع عموما . انتهى الفصل الأوّل

﴿ الفصل الثاني في بيان أن الطيور وسائر الحيوان مهيأة للانسان في الماضي والحال والاستقبال ﴾ وذلك ظاهر في (سورة طه) عند قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهناك ترى أربعين نوعا من الصناعات استقلت بها الحيوانات قبل خلق الانسان فتعلمها الانسان كالبناء وصنع الورق والسراديب والغزل والنسيج وما أشبه ذلك فراجعته تجده مشروحا ، وآخر صناعة نقلها الانسان من الحيوان مسألة الطيارات التي تطير في الجو ولا ترتفع إلا الى خمسة أميال فقط مع انها تجري مئات الأميال حول الأرض ولكن ارتفاعها محدد ، فهذه الصناعة لم يهتد لها الانسان في زماننا هذا إلا من الطير كما تقدم في سورة المائدة عند ذكر الغراب وأن الله بعثه ليرى الانسان كيف يدفن موته ، إذن الانسان تلميذ الحيوان . واعلم أن علم الحيوان وعلم النبات وعلم المعادن وعلوم الكائنات يجب على الناس أن يقرؤوها قبل قراءة جسم الانسان وقراءة علم نفسه وعلم سياسته لأن هذه مخلوقات قبله ومقدمة عليه طبعها فوجب تقديمها صنعا فان نظام الله اذا روعي ترتيبه كان أقرب الى الرقي كما قال (اسبينسر) في تعليم اللغات ﴿ انه يجب أن يبدأ المدرس بالتكلم ثم يتبعه بالكتابة لأن الناس هكذا تكلموا ثم كتبوا ﴾ فهكذا نقول هنا هذه العوالم خلقت قبل أن يخلق الانسان فلتنرس قبل أن يدرس الانسان نفسه ويدرس عقله لأن الحيوان أقل تركيبا من الانسان فهو كجزئه والجزء يدرس قبل دراسة الجميع ، ولهذا عنيت الأمم بقراءة تلك العلوم عناية تامة . هذا من معاني قول الطير سليمان - أحطت بما لم تحط به - فكل طير وكل حيوان مخلوقات قبل الانسان فعلمها اسعاده وكل علم عرفناه عن الحيوان علم بناحية من نواحي الانسانية العامة . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في أن هذه المخلوقات الحيوانية فيها مضار ومنافع لا بد من علمها لرقى الأمم ﴾ لقد تقدم في أوّل (سورة الفرقان) كلام عام عند قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - ومما ذكره هناك السمك الكهر يائي في البحر والحيوان الصدفى الذى يدرسه فينته فوق سطح البحر والعنكبوت التي تتخذ لها سقفا فوق سطح البحر بشبكها وطيارات في الجو جوارات بها تصطاد الحشرات وتسير في الجو وأن هذه الحشرات وأمثالها جعلها الله أمثالا لنا ولذلك قال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال في آية أخرى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين - فهذه جعلها الله آيات مفصلات ، فالقمل آيات مفصلات والدم آيات مفصلات والطوفان آيات مفصلات وقد مرّ إيضاح أكثرها ومعرفتها هناك

يجب المسلم حين يسمع أن الضفدع والدم آيتان ، وإذا جعل الله الشمس والقمر آيتين فكيف يجعل القمل مثلا والدم آيتين . إذن الشمس والقمر كأقل الحشرات كلاهما من آيات الله الله أكبر ، جلّ الله وجلّ العلم ، هذه من آيات الله فهى منذرات . إنك ترى في (سورة الفرقان) أن البراغيث اللاتي هن أخوات النمل رسل وسفراء بين الفيران وبين الانسان فإذا حلّ الطاعون بساحة الفيران رساء صباحها وماتت جوعها حملت البراغيث هذا الداء من تلك الأجسام المطعونة الى أجسام الانسان فوضعت فيها جراثيم الطاعون ثم ينتقل من زيد الى عمرو ويسرى في الناس سريان البرق في الظلماء . وقد تقدم هذا وكيفية الاحتراس منه فلا نعيد ، ولنا نحن هنا في مقام المداواة من الأمراض ولكن نحن في مقام العلم

والحكمة العاتية فشرح الأمثال الجزئية تذكرة وتنبأنا للقواعد السكينة . إذن لابد من دراستها فهي آيات مفصلات فصلها الله بعمله قبل أن يضيق الإنسان ويخفق أنبياءه ويوحى اليهم فيدل بنى آدم بنوحى الأنبياء على ما كتبته في هذا اللوح المنشور فيسمع الناس القول فقبضونه بالهمل

هذا هو السر في أن الأمم حولنا يدرسون كل حشرة وكل طير ليسعترسوا من الهلاك ويحبتوا الثمرات . إن الإنسان لا يخطر بباله يوما ما أن البرغوث مهلك بالطاعون للإنسان ولكن العلم اليوم أثبت ذلك كما أن هناك جرائم حية لا تعد لها تمريض الإنسان بأنواع الأمراض المختلفة . - ومار بك بظلام للعبيد - وما ظنناهم ولكن ظنوا أنفسهم بالجهل بمصنوعاتها ، وكما كانوا أكثر جهلا كذا أكثر اهلا كما لهم لأنهم لم درسوا ما حولهم لأجل حفظ أجسامهم ورقى مدنهم لا تنهوا إلى ادراك جمالنا وقدرتنا وحكمتنا ، فإذا أمرنا الناس بالنظر في مصنوعاتنا لتوحيدنا وشكرنا فمناه انهم لا يصلون للحقائق المعروفة بنا إلا بعد أن يكونوا قد أتوا دروس علوم الحياة التي تنفعهم في دنياهم ، فالمنافع الدنيوية أشبه بحسرة يرون عليه المعرفة جمالنا وانما فعلنا هذا النظام لتبين الخبيث من الطيب والدكن من البليد لأننا اذا تركنا الإنسان ولم نوقفه أهالكته البطالة وسوء المأساة فيكون من المترفين والمترفون مذمومون إذ جاء في التنزيل - انهم كانوا قبل ذلك مترفين - فجعل الترف هو السبب في عذابهم في جهنم ، فمن رحمتنا أن جعلنا ماله وولاه والحشرات المحيطة به عذابا له ليعمل وليعتد من الهلاك ويحسد فلا يحتر البرغوث والقمل ويقول ماضرهما فنقول له

* أطرق كرا إن النمامة في القرى *

ادرس البرغوث وادرس القمل وادرس الطير والآن أدقنك أنها الإنسان العذاب وساطنا عليك جنودنا فأهلككناك ، ولوانا أنما هذا الإنسان هلك . ألم ترى أمة اليابان ، تلك الأمة الشرقية أنما سبقت الشرق كله إلى الرقى . لماذا ؟ لأن بلادها خافت معرضة للبراكين فهي أبدا على حذر وخوف لذلك ارتقت قبل أهل مصر الذين اشتركوا معهم في اقتباس المدنية فسبق الأولون الآخرين واحترمتهم الأمم وانما تأخر المصريون (أهل بلادى) لأنهم آمنون عندهم ما يكفيهم من القوت والملابس ولا زلازل وبراكين عندهم فاكثفوا بما عندهم - وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن -

فإنه لم يرسل المندرات من الحشرات والجنود المجندات على هذا الإنسان إلا لإيقاظه وارتقائه ، وهذا الانذار لا يعرف إلا بالعلم وهذا هو سر قوله تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - فالعلماء بهذه الحشرات والحيوانات هم الذين بهم ندرك لماذا خافت وماذا يحترس منها مع أن أكثر المسلمين حين يسمعون الله يذكر الهدد ويذكر القمل ويذكر النكبات يقولون في أنفسهم - ماذا أراد الله بهذا مثلا - وهذا هو العجب أن يكون أسهل الأشياء عند الجهال أصعبها وأعظمها عند العقلاء * قال الشاعر

لا يعرف الشوق إلا من يكابده * ولا الصبابة إلا من يعانيها

هذا هو بعض سر الطاء وانسين في أول هذه السورة ، فالدين من سليمان والطاء من الطير ومن أحطت ومن تحط بشيران إلى ما ذكرناه من هذه المعاني ، وكأنما الدين كما قدمه أقربا مفتاح والطاء قفل بحسب شكلهما واجتماعهما وقد أفاد أن سليمان الذي أول حروفه الدين يشير للعلم لأن الله يقول في هذه السورة ولقد آتينا داود وسليمان دلما - فالعلم المشار له سليمان هو المفتاح الذي يفتح به قفل الطالسم في الطير المشار له بالطاء فسكان الطير طلسم وهكذا كل الحيوانات والعلم حل له ويرمز له بسليمان أو قفل ومفتاح بحسب ظاهر الشكل ، فالحمد لله على العلم والحمد لله على الإلهام والأنعام . انتهى الكلام على الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الرابع في أن قصة بلقيس تذكرة للعرب وقد دخلت في حديث المدهد ، وفيها تزيين لأبناء العرب عموما ولأهل اليمن خصوصا إذ هم قد ورثوا بلادا كانت لها مدنية في وثايتهم لم يس لها المسلمون الحاليون مع جلالة قدر دين الاسلام ﴾

اعلم اني اكتب هذا الآن وأنا من أبناء العرب وأحس بأننا قد وصل ديننا أطراف الأرض بجدة آبائنا وسمعيهم فتفرقنا ونسينا كل علم وكل حكمة إلا قليلا فذكرنا الله برجل اعرابي يسمى ذا القرنين إذ بلغ مشرق الشمس ومغربها وقد تقدم في (سورة الكهف) وهكذا هنا هذه مملكة في اليمن تعبد الشمس وعندها الشورى حكومتها حكومة ملكية مقيدة أشبه بمملكة الانجليز الآن من حيث نظام الملك فجاء في هذه القصة هنا أن لها عرشا وأن لها ملكا دغما وأن لها مجلس للشورى وتدير الملك فهل يسمع هذا أبناء العرب في اليمن فيتحدوا مع الأمراء والملوك ويرجعوا للأمة مجدها وعزها وعظمتها ويتفكرون فيما ليس من مجد تالد وعز قديم ، وكيف كان الماء انازل من السماء لا يترك سدى بل كان له سدود تحفظه وتحميه يعلم الهندسة والحساب ونظام الدولة الجليل إذ القوم كان عندهم علم وحكمة فعمروا بلاد الله فعاش بها عباد الله فلما غفلوا أرسل الله عليهم سيل العرم وبدلهم بجنتهم الجبائين المذيقين عليهم النعم بجنتين لامنعة فيهما وليس فيهما إلا الثمار المرة والعبل وقليل من النبق ورجعت البلاد كما كانت جزاء تقاطعهم وتدابيرهم

هذه تذكرة للسامين في (سورة سبأ) وبالأخص تذكرة لأهل اليمن يقال لهم يا أهل اليمن أستم ترون الأمم حولكم أقوى منكم بأسا وترون طياراتهم تحيط بكم وأسماحتهم وجنودهم المرسلات من أروبا لبلادكم . إن هذا لتقصيركم وقصوركم لأنكم أعرضتم عن الحكمة والعلم ، فاقروا كل علم وكل فن يا أبناء العرب عموما ويا أهل اليمن خصوصا فالجد الذي ضاع من أبناء العرب عموما لغفلتهم عن معرفتهم جميع العلوم وهكذا أهل اليمن والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد (٧) أكتوبر سنة ١٩٢٨

﴿ سر من أسرار النبوة المحمدية قد ظهر في الطاء والسين ﴾

اللهم لك الحمد ، أنت المنعم الملهم المعلم ، سبحانهك اللهم وبجهدك ، أنت أرسلت محمدا ﷺ وجعلته آخر الأنبياء وأزلت عليه هذه السورة . ومن عجب أن النمل له شبه بالانسان في حربه وأسراه ومنزله كما ستره موضحا فيما يأتي . سيأتي قريبا أن سليمان تبسم ضاحكا من النملة لما سمعها تنذر قومها ، وهذا دلالة على أن للنمل جماعات منتظمة وهذا ستره مفصلا كما قلنا ، وبعد ذلك تفقد سليمان الطير ومنه المدهد وبالهدد عرف أمة سبأ وقد جاء فيها أن ملوك الأرض ظالمون وأعقب ذلك قصة أخرى تفيد أن بيوت الظالمين مخربة وهذا من أسرار النبوة . إن النبي ﷺ أنذر المسلمين وحذرهم من غوائل فتح البلدان في حديث البخاري إذ قال لهم « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » وهذا الحديث تراه موضعا في أول سورة الأنفال إذن فتوح البلدان يستوجب نوم الأمم الفاتحة إذ يعيشون بكسب غيرهم وهذا هو الظلم ومتى ظلموا انحطت مداركهم غربت بيوتهم . ذلك هو ما يخص ما يأتي ﴿ ظلم نغراب ﴾ هذه حال الانسان . وذلك كله جاء بعد ما تفقد سليمان الطير فنفقه للطير أوصله الى (سبأ) وفيها جاء ذكر ظلم الملوك الأمم فتخوى بيوتهم بما ظلموا والتفقد المذكور من سليمان للطير وفيهما السين والطاء وهما الحرفان الأولان من الاسمين اللذين جاء بينهما التفتق المنتج لما ذكر كما سيأتي ايضاحه في أثناء تفسير هذه السورة في ايضاح بعض أسرار هذين الحرفين فانظر لحال النمل فقد جاء في الأخبار العلمية اليوم أن الأمم النملية التي تعيش من كسب الأسرى يعثرها الانحطاط فلا تقراض . واليك ما جاء في « مجلة الجديد » بهذا النص

﴿ أكبر الجماعات في السكائن الحية ﴾

يقرر علماء التاريخ الطبيعي أن أكبر الجماعات في السكائن الحية لا توجد إلا في النمل والجنس البشري

و يعتبر علماء الاجتماع أن أكبر الجماعات البشرية (ثلاث) الامبراطورية البريطانية يبلغ عددها ٤٦٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة والصين وسكانها ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة والهند وسكانها ٣٨٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة . ويقدّر علماء التاريخ الطبيعي أكبر جماعات النمل بنحو ٥٠٠.٠٠٠.٠٠٠ نملة في الجماعات الواحدة ، وذلك لأن النملة حيوان اجتماعي فتوجد بين النمل النظم الاجتماعية التي توجد عند الانسان بشكل يتفق مع تكوين هذه الكائنات الصغيرة فهناك الجنود والسماح من جميع الأنواع والأرقاء والأسرى . والحجيب أن الرقي في أمة النمل مثله بين الجنس البشري يؤدّي الى انحلال السادة وتدهورهم لأنهم يكفون عن العمل ويدعون أرقاءهم يقومون لهم بكل شيء فتتدهر قواهم ومداركهم انتهى

والأهم لما ظلمت ألحمت قواها فخرت بيوتها فتشابه النمل والانسان في الظلم والخراب وهذا من عجائب القرآن وبدائعه فيجب أن يكون الناس أرقى من النمل وأن يكونوا أمة واحدة أي متضامنين وكل له عمل ومن لا يعمل له يعاقب

أقول إذن ثبت هنا أن الانسان العظيم القدر الكبير العقل لم ينل منية أعلى من مدينة النمل ، فيجموع الانسانية (حتى المزيقة منها بالاستعمار) لم تزد على جماعات النمل ، وأيضا اذا حكمت أمة من الناس أمة أخرى استعملتها خادمة لها وانحطت هي ، وهذه نفسها سليقة النمل وهي سليقة سافلة منحطة . إذن ثبت أن هذه الانسانية التي نعيش فيها انسانية حقيرة يزدرىها العقلاء من نوع الانسان

أيها الناس ، أيها العقلاء ، أيها الشرقيون ، أيها الغربيون ، أيها الأمريكيون ، أهذه انسانيتكم ، أهذه هي الانسانية ، انسانية والله دنيئة حقيرة ، ولكن لا لوم إلا على ذرى العقول الكبيرة فيكم ، أكبر جماعة فيكم لم تزد على جماعة النمل مع ان النمل ليست عندها طيارات ولا برية ولا تفراف ولا مخاطبة بالنملون وأتم يا أهل الأرض بينكم تواصل ويعرف الشرق منكم الغربي وكل منكم محتاج الى الآخر فاذا بقيتم على سياسة النمل فأتم قوم أضل من الأنعام ، ثم لماذا تنكحون على الأسم المحكومة اذا حكمتم الناس فأتم بهذا تفسدون أبناءكم على بساط الراحة فيذلون بالكسل والبطالة ويميتون الأمم المحكومة باذلالها ، صدق الله - قتل الانسان ما أكرهه - إذن هذه السورة يستفاد منها ﴿أمران﴾ ثانيهما صرت على أولهما ﴿أولا﴾ اقتران سياسة الانسان بسياسة النمل لأنهما ذكرا متعاقبين ﴿ثانيا﴾ بالبحث في هذا نجد الانسان أرقى من النمل عقلا ولم يزد عنه عملا بل صار فتوح البلدان اخادا اسقاه وجسمه كما في حديث « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » إذن هذه السورة يؤخذ من فوائدها استنتاجا أن الانسان عليه أن يكون أرقى من حاله الخاضرة ولا يتم ذلك إلا بأن تكون الأمم كلها متحدة بخدمة بعضها بعضا وأن لا تقام أمة أخرى فلا يفسد الملوك القرى اذا دخلوها حتى لا تخرب بيوتهم ولا يتم ذلك إلا بنظام عام لجميع الأرض تقرر وجميع الأمم تتعلم

ونتيجة ذلك كله أن محمدا ﷺ رحمة للعالمين لا لبعضهم ، فعلى المسامحين أن يسهوا ما أقول فيستعلموا كل علم ويدرسوا تواريخ الأمم وعوامها ثم هم الذين يكونون واسطة عقد نظام المجتمع الانساني كله شرقا وغربا ومستحيل أن يكونوا واسطة لذلك إلا اذا كانوا أقوياء وعلماء في كل فن ويعمرون أرض الله ثم ليجدوا في رفع الانسانية من هذه الحالة ليكون الناس جميعا متعاونين في الشرق والغرب

هذا معنى وسر كونه ﷺ رحمة للعالمين - فطاء طمأنينة العالم وسين سلامة تتوقفان على تفقد المسامحين الأمم أمة أمة كما تفقد سليمان الطير وتفقد له بين الطاء والسين وينتج الطاء والسين . ومن عجب أن سليمان فيه معنى السلام وأن الطيران الحديث ربما يعقبه تواصل الأمم فتكون الطمأنينة ، ففي الطاء والسين السرّ الحبيب . انتهى يوم الأربعاء ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٩ م وبهذا تم الكلام على القسم الأول من السورة والحمد لله رب العالمين

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَخَشِيَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّموا مِنْ حَتَّى كَانُوا فِيهَا سِرَاجًا وَقَالَ رَبُّ أُوذُنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِّنْ لِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ * وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَكَذَّبَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ أُورَاقَهُ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَتَنَحْنُلُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتَى عَلَى الْكِتَابِ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِيدُونَنِي بِمَا لِيَ فَأَتَانِي اللَّهُ خَيْرَ مَا يَأْتِيكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ * أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا بَاتِكُ بِكَ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ

الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ مُرْفِقُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ * قَالَ نَسْكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنضَرُ أَتَمْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَمْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) علم القضاء والسياسة ، وعلم داود تسبيح الطير والجبال ، وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقال الحمد لله الذي فضانا) بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والإنس (على كثير من عباده المؤمنين) والمراد بالكثير من لم يؤت علما أو أوتي علما ليس كعلمهما (وورث سليمان داود) نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده ، وكان لداود تسعة عشر ابنا وزيد لسليمان على داود تسخير الرمح والجن والنياطين (وقال) سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) فانا نفهم بقوتنا القدسية الإلهية اختلاف الأصوات لاختلاف الأغراض التي جعلت لها ، ولاجرم أن لكل طائر تنوعات في صوته لتدل على ما قام بخياله من سخن أو فرح أو حزن وهي تنوعات مع حدودات لأغراض محدودة ، ولقد عرف العلماء اليوم كثيرا من لغات الطيور أي تنوع أصواتها لأغراضها المختلفة ، وفي هذا معجزة لهذا القرآن لقوله تعالى في آخر السورة - وقل الحمد لله سبىكم آياته فتعرفونها - فتعجب من كلام الله كيف ظهر اليوم أن الأمم تبحث في لغات الطيور والحيوانات والحشرات كالنحل والنمل وتنوع الأصوات لتنوع الأغراض فقله أخبر بالغيب يقول انكم لاتعرفون لغات الطيور الآن وعلمتها سليمان ولكن سيأتي يوم ينتشر فيه علم مخلوقاتي ويطلع الناس على عجائب خلقى ولعمري إن هذا المعجزة لهذا القرآن ، وستأتي معجزة ثانية وهي انتقال عرش بلقيس وهذا أمر مستغرب في كل زمان ولكن القرآن جاء فيه - وقل الحمد لله سبىكم آياته فتعرفونها - وسترى في علم تخضير الأرواح مما أنقله لك هناك كيف تعمل الأرواح اليوم وتنقل الأشياء من أماكنها كأن الله يقول لنا إن انتقال عرش بلقيس معجزة ليست بصناعة علم الأرواح وسأريكم هذه الآية بعلم الأرواح لا بالمعجزة لأنكم اسم أنبياء وستأتي معجزة ثالثة وهي قوله تعالى - وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تسلمهم - وسأذكر لك فيها مبحث علم الأرواح وما ذكرته هناك من أن هذا رمز لما ظهر من عجائب هذا العلم وأن الناس بهذا العلم أيقنوا بالله ، وسأذكر لك معجزة رابعة وهي قوله - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرة السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ - وتطلع هناك على ملخص علم الفلك قديما وحديثا من دوران الأرض ودورها وعلى محاذة جرت بيني وبين سيدة من علماء أوروبا في هذا المقام ، إن هذه أيضا سر قوله - سبىكم آياته فتعرفونها - في علم الحيوان وعلم الفلك وعلم الأرواح في هذه السورة نفسها . إن هذا زمن ظهور أسرار القرآن وعار على المسلمين أن يتركوا نعمة ربهم ، فإذا قال سليمان - يا أيها الناس علمنا منطق الطير - فقله يقول - وقل الحمد لله سبىكم آياته فتعرفونها - بالتعليم لا بالقوة القدسية كالأنبياء فان ذلك لهم معجزة وأنتم

مأمورون أن تعرفوا آيات الله على مقدار طاقتكم ، ثم قال سليمان (وأوتينا من كل شيء) والتقص من ذلك كثيرة ما أوتي كقولك فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء ، وأما خص منطق الطير بالله كالتقريب بشأن العلم وحسب الأمة الاسلام على دراسة هذه العلوم * وما ورد في ذلك انه سرّ يابل يصوت ويرقص فقال يقول « اذا أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا النقاء » وصاحت فاخته فقال انها تقول « ليت الخلق لم يخلقوا فالبلبل صاح عن شبع وفراغ بال والفاختة صاحت عن مقاساة الألم » والضمير له ولأبيه أولا وحده على قواعد السياسة (إن هذا هو الفضل المبين) الذي لا يخفى على أحد (وحشر سليمان) وجميع له (جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) يحبسون أو يمسكون أو يمسكون على آخرهم ليتأخروا (حتى اذا أتوا على وادى النمل) أى أشرفوا على وادى النمل وهو واد بالشام يكثر فيه النمل (قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم) أجراهم بحرى العقلاء بعد الخطاب لأن القول انما يقال للماقل (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر (سليمان و جنوده وهم لا يشعرون) أى انكم لولم تدخلوا وظهرتم لحطمتكم ولم يشعروا بكم فسمع قولها ، ولما بلغ وادى النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم (فتبسم ضاحكا من قولها) تحسبا من حذرها وتحذيرها والهداية التى غرسها الله فيها وسرورها بما خصه الله به من فهم مقاصدها واشعارها لقارى القرآن أن يفرح وينشرح صدره بالعلم والحكمة لاسيما عجائب النمل وغرائب الحكمة التى أودعها الله فيه ، فأتى فرح سليمان عليه السلام بما أعطاه الله من العلم القدسى الربانى فأنت أيها الذكر تهيئته وتعيده الأنبياء وقد أمر نبينا ونحن تبع له أن تقتدى بهداهم فلنقتدى بهدى سليمان . إن سليمان أعطاه الله علم منطق الطير وعلمه عجائب النمل فعرف غرائبها وطبائعها وتبسم لما خالج قلبه من الحكمة البديعة والإلهام العجيب وكيف كانت مع صغرها ملهمة من الله عارفة مصادرها ومواردها ، فاذا كان هذا هو هدى الأنبياء فلنقتفى آثارهم ولنذكر في هذه السورة عجائب النمل التى دهش العالم كله منها والمسلم هو النائم ، يقول الله - وقل الحمد لله سبىكم آياته فتعرفونها - وهذه آية من آياته أعطاه الله سليمان معجزة وسمع كلام النملة وحذرها وأوامرها وذكاها وقد وعد الله بأن هذه الآية سنعرفها لأنه يوحى بها لنا فسليمان علم منطق الطير ولم يقل تعلمنا وأما نحن فان الله قال - سبىكم آياته فتعرفونها - فذكر انه يرينا ونحن ندرس ، فأنه تعالى أخبر انه سبرينا هذه الآيات التى هى بعض ما علمه سليمان بطريق الوحي ولكن لا تظن أن علمنا كعلمه فعلمه معجزة ربانية ويدرك من عجائب النمل ما لا ندرك وفرق بين من علمه الله ومن أمره الله أن يتعلم بالاجتهاد ، وسأسمعك عجائب النمل ليكون ذلك معجزة لنبينا ﷺ لأن الله أرى الناس وعرف الناس ، فوالله بهذا وبأمثاله يرتقى المسلمون ، وبهذه العلوم يخرج جيل فى الاسلام يتحدث فى الأرض هزة وقوة عظيمة تنفع أهل الأرض أجمعين ، إن أوروبا تعالت هذه العلوم ولكنها لا تزال ظلمة والمسلمون سيتعلمونها ويملأون الأرض رحمة وعدلا ، فهذا العلم فلينشرح صدرى كما تبسم سليمان من قول النملة ضاحكا (وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) أى ألهىنى أن أشكر نعمتك (التي أنعمت على وعلى والدئ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فاعجب لهذا النظام المدهش ، انظر كيف رتب سليمان هذا كله على انعمة العلم بقول النملة ، انظر كيف فرح سليمان وكيف تبسم فرحا بنعمة العلم والحكمة كأنه يقول « العلم غاية مطلبى وقد حصلت عليه ولم يبق بعده إلا أن أطلب الشكر على نعمة العلم بالعمل الصالح الذى ترضاه وليس بعد العلم والعمل إلا أن أدخل فى ضمن عبادك الصالحين من آبائى الأنبياء وغيرهم »

ليعلم المسلمون أن علم هذه الحيوانات من طيور وحشرات وسائر الحيوان والنبات نعم عقلية ونعم مادية ومتى عرفها الانسان وجب عليه أن يقوم بشكر النعمة وينفع سائر أبناء نوعه حتى يحشر مع الصالحين فى الجنة فلنقرأ هذه الآيات المتأخرون من أسلافنا وهم عنها غافلون ، فيا أيها المسلمون إن الله يأمركم أن تقرأوا القرآن على هذا النمط الذى نقوله واعلموا أن هذا زمان ارتقاء الاسلام وعلو شأنه وسيكون لهذه الآراء فوز فى مشارق

الأرض ومغارها بل سيقراً هذا التفسير المقلد والأذكى من الشبان وسبكون هناك دول عظيمة حكيمة أرقى من دول أهل الأرض كأنهم بهذه العلوم ويكونون رتبة الأسماع لأعدابا على الناس ، ولما دعا سليمان ربه أن يلهمه شكر النعمة وأن يرفقه العمل الصالح ناسب أن يذوق بعضها بشئ من أعماله الصالحة ، وذلك أن من أعطاه الله العلم والقدرة وسكت ولم يعمل شيئاً من مقبلة لتقصيره ، ولا جرم أن الإنسان الموفق يجب عليه رقى النوع الانساني وحفظ الثغور والنطف على الحيوان ، فوالله لا دولة ولا ملك إلا يحفظ الإنسان ولا يحفظ للإنسان إلا يحفظ الحيوان ولا يحفظ للحيوان إلا يحفظ النبات فلذلك أتى بمسألة واحدة من أعماله الشريفة وهي تفقده للطير . ومعلوم أنه لا يتفقد الطير إلا إذا كان متفقداً للإنسان الذي هو أرق منه دلالة على أن الإنسان يجب عليه أن يتفقد ما يملكه وما في حوزته . فلذلك أعقبه بما سيأتي من قصص الهدى وحديث بلقيس . وههنا لطائف في العمل

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

أذكر فيها ما جاء في كتاب « جمال العالم » الذي تروث عنه في هذا التفسير تحت العنوان الآتي

﴿ عجائب النمل ﴾

حال النمل عجيب جداً فانه تفعل فعل الملوك وتدير وتؤسس كما يؤسس الحكام . فهذا النمل كيف يتخذ القرى تحت الأرض وليونها أروقة ودهاليز وغرفات ذوات طبقات منعطفات وكيف تملأ بعضها حجوباً وذخائر وقوتاً للشتاء . وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضة مصوباً تجري اليه المياه وبعضها يكون حولها مرتفعاً لئلا يجري اليه ماء المطر . ومن العجيب انها تخفي القوت في بيوت منعطفات من مساكنها الى فوق حذراً عليه من ماء المطر . وانى لا تظن أن ما يفعله قدماء المصريين في مساكنهم من المنعطفات والدهاليز والأروقة انما كان تقليداً للنمل وما أشبهه من الجردان . ولكثرة عجائب النمل وغرائبها ورد قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - فانظر كيف نسب لها العقل والفهم وتداء أخواتها وأمرها لهم بالفرار من الشر ودخولها المساكن لتأويها من أن يحطمها سليمان وجنوده بلا شعور الخاطمين وفي هذه الآية تنبيه على جميع غرائب النمل ليوطن العقول الى ما أعطيته من الدقة وحسن النظام والسياسة وما أوتيت من حسن الهندسة في مساكنها ودهاليزها ، فأما مساكنها فهأنت ذا رأيت نظامها فيما قدمناه ، وأما ندائها لمن تحت إمرتها وجمعها لهم فاعلم يشير الى كيفية سياستها واجتماعها وحكمتها في تصرف أمورها ، فمن ذلك أن الواحدة منها اذا أرادت شيئاً عظيماً لا تقوى على حمله أخذت منه قدراً يسيراً وكرت راجعة الى أخواتها ، وكلارأت واحدة منهن أعطتها شيئاً مما معها لتدفعها على ذلك ثم تمر كل واحدة من أولئك الانثى لاقينها في الطريق التي جاءت منها تلك النبشرة ، فانظر كيف يجتمع على ذلك الشئ جماعات منها وكيف يحملونه ويجرونه بجهد وعناء في المعاونة ، فهذه المعاونة في المطالب أهم منها في الرغبة عنه كالمعاونة في الاتحاد وفي الفرار وهو أهم من الطلب إذ التحلية أفضل من التحلية ، وانما ذكرنا ذلك ليفتح للعقول مجال البحث ولينبه النفوس من رفقتها

﴿ قياس نظام الأمة على نظام النمل ﴾

لم يكن القصد من تلك القصص أن تكون رواية أو حكاية أو حديثاً وانما هي أمثال تضرب ليقوم يعقلون فيفهمون حال هذه الكائنات وأن النمل كيف اجتمعت على الفرار كما تجتمع على طلب النافع وأن الأمة اذا لم تصل في حكمها الى الحيوان الأعجم فانها ضالة حقا تائهة في الضلال والوبال رجعت عن الانسانية والحيوانية وانتهت الى أفق التبدان والحشرات - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم -

﴿ دقة النمل في عمله وحجسه ﴾

ومن حكمة النمل أن الحبوب المخزونة عندها إذا أصيبت بماء أيام المطر تنشرها أيام الجفاف وكيف كان القمح لا ينبت إذا قطع حبه نصفين وكذا الشعير والباقل والعدس إذا قشرت والسكريرة إذا قطعت أربع قطع فإذا قطعت قطعتين نبتت بخلاف القمح ، فتأمل كيف عرف النمل جميع هذه الحسكة مع دقتها فانه يقطع حبة القمح نصفين ويشر الباقل والعدس والشعير ويقطع حب السكريرة أربع قطع ثم انها تعلم أن أيام الصيف تنقضي فتقتنم مساعدة الوقت فتعمل ليلا ونهارا باتخاذ البيوت وجمع الذخائر ، ثم تأمل كيف تنصرف في طلب قوتها يوما شمال القرية ويوما يمينها ثم تراها كأنها قوافل ذاهبة باتجاه غادية رائحة

﴿ موازنة بين شرائع النمل والأمم المتمدينة ﴾

وإذا اجتمعت على شيء ورأت أن واحدة تكاسلت عن المساعدة أو راوغت اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها كما في شرائع المصريين القدماء ، وتقرب منها شرائع الانبياء على ماسمناهم بتركوا الجائع القادر على الكسب حتى يموت ومن يساعده يعاقب كما أخبرني بذلك ثقة

﴿ حكاية عن النمل ﴾

لقد رأى رجل في زماننا هذا أن النمل يتكاثر على شجرة في حذوله فعمد اليها وحفر حولها وملا الحفرة ماء وظن أنه نجح منها وبات ليلا خالي البال منشرح الصدر مطمئنا على شجرته وما كان يتخيل أن للنمل حيلة فوق حيلته وأن هذه الحيوانات أعم أمثالنا فأصبح فرأى الورق مغطى بالنمل فعض يديه ندامة وحسرة ونظر الحفرة فوجدها كجاهي مملوء بالماء ، وبينما هو يتفقد السبب إذ رأى أوراقا متراعة على سطح البركة من شاطئها الى جذع الشجرة والنمل يمر عليها كأنها قنطرة الى حيث تطلع على تلك الشجرة

كنا كتبنا هذا الذي تقدم في النمل ثم عثرنا في الكتب الحديثة الافرنجية على ما يأتي وترجمناه مع التلخيص في القالب العربي المبين ونهجنه نهجنا في الاستنتاج والاستدلال

أيها الذكي ، لعلك إذا شاهدت الحقول والزارع وانظرت ما فيها من الحشرات المختلفة الألوان والأشكال والمقادير والغرائز والصفات أعجبتك اختلاف مناظرها وأدهشك حسن مناهجها ، منظر لا يعا به الجاهلون الذين ينظرون مافي السموات والأرض وهم عن آياتها معرضون ، تلك الحشرات والهوام يزيد عدد أصنافها عن عشرات الألوف كما حققه فطاحل العلماء ، وأهم تلك الحشرات النمل إذ في دراستها تبصرة للإنسان وتذكيرة وبهجة لعقله وأنس لنفسه كيف لا وأنت إذا شاهدت جسمها رأيته مكوّنا من رأس حوت الدماغ الذي يسع تلك السياسات والعلوم والمعارف التي سنشرحها ووسط كصندوق فيه الرنة وذب أسطوانة وله ستة أرجل كباقي الحشرات بها يقدر على الجري السريع والعدو في طلب المعيشة وجناحين بهما يمكنه الوثوب من مكان الى آخر وخمسة أعين عينان مركبتان على جانبي الرأس مكوّنتان من أعين بسيطة ملثمة الوضع والتركيب والترتيب بحيث ترمى كأنها عين واحدة تعد بالمئات والثلاثة الباقية موضوعة على هيئة مثلث يعلو على هاتين ، وهذه الأخيرات أعين بسيطة لا تركيب فيها . فتأمل بعقلك واحكم بمداركك وتجب من حكم لا يكاد العقل يصدقها لولا اجتماع آراء العلماء في العصر الحاضر عليها ، وبأيت شهري كيف تكون العين المركبة مع عدم تمكن البصر من ادراكها أشدة صغرها حاوية لمائتي عين مثلا وكل منها لها قرنية وقزحية وزجاجية وعدسية محدبة الوجهين وقوام هلامي في الوسط وأربطة وأعصاب حساسة واصله الى المخ حتى ترسم المرئيات في الدماغ عند المديرا الحكم فيه . لعمري ان هذه الجاهات تحزن لها أعناق خول العلماء سجدا ويقولون - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار - نار الجهل في الدنيا والتقهقر في المدنية ونار الآخرة التي تطلع على الأفئدة ، ومن ذا الذي يقف في دياجي الظلمات ويسمع اختلاف أصوات الحشرات ونغماتها المزدوجة فيفكر أن من بينها

ماحوت هذا الجمال البديع والعيون الطريقة التي تمثل شكل النجوم المشرقة في دبابي الظلمات ولكن عيون النمل أبدع في الاتقان وأتقن في الصنع من كواكب السموات إذ تلك العيون المرصعة في رؤس النمل دبرت تدبيراً خفي إلا على ذوى الفطنة وبها اهتدى أحقر شيء فيما نرى وأصفه ودقة الصنع واتقانه تعظم قيم الأشياء عند العقلاء فلا تدخل أعظم الجنة وكبر الحجم ، ولها قرنان طويلان كالشعرتين دقيقتان بهما تحس الأشياء وتقوم مقام اليدين والرجلين والأصابع في الحيل والخط والترحال يسميان (الحاستين) هذا تركيب جسم النمل وهذا وصفه

﴿ في مساكنه ﴾

لعلك أيها الذكي إذا سمعت ما نلوناه عليك وحدقت نظر بصيرتك وتأملت بفراستك تعلم أن هذا الاحكام لم يكن إلا لغاية وهذا الصنع لثرة وأعمال وسياسات والافئدة ما هذه الأعين الكثيرة ، وما هذه الأرجل ، وما تلك الأجنحة ، ولم هذان الحساسان ، أخلق عبثاً ؟ أم تراه مستعداً لأعمال عظيمة تناسبه ، أجل لا غرو أنك تتر بصن ثاني الأمرين ، وإنى أرى نفسك قد شاققتك إلى معرفة ما ترتب على هذا الصنع من الأعمال الجليلة وقد استعنت قريحتك لما ألقى عليك الآن فاقول إن هذه الحشرة بمقدار ما أتقن الله من جسمها أتقنت من صنعها ، وعلى قدر كمال احساسها وجمالها أدارت سياساتها وملكها وحروبها وزروعها ، وهل أتاك نبأ البيوت التي تتخذها تحت الأرض وتجعل لها أعمدة وبهوات متسعاً (صالات) في كل بهوة أبواب مفتحات إلى حجرات صغيرة تسكن فيها وأخر تخزن فيها الحبوب والفلل وبينها الطرق والمساكن والشوارع بحيث تهتدى بها إلى أعلى الأرض ويجتمع من تلك البيوت وبهواتها وحجراتها وأعمدتها قرى كاملة ذات بيوت كثيرة والأغرب من هذا أنها قد تملك عدة قرى كأنها مستعمرات تتصل بينها بطرق كما تفعل الأمم المتقدمة وتصل بين مستعمراتها بالسكك الحديدية . ومن العجيب أنها لم تقتصر على فن واحد من المهارات بل هناك نوع آخر يبنى البيوت فوق الأرض من أوراق الأشجار والأغصان وقشور الخشب المنساقطة من الأشجار العتيقة وتبنى مساكن فوق الأرض كالتي تحتها وترى أمام الناظر كأنها آكام ما بين عشرة أقدام إلى خمسة عشر قدماً ويكثر هذا تحت شجر الصنوبر ، وهناك نوع ثالث ينحت من الأشجار العتيقة بيوتاً كما يتخذها الإنسان من الجبال بيوتاً ومن يتأمل صنع قدماء المصريين في السرايب تحت الأرض والمغارات والتجاويف وما بنوا فوقها من الأهرامات والبرابي وما تحتوا من الصخور في جوف الجبال كما يشاهد بين مصر وحواليها وغيرها وجد أن الإنسان في تحسينه مدنيته يصل إلى درجة الحيوان في صناعته فإن هذه الأنواع الثلاثة هي التي هدى إليها النمل بفطرته بلا تعليم ولا مدرسة ، وسترى صور بعض هذه البيوت قريباً

﴿ أحواله المعيشية وزراعاته وترتيبه ماشيته وحربه وأسره ﴾

وهذه البيوت المنتظمة تستلزم عادة أعمالاً خارجية تناسبها وتناسب استعداد هذه الحشرة وكما اختلفت أنواعها في بناء مساكنها اختلفت في طرق معاشها واكتسابها ، فمنها نوع يزرع الارز في أرض صالحة ولولا ملته لوجدت حقلاً جميل الشكل حسن الوضع وفلاحين غادين رائحين لهم طرق زراعية يجهزونها الإنسان لأحكامها وحسن هندامها ، ولقد شاهدت صورة رسمها السياح في الكتب الأجنبية فوجدت للحقل الواحد أربع طرق زراعية هندسية والارز متمايل عليها بحيث لا يرى ورقة من تلك الأوراق أصابها أدنى ضرر أو وسخ وفي وسط الحقل بهو (صال) متسعة على هيئة شكل بيضاوي مشاكلة للنظام الذي تسير فيه الشمس وهي الدائرة السنوية البيضاوية وكهذه أوراق الأشجار وهذا النوع كالأمم المصرية أمة زراعية وسترى صورته ، ومنه نوع عمد إلى الماشية فتغلب عليها أولاً بالبأس والشجاعة ثم آتسها وتسمى باللسان الافرنجى (أفد) ونسبها نحن (بقر النمل) وذلك لأن النمل بعد أن يقهرها ويغلبها ويستأنسها ويستحوذ عليها بقوته يأخذها في مرمى خصب

وهو ورق الورد واغصانه فيلاحظها وهي تمتص منه حتى تمتلئ ثم تأتي الذئبة الى واحدة من تلك الجاموس وتمتص مادة حارة يستلذها النمل لأنه يميل للحلوى حتى اذا امتص ما في واحدة ذهب الى أخرى وأخرى حتى تمتلئ ، ذلك عادة هذا النوع وقد فعل النمل فعل الانسان في استئناس الحيوان والانتفاع بالبانة وغيرها ، وهناك نوع ثالث عمدا الى الحرب والقتال وتقلب على حيوانات أخرى فستخرها في أعماله وشغلها في فلاحته واطعامه واطعام أولاده في الخروج في الحروب بنظام ويصدر الأحكام العسكرية الصارمة واذا غلب أخذ الأسرى وفعل كالانسان

﴿ تربية الصغار ﴾

وليس أعجب عند العاقل من تربية النمل لصغاره فلو نظرت لرأيت الاناث وهي تضع بيضا أصفر اللون أو أبيضه في محال تقرب من مساكن كباره قد خصصت له مراضع وممرات تلاحظه ليلا ونهارا . ولا يزال في الطقس والحرارة المناسبين له حتى يتم له أسبوعان أو أكثر الى أربع ثم نرى كل البيوض قد تفتحت فأخرجت دودا صغيرا لاجنح له ولا رجل بيضاويا شكله محدبات رؤسه يمتد به المرضعات وتلاحظه الممرات تجعله من مكان الى مكان مواظبات على اطعامه ما يناسب حاله من حار تارة وبارد تارة أخرى ومزدوج منها في الدرجة المناسبة حسبما تقتضيه الحال ، كل هذا والدود بشره في أكله ويستزيد من طعامه حتى اذا تم له بضع أسابيع أخذت حالته تغيير وينتقل الى طور آخر من الحياة هو طور النوم والسكون والاختفاء في شكل كرى من حرير تغزله نفس الدودة على نفسها كدودة الحرير فاو رأيت ثم رأيت بعض الدود لم يزل مكتوبا والبعض أخذ يغزل بفمه كما يغزل دود الحرير والعنكبوت والبعض قد نسج على نفسه كرتة ونام في عالم البرزخ الى يوم يبعث من مرقده فيخرقها ، وترى الأمهات إذ ذاك ملاحظات متيقظات فاذا تم النسج ونام الجميع ومضت أيام أخذت تلك العوالم تنهض من قبورها وتقوم من موتها وتنهض من رقبتها وتقطع خيوطها وتقرض حريرها المحيط بها ولذا خلقت لها الأرجل والأجنحة لتستعد حياة جديدة هي الحياة النهائية حياة الجهاد والعمل ولورأيتها لشاهدت أمهات قد أشرفن على الأبناء وقد ربطت رباطا محكما وثيقا فأخذت الأمهات يفسكن الأربطة من الصغار ويطلعن الأجنحة والأرجل ويخلصن الناشئة الذابتة من تلك الرباطات ويغسلن العيون والوجوه ويمسحن التراب ويزالن الأوساخ لأن النمل يحب النظافة جدا مفرطا ، فانظر وتأمل كيف كان جسم النمل وخلقه مستعدة لامور عظيمة وقد هدى اليها بغير رتبة ومن هنا نفهم قوله تعالى - ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه - ومنه يعلم الحشر بطريق الفراسة . وذلك أن هيئة النمل في شكله وعيونه وحواسه وقواه تناسب هذه السياسات الغريبة والأعمال العظيمة فاهتدى لها . فهكذا فليكن الانسان لما سخر له ما في السموات وما في الأرض وعشقت روحه العلوم والمعارف ومال بغير رتبة اليها وجب أن يكون وراء هذا سر يناسبه والا فلما هذا الاستعداد وما هذا الميل العجيب لاقتناص العلوم وحب الخير . واذا كانت الغلة وهي دودة تكمل خلقتها لتناسب الحال المستقبل في الحياة ولا علم لها بها فليكن الانسان دبر روحه في الحياة ويريد فلا بد لهذا من نبأ - ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون -

وهناك نكتة أخرى وهي أن من رأى في نفسه استعدادا لأمر وشوقا اليه فليعلم أن مقتضى الحكمة ينال مطاوبه لأن الاستعداد داع حيث والكائنات أطوع للاستعداد من غيره وهذا صدقناه بالبصيرة والنظر

﴿ حكاية عجيبة عن النمل ﴾

قضى عالم من علماء الرومان طول حياته في النظر في حال هذه الكائنات الصغيرة فشاهدتمة تشغل طول يومها بحسب ما حفرته وبنته في ذلك اليوم ونسبه الى جسمها وشغل الانسان وجسمه فوجد انها لو كانت رجلا مشغلا هذا الشغل لحفر خليجين كل منهما طوله اثنان وسبعون قدما وعمقه ربع أقدام وأخذ هذا الطين وصنع منه أجرا وبنى به أربع حيطان على الأربع الجوانب للخليجين كل حائط من قدمين الى ثلاثة أرتفاعا ونحو

(١٥) بوسة سمكا وغلظا ويدعك تلك الحيطان من الداخل فتصير ملساء وكل هذه الأعمال بلا مساعدة آخر في التهاركه وذلك كله مع فرض أن الأرض مملوءة بالأعشاب الصغيرة والأشجار والأشجار وجذوعها الهائلة والأرض وعرة المسالك فيها آكام من الردم ، فإذا فعل هذا رجل كان أعجوبة زمانه وهو عادى بسيطا عند النمل - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين -

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

في ذكر ما كتبه في كتابي « نظام العالم والأمة » تحت العنوان الآتي

﴿ الجمهوريات في الحيوان ﴾

(ترجمتها عن الورد أفبرى)

الحيوان خلق عظيم فيه من دقائق الحكمة وصنوف الجمال ما يهر العقول ، فنه ما يبهج العين بمحاسنه وينعش الفؤاد بمناظره كأني دقيق وغيره من الحشرات والطيور ، ومنه ما يهولنا بعظمته ويهزنا بعظيم جثته كالنمل والهيكل العظيم والخلق الكبير في كل جيل ألا وهو (القيطس) ومنه ما يسحر العقل بجماله ويغلب الفؤاد بسحر حاله ويرسل للفكر مغناطيس أقطابه ويسلب اللب لدقة صنعة وحكمة خلقته ذلك هو الحيوان الذي توارى عن الأبصار فلا يرى إلا بالمنظار ، وأجل الحيوانات لذة وأعظمها فائدة ما ألف الشركات وعاش جماعات ، وهل أريد بما أتوه عليك ماتجتمع أياما معدودات في فصل من السنة كالخطاطيف أو تلك التي لها جمهوريات ثابتة لخاصة المكان . كلا . فالأولى يجمعها خاصة الزمان والثانية يؤلفها المكان وإنما أردت تلك الدول النظامية والأمة الدستورية والجماعات الشورية كالغريبان وكلاب البحر فأنها تهب لعقولنا حكما ولأرواحنا وحيا ولنفسنا علما ولنظامنا دستورا ولأخلاقنا حكما على أنها مع عظم أمرها لن تبلغ عشر معشار ما وهب النحل من الحكمة في تقدير بيوته وتأسيس أشكاله وما أبدع في نظامه وهندسته ، ومنح الانسان هبة العسل ونصب نفسه ناطورا للأزهار وقيم البستان فلو ت بالوان جميلة يعشقها ونحن له مدينون وهو لا يشعر فقد زينت ونقشت لمنظره وهو غافل . على أن هذه ربما كانت أقل مهارة من النمل كما يشهد بذلك فطاحل العلماء مثل (هيرولر) و (كوك) و (وسمان) وغيرهم من النحويين إذ قالوا إن نظام جمهورية النمل في أصناف جنسها وأفراد نوعها وفي دستورها الشامل لطوائف الأمة الخاضعة المستعبدة لرقها والنواميس العامة على أنواع المخلوقات من الأنعام المناسبة لها لا نظير له في الأمم فيما ذكرنا . ثم ذكر المؤلف كلاما عن نمل بلاده فقال ﴿ إن النمل تبلغ أصنافه ألفا وتزيد ، كل نوع يمتاز عن غيره بصفة وقد لاحظت النمل الشغال فعاش سبع سنين والملسكة فعاشت ١٥ سنة ، وكل جمهورية من الجمهوريات لها ملكة أو أكثر ذات جناح قبل أن تطير لجلها فإذا حلت كسرت الأجنحة إذ تعلم أنها ستلزم السكان والجناح شغل لا فائدة فيه في الحجرات وفيها ذكران من النمل لا شغل لها والعملة لاجناح لها والصبية الصغار تبقى في الديار تحفر الحجرات وتشكل السرايب وتهندس الدواليز والمنعطفات وتمو وهي فيها ، وترتيبهن في المساكن على درجات السن كما نصف صفوف التلاميذ بالنسبة لأسنانهم . ومن النمل ما عظم جثته وكبر قامته وامتاز قوته . وهل يقوم ذلك برهانا على أنهم جنود وقوامون على الأمة . ذلك ما عوزه الدليل ﴾ وقال دابتن ﴿ إن النمل التي كبرت رؤسها وعظمت خراطيمها تمتاز عن الصفوف في سيرها فتسير بجناحها كضباط العساكر وإذا احتملت تلك النملات قوتها رجعت تلك الضباط غير حاملات فرما كان ذلك دليلا على أن أولئك ضباط وذلك محتمل ﴾

﴿ ومن العجيب أن العملة من النمل والنحل لا تنفقا أثناء العمل تنظر إلى الملكة كأنها تستمطر الرجات بمنظرها أو تستروح السرور بمشهدها . ولقد شاهدت جماعات النمل وهي خوارج من عش دواخل غيره قد اتخذن

ذلك المشهد مهرجانا للملكة فددت يدي لامل أهيه لهن فأصاب القضاء الملكة فلقيت حفتها فرأيتها اجتمعت حولها ورفعها حتى أدخلتها أوسع مكان في القرية التي أعدتها لهن ولم يعاملها معاملة ما عوت منها من يندبها بالعراء فجلسن حولها فلورأيتها لقلت انهن باقيات حزنات أوراجيات بشوق عظيم حياتها أو كأنهن يظن انها حية ستسبي ، وقد تركب القرية من خمسمائة ألف نملة ﴿

﴿ ومن العجيب أن لا ترى نملتين من قرية واحدة تتنافران على أنهن لا يتحرجن عن مهاجمة اخوانهن في الصنف فضلا عن النوع ، فضلا عن كل حيوان ، واسكن حاولت ادخال نملة من نفس الصنف في عش اخوانها فلم تكمل تطأ أرض العش بأرجلها حتى فاجأها فأخرجنها من رجلها فليس بمكرم لديها إلا أخواتها المشاركات لها في مرافق الحياة وماعداها من الصنف فنبوذ مطروح ، ولقد فصلت القرية الى قريتين وبقيت على ذلك سنة وعشرة أشهر ، فلمعرك ما التقى الجمعان إلا وهما متعارفان يتصالحان ويهاجان ماعداهما بمجرد التقائهما ، بهذا أثبتت المعرفة والتمييز في الأشخاص ، وإن نعرف أكان بعلمة أم لا إلا بتجربة فخرجت على (الكوروفرم) تخفت أن يمينها فعمدت الى العقار فأسكرتها وما كادت تسكر لولا أن غمست رأسها فما كان إلا دقائق حتى سكرن وهن إذ ذاك خمسون خن وعشرون منها من عش وخمس وعشرون من آخر وهما بمشهد من جماعات من إحدى القريتين وهن يطعمن على مائدة أحيطت بماء لثلا يمتزق النمل شذر من رفا كادت تشعر بالسكرارى إلا وأقبلت من كل صوب وأدهشت كما ندهش لسكرانا فأخذن اللاتي من غير قريتها ووضعنها لدى طرف الماء وأغرقتهن ، أما اللاتي من قريتهن فحملتهن برفق الى العش . فن هذه ترى أن النمل تعرف بعضها بغير علامة ولا طريق . وهذه عاطفة في النمل عدمت في الذئب وغيره فاذا جرح أحدها أو مرض طرده أصحابه أو قتله . ولقد رأيت نملة كسرت رجلها إذ فقست بيضتها فنامت على ظهرها ثلاثة أشهر والنملات يطعمنها ويسقينها ، وأخرى جرحت بمثل ذلك فنامت أياما ثم خرجت فهاجها الأعداء من كل صوب فوقع مغشيا عليها فرّ عليها النمل لا تبدي حراكا حتى اذا جاءت نملة وحركتها وجست نبضها ثم حملتها برفق الى عشها . فهذه دلائل العطف في هذا الخلق الضعيف . النمل والنمل له علم بسياسة المدينة ونظام الجبهة ولكنه علم محدود ونظام محدود . وترى النملة اذا عثرت على طعام أسرع البقية اليه ورأيت الرائد اذا دخل العش خرجوا معه وإن لم يكن في فيه شئ فن المحقق انه أفهمهم بغير رؤية الشئ ﴿

﴿ من النمل ما يكون له أسرى وهؤلاء يقمن بخدمة السادة حتى اذا رحلن من قرية الى أخرى حمل العبيد السادة من الأولى الى الثانية . ولقد رأيت الصواحب من النمل اذا خرب عشها بحثن عن غيره فاذا سقفت مكانا ورأته إحداهن أحضرت أخرى فحملتها ثم أرتها المسكان ورجعا فأخذتا غيرهما ثم رجعا فحملن غيرهن وهكذا بالتضعيف حتى تجتمع القرية جميعا ، وهذه ترى أن ذكاء النمل محدود ، ويدلنا على ذلك ما نرى من أن بعض السادة لا يأكل إلا اذا ساعدتهن العبيد على احضار الطعام فاذا قسم الغذاء بينهن وأفرد كل بمكان وبقي السادة يوما أو بعضه ماتت إذ لا ترى من يضع الطعام في أفواهها . وكمن حشرات اتخذتها لها أنعاما زينة لها وجالا ومتاعا . تتخذ ألبانها العسلية طعاما تسومها كالأنعام على غصون الأشجار وترعاها في الكاد والحشائش والاب أو تحبسها في بيوتها وتؤتيها أكلها كل حين بتقدير فتمتص الأنعام من النبات فتحوال العصاره في بطونها عسلا فتمتصه النمل . وأنفع تلك النعم حيوان اسمه (فيس) كأنه بقرها تسكوها بضمها وتحبها برعايتها ولم تكن رعايتها قاصرة على نفس الحيوان فقد تجمع بيوضا في الخريف وتسكوها في الشتاء وتر بص الربيع المقبل ومن الحشرات ما تتخذ النمل دواب تحت الأرض فتبقى أمدا طويلا فتخصر عينها وتبقى عمياء أنا لا أطيل الكلام في هذا المقام إذ هذا الموضوع أوضحته في مكان آخر إنما أقول أسألك أيها العاقل اذا رأيت النمل وهى في قريتها تستقل بحركتها وكيف تدرك بغريزتها واذا رأيت هضبة سكنها النمل وهى آلاف

مؤلفة تحفر الجحرات وتشكل الدهاليز وتهندس الطرق وتحفر الأماكن وتجمع القوت وتطعم الأبناء وتصف صفوف المدارس فيها وترفق بحيوانها كل منها موكل بما يناسبه من العمل قائم به ، فلا جرم أن هذه هبة عقلية ونحن قلنا إنها غريزة وسليقة فمن ذا الذي يضع حدا فاصلا بين الغريزة والعقل ؟ إنه لتعسير

فهذه المناظر تهدينا إلى أن هذه هبة عقلية مشتقة من عقل الإنسان تشبهه كيفاً وتنقص عنه كما (المؤلف) أقول هأنذا ذا أيها الذكي القارئ لكتابي هذا نظرت مقال أكابر حكماء العصر الحاضر وفلاسفتهم فتأمل كيف تراهم ينقبون عن أسرار الحكمة الإلهية ويبحثون ونحن غافلون ، وهنا بدائع وملاحظات

(أولاً) إن الله جلت حكمته لم يشأ أن يدع مخلوقاً إلا وأعطاها حكمة وعلماً لمعاشه وبقائه - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - كما ترى في لون الحشرات والطيور والحيتان وأشكال وسياسات الحيوانات

(ثانياً) إن علماء أوروبا يبحثون عن عجائب الجزئيات ويطمعون في استقصائها ونحن نقول لا مطمع في استقصائها ولكن لا يرجح الأفئدة إلا تعقل الكمالات ولن يعرف العقل إلا بعض الجزئيات إذ استقرارها لا مطمع فيه وكميات المسائل عجيبة صادقة وكلها ناطقة بالعدل ، أما الجزئيات فترى المرء يضل فيها . فهما هو

(اللورد أفبيري) يضل من عداه في لون السمك فقد كانوا يحسبونه بلا حكمة فظهر له أنه بحكمة ونحن زدنا أن عظام الحيوان والأحجار لحكمة

(ثالثاً) يقول الحكماء في القواعد العامة « أن لكل مخلوق علة ومادة وصورة وغاية ، فعلة المألون غير مادته غير صورته غير غايته وهي مطردة في كل شيء فقولوا ألوان المعادن والأحجار اتفاق كلام غير مسلم إذ له علة وهي التمازج بهيئة خاصة وصورة ومادة وله غاية وهو منفعة الإنسان فالتعير بما قالوه قاصر »

(رابعاً) هذا يفيد حكمته تعالى إذ يقول - وما كنا عن الخلق غافلين -

(خامساً) قصة النمل وقول الله تعالى - وحشر سليمان جنوده من الجن والإنس والطيور فهم يوزعون * حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - إلى آخر الآية مما فهم منه اهتمام الأنبياء بعلم الحيوان ونعلم أن المسلمين مأمورون بالبحث عن هذه الحشرات والله أعلم انتهى ما ذكرته في كتابي « نظام العالم والأمم »

وقد جاء في جرائدنا المصرية يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م ما يأتي

﴿ حرب بين قبيلتين من النمل ﴾

في الشهر الفائت جرت معركة هائلة بين قبيلتين من النمل في حديقة الحيوانات في لندن اشترك فيها نحو ألف نملة من الجانبين ودامت أربعة أيام وانتهت بمئات من القتلى والجرحى وشهد فيها المشاهدون النظام الجيشين وهجماتهم وخنادقهما وكشافتهما وأسراهما وخططهما الخربية وهدتتهما إلى غير ذلك من أحوال الحرب مما يدهش الناظرين وحل العالم الطيبي (السيرجون لوبوك) أن يقول ﴿ إن النمل أقرب الحيوانات إلى الإنسان في أفعاله ﴾ وتحرر الخبر أن أحد الموظفين في إدارة تلك الحديقة ألقى خشبة على مستنقع صغير في الحديقة المذكورة يفصل بين قبيلتين من النمل الواحدة قديمة فيها منذ (٣) سنين والأخرى جىء بها حديثاً فكانت تلك الخشبة كجسر (كوبري) يعبر عليه من مستعمرة النمل الواحدة إلى المستعمرة الأخرى ، وحدث أن نملة من القبيلة القديمة عبرت الجسر إلى القبيلة الجديدة ودخلت إلى عشها ولم ترجع فكان ذلك سبباً لإثارة الحرب فقررت القبيلة القديمة الحرب ولكنها لم تضع صوابها وتستسلم لغضبها وحدثها وتدفع بنظام لكي تقع في كمين الأخرى بل اختارت عشرة من أبطالها وأسراتها للاستكشاف والتجسس فانسلت هذه العشرة على الجسر إلى المستعمرة الأخرى ولكنها لم تروا واحدة من غلاتها بل فهمت أن هذه كامنة في عشها غير دارية بما يجوز

في خاطر تلك فعادت الكشافة وأبلغت ماعامت ، والظاهر أن القبيلة القديمة عقدت مجلسا وقررت الهجوم لأنه بعد بضع دقائق خرجت جنودها صفوفها متراصة كصفوف الألمان والفرنسيين في معركة المارن و بعض الحملات خرجت الى جهة أخرى حيث الرمل الأبيض فأقامت متاريس من الرمل وتحصنت فيها ثم هجمت الصفوف على الجسر وجعلت تعبره ، وكان حينئذ أن نملة من القبيلة الجديدة خرجت فرأت صفوف الأخرى قادمة تتدفق على الجسر فأسمرت الى عشبها وأبلغت الخبر الى قبيلتها فما لبثت هذه أن خرجت أيضا صفوفها للقتال وجرت المعركة الهائلة التي لا يصدق هولها إلا شاهد العيان ، دامت المعركة (٤) أيام بلياليها وفي خلالها حدثت هذنة واحدة مدة بضع ساعات ، والظاهر أن نملة لم تستطع ضبط غضبها ففرقت شروط الهدنة واستؤنفت المعركة ثانيا أشد احتداما من الأول وشوهد عدد عديد من الجرحى تنفض في مصارعها وبعضها وقعت في الوحل وأما القتيلات فكانت مطروحة في مصارع مختلفة بالحرارة وأما القتال فكان أن القوية تقذف بالضعيفة الى المستنقع وان لم تستطع ذلك كانت تقطع رجلها وتتركها لرحمة الطبيعة ، وفي اليوم الرابع بعد الظهر انكسرت القبيلة القديمة أي انكسار إذ اندسرت على الجسر وفيت عن آخرها تقريرا وحصولها لم تفدها لأن الطريق بقي مفتوحا لعدوتها وأما القبيلة الجديدة المنتصرة فأسرت جانبيا من عدوتها لتستعبدتها وقتلت البقية والنملات العاملات غير المحاربات نقلت القتيلات الى مكان آخر ونظفت جيبها منها وعاد السلام الى نصابه

وقد ظهر أن ذكاء النمل ونظامه في مدة الحرب لا يتقلان عنهما في مدة السلم . ليس هذا الحيوان الاجتماعي العجيب جنديا حريا قديرا فقط بل فيه المهندس الفنان والحاسب والمعرض والجراح والطبيب والزرايع وهو يدفن موته باحترام ، وظهر انه يحب المرح والمرح واللعب والسباق حتى السكر ، ويؤكد الدكتور (هرمن ايدمان) العالم المشهور في مونيخ (ألمانيا) أن النمل لغة للتفاهم ، أما ان النمل مهندس فنان فمعلوم من أبراج الطين التي يبنيها النمل الأبيض في شرقي أفريقيا إذ يبلغ ارتفاع بعضها عشرين قدما ومع ذلك ليست ضخمة فهي بنسبة ثخانتها الى ارتفاعها كما لو بنى المصريون (١٢) هرما الواحد فوق الآخر . ولا يخفى أن النمل ليس له الآلات والعدد التي كانت للمصريين ومع ذلك ترى أبراجه هذه في غاية الدقة والاحكام الهندسيين

في جبال بنسلفانيا إحدى الولايات المتحدة الأمريكية أكبر مدن النمل في العالم ومعظمها مبنية تحت الأرض وأكبرها يشغل ثلاثين فدانا ، تأمل في (٣٠) فدانا من الأرض وقد حفرت فيها منازل النمل تتخللها الشوارع والمعاير والطرق وكل نملة تعرف طريقها الى بيتها باحساس غريب وشعور بالجهات

يعد النمل أعظم بناء على الأرض وأدواته وبعض موادّه في جسمه ﴿ مثال ذلك ﴾ انه يصنع بعض مواد البناء بمضغ نوع من النباتات وجعلها ملتصمة ببعضها ببعض بواسطة عصارة لزجة يفرزها من غدة فيه وأغرب دليل على ذكاء النمل أنه يصنع سقفا من أغصان الشجر بخياطة أوراقها ببعضها ببعض هكذا النملة البالغة لا تستطيع أن تغزل خيوطا ولكن الطفلة تستطيع لأنها تصنع فيلجة (شرقة) ولذلك تصحب النملات العاملات طفلاتها الغازلة غيا لجها وتدفي النملة العاملة ورقى الشجرة حافة خافه وهي حاملة الطفلة بمفهما وتقرب رأسها الحافتي الورقتين فتشرع الطفلة تغزل حريها أي خيوطها وتلفها بالخافتين وفي أثناء ذلك تجعل النملة العاملة تقدم الطفلة على طول الحافتين والخيوط المغزولة تلامها حتى يتم التحامها جيدا . ولا يخفى أن الخيط يخرج عصارة من فم الطفل ولكن هذه العصارة تجمد في الحال وتصبح خيطا

ترى النمل في ساعات العمل يعمل بنظام كأن مرشدا يرشده ، ترى نملة ترم بناء متهتدا وأخرى تنقل زبالة وثالثة تنقل الأطفال التي لا تحتمل تأثير النور الى الوكر المظلم ورابعة تأتي بمواد البناء ولكن ليس هناك قائد ولا مرشد بل تعمل جميعها من تلقاء نفسها بحكم الغريزة كأنها آلات

للنمل قوة التمييز الغريبة بدليل أن (السيرجون لوبوك) أخذ بعض نملة ووضعها في سائل كحلي (سيبرتو)

حتى سكرت ثم طرحها سكرى فلما رأتها رفقاتها الصاحبات جهلت تنقل منها ما كان من قبيلتها الى بيتها وأقت
القرينات في بركة الماء

﴿ مساهرة في النمل ﴾

(من كتاب « علم الدين » لرحوم أستاذنا علي باشا مبارك)

إن النمل كثيرا ما يكون بينه حروب كبيرة ومناوشات كثيرة غير أن طوائف النمل عند تجهزها للحرب
ومسيرها للقتال لا تستعمل ما يستعمله الانسان لحروبه من العدد والآلات والأدوات بل تسير للقتال بأنفسها
غير مستعينة بشيء من ذلك معها وتستعمل في قتالها ما قد يحجز الانسان عنه من المكر والحيل والمكائد
ومن النمل نوع يأسر غيره ويستعبده ويستخدمه طول حياته ويتخلص بواسطته من الكد والكدح والعمل
لنفسه وقد شاهد بعض علماء الطبيعيين نوعا من النمل يحمل نوعا آخر في فمه ولكن لم يكن يعلم حكمة ذلك
ولاسبه الى أن ظهر الآن أن بعض النمل قد يحتاج الى خدم فيجسم على غيره فيسترقه ويستخدمه في أعماله
وسائر أحوال مسكنه ومعيشته ، ومن يراقب النمل أيام الصيف في بعض الجهات يجده يغير على بعضه فيأخذ الغالب
منه أولاد المغلوب ويسترقها ولا يكون ذلك غالبا إلا في الليل فيخرج ويصطف صفوا متقاربة ويقصد الجهة
التي يريد غزوها فلا يرجع إلا وقد بلغ مقصوده فيخرب المساكن ويفرق المسكمان ويأخذ مأخبا من الذرية
ولا يأخذ الكبار لعلمه أنها لا تنقاد لحكمه ، فإذا رجع بالذرية حملها بأفواهها ، وإذا خاب أحد من الحزب الغالب
ولم يجد أسيرا يسترقه أخذ معه من رمم لقتلى ما قدر عليه لينتفع به في غذائه وترى هذه الفئة الغالبة في عودتها
ومنصرها الى مساكنها تسير خلف بعضها واحدة خلف واحدة حتى أنها قد تشغل مسافة من الأرض يبلغ
طولها نحو أربعين مترا وبهذه الصورة تعود الى مساكنها بالظفر والغنيمة في حال مسرة وطرب ، فإذا وصلت
الى منازلها بهذه الأسارى الحديثة السن تفرد لها محلات مخصوصة وترتيبها مع الصدق والأمانة والحذق وتحفظها
من كل ما يضر بجسمها ويخل بصحتها حتى تبلغ أشدها ، وهذا النوع المحارب المحب للسلب والنهب لا يحب أن
يشتغل بشيء سوى الحرب فلذلك يكل بناء بيته وتربية ذريته الى ما عنده من الأرقاء والخدم حتى انه اذا
احتاج للانتقال من مسكن الى آخر تكفلت خدمته بنقله وقامت بعمله فتراها تحملها بأفواهها كما تفعل الطرة
بأولادها ، وقد امتنع بعض المشتغلين بالبحث عن أحوال الحيوانات بعض النمل الذي تخيل فيه الترويض
والامارة والرفاهية والاحتياج الى خدمة الغير له فأخذ جماعة منه وأفردها عن خدمتها ثم أحضر لها شيئا مما
يتغذى النمل به وبتهالك في طلبه فوجدها غير طالبة لما أحضر لها حتى ماتت أكثرها جوعا ثم انه نقل اليها
واحدا من النمل الذي توههم فيه العبودية والخدمة فاشتغل بخدمتها وتغذيتها فأكلت ما أحضره اليها مما كان
يمرأى منها ولم تكن تحرك اليه من قبل فأسكت وشبعت وانتعشت فعلم من ذلك أن هذا الصنف الغالب
المحارب بعد أن يبلغ في حروبه ما شاء من النصر والظفر والغنيمة ويحصل على ما أراد من العز والثروة
والسعة قد يستولى عليه حب الراحة والرفاهية واللذة فيأخذ في الكسل والبطالة ويكل جميع أموره الى ما عنده
من الخدم والخدم والأتباع ولا يشتغل هو بشيء من الأشياء فيحتل عنده نظام الجمهور وتدور عليه صروف

المقدور بالويل والثبور وتفسد الامور

وطباع هذا النوع مختلفة باختلاف الأماكن وبالنسبة للزوم الخدم وعدم لزومها ، فترى الأرقاء في بلاد
السويد هي التي تبني المساكن وتقف على أبوابها بمنزلة البوابين فتفتحها في أول النهار وتغلقها عند دخول
المساء وتظهر علامات تدل على المطر ، وقد شوهد في بلاد الانكليز أن الأتباع والأرقاء جميع الخدم المنزلية
الداخلية فقط وفي بلاد السويد عليها بعض الخدم الخارجية أيضا بسبب كثرتها ، وليس جميع النمل قابلا
للاستعباد والاسترقاق فان هناك نوعا صغيرا الجثة لا يقبل الضيم والذل بل يدافع عن نفسه بحماس ويقاوم

أعداده بشدة بأس وشهامة فتخشاه وتهابه وتجنبه حتى أنها لا تقرب عائلته ولا تسلط على أولاده بل يرى بعضه ساكنا بالقرب من مسكن جيوش النمل المحاربة مع الامن والاطمئنان من غير أن تناله بكموره اعلماها بشجاعته وبأسه . ومن النمل المحارب ما لا يقتصر في محاربتة على استرقاقه لغيره من النمل بل يزيد على ذلك أن يتخلل النبات فيخله - حشرات صغيرة كالبعوض لها ثديان في ظهرها من الجهة الخلفية يخرج منهما مادة سكرية يجذبها النمل حباً شديداً فيمتصها فتكون تلك الحشرات بالنسبة له كالبقير الخلوب بالنسبة للإنسان فيصدها إليها فوق أطراف النبات والأعشاب ويركب كل واحد واحد وفي بعض الأوقات قد يجتمع النمل وبعيده ويتحزب الكل ويسطو عليها دفعة واحدة ويأخذها ويحبسها في منازلها كما يحبس الآدمي البقر والغنم فيمتص لبنها كما شاء ومتى شاء ويتعهد بها بالطعام والغذاء كما يفعل صاحب الغنم والشاة

وأغرب شيء أن هذا النمل يعمل حول بيته جسوراً منبوعة أو ملابعد بيته وأخرها بعيد عنه محتاط بالحشائش التي ترعى فيها الحشرات المذكورة وقد يتخذ لها أماكن مخصوصة لا يمكنها التخلص منها فتبقى فيها كالحبوسة ترى فيما أعدت لها من المرمى وتعطى لبنها للنمل متى أراد ، وفي بعض الأحيان يقع بين النمل وبعض محاربات عظيمة ومناوشات شديدة كالحروب التي تقع بين قبائل البشر منشؤها عداوة طبيعية أو حوادث وقتية وقد وصف بعض المشاهير من علماء هذا الفن واقعة رآها بين قبيلتين من جنس واحد من النمل فقال ﴿ كنت بين قبيلتين عظيمتين كثيرتي العدد وكان ما بين محطتيهما قدر مائة خطوة ولم أعلم السبب الذي أوجب ثوران الفتنة وهيجان الشر بينهما وإنما رأيت عدد المحاربين من الفريقين بلغ في الكثرة مبلغاً عظيماً جداً بحيث يتعذر على دولتين من الدول الكبيرة جمع عدد مثله من العسكر . قال ثم رأيت الفريقين أخذاً في الزحف على بعضهما إلى أن التقي الجمعان في قنر قدمين من الأرض في منتصف المسافة التي بينهما ورأيت خلف كل جيش عدداً مهبطاً للدد والاعانة كما تفعل الجيوش من اتخاذ الدد في الحروب ثم حيت الحرب والتحمت الصفوف والنقت الالوف بالالوف - والنقت الساق بالساق - وصار كل من القبيلتين ينفذ بما صادفه أمامه في الأرض من حجر ومدر وغير ذلك فيترس به ويتحصن خلفه من عدوه وكان البعض يقاتل ويضرب والبعض يحوز الغنيمة ويضبط الأسرى وكان يرى على الأسارى علامة الحزن والكآبة لاسيما عند مقاربة الحمل المهدد لاعتقالها عند العدو ، قال ورأيت محل المعركة قد تغطى برم التلى ودماء الجرحى وصار يشم منه روائح كريهة لكثرة ما اجتمع فيه من الجيف وكان ابتداء القتال بين الفريقين باثنين برز كل منهما للآخر فقاما سكا بالأرجل وصارا يتصارعان ويتغالبان ويجذب كل منهما قرينه إلى جهته ثم أتى لكل واحد منهما مدد من قبيلته يجذبه إلى ناحيته حتى صار الأولان مع ما انضم إليهما من المدد أشبه شيء بحبل طويل يشد أحد طرفيه إلى جهة والطرف الآخر إلى الجهة المقابلة لها حتى يغلب أحد الطرفين فيأخذ غريمه إلى جهته أو يحصل الانفصال من غير أن يغلب أحد ثم يعود القتال فإذا دخل الليل انفصل الفريقان وانقطعت الحرب إلى الصباح ثم يعود كل إلى ما كان عليه وهكذا وكانت سعة ميدان الحرب قنر ست أقدام طولاً وقدمين عرضاً

فقال الشيخ كنت فيما سلف اجتمعت برجل من أهل السودان فأخبرني أن بلادهم نوعاً من النمل أبيض اللون يجمع جوعاً كثيرة ويكون منه طائفة كالجنود والعسكر وطائفة كالعمال ولذلك كان منه أجنحة وليس لها أقدامها من العمال والعسكر والانات أجنحة وتختص العمال منه ببناء المساكن والعسكر بالحفظ والضبط والحراسة ، وأما الانات فعليها البيض واكثر النسل وتربية النرية والقيام بأمرها وهي كثيرة البيض إلى الغاية حتى كأنها كبس مملوء بيضا فان حجمها مملوء بالبيض قدر حجمها فارغة ألفي مرة ومتى ابتدأت البيض باضت في الدقيقة الواحدة قدر ستين بيضة وقد يبلغ مقدار ما يبيضه في اليوم الواحد نحو ثمانين ألف بيضة (كذا قال والعهد عليه) فقال الانكليزي هذا صحيح كما قاله وقد شوهد هذا النوع من النمل في جهة رأس الرجاء الصالح وحجم مساكنه

بالنسبة لحجمه مما يقضى منه بالجيب فإن ارتفاع المسكن من الأرض قد يبلغ نحو عشرين قدماً وشكله هرمي شبه بقعر من السكر عظيم الحجم واسع أسفله ضيق أعلاه فمن رأى هذه المساكن على بعد ظنها كفر من الكفور أو قرية من القرى الريفية وتساون في غاية من المنة بحيث لا يمكن كسرها أشدة هلابتها ودخلها فسيبج جدا حتى إن الواحد منها يسع اثني عشر رجلاً يقيمون به وقد يتخذها عياد أو وحوش مأوى يكسبون لاصطيادها ويوجد في داخلها مجارى مياه تشبه المدافع الكبيرة ممتدة في الأرض إلى عمق ثلاث أقدام أو أربع فلو نظرنا إلى النسبة بين امتداد قاستنا وارتفاع مائتيه من المساكن مع النسبة بين قامة النمل وارتفاع مساكنه لوجدناه فوقنا بكثير فإن ارتفاع مسكنه قدر قامة خمسين مرة ، فلو كان ارتفاع مسكن الإنسان بالنسبة لقامته بهذه المثابة لسكان ارتفاعه قسراً كبرهرم من اعوام البيرة أربع مرات أو أكثر . ومن النمل نوع يتسلط على منازل الناس فيجعل له تحتها سرايب يتوصل منها إلى أكل ما فيها من الخشب ولا يزال حتى يأتي عليه ولا يبقى منه إلا ظاهره فتسقط البيوت بأقل حركة فيفقد الإنسان بيته في زمن يسير ، وكثيراً ما تسلط ذلك النمل بهذه الصورة على مدائن عظيمة وبلاد عاسرة فألقنها وخربها عن آخرها واضطر أهلها إلى الرحيل عنها إلى جهات بعيدة لتسكنها وتبنى بها بلادها ومدائنها ، والعجب أن ذلك النمل لا يحتاج في مثل هذا العمل إلى مدد طويلة بل يقضى في مدة قصيرة أيام يسيرة ، وقد سكي بعضهم أنه رآه أكل سلماً كبيراً من الخشب في مدة خمسة عشر يوماً و يأكل مثل الكرسي والمائدة والسولاب في أقل من ذلك ، فيرى الإنسان هذه الأشياء واقفة بهيئتها على أصل صورتها ومتى مسها بيده صارت تراباً مذروراً وراحت هباءً متهوراً

قال الشيخ رأيت في بعض الكتب ما هو أخف من ذلك فكانت أسست له فالآن زال استغرابي * حكى الجاحظ في « كتاب الحيوان » أنه في بعض الأيام كثير النمل في بعض ضروب بغداد حتى ارتحل عنه أصحابه وتركوا مساكنهم للنمل وأن بعض الناس قل لأحد الفارين من النمل كيف أخرجكم النمل من دياركم ؟ فأخذ بيده وقال هلم معي لأريك ذلك وحمل من طريقه رأس رجل مشوي طاماً انتهى إلى بعض تلك الدوراً كلاً ذلك وأمر صاحب المنزل خادمه بإحضار طشت كبير منصف بالماء ووضع عظام الرأس إلى جانبه فسمع النمل إليها وصار يأخذ النمل وينفضه في الماء فبعد مدة يسيرة فاض الماء من الطشت ، فقال له كيف تسكن تلك الدار على تلك الحال فسبحان من خلق الأشياء وعرف الإنسان قدره تلك الآيات ، فهذا جيش من النمل أخرج قوماً من ديارهم وأبطل حياتهم وقواهم وأعجزهم ليفهموا قوله تعالى - وخلق الإنسان ضعيفاً - ويقفوا بأنفسهم على مواضع الاعتبار وتكون مساعيتهم فيما له خلقوا وكل ميسر لما خلقه لأجله على هذا الأدب مع الخلق وخالفه قال الانكساري ومن النمل نوع إذا بنى له بيتاً لا يجده هرمياً بل يجعله على شكل كرسي في عظام البرميل يصنعه من مواد صمغية وأجزاء خشبية وبعض حشائش ويجعل في داخله ضروباً وضرباً كثيرة تفوق الوصف ويكون في العادة بين فروع الشجر ، وفي سنة ١٧٨٠ من الميلاد ظهر منه نوعان في المديرية الجنوبية من فرنسا غريب بسببهما بيوت كثيرة وسقعات أستف وحيطان متعددة ولم يبق في (روشفور) شئ من الكتب ولا الخشب حتى أنهم الآن يضعون أوراقتهم في علب من التوتيا خوفاً عليها ، ومنه ما يسكن المزارع فيضرب بالزرع ضرراً يدينا وربما حفر له فيها بيوتاً ومغارات وعمقها حتى يبلغ ارتفاع التراب الذي يخرج منها خمسة عشر أو عشرين قدماً تتألف المزرعة ويتركها صاحبها وربما أحرقها أما كن هذا النمل بالدار أو ضربت بالمدافع اتخر بها إن أمكن وقد يستعمل اللغم في تخريبها إذا كانت عميقة ممتدة في جوف الأرض فقد تبلغ في العمق إلى عشرين قدماً في داخل الأرض ، والكلام في هذا المبحث طويل والذي ذكرته الآن أقل من القليل بالنسبة لما قيل في هذا القليل فإن عجائب الخلقة ونفائس الحكمة لا تنحصر في هذه الحشرات بل هي منبهة في جميع أفراد الخليقة فقدمت الصانع كل جنس ونوع وصنف من العالم بخواص عجيبة وأمور غريبة تجدها في الأشياء الكبيرة

كما نجدها في الصغيرة وترها في حيوان البعوض كما نبصرها في حيوان البر ، ومن أعجب العجائب أحوال حيوانات دقيقة جدا أمكن الاطلاع عليها بواسطة النظارات العظيمة وكانت لا ترى بدونها لفرط صغرها ودقتها ويقال لها عند أرباب الفن (الحيوانات النقية والفطرية) وتوجد في النباتات النباتية والحيوانية وفي الهواء والماء وغير ذلك وكانت مجهولة عند الأمم السالفة ولم يطلع الانسان عليها ولا انكشف له الغطاء عنها وعلم بعض أسرارها إلا منذ عهد قريب بعد ظهور النظارات لأنها لما فيها من خفية تسكير الجرم وتعظيمه في نظر الناظر عظمت أعضاء هذه الحيوانات الدقيقة فتيسرت رؤيتها وأمكن للانسان أن يمتحن أحوالها ويعلم كيفياتها . انتهى ما أردته من كتاب ﴿ علم الدين ﴾ وقد جاء في إحدى المجلات العلمية ما يأتي

متفرقات عن النمل

(النمل أعجب الحيوانات)

هل خطر لك أن النمل يفهم الحساب ؟ طبعا لا يفهم الجبر ولكنه يفهم الهندسة لأنه يحسن البناء ويفهم العد أكثر من جميع الحيوانات ، ولعل بعض الهمج لا يفهمونه مثله ، أنبا (أورماند فرنسيس وليس) من يريد (جبورت) من ولاية كونكتيكت (أميركا) اند في ذات يوم تعثر بحجر فانتقلب الحجر عن عش مملوء من محضن صغار النمل التي شرعت تنقب بيوضها فتناول اثنين منها لفحصهما وفي الوقت نفسه صعدت النملات الأمهات وكرها مرتاعة وشرعت تنقل صغارها الى مكان أمين حتى انتهت ثم عادت تبحث هنا وهناك كأنها علمت أن عددا الصغير ناقص اثنين ، فلاريب انها أحسست الصغيرات فوجدتها ناقصة فردتهما (أورماند) الى مكانهما فخلتهما فتلتان ومضت بهما

﴿ النمل يرى صغاره ﴾

وهل تصدق أن النمل يحسن الترييض والترية ؟ حلما تبيض ملكة النمل بيوضها تجمع النملات العاملات حولها وتحمل البيوض بأفواهها وتمضي بها الى المكان الدافئ الذي أعدته لها وهناك تشرع تعرف البيوض بحسب حجمها فتضع الكبيرة في صف والصغيرة في صف آخر ومتى نقت الصغيرات بيوضها وخرجت منها تضعها العلامات في شكل دائرة وتجعل رؤسها متجهة الى خارج الدائرة لكي تسهل عليها تغذيتها وفي المناطق الاستوائية نوع من النمل تأخذ المربيات منه الصغار الى خارج الكوك في يوم الصحو لتعرضها لنور الشمس والهواء الطلق وتسير بها الى هنا وهناك كأنها تترها كما تفعل مربيات الأولاد المواتي يطفن بهم بالعربات اليدوية ، ثم إن النملات المربيات تبالغ في تنظيف أوكارها ولاسيا أوكار الصغار أكثر مما تفعل ربات البيوت ، فهذه النملات تضع في عشوش الصغار نوعا من الاسفنج تصنع من المواد الناعمة المختلفة فتبي تسخت خراطيم النملات وعالق الوحل على أفواهها تسرع المربيات الى هذا الاسفنج وتمسكه وتمسح به أفواه الصغيرات وخراطيمها

﴿ النمل أقوى من الانسان ٣٠٠ مرة ﴾

لو كان في امكاننا أن نستنطق النمل ونجعله يقول بصراحة وصدق ما في قلبه ، وأن نخبرنا ماهي أعظم المزايا التي يفخر بها لقال بالعجب ﴿ قوتي ﴾ ولضحك على ضعفنا ، ذلك لأن للنمل قوة عضلية بالنسبة الى حجمه تزيى بقوة أعظم المصارعين والرياضيين * روى (المسترد دى بوا) العالم الطبيعي فقال ﴿ رأيت نملة تحمل حصاة من أسفل العرمة الى أعلاها فوزنت النملة والحصاة وزنا مضبوطا بأدق الموازين وقست ارتفاع العرمة فوجدت بعد الحساب أن الرجل لكي ينافس النملة في رفع الأثقال يجب أن يحمل حملا وزنه نصف طن ويصعد به (٢٥) درجة من درجات (السلام) الاعتيادية ﴾

لعلك تستغرب ذلك ، فانظرفيما يلي ﴿ النملة في حقلها تحمل بين فككها حملا أثقل من وزنها ثلاثة آلاف

مرة من غير عناء ، ولكي تفعل فعلها يجب على كل واحد منا أن يقف على حافة هابوية ويسك بين أسنانه سلسلة مربوطة بثماني عربات محملة حديداً . وقد أكد أحد عارفي طبائع النمل أنه إذا كان رجل يزن (١٥٠) رطلا وله قوة بالنسبة الى وزنه كقوة النمل لاستطاع أن يحمل على ظهره قاطرتين من أكبر قاطرات السكك الحديدية من غير أن يتفرج . وقد روى الاستاذ (رفتون) أن في افريقيا نوعاً من النمل يسمى (بولدوج) يستطيع أن يمشي واثباً وكل وثبة نحو قدم فإذا رام انسان أن يجاريه وجب أن يشب الوثبة الواحدة نحو ١٠ قدماً .

﴿ النمل فلاح ﴾

النمل فلاح أيضاً ، لذلك تستغرب أنه كذلك والحقيقة أن للنمل حدائق يزرعها ويحتني منها طعامه الذي لا يجده في كل مكان وله اسطبلات يحرس فيها أبقاره التي يحتلب عسلها ، وهناك نوع من النمل يسمى (قاطع الورق) فهو يقطع ورق الشجر بمقص في الحذاء ويحمله الى عشه وهناك يعضفه حتى يصبح كالعجين ويفرشه على الأرض ، وبعض النمل يبحث عن المشروم (نبات فطري) في الحقول وينقله الى حديقته ويزرعه في الأرض التي أعدها لذلك فينبت نباتاً فطرياً ويتفدى به .

﴿ بقر النمل ﴾

أما بقر النمل المشار اليه آنفاً فهو نوع من البعوض النابت الى الخضرة وهو كثير في الجنائن فالنمل يقتص هذا البعوض ويأخذه الى عشه ويحميه ويفديه ، وهذا البعوض يفرز مادة لزجة يستطيعها النمل والعجيب أنه لا يفرزها مالم يدغدغه النمل بخروطومه ، وقد حاول (دارون) أن يجعل بعوضة تفرز عسلها إذ دغدغها بشعرة فلم تفرز شيئاً فلما أطلق عليها نملة دغدغتها فأفرزت العسل .

﴿ النمل جراح ﴾

وهل خطر لك أن النمل جراح باهر ؟ إن عملياته الجراحية عجيبة ، في البرازيل نوع من النمل القاطع للورق يحسن الجراحة كأمر جراح فتي جاءت اليه نملة تقاسى من بترج خطر يستدعي بعض الجنود الاختصاصيين الذين لا يخطئ في استدعائهم ثم يضم شفتي الجرح معا ويأمر الجندي أن يمسكهما معا بفكيه ويبقى هذا مسكاً بهما الى أن يخطيها الجراح على طول الجرح بواسطة خيوط يفرزها من نفسه والله أعلم .

﴿ للنمل مقبرة ﴾

ومن أغرب الامور أن للنمل عادة البست في سائر الحشرات أو الحيوانات وهي انه يدفن موته في مقبرة خاصة وذلك أن بعض النملات ترفع الجثة بواسطة خراطيمها وتلقها النملات الأخرى في موكب جليل وتسير جميعاً خارج الوكر الى مكان معين تدفن فيه موتاهها ، وهناك أعمال أخرى للنمل تدل على حذقه وذكائه وقوته ، ولو كان يتكلم لسكنا نفهم منه أموراً أخرى ربما كانت أعجب وأغرب .

﴿ النمل القاري ﴾

في افريقيا نوع من النمل تتفوق عن الجراد غزواً فهو يزحف صفوفاً كثيفة متعاضدة الى أن يصل الى الحقل الذي يريد غزوه فيمحيط به ويحاصره من جميع الجهات وحينئذ لا يشجونه شيء من الحشرات كالخنفس والعقارب والعناكب والديدان والحيات الصغيرة حتى متى انتهى من غزوه لا يبقى في الحقل غيره فان جلا عنه الى حقل آخر تركه نظيفاً . انتهت اللطيفة الثانية ﴿ رسالة عين النملة ﴾

﴿ اللطيفة الثالثة . الكلام على عين النملة ﴾

(كتب يوم الجمعة ٢٠ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ - ٢٠ يوليو سنة ١٩١٦ م)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لئن عجب القارئ من هذا العنوان فحجب معناه ، ولئن كان غريباً فأغرب منه مغزاه ، يخيل للسامع انه

عما لا يؤبره به ، ومقامة الجملة حتى يحتفى ببيتها ، فليس القاري من الجانب وغرائب الابداع فيها ما صار فيه له ويزداد عجب ويوقن أن هذه العين التي لا يراها البصر ولا تتجسس اليها الفطن كدبنة عجبية مشرقة الأنوار زاهرة باهرة تترقق بها لا وحسنا ويهل إذ ذاك كيف سميت في القرآن سورة باسم النمل ، وكيف ذكر قصة سيدنا سليمان معها وأن ما ذكره في هذه الجملة غيض من فيض العلم المستمعة من تلك العين - ثم لترونها عين اليقين - ثم لتسألن يرمثد عما تعلمون . انما تقدم مقدمة قبل هذا المبحث البديع فنقول

يبدأ أنا منذ شهر في مجلس غاص بأهل العلم والفضل والأدب من الشايخ وذوى الطرايش - فله من الأولين * وقليل من الآخرين - على تصحيح ورق الامتحان للتلاميذ ما كلفين إذ قل قائل منهم ومعه ذريع مشجرة ذو ورق بديع لطيف منظم إلى كان لي قرين يقول ألا لا يستوى نظام هذا الفرع ونظام النمل الفارسي وكيف يستويان وفي هذا الفرع من النظام والجمال ما يهز الناظرين - وما يذكر إلا أولوا الألباب - ثم قال وبأيت شعري لم قارن بين النمل الفارسي والورق في النظام ، وإذا تمت المقارنة فما الدليل على ما قل ؟ فأجبت لقد أخطأ صاحبك المرمى ولم يصب المرمى . إن النمل أتقن نظاما وأبدع إحكاما وأهدى سبيلا وأقوم قبلا ولست أحيلك على دقة نظامه ولا حسن اتقانه ولا أعضائه الباطنة والظاهرة ولا مدارسه وسياسته وجيوشه ومنه ذراعتة بما سطرناه في كتبنا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ و ﴿ جمال العالم ﴾ وغيرهما وإنما نجعل على مسألة عينه العجيبة الغريبة . فقلنا وما ذلك . فقلت انها تتركب من أكثر من مائتي عين كل واحدة منها ذات طبقات خاصة ونظر مستقل بحيث أوجعت إحداهن لنظرت الباقيات نظرا مستقلا صحيحا ، فلم يقع القول منه موقعة من ذى الغلة الصادى وقال كيف السبيل الى معرفتها ، ومن ذا يستقرى أن يدعى هذه المستوى ، وما الدليل ، فاجتهد بيني وبينه وطيس الجدال واجتمع القوم حولنا زسرا وكانوا أزواجا ثلاثة ، فرى كذبوا ، وفر بقى يشكون ، وقليل منهم من وافق . فأما أنا فقلت لقد سمعتها أيام تعلمى بمدرسة المعلمين الناصرية من الاستاذ ثم قرأناها في الكتب الصغيرة الانجليزية لتلاميذ المدارس الثانوية ثم رأيتها بعيني رأسى بالمنظار المعظم وسطرتها في الكتب المنشورة فقال أوسطهم

والدعوى ما لم تقيموا عليها * بينات أبناؤها أدعياء

وقيل أيضا إن كنت ناقلا فاصححة أو متعيا فالدليل

وقيل أيضا ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

فأنت بالبرهان أو بالعيان . فقلت سأريكموها تحت المنظار المعظم كما رأيتها - ثم لترونها عين اليقين - وإذا ذلك أقول

وليس يصح في الأذهان شيء * إذا احتاج النهار الى دليل

وليس بعد العيان بيان فقالوا لاطافة لنا اليوم بالحكم عند العيان فقد يخطئ الحس فأرنا كتب القوم واثنا بنص السكتب الصريح فقرأت - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقلت سترتها في كتب القوم وإذن أقول ﴿ فاز من ركب النص ﴾ فتوجهت الى المكتبة الملكية وقرأنا ما كتبه العلامة (الورد أفبري) إذا هولايروى غنة ولا يشي من علة ، وطالعت مجلات أخرى مع بعض الفضلاء فربعنا بخفي حنين . فقلت قال تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزر - وأذن قلت العلامة صديقي محمد بك شوقي بكير المدرس بمدرسة الزراعة العالم بهذه العجائب الذي أطلعني عليها بالمنظار المكبر المضمم بالعالم العاشق للحكمة فقال لسان الحال

نسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبير اليقين

فأجاب ، لقد اتسع نطاق هذا الموضوع في كتب القوم وأحضر لي ﴿ كتابين ﴾ أحدهما كتاب

﴿ درس علم الحشرات ﴾ تأليف (با كرد) الاستاذ (بودفسور) في جامعة براون من صفحة (٢٥٦) الى صفحة (٢٦١) المطبوع سنة ١٩٠٩ م ﴿ والثاني ﴾ كتاب ﴿ علم الحشرات ﴾ مع الاشارة الى مباحثه الحيوية والاقتصادية المطبوع سنة ١٩١١ م من صفحة (٣٠) الى (٣٤) وكذلك صفحة (١١٤) و (١١٥) وملخص ما في كتب القوم هي ما يأتي ﴿ إن جميع الحشرات أعينها مركبة وأقلها تركيبا لا تقل أعينها عن اثني عشرة عينا ومنها ما يكون كل عين من عينيها مركبة من مائة ثم من ألف ثم تترقى الى سبع وعشرين ألفا وذلك في حشرة من نوع الفراش في القطر المصري وغيره تعيش على العايق وعلى البطاطس وأمثلة تشبه حشرة ﴿ أي دقيق ﴾ المعروفة . فأما النملة فإن كل عين من عينيها لا تقل عن مائتي عين ولا تزيد عن أربعمائة تقريبا ، ولعلماء في هذا مذهبان مشهوران ، فأما الأولون فاتهم يقولون إن كل عين من تلك العيون تنظر الجسم جهة فإذا كانت عينا النملة مركبتين من ستانة عين مثلا كانت كل واحدة منها ترى الجسم كما ترى كل عين من أعيننا الجسم الذي تراه الأخرى ، فأما المتأخرون من أهل الفن فقد حققوا الموضوع تحقيقا وكشفوا النقاب عن وجه الحقيقة وحكموا التجربة تحكما فأثبتوا أن تلك العين إنما هي مجموع عيون كل منها ترى جزءا من الجسم بحيث لو عميت لم تبصر الجزء المقابل لها في الجسم ، وأجمع الأولون والآخرون على أن كل عين ترى مستقلة وعلاقتها مع غيرها المجاورة ، فلما أن أتم قولك قلت : الآن حصص الحق - واستبان السبيل وظهرت الحجة وقامت آية الله الكبرى وبهرجبال الله خلقه وقلت لأولئك الأجلة مظهر ومباطن وأعلمتهم جلسة الخبر فسمعوا شاكرين وكبروا لله مخلصين . فقال صديق محمد بك شوقي بكير لندرس الموضوع حق دراسة لأترجم أهم هذا المبحث . وليكن مقالا جامعا حتى يعرف الناس هذا العجب العجيب ، وسأذكر ملاحظتي موضعها وأعرضه على القارئين مينا ليقفوا على آيات الله الكبرى . سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . فيعبروا بمسألة الكسمل ﴿ مارأيت رجلا أحسن في عينه الكسمل منه في عين زيد ﴾ ويقارنوا بين أبي تمام والمتنبي وبين جرير والفرزدق أو يعرفوا المجاز المرسل والاستعارة والسكناية وما لهم ولهذا المسائل وهي إنما اختص بها الغربيون ودرسها علماء الزراعة وما للشيخ وهذه العلوم . وما هذه العناية بهذا الحيوان الحقير ونحن في حاجة الى ما ينفعنا والناس في الحرب والضرب . فما هذه السخافات ؟ ولم اهتممت أنت بهذا اهتمامك بأعظم الأشياء فنقول

ليس ينبغي أن يكون الشيخ محمدي القول فيما ذكره هنا ، هاهم أسلافنا كهبد المظلم البغدادي والجاحظ والرازي والفزالي ، فأولئك الذين هدى الله وكانوا نوراً يستضاء بهم ، فقرأ في كتاب الحيوان للجاحظ تر الرجل جده وبمحت جهده طاقته ولم بدخر وسعا في سائر أنواع الحيوان ، والمعلم الضيق النطن القليل الفطن واقف كلامه الراكد في حيز واحدة به تلميذه ويضيق صدره وتموت أمته ، لقد كذب الذين قالوا لا ينبغي اتساع دائرة علومه انه اضلال مبين ، ومن أضل ممن يأمر بالجهل ويعزى الناس بالكسل ، فأما العناية بعين النملة والنملة فلم يسر بحسب بعد أن سمي الله سورة باسمه في القرآن ايقاظ العقلاء ليندبروا هذه الحشرات الصغيرة وليدرسوها ليصلوا لأمرين معرفة الله بجلاله والاستلذاذ بالعلم والحكمة والوقوف على فوائدها الاقتصادية النافعة في الحياة الدنيا كما فعل الاوروبيون فيما تقدم في هذه الرسالة ، فإذا رأيت ثم رأيت ملسكا كبيرا داخل هذه العين كما ستراه قر ياولما نزل قوله تعالى - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون - وقالت العرب - ماذا أراد الله بهذا مثلاً - وهل يذكر الله هذه الخلوقات الحقيرة نزل - إن الله لا يستعجى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فبعمهون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا فلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين - فأما الاحتجاج بالحرب والضرب فذلك حجة السكالي والعاجزين البائسين ، فلناس أيام الحرب يأكلون

ويشربون والمدارس مفتحة الأبواب والناس يحبون ويموتون والشمس طالعة غاربة والنجوم مشرقة آفلة والدنيا كما هي . إذا كان للحرب تأثير على سير العلم فهلا أقنعت أوروبا مدارسها وهي اليوم ميدانها . إن الاحتجاج بالحرب خدعة شيطانية . فأما اهتمامي بذلك فليس بدعا . ألا ترى أنني لو أغحضت الجفن على القذى وتركته حبل الأمور على غاربها لظن الناس أننا نقول بالتحقيق أو نكتب بالتحقيق ومقالة السوء أسرع انتشارا وأعظم أنصارا للمحمد الكامن في نفوس البشر - وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم - ولقد جاءني من قبل عالم من علماء مكة وهو صديقنا السيد محمد حسين الخياط إذ قال ، لقد قرأت كتابك ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وقد كان أهداه لي أحد تلاميذي ببلاد جاوه فلما قرأته أرائي هذا الوجود على غير ما كنت أرى وعجبت من مسألة تركيب الماء من الأكسوجين والودروجين وقولك إن النسبة بينهما هندسية عجيبة ورأيت الحساب المذكور في كتابك والنظام المدهش فيها بحيث أنها يكونان الماء ولو نقص أحدهما أوزاد عن النسبة المحدودة لم يكن ماء ولا مزاج ، وكنت أقول هل رأى المؤلف هذا بعينه ، فهذا المؤلف هل رأيته . فقلت نعم وسترى بعيني رأسك وتوجهت معه الى مدرسة المعلمين الناصرية وكان المدرس إذ ذاك صديقنا أحمد بك فهمي العمروسي فأخذ يحلل الماء بطريق السكر بقاء وحادث حادثة من عجة أن انكسرت الزجاجات وطارت منها شظية خدعت صديقنا ثم شفاه الله وعرف صاحبنا المسألة يقينا

لقد رأيت من هاتين الحادثتين حادثة عين الخلة وتركيب الماء ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ العالم المسمى والعالم المصري أنني مطالب بما أكتب وأن المؤلف مستهدف للذم والمدح . فعلى كل من ألف أن يستيقن من علمه لينفع الناس وليثقوا بعلمه - وليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قابوهم وإن الله هاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم - ولواني توليت عن هذا الأمر معرضا لم أصل الى معرفة ما وصل اليه الآن ولم أستفد ما استراه من المجائب المدهشة ، على أني كسبت أصدقاء وأخوانا تتعاون على البر والتقوى ﴿ قال ابن المقفع ﴾ أفضل ما يعلم به علم ذي العلم وصلاح ذي الصلاح أن يستصلح بما أوتي من ذلك ما استطاع من الناس ويرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله وحب حكمته والعمل بطاعته والرجاء لحسن ثوابه في المعاد اليهم وأن يبين مافي الدين من الأخذ لذلك والذي عليهم في تركه وأن يورث ذلك أهله ومعارفه ليلحقه أجره من بعد الموت ﴾ وقال أيضا ﴿ مما يدل على علم العالم معرفة ما يدرك من الأمور وامساكه عما لا يدرك وتزيينه نفسه بالكارم وظهور علمه للناس من غير أن يظهر منه نفي ولا عجب ومعرفة زمانه الذي هو فيه وبصره بالناس وأخذنه بالقسط وإرشاده المسترشد وحسن مخالطته خلطاه وتسويته بين لسانه وقلبه وتحريه العدل في كل أمر ورحب ذرعه (الصدر) فيما نابيه واحتجاجه بالحجج فيما عمل وحسن تبصره ﴾

﴿ عجائب عين الخلة وغرائبها ﴾

لقد أتبنا في المقال السابق سبب تسطير هذا المقال فلنشرع الآن في المنصود ونقول ﴿ من عجب أن يكون لكل خلة ﴿ خمسة أعين ﴾ ثلاثة منها أمامية في مقدم رؤسها وهذه الثلاثة كأعيننا في التركيب ، ذلك لأنها ليست تتركب من أعين كثيرة بل كل منها عين واحدة ترى كما ترى أعيننا وهي مركبة من

(١) عدسة محدبة الشكل ، ولما كانت العدسة لا تقوم بالبصار وحدها أمث الله عز وجل تلك الخلة فزاد لها مادة أشبه بهذا الزجاج الذي نراه تسمى الزجاجية فكانت شفاقة تحت البشرة

(٢) ولما كانت العدسة والمادة الزجاجية لا بد لهما من مادة أخرى تتم بها الوظيفة جعل الله لها شبكية مركبة من خلايا مشي وثلاث

(٣) ثم يتصل بالشبكية أعصاب يسمونها (ليفية عصبية) وليست الشبكية منعزلة عن العدسة بل لها قضيب يمتد اليها ويصلها بها

(٤) وبين الشبكية والأصباب البسيطة خلايا تسمى الخلايا الإضافية

(٥) وفي داخل تلك الإضافية خلايا أخرى

(٦) ملونة بالسواد

(٧) ومن الخلايا ما يكون قرصية العين

فتأمل وتعجب في هذه البنية الصغيرة وازدد عجباً في عينها الصغيرة البسيطة ثالثة الثلاثة ونحن الى الآن لم نتكلم على العين المركبة وانظر كيف كان للعين عدسة كالعندسة التي في المنظار وجسم زجاجي وشبكية ليفية عصبية وقضيب يصل الشبكية بالعندسة وخلايا اضافية وأخرى ملونة بالسواد وقرصية ، فشكل من هذه السبعة له حكم خاص به ومقياس لا يتعداه ومقدار لا يتجاوزه ولون نقص أو زاد لا يخلط نظر تلك العين الصغيرة ولو وقفت على نظام الشبكية وحدها وتركيبها من خلايا مثني وثلاث لقضبت العجب في هذا الانقسام ، فهذه العين على شدة دقتها أصبحت ذات أجزاء سبعة والجزء الواحد مركب من خلايا مثني وثلاث وكل خلية من تلك الجلة ولو وقفت تحت المنظار كما رأيت أنا نظيرها تحتها لرأيتها مقسمة أقساماً تعد بالمئات مما يحار فيه العقل وتضل الفكر - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر -

وهذه الأعين التي سميناها بسيطة خلقت على ﴿نوعين﴾ نوع يكون في جانبي الرأس في غير النمل من الحشرات وتكون العين كراس الدبوس ، ونوع يكون في الرأس من الأمام ، فالأولى وهي الجانبية تكون في الدودة التي استعدت لتقلب حشرة ولم تكن في الظلام ولا في مكان كثير الغذاء فان الحكمة الإلهية قضت أن لا يكون عضو إلا لمنفعة ، وإذا نال الدود طعامه سهلاً فامتنعة العين ؟ وإذا كان في الظلام فالعين عبء ثقيل على عاتقه ويكون ضررها أكبر من نفعها فرفع الله أصر الأعين عن هذين النوعين وأنعم بها على غيرها من الحشرات - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين - وفي خلقكم ومايت من دابة آيات لقوم يوقنون -

﴿جوهرة بدیعة﴾

لقد يضل علماء الحشرات فلا يبينون الذكر من الأنثى في تلك الحشرات الصغيرة وانما يعلمون ذلك بكبر تلك الأعين في ذكور بعض الحشرات واقترابها من بعضها دلالة على النشاط والقوة حتى يبحث الذكر على الأنثى ولولا تلك القوة والأيد ما استطاع سبيلاً للالتحاق ولا تقرض النسل وذلك خلل النظام هذه نبذة صغيرة في عين النمل البسيطة من الثلاث المقدمات ﴿سؤال﴾ ولعلك تقول كيف يحتاج بعد هذه الأعين الثلاث الى الأعين المركبة التي سنشرحها وذوات الأربع من الحيوان والانسان كلها كفاهما عينان وأعمالها عظيمة وحاجاتها أعظم ، فما الملة حتى يعوزها عينان مركبتان بعد هذه الثلاث المنظمة الجميلة ، نقول على رسلك ، إن هذه الأعين محدبة تحديداً حاداً والعندسة ثابتة لا تتحرك والمسافة بين العندسة وشبكية العين ثابتة فلا جرم يجب أن يكون المرئى على مسافة معلومة ثابتة بينه وبين عين الحشرة والتحديد الحاد يوجب قصر المسافة - ولقد أعموا حشرة بحيث غطوا أعينها المركبة التي سنتكلم عليها بمحلول معتم ووضعوا الحشرة بعد ذلك في صندوق مظلم ذي ثقب واحد مضى فخرجت الحشرة من ذلك الثقب سواء كان بعين بسيطة واحدة أو باثنتين أو بثلاث فظن بعض العلماء استنتاجاً أن هذه الأعين لا تميز بها إلا الضوء فأما معرفة القرب والبعد والشكل والحركة والسكون واللون وما أشبه ذلك فانه يكون بالعين المركبة

﴿العين المركبة﴾

وإن عجب من عين الملة البسيطة مرة لتعجب ألف مرة من عينيها المركبتين . انهما خلقنا على جانبي الرأس وكثيراً ما تملآن ذيك الجانبين وتتركبان من أعين خضر مستديرة أو مستديرة كما في خلايا النحل فانها

مركبة من أشكال هندسية معينة مستمدة من الحكمة ذكرناها في كتبنا « كجمال العالم » و « جواهر العلوم » وغيرها ، وقد قدمنا أن هذه العين ليست خاصة بالإنسان بل إنها تشبه سائر الحشرات وتكون العين مركبة من (١٢) عينا في حشرة تسمى (ليبيزما) ويصل عدد تلك العين إلى (٢٧٠٠٠) عين في العين الواحدة في الحشرة المسماة (استنكس كونفولواي) وهي أشبه بالفراش الذي يعيش على القطن وتقدم بيانه وهذه أكبر من حشرة القطن حجما كما رأيتها ببنى رأسى في الرسم . عين النملة كما تقدم مركبة من مائتي عين إلى (٤٠٠) عين وليست العين الصغيرة مساوية المساحة فيكون حجمها من $\frac{1}{100}$ من البوصة أي ٠.١٦ ر. من المليمتر أو ٠.٠٩ ر. من المليمتر ، وإذا كان عينا النملة مثلا مركبتين من ثمانمائة عين على أكثر تقدير فتجب وانظر تشرح كل عين من هذه العين وتأمل في نفسك وعقلك وتركيبك وأعجب من اتقان المبدع الحكيم لأدنى الأشياء وأحكامها لها وأفهم قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله - وما كنا عن الخلق غافلين - بل كيف يقرأ الإنسان علم عين النملة ولا يوجه قلبه إلى هذا المبدع الحكيم الذي نظر إلى النملة وعينها كما نظر إلى الشمس وقرها والنجوم ونورها والجبال والشجر والأنهار ، فانظر كل عين في التشرح ترها تركب مما يأتي

(١) من قرنية العين وهي خلية بشرية ذات أديم شفاف محدب الشكل مكسر للضوء وأعلى هذه القرنية تارة يكون أوسع من أسفلها وتارة يكون العكس

(٢) وحول أسفل القرنية أهداب تكسفه تختلف في انماها ومقدارها وشكلها باختلاف الحشرات

(٣) وبلى القرنية من تحتها مباشرة مخروط يختلف حجمه باختلاف الحشرات

(٤) ومن تحته عدسة كالبالور مركبة من أربع خلايا أو أكثر ، ومن الحشرات ما لا عدسة له ولا مخروط له ويكون أربع خلايا بدلهما

(٥) ثم تكون القصبان وهي حزمة منها ممتدة امتدادا طويلا على محور العين

(٦) وتحيط بها خلايا مستطيلة وهي مكونة شبكة العين

(٧) وهناك منطقة خارجة ملونة بالسواد حول الشبكية كأنها درنات صغيرة في الخلايا القصيرة حول الشبكية وهذه تسمى منطقة حدقة العين

(٨) ومنطقة أخرى داخلية وخلاياها الملونة طويلة ومستديرة وهي تفصل كل عين عن الأخرى

(٩) لكل عين حزمة من العصب البصري

(١٠) ولذلك العصب ليف عصبي منفرج عنه داخل في العين مار

(١١) بالنسيج الأساسي وبالعصب

هذا تشرح كل عين من العيون المكونة للعين الواحدة - فإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا - نعيما للعلماء وملكا للحكام ، وهل ملك الحكماء لإسعاده النفوس وخلاصها من أسر الطبيعة ودناسة الأخلاق وهل دار في خلد أحد يوما وهو يظا النمل برجله ويدوس عليه بسنابك خيله ويطؤه بأخفاف إبله وبذيقه الموت أفواجا أفواجا أن لكل عين من عينية نحو (٤٠٠) عين لكل عين قرنية شفافة كقرنية التي في ظاهر أعينا وسببت كذلك لأنها أشبه شئ بالقرن وحولها أهداب كأهداب أعينا تليها عدسة أو ما يشبهها كالعدسة التي في أعينا ثم شبكة كالشبكة في أعينا ومنطقتان ملونتان بالسواد لئلا يشع النور من العين حتى يكون محصورا فيها وأعصاب بصرية تصل إلى السماغ ليحكم إدراك النملة على الأشباح التي أمامه ، وما أشبه عيني النملة لإبلاك الثريات المعلقة في الأماكن الشريفة بحيث يكون في كل منها أثر بعامة قنديل ، وعلى ذلك ليست تلك الثريات (النجفات) إلا مجموع قناديل مضيئة مشتركة تترقرق حسنا للناظرين ، فهكذا كل عين

مجموع عيون مضيات مشرقات للزملة هاديات لها . سبيع اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى * والذى
 قهر فهدى . الخلة وسائر الحشرات ضعيفة ، ولقد قضت الحكمة أن لا يعطى الشئ إلا بمقدار ، عميت الحشرات
 التى تعيش فى الظلام وهكذا التى كان عيشها رغدا لا حاجة لها فى طلب الرزق ، فأما أسماك النيل فإن لها من
 المصالح والأعمال ما لا يحصر له كما أوضحته فى (نظام العالم والأمم) و (جمال العالم) وغيرها وكان من الحكمة أن
 لا تجزى بالآعين الثلاثة البسيطة بل منحت تلك المئات من العيون بحيث ترى كل عين منها جزءا من الأشباح التى
 أمامها ، ولقد بحث علمر واكسندر فى هذه الآعين بحثا مدققا فوجد أن كل عين لا ترى إلا ما أمامها . فأما الأولون
 فقد ظنوا أنها ترى الشبح كما ترى الأخريات ولقد وضع (اكسندر) العين المركبة تحت المنظار المعظم ونظر
 فيها فلم تر كل عين إلا ما أمامها ، وضرب لذلك مثلا فقال : هذه الآعين كأنابيب من الزجاج متجاورة ملونة
 بالسواد فهل ترى كل منها إلا ما أمامها ؟ أوليس كون السواد فى كل عين وكل أنبوبة زجاجية يحول دون شع
 النور منها ، ولقد أزال (اكسندر) القرنية والخروط ليعلم ما حكمتهما وهل تبقى العين مبصرة كماهى أم ماذا يكون ؟
 فنظر فيها فوجد الأشباح اقتربت واندمجت وعلم أنه لولا القرنية ولولا الخروط ما ودمجت الأشباح للزملة ولا اختلط
 عليها الأشباح وضلت سواء السبيل)

يقول (اكسندر) : إن الحشرات ترى الأشباح وحركاتها بسرعة غريبة فإن تلك الخلايا المسودة لتنبض
 وتنسبط على حسب مقتضى الأحوال كما أن انسان العين فى الانسان يضيق ويتسع كذلك تبع كثرة النور
 وقلته وذلك يعين الحشرات على سرعة الادراك والنظر السريع بحيث لا يعوزها حركة العين ولا حركة الرأس
 فإن الشبح المتحرك تصل صورته الى مئات العيون أسرع من البرق وتحس تلك العيون كلها مرة واحدة
 بتلك الحركة من جهات كثيرة ، فما أسرع فرارها وأبدع خالقتها ولذلك ترى الحشرات كالذباب والخمل والنمل
 سرية الحركة قريبة الهرب من كل حاد قل أو جل . - إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع
 وهو شهيد . أشهد أن الذى أبدع عين الخلة وأفرغ عليها من الحكمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
 على قلب غافل . يعطى الأمة التى أراد حياتها رجالا مفكرين وقادة قادرين وحكاما ماهرين وعظماء
 مسيطرين ويمتد بها بنوره وحكمته ويعطيهم من لدنه علما فيكون عيونها الصغيرة المستمدة من النور الإلهي
 العام المحيط بالكون ثم يكوهم برحمته ويجهلهم تحت رعايته حتى تعيش الأمة فى سعادة وهناء وحبور ، أوليس
 الذى أمد الخلة بعيونها هو الذى يمد الأمة بحكائها وعلمائها . تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير .
 وهو بالشكر جدير . انتهى يوم الأحد ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ - الموافق ٢٢ يوليو سنة ١٩١٦ م بمدينة
 اسكندرية بجهة أبوورده

وهذا ما كتبه الاستاذ الفاضل شوقي بك بكير وكيل ادارة البساتين الآن الأخصائى فى هذا الفن (لقد
 رأيتها وقرأتها فوجدت جميع الباحث العلمية التى فيها صحيحة وأنا مترجمها بعرفى) والحمد لله رب العالمين

النحل بعد النمل

ما كنت أعلم وأنا أكتب تفسير (سورة النحل) عدد عيون النحلة ولذلك لم أكتب شئ فى ذلك ولم
 أعلم أن عيونها بحسب الظاهر خمسا كعيون الخلة فاعجب لما قرأت الآن من الجائبات إذ ثبت أن عيون النحلة
 خمس منها ثلاث عيون صغيرة مجموعة فى ثلث فى وسط الجبهة ، فأما العينان الباقيتان فهما كبيرتان واقعتان
 فى جانبي الرأس وهما المقصودتان بالكلام ، ويقولون (لو كان للانسان هاتان العينان لرأى آلافا من الأشياء)
 ويقولون (إن ملكة النحل لها (١٤٠٠) عدسة صغيرة وأما النحلة العادية فإن عيناها الكبيرة تشتمل
 على (٤٠٠٠) عدسة (وهذه الأعداد فى إحدى المجلات المصرية فتأمل) وقومها كقود عدسات الملكة)

و يقرر الأستاذ (كارل فريشر) وهو أكبر عالم في دراسة النحل ان أشعة عين النحلة مثل أشعة (اكس) تخترق الأجسام الصلبة وترى ما وراءها ، وذلك بما ثبت له من التجارب ، وهذا ومن اطلع على ماجاء في هذا التفسير في إلقاح النبات كما في سورة الحجر وفي سورة البقرة والأنعام في آية - وأرسلنا الرابح لواقع - في الأولى وآية - إن في خلق السموات والأرض - الخ في الثانية وآية - انظروا الى ثمره اذا أثمر - في الثالثة أدرك أن النمل وغيره من الحشرات تتوقف حياة الانسان على وجودها . ألا ترى رعاك الله أنه لولا هذه الحفوفات الصغيرة ما أمكن أن تثمر كثير من الأشجار ، فهذه الحشرات هي الملقحات لها فيها يكون الأثمار والله هو الولي الحميد والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة كيف - قالت نملة يأتها النمل ادخلوا مساكنكم - الخ وكيف سمع سليمان عليه السلام ذلك ؟ ﴾
إني أعلم انك أيها القارئ لهذا التفسير تقول ان الحكمة والفلسفة ليس فيهما ما يؤيد كلام النملة ولا أن سليمان سمعها ، وكيف يسمع من غير متكلم ؟ وكيف تكلم هي النمل والنمل يسميها ؟ وكيف علمت هي بحضور سليمان وجنوده ، تقول ذلك في نفسك وتجب فتقول إن هذا جاء به الوحي فلاقول لنا فيه ولكن اذا سمعت ما أتاه عليك الآن تدهش من العلم الحديث والحكمة

اعلم أن الله جعل الأنوار مائة لهذا الوجود ولم يجعل العالم مظلم بل جعله معيها وخلق المرأة لتنظر بها ما لا تمكن من رؤيته ، وفوق ذلك جعل من ضوء الشمس صوراً تبقى رسوماً الى آخر الزمان وخلق الحواس وهو سحاً - واسع عليم - فكان مقتضى هذا أن يجعل بني آدم وجيع الحيوانات تقرأ في مافي صدور بعضها بحيث يعرف الانسان مافي قلب أخيه والحيوان كذلك . هذا مقتضى الرحمة وسعة النور والجمال ، ولعلك توافقني انه كان ذلك أرحم بنا وأنفع ، أقول لتعلم أن هذه الأمنية الآن موجودة فعلاً فينا وفي الحيوان . إن بيتنا معاشر بني آدم محبة وبغضاء وأموراً كثيرة نشعر بها ، وبعض بني آدم أضعفوا القوى الظاهرة فأنكشف لهم بعض مافي القلوب وعرفوه بلا كلام ولا تعريف ، وهؤلاء قليل في النوع الانساني وتوافق الخواطر من هذا القبيل ، أما الحيوانات فانها مطبوعة على قراءة الأفكار بطريق الإلهام ، والناس سيأتي لهم يوم يكون المرء صرآة لأخيه ويحدثه على بعد عظيم كالتلغراف الذي لاسلاك له ويصبح الانسان عند كشفه لما في نفسه من تلك المنحة علماً بما في قلب من يريد التوجه له في الخطابة القلبية ، فعلى هذا المبحث الجديد يكون قراءة الأفكار عند الحيوانات طبيعية وقد كانت كذلك عند الانسان ولكنه غطاها لما نفع في الخطاب والكلام فنامت تلك المزية وهالك ما جاء في الجوائد المدرية يوم ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ هـ - ١ يونيو سنة ١٩٢٥ م تحت عنوان

﴿ التلغراف اللاسلكي وتبادل الخواطر ﴾

بحث الأستاذ (برسي) أحد علماء الطبيعة الانجليز موضوع التلغراف اللاسلكي وعلاقته بتبادل الخواطر فكتب مقالا طريفاً نقله عن صحيفة انجليزية

بدأ العالم المذكور بحثه بالرجوع الى أن أول من فكر في استعمال الكهرباء لنقل الكلام والرسائل هو كاتب انجليزي في مقال نشره عام ١٧٥٣ في (سكونس مجازين) وبعد ذلك بقرن تكلم عالم آخر انجليزي عن التلغراف الكهربي وذهب في سياق بحثه الى توقع نقل الرسائل الكهربية بدون استعمال الأسلاك . ولئن كان موضوع التلغراف اللاسلكي اليوم قديماً في نشأته فسيجىء اليوم الذي يصل فيه المجهود الفكري الى استعمال التليفون اللاسلكي حتى يتخاطب اثنان في طرفي الأرض معا دون اتصال الآتين اللتين يتكلمان بواسطتهما بشئ من الأسلاك البرقية . إن أسهل طريق لتفسير التلغراف اللاسلكي هي استعمال الظاهرة الطبيعية المماثلة لاسلاك يهتز بها موجات مؤلفة مع النغمة الصادرة من سلك آخر على أن يمتشي سلكا النغمتين على

وتيرة صوتية واحدة ، فالنغمات الصوتية السارية في السلك الأول تنتقل في الهواء الى السلك الآخر وبفعل تموجات النغم في الهواء ينتقل الصوت الى ذلك السلك ، وهذا في حالة وجود الأسلاك ولكن في النقل غير السلكي يحصل المتكلم على الاهتزازات بواسطة الكهرباء فتنتقل الأصوات بواسطة الأثير (الهوائي) الى درجة لاسلكية متفقه في النغم مع الدرجة الأولى المنتقل منها الصوت ، تنتقل التموجات الصوتية في الهواء بمعدل ألف ومائة قدم في الثانية ، أما التموجات غير السلكية فتسير في الهيليوم بمعدل ١٨٦ ألف ميل في الثانية مما يقف أمامه الفكر البشري حائراً لأن الخلاف بين سرعتين في الهواء والهيليوم عظيم جداً ، ويعتقد بعض العلماء اليوم أن تبادل الخواطر هو مستوى القوة التي تمكن الشخص من نقل آرائه الى الشخص الآخر بدون أية واسطة مادية أو ظاهريه ، فهل هذا الرأي ممكن أو محتمل الوقوع ؟ واجابة على ذلك يقول العالم الانجليزي صاحب المقال ﴿ إن نقل الأفكار قد يحدث في أوقات شاذة وحالات خاصة وذلك مالا يعارض فيه أحد من الباحثين ولكنه لا ينطبق على الحالات العامة وذلك التبادل قد يرى بوضوح بين الحشرات والحيوانات عند اقتراب الحشرة من الأخرى ﴾ ويقول الباحثون ﴿ إن السبب في ضعف هذه الملمكة في الانسان هو عدم استعمالها بعد أن تمكن من الكلام والخطابة ﴾ ويرى كثيرون من الطبيعيين وصاندى الحيوانات والطيور أن ملمكة تبادل الخواطر تشتت ظهوراً كلما اشتدت حاجة الحيوان أو الحشرة وإذن يظهر ذلك كثيراً بين الحيوانات في أدنى مرتبة والطيور في جميع مراتبها . أما الانسان فيتركب من خلايا لا عدها واسلك خلية من جسمه عمل خاص ولا تتحرك الخلية إلا تبعاً لعمل كيميائي ، ويختلف تفاعل الالكترونات في الخلية من هذا الجسم عن الخلية من الجسم الآخر . وتبعاً لذلك نرى كل رأى نتيجة لعمل الثقوب الخالوية في المخ وعن ذلك يحدث التفاعل الكهربائي المضطرب ، وقد يوجد في بعض الأحيان توافق بين خلايا مخين وتحريك تلك الخلايا وعند ذلك فحسب يحدث تبادل الخواطر اه

فانظر ألت نرى أن هذا المبحث يقرب هذا الموضوع وبه نعرف أن الحيوانات تكلم بعضها بنقل الأفكار والنمل من هذا القبيل وأن الانسان مستعد لذلك لأنه من جملة مواهبه ولكن هذه الموهبة تجيء نارة بطريق الوحي الخارق للعادة ونارة بالتمرين وهو ما سيحدث فيه الناس كما رأيت والحمد لله رب العالمين هذا ما كتبت عند تأليف الكتاب ، وعثرت عند الطبع على موضوع جليل في الكتب الانجليزية ، فهالك ترجمته تحت عنوان

﴿ الحشرات والنمل ﴾

إن الأرض مزدهجة بالحشرات وانما السكينة فيها مختلفة الحجم والأشكال والألوان ولها من المنافع العظيمة ومن الأعمال الملاحذه ، في الأقطار الحارة تسكن الحشرات الملازمة الطقس لها وأن بعضها لشديد الإيذاء والاضرار لنوع الانسان ، وليس من السهل أن يأتي الانسان للحشرات بتعريف جامع مانع وانما يمكن تمييزها عن سواها من الحيوانات بثلاثة أحوال ﴿ الحال الأولى ﴾ انها على اختلاف أنواعها وأجناسها مكونة من (ثلاثة أجزاء) الرأس والصندوق والبطن ﴿ الحال الثانية ﴾ انها لا بد أن تمر في أدوار تكوينها في ﴿ أربعة أدوار ﴾ الدور الأول ﴿ أن تكون بيضة ﴾ الدور الثاني ﴿ أن تكون دودة ﴾ الدور الثالث ﴿ أن تكون (فيلجة) أو شرقة أى أن تنسج على نفسها نسجاً حريراً تنام فيه أياماً كدودة القز ﴾ الدور الرابع ﴿ أن تصبح تامة التكوين بأجنحة وأرجل تامة الخ ﴾ الحال الثالثة ﴿ أن كل حشرة لها ستة أرجل هذه هي الخواص التي اشتركت فيها سائر الحشرات ، وربما كان أنبل الحشرات وأهمها وأكثرها فائدة النمل ، والملك وصف بعض أحواله وأعماله

﴿ النمل ﴾

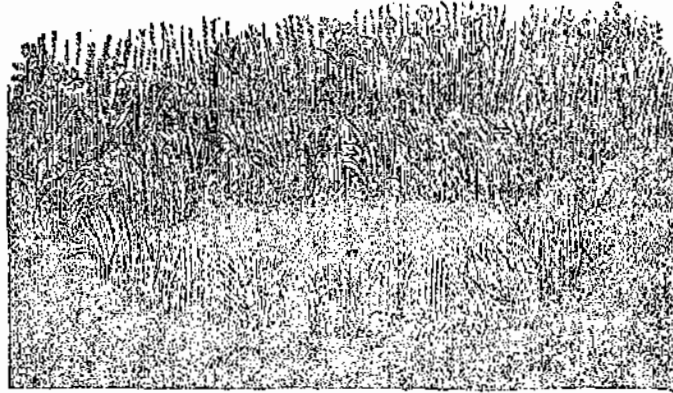
إن النمل ترى في كل مكان في الدنيا ، وهي وإن اشبهت مظاهرها في سائر الأقطار تختلف اختلافاً بينا في طبائعها وطرق معاشها في الحياة

﴿ مساكن النمل ﴾

إن النمل تعيش جماعات كثيرة العدد في أماكن مبنية تحت الأرض أو بارزة فوقها كالأكام ومساكن النمل مفصلة تفصيلاً عجيباً ومقسمة إلى حجرات مختلفات المنافع والأغراض ، نرى حجرات كبيرات يعيش فيها النمل ، وهناك الأظفار (جمع ظفر) المربيات للسفاريين بهن اعتناء يفوق الوصف اطعاماً وتنظيفاً وترتيباً كما ترى النساء أطفالهن في نوع الإنسان ، وتحت هذه الحجرات حجرات أخرى جعلها النمل مخازن للبذور والحب لإدخارها للقوت في مستقبل الأيام ، وهذه الحجرات متصلات بطرق شاذة الوضع غريبة النظام كما أنها في خارج تلك المنازل قد صنعت طرقاً غريبة توصل إلى مداخل مختلفات

﴿ أعمال النمل ﴾

إن من النمل ما اختص بحلب الحشرات النافعة لفسادها كما يفعل الإنسان بتربية البقر والاعتماد عليه ، ومنه ما يحارب ويحندل الأعداء في الميدان ويحلب الأسرى ويستخرجها في عمل نافع للعالين ، ومنه ما هو فلاح حقيقي يزرع الأرض ويحصد الزرع ويخزنه كما يفعل الإنسان ، وهالك صورة المزرعة النملية وهي الارز النمل (انظر شكل ١١)

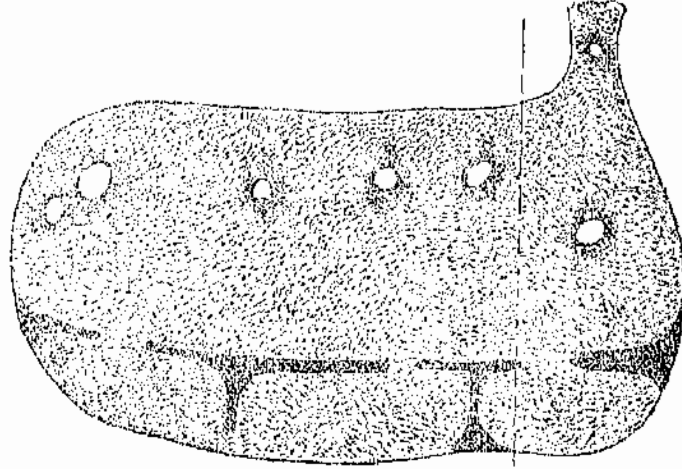


(شكل ١١ - رسم المزرعة النملية وهي الارز النمل)

هذه هي المزرعة النملية بأربع طرق ، وماتراه الآن هو أرز النمل الذي يموحيظ بالمزرعة . إن في الجزائر البريطانية نحو (٣٠) نوعاً من النمل . وفي العالم كله أكثر من ألف نوع مختلفات الأطوار . إن النمل في بعض البلدان تبني مساكنها مجتمعة فيصل ارتفاعها من عشرة أقدام إلى خمسة عشر قدماً فوق الأرض وتكون بذلك صورة قرية بارزة ظاهرة للناظرين ، وفي أقاليم أخرى تكون النمل قوة مزعجة مهلكة شديدة الخطر على الأحياء ، وقد تكون مستعمرات النمل في دور الكتب فتختط لها طرقاً ومساكن تسلك سبلها وتذلل طرقها في بطونها ولا يتم ذلك إلا بانلاف الورق أكلاً ونزيراً فلا يمضي زمان قليل حتى تصبح المكتبة كأنها لم تكن بالأمس عديمة الجدوى فاقدة المنافع . إن منظر النمل عادي نراه في الحدائق وفي غيرها من الارضين وهي غاديات رائحات عاملات ناهبات كل حين لا يظهر عليهن أدنى ملال أو تعب . إن كل نملة عالمة تمام العلم بما عليها من الواجبات قائمة بعملها بحق القيام بكل قوة وإتقان ، فإذا حل فصل الربيع شمعت النمل عن ساقها وهبت لعملها بلا إبطاء ، فلورأت ثم رأيت جماعات كاللوج غاديات رائحات بين أشجار الصنوبر التي يغلب بناء بيوتها فيها ، وقد اجتمعت الجوع الماشية فوق تلك القرى والمنازل لانتماء بناء مساكنها وبناء الفرق

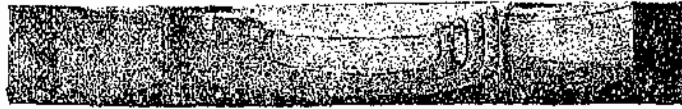
هوى الحشرات ، إن من النادر أن يلتفت الإنسان أو يفكر في اجتهاد النمل في عمله الجليل ، انظر الى جماعات النمل تحاول اقتراع قطعة من الخشب وتجعل كل الجهد أن تأخذها لاستعمالها مع انها أثقل من أجسامهن كثير ، وكيف تراهن حول قطعة من الخشب كبيرة يحاولن دفعها تارة ورفعها أخرى وجذبها بقوة ليجمعنها في المكان اللائق وضئها فيه . إن النمل تأبى كل الإباء أن يطلع أحد على أسرارها أو يتطفل عليها لمرفة نظامها الجليل في الحياة ، ولواتفق لك أن اقتربت من أحد مداخلة الموصلات الى منازلها رأيت الأعمال جارية بأدق ما يتصوره الإنسان محكمة الترتيب وليست في اتقان أعمالها بأهدى سبيلا منها في نوع هذا التطفل الجالس على الأبواب بحميتها الحادة النصال . النمل مختلفات الأنواع فلترى نوعين يتفان في ظواهر الأجسام ولا في طرق أعمال الحياة . إن النمل في الجزائر البريطانية أصغر منها في بلاد أخرى وأكبر النمل في ذاته صغير . ومن عجب أن يكون صغير الحجم دقيق الجسم وقد امتاز بالذكاء والعلم . ويدش الإنسان من رأس ضئيلة تحوى فكرا قويا متينا . إن للنمل (خمسة أعين) ثلاث منهن بسيطات كأنها مثلثا واثنان كل منهما مركبة من مئات العيون كما تقدم قريبا ، وله زائدتان كالشعر تشبه الرجلين أو اليدين ينبتان على جانبي الرأس يحس بهما ويحاول بهما الأعمال كذراعى الإنسان ويديه وأصابعه ، وله فسان حاذقان جدا وأرجلها الست متصلة بالصندوق . إن بيض النمل يققس ما بين (١٤) يوما و (٣٠) ويسير في أشكاله التي قد منها وحينما تكون دودة أو فيلجة (شرقة) تكون خالية من الرجلين والجناحين عاجزة يكفلها النمل الكبير ، ولورأيت ثم رأيت الآباء يحملن الأبناء في المهد من حجرة الى حجرة طلبا للدفع والحفظ والقرار . إن الدودة لا تنقلب الى فيلجة إلا بعد أسابيع إذ تنسج فيها على نفسها خيوطا حريرية أشبه بما تصنعه دودة الحرير بل كل الحشرات هكذا ولكن دودة الحرير تظهره في ذلك ثم تنقلب حشرة نامة في آخر الأمر وذلك بعد تمام النسج وكونها فيه بأيام قليلة ، وما تلد رؤيته أن يشاهد الإنسان تلك الفيالج وهي السكرات الحريرية قد أخذت النملات الصغيرة تتحرك من داخلها وقد شق عليها ذلك فترى النملات الكبيرة أسرع لمساعدتها وحل أربطتها وتنظيف أجنتها وفك أرجلها من تلك الخيوط . وهذه النملات المساعدات أشبه بالقابلات والأطباء المختصين بالولادة ، تغروج النمل الصغيرة من النسج الحريري أشبه بالوضع وعسر الخروج كعسر الوضع والمساعدة هناك محتمة على الآباء في قرية النمل

إن هذه الدنيا عجب وأى عجب . إن الأمر عظيم . فما هذا الخلق والشفقة والحب والمساعدة للذرية النملية التي نطوها بأرجلنا ونحرقها . وما كنا عن الخلق غافلين . فيا ليت شعري كيف غفل عن هذا الجبال المسامون وأوروبا ظفرت به وهم نائمون . اللهم إنك قد وفقني أن أؤدى ما على لأمة الاسلام فأسألك أن تجعل هذه المباحث عامة فيهم إنك أنت السميع العليم ، واعلم أن النمل يقطع أجنته قصدا متى دخل في أعمال عظيمة كبناء المساكن وهذه صورة مساكن النمل (انظر شكل ١٢) في الصفحة التالية



(شكل ١٢ - رسم مساكن النمل)

(شكل ١٣)



(شكل ١٣ - هذا مرتفع قدر ارتفاعه الطبيعي مرتين)

إن في شكل (١٢) بهو كبيراً مرفوعاً سقفه على عمد وهذا البهو العظيم المتسع الشكل يفتح فيه ثلاث حجرات صغيرات جداً بالنسبة له وهالك بيانه

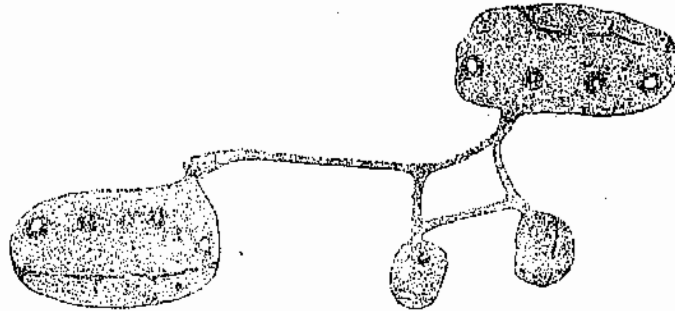
(١) الأعمدة التي رفع سقف البهو الكبير عليها وحفظه

(ب) البهو الكبير وهو أهم ما في المسكن

(ج) أجزاء من الحائط

(د) الحجرات الداخلة وهي الصغيرة

(هـ) البوابة والمدخل العام (انظر شكل ١٤)



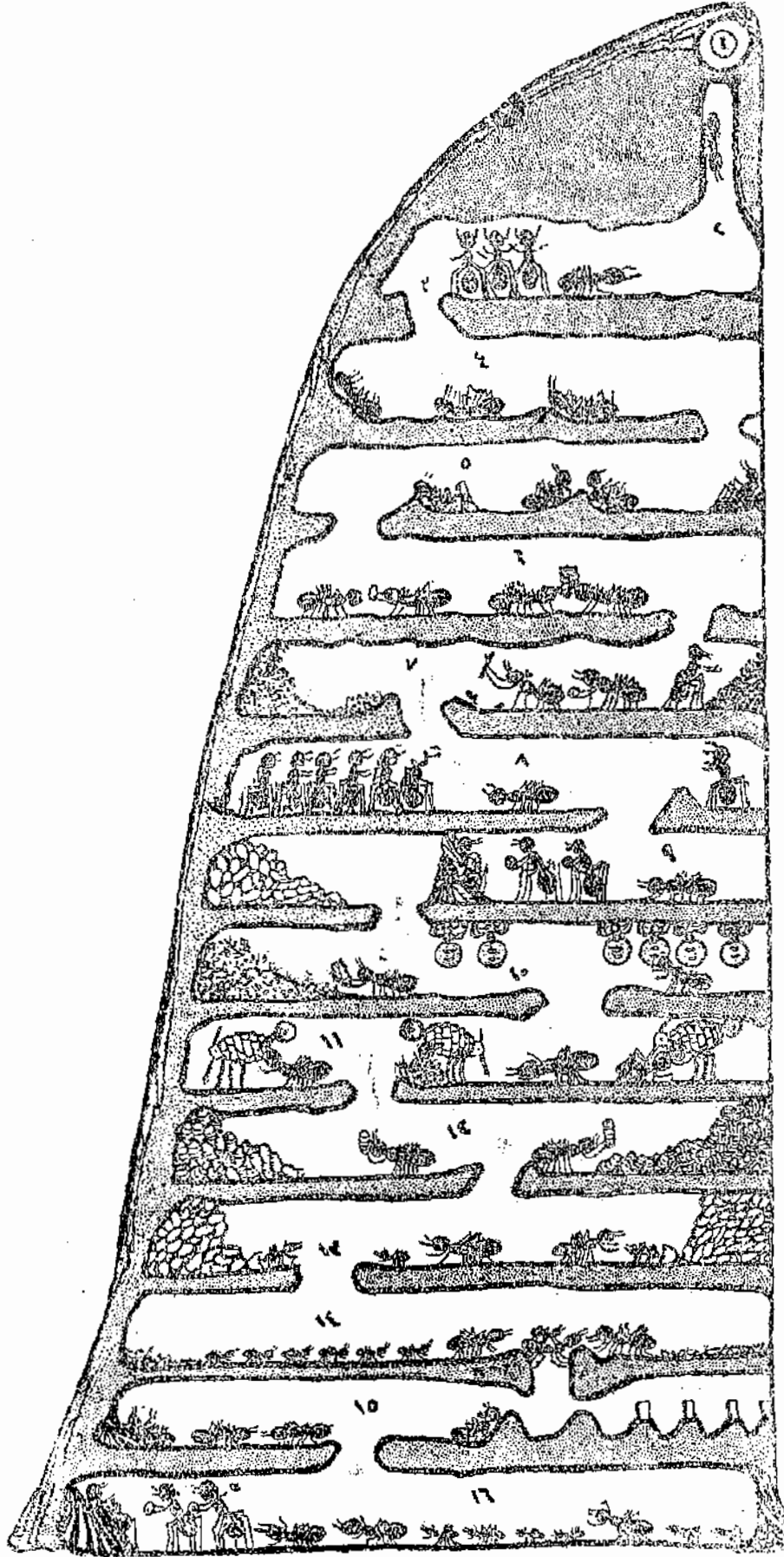
(شكل ١٤ - رسم مستعمرة النمل وهي أربعة مساكن)

(١) الأعمدة التي رفع السقف عليها (ب) البهو الكبير العظيم الاتساع (ج) الحجرات الثلاثة الداخلة

المتصلة بالبهو (د) أجزاء من الحائط (هـ) المدخل الموصل للمساكن (و) الطرق الموصلة من مساكن إلى مساكن

اتمهي ليلة الثلاثاء (٤) أكتوبر سنة ١٩٣٦ م من (لونيجمان) الجزء الرابع . هذا وأن أحسن مساكن

النمل وأجلها فيما رأينا هذه الصورة (شكل ١٥)



(شكل ١٥ - رسم قرية النمل وطبقاتها)

﴿ قرية النمل ومطباتها ﴾

(١) باب القرية (٢) غلة تدخل القرية (٣) الحرس لمنع دخول الغريب (٤) أول طبقة لراحة العمال في الصيف (٥) الطبقة الثانية لراحة العمال في الصيف أيضا (٦) مكان تناول الغذاء (٧) مخزن تدخّن فيه الأقوات (٨) تسكنة الجنود النمل (٩) الغرف الملوكة حيث تبيض ملكة النمل (١٠) اسطبل لبقر النمل مع علفه (١١) اسطبل آخر لحلب البقر (١٢) مكان لتفقد البيض عن الصغار (١٣) صغار النمل ويبيضه (١٤) صغار النمل (١٥) مشق للنمل ، وفي اليمين جبانة لدفن من يموت (١٦) مشق الملكة واعلم أن ما تقدم الآن هو شرح لما في الصورة المتقدمة أي شكل ١٥

ثم انه لما اطلع على هذا أحد الفضلاء قال لقد أحسنت صنعاً وشرحت صدراً وأشعنت للعالم ذكراً . إنك قد شرحت طرق النمل ومزارعه ومسالكه وأفضت فيه ورسمته وأديت الواجب في ذلك ، فلم لم ترسم نفس الغلة حتى نطلع على أجزائها وأعضائها وندرسها حق دراستها . فقلت له لقد طال المقال وأنا أحب الاختصار لأن المقام مقام تفسير فقال عجبا لجوابك وما أقرب به الى الموارية ، كيف اعتنيت بالعرض وترك الجوهر . إنك أرينا نفس مزارع النمل ورسمت الطرق والمسالك وانطراقات والمستعمرات بل ذكرت عدداً للرجل والأجزاء التي ركب منها الغلة وهي ثلاثة وذكرت درجاتها الأربعة في النمو ، فلم رأيناك رسمت المسالك والمزارع وتحاشت رسم النملة . فقلت له إن النملة يعرفها الناس ولكنهم قط لم يعرفوا مساكنها ولا مزارعها وإني أقول لك الحق اني كنت منذ أمد قد رأيت رسم الزراعة في الكتب الانجليزية ثم مضت عشرات السنين وأنا أقول في نفسي أين هذا الرسم ، ولما قرب طبع تفسير هذه السورة وقع الكتاب في يدي مصادفة فسررت جداً ورسمته ، أما النملة فإن الناس يعرفونها . فقال . كلا . إن الناس لا يعرفون النملة إلا كما يعرفون أجسامهم فهم في كل وقت يفسدون ويروسون ولا يفكرون في أجسامهم وعجائبها ، فكيف يقول أنا أعرف النمل وهو لا يعرفه ، ومن ذا الذي رأى أرجلها الستة أو عضوها الحساسين النابتين في جانبي رأسها ، فرسم هذا الحيوان يجعلنا نعرف أجزائه ، إن المسلمين أصبحوا في أخريات الأمم بما فرطوا في هذه العلوم ، وباليات شعري كيف يسمي الله تعالى سورة باسم النمل وأخرى باسم العنكبوت والمسلمون يجهلون الحشرات ومنها النمل وهكذا العناكب ، إن رسم النمل والعنكبوت وأمثالها يسهل على المسلم فهم الحيوان ودرسه والذي يخيل لي أنك تحشى اعتراض بعض الفقهاء في التصوير وشدة حرصك على رضا جميع المسلمين راعيت المتشددين فيهم وأنت إذا فعلت ذلك وراعيته فقد تركت الواجب وكيف تحشى ذلك وقد أنف أحد المفتين بمصر رسالة في جواز ذلك (هذا المقام مستوفى في سورة بونس فراجعه) فقلت له الأمر لا يحتاج الى فتوى ولا الى تأليف رسالة ومن أجهل ممن يفترى على الله الكذب ويحرم ما هو واجب وجوبا عينيا أو كفاييا . إن هذه العلوم إما واجبة وجوبا عينيا لازدياد الشكر لله تعالى ، ومعلوم أن الشكر عمل وعمل وهذا هو العلم المحب في الله المعترف بقدره فالاطلاع على هذه العلوم يزيد في معرفة الله وفي شكره وهذا واجب على القادر أي ان الزيادة فيه واجبة على من يقدر وأما فرض كفاية من حيث منافعتها العامة كما تقدم في سورة المائدة مشروحا عن الامام الغزالي مفصلاً

ولما ترك المسلمون دينهم وأصوله وعجائب صنعه قبض الله لهم القرينجة فأذلهم ليرجعوا للعلوم . فقال زدني في هذا الموضوع . قلت أنت تقول ان المفتي المصري أفق بالجواز وأنا أقول لك هو واجب ومن حرم من المسلمين الواجب فهو معتوه ولم يرد في الكتاب ولا في السنة تحريم النظر الى الظل . فقال وهل الصورة ظل . فقلت إن هذه الصور التي يأخذها المصورون لم يصورها أحد بل صوّرها الله ، ألا ترى انها عبارة عن أشعة شمسية ظلية واصله الى خزانة المصور فيئونها في لوحة . فهذه الأشعة أو الظلال من الشمس فشبهتها في ورقة لم

يخرجها عن كونها ظلا ولم يخرجها عن كون الله هو نفسه الذي رسمها بشمسه . أليس من عجب أن الناس يحتاجون لفتوى على جواز النظر إلى الظل ، وإذا جاز لنا النظر إلى ظل الأشجار فهل يحرم علينا تكرار النظر إليه . فقال . كلا . قلت هكذا هنا هذا ظل أثبتناه ونظرناه فحكمه لم يتغير .

يقول الله تعالى . والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال . جعل الله الظل ساجدا لربه ، وقال في آية أخرى . ولو شاء لجعله ساكنا . أي الظل . وقد أسكن الله الظل في هذا الزمان بالتصوير وإنما أسكنه الله في الأرض ليوظ الناس للعلوم فإن رسم الأشكال يوضح المخلوقات ويظهر عجائبها وأعضائها وبدائعها ، ومن ذا الذي لا يتعجب حين يرى أن عين الخلة ترى في المنظار أعينا تبلغ المئات عدا . يراها الانسان رأى العين وقد رأيتها أنا بنفسى . هذا هو الظل الساكن الذي أشار الله له في القرآن ، فهذه الظلال قد حفظت لتزيد الناس علما بحماد الله وحكمه وبدائعه والمسلمون وحدهم هم النائمون

فقال صاحبي لقد أفتت الحجة على نفسك فماذا إذن أحجمت عن رسم هذه الصور وانت موقن أن التصوير الذي جرى الكلام فيه هو المجسم . فأما هذا فليس تصويرا ألبتة وإنما هو ظل . فقلت وأرى بك أيضا أن الانسان يرى صورته في المرآة وهو جائز . قال نعم . قلت فهل إذا دامت الصورة محفوظة في المرآة يحرم ذلك . قال . كلا . قلت فالتاس بيحتم في الصور الشمسية قد رجعوا إلى البلاء والجود الحزن . قال إذن قد اتفقنا فأنا أقول ان التصوير جائز وأنت تقول فوق ذلك إن هذا لاهو تصوير ولا دور رسم بل هو ظل الله أثبتناه فأنا أنتظر منك أن ترسم لنا أشكال الحيوان متى لزم . قلت إن شاء الله عسى أن يكون قريبا (هذا الموضوع كتب قبل أن أشرحه في سورة يونس)

هذا ثم ان هذه اللطائف الأربع وما جاء بعدها الواردة في عجائب الخلق وتركيبه تعرف معنى قوله تعالى . فتبسم ضاحكا من قولها . وأخذ يدعو الله أن يوفقه . وأنت أيها الذكي إذا اطلعت على هذا فاعلم أنه نعمة لك من الله بسبب القرآن وادع الله أن يهيمك أن ترشد الأمة الإسلامية وتذرعشيرتك الأقربين وتفهيم من حولك من المسلمين حتى لا يذلولوا وحتى يعرفوا نعمة الله تعالى . ولما كانت العلوم بها تكون سعادة الحياة ونظام الدول أتبع ذلك بقصة الهدد كما قدمنا فان الأمم لا دول لها ولا نظام إلا بالعلم والعلم يتبعه العمل الذي طلب سليمان أن يوفق له . فانظر كيف أعقبه الله بقوله (وتفقد الطير) وتعرف الطيور فلم يجد فيها الهدد (فقال مالى لا أرى الهدد) لأنه محجوب عنى بسائر أو نحو ذلك (أم كان من الغائبين) بل أكان غائبا عنى . وإيضاحه انه عالم برة ظن انه حاضر ولا يراه لما منع ما . فقال مالى لا أرى الهدد . ثم لاح له انه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول بل أهو غائب . ثم قال (لأعدت به عذابا شديدا) كنتف ريشه وكجعله مع ضده في قفص (أولاذبحه) ليصبره غيره (أوليا بنى بساطان ميين) بحجة تبين عذره . والمعنى انه يفعل معه أحد الأولين على تقدير عدم الثالث (فكث غير بعيد) زمانا غير مديد أو مكثا غير طويل كما تقول عن قريب . فلما رجع سأله عما لقي في غيبته (فقال أحطت) علمت شيئا من جميع جهاته (بما لم تحط به) يعنى بحال سبأ التي لم تحط بها . وفي هذا الخطاب من الهدد مكافأة لسليمان دلالة على أن الأنبياء وغير الأنبياء في الأرض قد يخفى عليهم ما يعرفه غيرهم . ونظير ذلك ما تقدم في (سورة الكهف) من قول الخضر اوسى مامنه « ما علمى وعلمك وعلم الخلائق بالنسبة لعلم الله إلا كما أخذ الطائر بمنقاره من هذا البحر » فهناك أفاد أن علم الخلائق قليل بالنسبة لعلم الله وهنا أفاد أن أعظم علماء الأرض قد يحجلون ما يعرفه أحقر المخلوقات . كل ذلك ليعرف الناس أقدارهم وليتعلم الانسان من كل أحد وأن ذلك حض من الله للأمة الإسلامية أن يعلموا سائر الناس وأن يشغلوا كل واحد فيما اختص الله به من القوى والادراك والعمل كما سخر سليمان الهدد لمعرفة الخبر فسليمان يحجز عن الانبياء بخبر سبأ وعظماء الدول الإسلامية المستقبلية يجب عليهم أن يوزعوا الأعمال على الناس ويشغلوا كلا بما يناسبه . وإذا كان سليمان استعان بالهدد فليستعن عظماء أمة الاسلام بجميع الشعب وليعلموه وليعلموا كلا مختصا

عما شاق له وقد أوضحنا هذا في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - فملى عظام
أمة الاسلام أن يستخرجوا كنوز الآراء وجواهر الأعمال من جميع الأفراد من انسان وحيوان فلله من مزية
ليست في الهدم . ولا يهدم مزية ليست في الانسان ، ولكل انسان مزية ليست في غيره وهكذا الحيوان
ومنها ما قاله الهدم سليمان (ويجلك من سبأ نبأ يقين) بخبر محقق ، وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن
حظان * وسئل عليه السلام عن سبأ فقال رجل له عشرة من البني تيامن منهم ستة وتشام أربعة ، ولما قال
الهدم - بنبا يقين - قال سليمان وما لك قال له (إني وجدت امرأة تملكهم) وهي بلقيس بنت شراحيل من
نسل يعرب بن حظان ، وسيأتي في سورة سبأ تحقيق أمرها وأمر سبأ أجمعين وهي من نسل يعرب بن حظان
والضمير في - تملكهم - لسبأ (وأوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوكة (ولها عرش عظيم) أي سرير كبير
* ويقال انه كان من ذهب وفضة مرصع بأنواع الجواهر قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه
سبعة أبيات وعلى كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) فهم كانوا يعبدونها
(وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من الأفعال والاعتقادات التي لا تليق (فصدتهم عن
السيبل) سبيل الحق والسواب (فهم لا يهتدون) اليه ، وقوله (ألا يسجدوا) بدل من أعمالهم أي زين
لهم الشيطان أعمالهم ثم بينها بامتناع سجودهم لله أي زين لهم عدم السجود الخ * وقرئ - ألا - بالتخفيف
وهي للتنبيه وبإلثناء أي يا قوم واسجدوا فعل أسر (لله الذي يخرج الخب في السموات والأرض ويعلم
ما تخفون وما تملنون) وصف الله بما يوجب تفرده بوجوب السجود له وذلك انه يظهر الخب وهو كل ما خفي في
غيره ، فأشراق السكاكب وانزال المطر وانبات النبات وإيجاد الخواقات كل ذلك إخراج لما اختبأ عن الأنظار
بالظلام والسحاب وباطن الأرض وحالة الامكان فان العالم كان خبيثا في حال الامكان فظهر بالاجداد ، وكما أنه
يظهر ما اختبأ يعلم ما خفي ويظهر فقدرته عامة في كل ممكن وعامه عام في الممكنات والواجبات والمستحيلات ثم
ذكر عظمة الله وأبان فضلها على عظمة عرش بلقيس فانه اذا شملت قدرته كل شئ وأحاط علمه بكل شئ فلا جرم
يكون عرشه أعظم العروش ولذلك قال (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) ولقد نكر عرشها وعرف عرش
الله أشعارا بما ذكرناه ، وتقدم في (هود) وفي (يونس) معنى العرش وعظمة عرشها بالنسبة الى ملوك
الدنيا وعظمة عرش الله بالنسبة الى جميع الخواقات (قال سنظر) سنصرف ونأمل (أصدقت أم كنت من
الكاذبين) لأننا لا نأخذ القضايا مساهمة ولا نعمل إلا بعد تجربة واختبار وامتحان كما هو شأن ملوك الأمم المدبرين
للممالك العظيمة (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر
ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت يا أيها الملأ) بعد ما ألقى اليها (إني ألقى الى
كتاب كريم) لكرم مضمونه ورسوله والغربة شأنه لأن الهدم ألقاه من كوة على نحرها فهذا وجه الغربة
فقل لها من خوف قالت (إنه من سليمان) ان الكتاب من سليمان (وانه) أي المكتوب أو المضمون (بسم الله
الرحمن الرحيم) المقصود (ألتأوا على) ألا تسكبوا على ولا تمتنعوا من الاجابة (وائتوني مسلمين) متقادين
وهذا الكتاب فيه وصف الله بصفات الكمال والأمر لهم بعدم الكبرياء والعلمة (قالت يا أيها الملأ أفتوني
في أمرى) أشيروا على فما عرض لي (ما كنت قاطعة أمرا) قاضيته وفاصلته (حتى تشهدون) تحضرون
(قالوا نحن أولوا قوة) بالأجساد والعدد (وأولوا بأس شديد) نجدة وشجاعة (والأمر اليك) أيها الملك
في القتال وتركه (فانظري ماذا تأمرين) تجدنا مطيعين لأمرك (قالت) بلقيس محبة لهم على ما أظهروا
من الميل الى القتلة بما أظهروا من قوتهم المادية وعددهم وعددهم قائلة لهم إن سليمان إن قاتلناه ربعا
دخل بلادنا فأضرر بالأنفس والأموال والقرى والضياع وهذا قوله تعالى (قالت إن الملوك اذا دخلوا قرية
أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بنهب أموالهم وتخريب ديارهم واهانتهم وأسرههم (وكذلك يفعلون)

يقول الله إن هذه هي صفة الملوك الفاتحين وهو الحاصل الآن في مصر والشام وبلاد العراق وطرابلس والجزائر
ومراكش ، فشكل هذه البلاد لجهل أهلها دخل الفرنج بلادهم وأذلّوهم وقهروهم والجهل عام وعسى الله
أن يرجع لهذه الأمة مجدها واستقلالها ، ثم قالت (وإني مهتلة اليهم) رسلا (مهدية) أذهب بها عن ملكي
(فناظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى أعجل بحسب ذلك ومراعى بذلك أن أخبره أذنت هوأم نبي فان
كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرخصه منا إلا أن نبيعه في دينه وبلقيس قالت
ذلك لأنها كانت ليبة عاقلة قد قاست الأمور وسبقتها فأهدت له وصفا ووصائف وألبست الغلمان لبس الجوارى
بأن جعلت في أيديهم الأساور من الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقراص وشنوفاصصعات بأنواع
الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون وأعدته حقا فيه درة غير مثقوبة
وجزعة معوجة الثقب وبعثت إليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكالبالس والياقوت وأرسلت له
المسك والعنبر والعود الينجوج ودعت المنذر بن عمرو ومعه أشراف قومها وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه
الهدية وقالت إن كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما في الحق قبل أن تفتحها واتقب الدرة ثوبا
مستويا وأدخل في الخزرة خيطا من غير علاج وأمرت الغلمان والجوارى أن يتشب كل منهما بالآخر وقت
مخاطبته لهن وقالت للرسول إن نظرا إليك نظر غضب فهو ملك فأنا أعز منه وإن قابلتك ببشاشة ولطف فهو نبي
فلما وصاوا إلى معسكره وعظم شأنه تقاصرت إليهم نفوسهم واستصغروا لبنات الذهب والفضة في جانب مارأوا
من الابهة والعظمة فوضعوها في فرج قد تركها النبي سليمان على قدر ما أحضروا من اللبنة ، فلما وقفوا بين
يديهم تلقاهم بالبشر والقبول والأنس رسألهم من حالهم وأعطوه السكتاب فقال أين الحق فلما رآه قال إن فيه
درة ثينة غير مثقوبة وخزرة معوجة الثقب فأمر الأرض فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء
فأخذت الخيط ونفذت في الخزرة ودعا بالماء فكانت البخارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام كما يأخذ به يضرب به وجهه ثم رد الهدية (فلما جاء) الرسول (سليمان) وحصل ما تقدم
ذكره من ثقب الدرة وغيره (قال) للمنذر بن عمرو ومن معه من أشراف قومها (أتيتون بمال) وأنا لم أرسل
للمال والمال زائل إنما أرسلت لأعلم الناس الحكمة وأهديهم الصراط المستقيم (فأأتاني الله) من النبوة
والملك كما رأيتم بأعينكم (خبر عما آتاكم) لأنكم لم تؤتوا إلا ملكا أقل من ملكي وأنا أوتيت الملك والنبوة
(بل أنتم بهديتكم تفرحون) ولا يفرح الأنبياء والمؤمنون إلا بفرض الله وبرحمته ، فبذلك فليفرح العقلاء هو خير
مما يجمعون من المال (ارجع إليهم) أيها الرسول (فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها) لاطاقة لهم بمقاومتها ولا
قدرة بهم على مقاتلتها (ولنخرجهم منها) من سبأ (أذنة) بذهاب ما كانوا فيه من العز (وهم صاغرون)
أسرى مهانون (قال يا أيها الملأ أياكم يأتي بعرشها قبل أن يأتوني مسامين) لأطلعها على بعض ما أنعم الله
به على من المجائب النبوية والآيات الإلهية لتعرف صدق نبوتي ولتعلم أن ملك الدنيا في جانب عجائب الله
وبدائع قدرته يسبر وأن حكمة الله أوسع مما يشاهده الناس من آثارها من مجرى المادة وأيضا لأختبر عقلها
حين أنكر عرشها ، ولما كانت الأرواح الأرضية والسموية جميعا (قسمين) قسم نوراني إلهي وقسم ظاهري
أرضي والأول أوسع علما وقوة والثاني محدود العلم والقدرة لافرق في ذلك بين الأرواح التي في أجسامها في
الأرض والأرواح التي جردت من مادتها سواء كانت خارجة من عالمنا هذا أم لم ترد له بل عاشت في عالم الأرواح
ولم تسكن أرضنا . هذه قاعدة مطردة تجدها في كتب الأنبياء وفي علم الأرواح الحديث الذي ملأ الأقطار
وشرحناه مسارا في هذا التفسير بحيث إن الروح الذي كان في أرضنا وخرج من جسمه يصبح وقوته وعامه على
مقدار أخلاقه وصفاته رفعة وضعة وهكذا جميع الملائكة منهم من هم في أعلى مقام ومنهم من هم أقرب إلى
عالمنا - وما منا إلا له مقام معلوم - فشكل روح غلبت عليها الآراء الأرضية والأحوال المادية يقلت علمها

وقدرتها على مقتضى ذلك ، وكل روح تجردت من أخلاق أهل الأرض والأحوال المادية وكانت ذات أخلاق إلهية وحب عام ورفعة شأن واقتراب من النور الأعلى كانت همتها وعافومها أوسع على مقدار ما اتصفت به من ذلك - وأن إلى ربك المنتهى - ولا يشق غلتك في هذا إلا أن تطالع ﴿ كتاب الأرواح ﴾ الذي ألقته في ذلك ، إذا عرفت ذلك فانك تفهم قوله تعالى (قال عفريت من الجن) أي خيبت مارد قوى داهية وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أي مجلس قضائك وكان يقضى كل يوم في الغداة إلى نصف النهار (وإني عليه) على حمله (لقوى أمين) على ما فيه من الجواهر وغيرها فلما سمع سليمان ذلك قل أريد أسرع من ذلك لأنه يعلم أن في الأرواح من هو أقدر على حضاره في أقرب من ذلك كما علمت مما فصلناه لك لأنهم درجات كفافهم (قال الذي عنده علم من الكتاب) وهو الذي صفت نفسه من ظلمات هذه الأرض وتباعد عن الكبر والحسد والظلم وجميع ما في عالم المادة وهو مغرم بالعوالم العالوية فهو أرقى من ذلك العفريت من حيث اشراق نفسه وصفاء باطنه ، هذه صفات الذي عنده علم من الكتاب فسواء أكان هو جبريل أو ملك آخر أو آصف بن برخيا الذي هو صديق يعرف اسم الله الأعظم أو سليمان نفسه وسواء دعا الله بقوله « يا ذا الجلال والإكرام » أو قال « يا حي يا قيوم » كما قالت عائشة أو قال « يا إلهنا وإله كل شيء إلهنا واحدا لا إله إلا أنت إئتني بعرشها » أو غير ذلك فالأصل واحد هي نفس مشرقة ملكية أو انسية توجهت إلى الله بأي اسم كان أو بهمتها فللدار على الهمة والنفوس الصافية والاصفاء إلا بالتعالى عن أحوال المادة فلا يهلك التفصيل بتعيين الذي أحضره ولا بالدعاء الذي دعا به وقد أدركت سر الحقيقة

خذ ما تراه ودع شياً سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فدع زيدا يقول في المجالس بأن سليمان مد عينيه ونظر إلى اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرى يجررون به تحت الأرض حتى نبع من بين يدي سليمان ، ودع عمرا يقول خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال ما قال (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) أقول قد عرفت الحقيقة وستعرف أن هذه القصة من أكبر معجزات سيدنا محمد ﷺ والقرآن فاق ما سألته لك في شأن نقل الأمتعة من أماكنها بطريق غير طريق المعجزات وإنما هو بطريق الأرواح واستحضارها أصبح معروفا ، إن هذه القصة ذكرها الله في القرآن وقد علم أن الأمم ستعرف هذه الحجاب فادع هذه المعجزة في الكتاب ليزيد المساهمون علما وحكمة وليبحثوا عن عجائب صنع الله ، فلن نقل عرش بلقيس بطريق المعجزة التي لا يمتدنى إليها الناس فسترى كيف تنقل الأرواح الأمتعة من أماكنها على أيدي أكابر الحكماء والفلاسفة في أوروبا ، ولتري أن هذا القرآن فيه أصول الحجاب أودعها فيه لهذا الزمان حتى لا ينفر المسلم من علم الأرواح وعلم الأرواح يقصد منه تقريب نفوسنا وتمريضها على ذلك العالم الجميل حتى لا تنفر من الموت ولا تنفر من الأرواح إذا وردت إليهم وتفرح بالموت وتفرح بلقاء الله ، فليجت في هذا العلم المساهمون حتى يهتدوا بهدي سليمان ، وهل ذكرها الله في القرآن إلا لهذا ؟ إن سليمان عليه السلام أوحى إليه أن يوجه همة إلى احضار عرش بلقيس بطريق العوالم اللطيفة الروحية فحضر العرش (فلما رآه مستقرا) حاصلا بين يديه (قال) وقد نلت النعم بالشكر على مقتضى سنن المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربي) تفضل به علي من غير استحقاق والإشارة إلى التمسك من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره (ليباوني أشكر) بأن أراه فضلا من الله بالأحوال منى ولا قوة (أم أكفر) فلا أشكرها وأنسب العمل لنفسى فلانك ولا جاء ولا ذكر حسنا في هذه الدنيا ولا علم ولا حكمة إلا والله يبدل العبد بها لأن ذلك كله تربية للخلق ، فالنعم الجسمية والنعم الروحية والعقلية كلها مواهب يمنحها الله الناس بها فنضل بها هوى ومن شكرها ارتقى (ومن شكر فأنما يشكر نفسه) لأن ذلك يستجلب لها دوام النعمة (ومن كفر فإن ربي غني)

عن شكره (كريم) بالانعام عليه (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكاه (ننظر آتتهدى أم تسكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته والى الايمان بالله ورسوله حينما ترى أن عرشها تقدمها وقد خلفته متعلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس فتى عرفت انه هو عرشها كان ذلك داعية للإيمان فصرقة العرش مقرونة بالايان لأن المعجزة مقرونة بسبقه لها الى سليمان فالمدار على العقل والذكاء والفضيلة (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك؟) وذلك لامتحان عقلاها وللتشبيه عليها لأنهم ذكروها عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها ، ولما ظنت انه أراد بذلك اختبار عقلاها واطهار معجزة لها قالت (وأوتينا العلم) بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك (من قبلها) من قبل هذه المعجزة (وكنا مسلمين) منقادين خاضعين لأمر الله ولأمر سليمان (وصدّها ما كانت تعبد من دون الله) أى صدّها سليمان وأولاده عما كانت تعبد من دون الله وحال بينهما وبينه (إنها كانت من قوم كافرين) يقول الله تعالى لعبادتها غير الله التى صدّها عنها أنها نشأت بين قوم يعبدون الشمس ولم تعرف لإعبادتها ، وعبادة الشمس وعبادة السكواكب قد شغلت عقول الأمم أجيالا وأجيالا لأن الله أكبر من كل شئ ، فاذا كانت الشمس لها فلا يبحث الناس عن أكبر منها ، ولما نزل الاسلام والديانات التى حرمت عبادة السكواكب بحث الناس فى أمر انكواكب فرأوا الشمس أقل شأنًا من غيرها وأن الله تعالى يريد ايقاظ العقول وترقية النفوس البشرية بمثل هذه الديانات التى ترتفع عن المادّة من حيث الخلق ومن حيث العبادة وقد تقدّم هذا فى سورة الأنعام . الى هنا تمّ اختبار عقلاها وعرف انها ذكية ، هنالك تبدى له أن يعرف ساقيا لأنه قيل له ان رجليها كحافرجار ، ولما كان الله تعالى لطيفا حكيما لا يكشف السر ولا يفصح فكانت هذه الأخلاق شنيعة الأنبياء والحكماء والملوك العظام فلا يفضحون أحدا ولا يخزون بل يتلطفون فيما يريدون . بنى قصرا من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما أبصرت ظننته ماء راكدا فكشفت عن ساقيا وهذا قوله تعالى (قيل لها ادخلى الصرح) الفصر (فلما رأت أنه حسبته لجة وكشفت عن ساقيا قال أنه) إن ما تظننه ماء (صرح محرّد) مملس (من قوارير) من زجاج وليس بماء خفيئذ سئرت ساقيا وعجبت من ذلك . ند علمها أن ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت ربّ إني ظننت نفسي) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أى أخاضعت له التوحيد والعبادة وهل تزوجها هو من بعد أن اتخذ الحمام والنورة لأجلها فأزبل شعر رجليها وأحبها حبا شديدا وصار سليمان يزورها كل شهر بأرض اليمن فى حصونها أم لم يتزوجها بل زوّجها الى ذى تبج ملك همدان وليس فى معرفة الحقيقة كبير فائدة ولكن الرأى الثانى أصح . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى من السورة ، وهنا (أربع لطائف)

(١) فى الهدهد الذى أحاط بما لم يحيط به نبيّ علما

(٢) وفى قول بلقيس . ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون .

(٣) وفى قول سليمان . فما آتاني الله خير مما آتاكم .

(٤) وفى قوله تعالى . قال عفريت من الجن . الخ

﴿ اللطيفة الأولى فى الهدهد الذى أحاط علما بما لم يحيط به نبيّ مع ذكر بعض أنواع الطيور

وأن هذه تشمل عجائب الأسرار فى . طس - ﴾

تفقد فعل ماضٍ والظير مفعول والفاعل ضمير يعود على سليمان ، وقد قلنا فى هذه السورة ان السين هى أول حروف سليمان والطاء أول حروف الظير ، فهنا ﴿اسمان﴾ وهما سليمان والظير وفعل هو تفقد ونحن أمرنا بالافتداء بالأنبياء . ألا ترى الى قوله تعالى . فبهذا هم اقتده . نبينا أمرنا بالافتداء بهم وسليمان من المقتهى بهم فأنا مأمور بالافتداء بهم والافتداء لا يكون فى الأسماء وإنما يكون فى الأفعال والفعل تفقد ، فهذه الحروف

الأربعة التاء والفاء والقاف والدال هي السمر المصون والجوهر المسكون هي الحروف التي رقت بين التاء والسين طاء الطائر وسين سليمان وهما المرموز لهما بما في أول السورة - طس - . علم الله أن أمة الاسلام ستنام حوالى (٩٠٠) سنة . نامت الأمم الاسلامية بعد العصور الأولى . ثلاثة قرون هي التي نبئت فيها الأمم الاسلامية فحكت أهل الأرض كلهم وساج المسلمون شرقا وغربا ثم ناموا ، ولكن كان فيهم أولوا بقية في العلم والدين فظهروا وبهروا وقتا دون وقت وبقية الأمم الاسلامية نائمون هائمون على وجوههم جاهلون بحمال ربهم عاكفون على الرناسات وطلبها والأموال وجهها وقد أيقظ الله حولهم أهل أوروبا والصين واليابان وأهل أمريكا الذين لم يكونوا منذ (٤٠٠) سنة إلا أمماديت فيهم الطمعية والجهل العميم وبقى المسلمون بين هؤلاء وهؤلاء لاهم في العير ولا في النفي فأنهم الله عليهم ﴿ بنسبتين ﴾ نعمة الكوارث والحوادث والأوصاب الحالة فيهم من الأمم المحيطة بهم والخطارات المحققة فوقهم والمدافع الموجهة اليهم واستنزاف ثروتهم وضباع ملكهم وتغييرهم بالجهالة والتعدي على الدين وعلى المجد وعلى الملك ، ونسمة العلم الذي يدلف اليهم من الأمم حولهم ومن المؤلفين الذين يقومون بنشر الحكمة والعلم بينهم ليجعوا همهم الى ما أحاط بهم ، واعلم أن الكوارث والمصائب الحالة بالأمم الاسلامية لا تفيدهم مالم يذكرهم بها المذكرون ويرشدهم لها المرشدون ، ومن المنذرات المبشرات هذا التفسير ، وهذا إذا ذكر المسلمين بقوله تعالى - وتفقدا الطير - وقد بينت اني مأموران أن تفقد تفقد سليمان الطير . ولما خاطب المدهد قال له - وجئتك من سبأ نبأ يقين - إذن التفقد يكون من نتائج اليقين وما الذي جاء به ؟ جاء به الطير المتفق ، وتفقد ابراهيم النجوم والشمس والقمر بعد أن كسر الأصنام فقال الله للقوم فيه - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - وتفقد رسول الله ﷺ والنبات والطير ليعلم أصحابه كما في حديث البخاري إذ أخذ يسألهم عن شجرة شبه المسلم فأخذوا يتكفرون في شجر البوادي فلم يصب في الاجابة إلا ابن عمر ولكنه خجل أن يجيب فأجاب ﷺ بأنها النخلة لأنها توت اذا قطع رأسها ومن رأسها تشرب ، ثم قال ابن عمر لأبيه لقد وقع في قلبي انها النخلة فأسف عمر على أنه لم يقاله لرسول الله ﷺ فأما تفقد رسول الله ﷺ للطير فله ضربه مثلا إذ قال « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خالصا وتروح بظانا » . فهذا التفقد للسموات في قصص ابراهيم ونحوه ولشجر البوادي والطير من رسول الله ﷺ ولطير من سليمان ، كل ذلك تذكرنا أن تفقد كل شيء فلا تذكر كوكبا ولا شمسا ولا قرا ولا طيرا ولا شجرا إلا تفقدناه وهذا أمر واجب وهذا الوجوب يختلف باختلاف الأشخاص وانما قلت انه واجب لأننا مأمورون بالشكر مأمورون بالنظر ومأمورون بالفكر ولا شكر إلا بعلم ولا علم إلا بنظر ولا نظر إلا بالتفقد . اذا ظن المسلم انه بقوته أنا آمنت بالله أو أيقنت بالله قد أتم ما عليه فهو مغرور سرى له هذا الغرور من شيخه الذي لقنه العلم فأوقفه عند حد محدود خصر عقده وكبله فكبلت الأمة كلها وأحاطت بها الأمم وزمتها ودرستها وأنامتها ، فبعض شيوخ العلم وبعض شيوخ الطرق يلقنون تلاميذهم ﴿ ألا تقرأوا الكتاب غير ما لقنناكم ﴾ ونحن نقول . كلا . أيها المسلمون تفقدوا كل شيء ، ألم يفقد سليمان الطير ، ولماذا أنزل علينا هذا القول ؟ ولماذا رمن الله لنا بالطاء والسين في أول السورة ؟ لماذا يقول الله لنا في أول السورة - طس - يقول لنا ذلك لأنه علم أننا سنكون أمة نائمة مئات السنين وسيأتي علينا هذا الزمان زمان العرفان والنور فيسأل الشبان قائلين لم ذكر الله - طس - وهذا ان الحرفان لامهني لهما فأى فائدة في ذكرهما فنحن نجيب بأن أمثال هذه الحروف جعلت أشبه بالمفاتيح لفتح ما غلق على المسلمين أجيالا وأجيالا واكتفتهم بكتب مورثة وعلم محصورة وقد عمى أكثر الناس عن قوله تعالى - واشكروا لي ولا تكفرون - والشكر لا يتم إلا بعلم والعلم عام وعن قوله تعالى - وقول رب زدني علما - فإذا كان النبي ﷺ أعلم الخلق بربه وأمر بزيادة العلم فما بالك بنا نحن فنحن مأمورون بزيادة العلم من باب أولى ، ولهذا كله الرمن بالحروف الأربعة

الواقعة بين الفاعل سليمان وبين موله الطير

﴿ كيف يتفقد مؤلف هذا التفسير ﴾

أنا إلى الآن لم أتم تفقد نفسي ولا تفقد العالم وأقول تفقدت نفسي وتفقدت السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وهذا مذكور في هذا التفسير ، فأما نفسي فاني عجبت لها ، رأيها لا تقف عند حدٍّ ثم تترطربا بهجة النجوم والشمس والقمر وتفرح بعالم النيل والنهار والشجر والنجم وما في باطن الأرض من المعادن والجمائ ، لم أجد لها نظيرا في عالم الحيوان ، فشكل طير قانع بما خلق له كما ستره هنا ، فترى الطيور الدجاجة تحضن أولادها وتعني بصغارها مثل الحجل والحمام ، وترى الطيور ذات الأرجل السكفية كالبط فرحة بالحبوب والحشيش وكذا الأوز والبجع ، وترى الطيور الشاطئية عند منقارها وعنقها الطويلين لتفتدي بالزواحف المائية مثل أبي قردان والقلق فتفرح بذلك ولا تطالب غديره وهكذا الطيور المسالمة المغتذية بالثمار والطيور التي تنقر الخشب تسكن في الحشرات والطيور اللودية كذلك وهكذا الطيور الجارحة تأكل الطيور الأهلية والسمك وليس لها همة فوق ما عندها ، أرى هذه الطيور كل غادورائح يطالب ما خلق له فرح بما عنده عاكف على مالهيه وأرى الزواحف كالسلاحف قانعة بما عليها من السرعة التي تأوي إليها متى دهمها خطرا وأحست بعطب وهذه هي قلعتهما وحصنها . وأرى التماسيح من الزواحف اشتدت عنايتها بما هو غاية أمنيته وهي بيضه الذي يدفعه في الرمل على الشاطئ . وأرى الحرياء فرحت بما لنيها من القدرة على التلون ومجاعة ما حولها في لونه لتعظما بذلك نفسها وهكذا بما لا تسعه هذه المقالة

تفقدت نفسي فوجدتها مخالفة هذه الحيوانات فشكل حيوان خاصة لا يتعداها وهو بها فرح وهو بها غفور أما هذه النفس فاني وجدتتها تسمى لتعرف كل شيء . فيا أيها النفس أخبريني هل أنت كل شيء حتى تبخني عنه ؟ فأجابني قائلة نعم أنا قبسة من نور ربّي ، أنا مرسله إلى هذه الأرض وكل نفس من نفوس بني آدم قد أرسلت إلى هذه الأرض ووضعت في هذه الأجسام وهذه الأجسام ماهي إلا آلات بها تصطاد المعاني من هذه العوالم وهذه العوالم بها غذاؤنا وشرا بئنا لباسنا ومساكننا وحصولنا وبحصيل ذلك تقوى عضلاتنا بالحركات وتقوى عقولنا بالتفكير وتبهج نفوسنا بالجمال والزينة

ثم اننا نذر هذه الأجساد في الأرض ونذهب إلى العوالم العليا وكل قد أخذ من الأرض زادا علميا وأخلاقيا على مقدار همة وهناك تكون الدرجات على مقتضى الهمم لا غير

هذا كلام نفسي لي وهذا كله رضى الطاء والسين في أول السورة فطاء الطير وسين سليمان يفتحان لنا باب التفقد كما تفقد سليمان الطير وتفقد رسول الله ﷺ كل شيء فكان قبل صلاة الليل يقف وهو ينظر النجوم ويقرأ - إن في خالق السموات والأرض - الخ وتفقد الأمم أمة أمة فأرسل لهم رسوله يدعوهم إلى الاسلام وبعد ارسال رسوله أخذ يحاربهم ثم تم أصحابه عجمه فتفقدوا الأمم وجاسوا خلال أرضهم من بلاد فرنسا إلى بلاد الصين ثم ناموا ونحن أبناءهم فأخذت الأمم تفقدنا كما كان آبؤنا يتفقدونهم فأصبحنا عند تلك الأمم كالطير عند سليمان تفقد الطير وآبؤنا تفقدوا الأمم وهذه الأمم أخذت تفقدنا وقد قالوا ﴿ إن أبناء العرب من الأمم الإسلامية الآن قد رجع كثير منهم إلى سكنى القفار الوحشة والصحراء الكبرى ولا يعلمون أن آباءهم كانوا ملوكا لهم دول عظيمة ﴾ هذا من تفقدهم لنا . واعلم هداك الله أن هذا التفسير من مقدمات نهضات عظيمة ستريج الأرض رجبا وتقوم أم عظيمة لا يدري إلا الله مقدار عظمتها يعلمون أن هذه العوالم كلها كتاب من الله كتبته لنا ونحن قرائه

﴿ تذكرة بما اتفق لي أيام باقي العلم ﴾

إن الذي كان له الفضل في مدرسة (دار العلوم) هو المرحوم علي باشا مبارك وزير المعارف وافتد كان يدخل

الدروس بمدرستنا فرحا بنجاحه في إقامة هذه المدرسة . ولقد قال مرة ﴿ ليكن في يد كل منكم (كناشا) يكتب فيه كل ما يعم له من بناء شائع أو طير سائح أو نور باهر أو جمال ظاهر أو عائدة غريبة أو مسألة عجيبة فان ذلك يكون عدة له وحكمة تنفعه وقد انتفعت بهذا ﴾

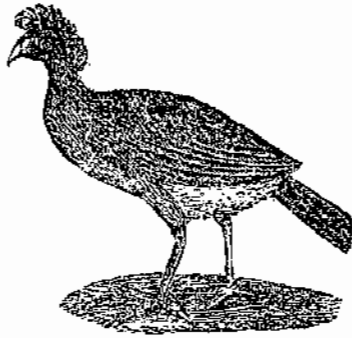
وبما قاله أيضا ﴿ إن العلم لاحد له وليس العلم قاصرا على ما في الكتب فخذوا فيه وتعلموا وادرسوا الدنيا بعقولكم ﴾ أقول وأنا أوصي بهذه الخصلة فانها خير معوان على الحكمة العامة ومن حافظ على هذه الخصلة من صغره وهو ذوميل طبيعي للحكمة والعلم والكتابة فانه يهتأ بالحكمة والعلم ويكون نورا لأئمة ويكون انشاؤه نعمة عامة للأمة ويرقى أمته على مقدار همته ثم هو يحس في نفسه بسعادة وحبور وسرور لا يعلمه إلا هو ور به ولا تقتصر على هذا في معنى الطاء والسين في أول السورة ، ولأخص تفقدي في هذا المقام بما هو أليق به وهي الطيور فأتفقدها من ﴿ وجهين * الوجه الأول ﴾ أن أذكر بعض عجائبها الفاهرة فأذكر بعض الطيور ثم ما هو شبه بها

﴿ الطيور ﴾

الطيور حيوانات فقريه تضع بيضا يخرج منه صغارها بعد التفريخ وحيث انها ترتفع في الهواء خلق الله تركيب بنيتها مناسبا لذلك فشكل جسمها بأعظم شكل مناسب لشق الهواء بسهولة وخلق لها أجنحة بدل الأطراف المقامة وليس لها أسنان وفها منته بمنقار وعلى ذلك تزدرد أغذيتها من غير مضغ ولذا جعل الله معدتها قوية جدا وهي (القوانصة) وجعل لها حوصلة فيها تالين الحبوب قبل وصولها الى القوانصة وبما أوجد فيها من قوة الإلهام تصنع أعشاشها وترقد على بيضها وتحن على صغارها ومنافعها كثيرة فنها ما يستعمل لجه غذاء وبيضه كذلك ، ومنها ما يدفع مضار عظيمة كتبديد الحشرات والديدان المضرة بالمزروعات وتنقسم الى جملة رتب

(١) - ﴿ الطيور الساجية ﴾

وهي تشمل الطيور الأهلية التي تستعمل لحومها وبيضها غذاء وتشمل الساجية المعتادة وهي أكثر الطيور الدجاجية نفعا من أجل لحمها الذي يستعمل غذاء وبيضها الكثير الذي يحصل فقه صناعة في معامل مخصوصة تسخن الى حرارة مناسبة كما يحصل ذلك اذا احتضنت الفرخة بيضها ، والساجية تعنى بصغارها بحيث اذا طرأ عليها خطر تجمعها تحت أجنحتها وتدافع عنها بقوة وأما الديك فلا يهتم بأمرها ، والفراخ الرومية والهندية تنسب للطيور الساجية ، وكذا القبيج وذكره يسمى حجل وهو يعرف أيضا بدجاج البر (انظر شكل ١٦)

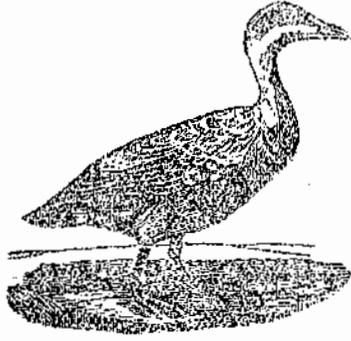


(شكل ١٦ - القبيج المعروف بالحجل)

والحمام الذي يعيش أزواجا وأثناء تبيض بيضتين تستولى حضانتها هي والذكر بالتبادل ، وكذا الحمام والساوى المعروف عند الناس بالسمان والطاووس وهو أجل الطيور ويتميز بذيبه الطويل المزين بريش لماع مرغوب فيه جدا وهو غالى الثمن

(٢) ﴿ الطيور ذات الأرجل الكفية ﴾

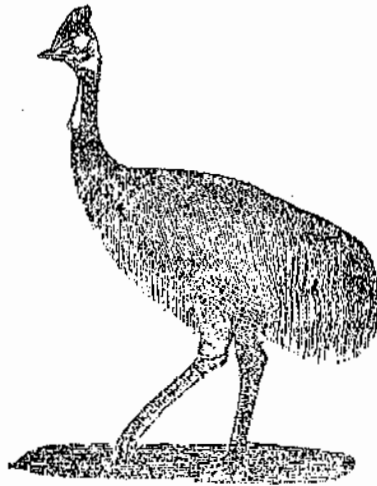
هي طيور يوجد بين أصابع أرجلها غشاء يصير أرجلها كجاذيف وجسمها مستطيل يشبه السفينة وریشها مغطى بمادة زبقة تمنعها من الببل بالماء فلا يثقل جسمها فتعوم بسهولة وترغب وجودها في الماء ، ومنها البط ويستعمل لحمه غذاء وغداؤه الحبوب والحشائش ومنه نوع يسكن الأجزاء القطبية يسمى ايدر (انظر شكل ١٧ في الصفحة التالية) يوجد أسفل بطنه ريش ناعم تحشى به الوسائد الخفيفة ، والأوز المعتاد لا يتخالف البط إلا قليلا في الجسم والطباع . ومنها البجع وهو طير ظريف أبيض يقتنى زينة في الفساق



(شكل ١٧ - رسم الايدر)

(٣) ﴿ الطيور الشاطئية ﴾

هي طيور أرجلها طويلة عارية عن الريش وعنقها ومنقارها طويلان جدا وهذا يساعدها على سرعة الجرى في مياه المزارع لتتغذى بالزواحف المائية والأسماك والديدان وبعضها يتغذى بالحبوب والحشائش ومنها أبو قردان وأبو مغازل والقلق الذي يغرس الزواحف التي على شاطئ النيل بكثرة ولذا كان محترما جسدا عند قدماء المصريين حتى كان عقاب من قتله الأعدام ، والنعامة وهي أكبر الطيور فيصل علوها الى مترين ونصف وتسكن صحارى أفريقيا وبشها يستعمل للزينة مرغوب فيه تضعه نساء الافرنج فوق البرانيط ، والكزوار (انظر شكل ١٨) وهو طير يسكن الهند ورأسه مزينة بقلنسوة



(شكل ١٨ - صورة الكزوار)

(٤) ﴿ الطيور المتسلقة ﴾

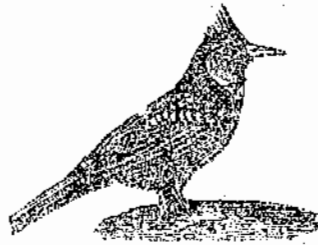
هي طيور تسلق على فروع الأشجار بسهولة لتتغذى بالثمار أو بالحشرات التي على الأشجار ولذلك خلق الله أصبعين من أصابعها متجهتين الى الأمام وآخرين الى الخلف وهي مشهورة ببهاء ريشها وغلاء ثمنه وتشمل الببغاء وهي بأنواعها مشهورة بخاصية محاكاة الأصوات ، وتقار الخشب (انظر شكل ١٩) ومنقاره قوى يشق به قشور الأشجار ليأكل الحشرات



(شكل ١٩ - صورة نقار الخشب)

(٥) الطيور النورية

هي طيور صغيرة بعضها مشهور بجمال صوته وبعضها بيباء ريشه وهي تنتقل من اقليم الى آخر ومعظمها يتغذى بالحشرات ، ومنها البلب المشهور بحسن صوته ، والعنديل والخطاف المشهور بعصفور الجنة وهي تبدد الحشرات الموجودة في الهواء ، والقنبر (انظر شكل ٢٠) وهو طير يتدلى في الثريد في فصل الربيع وهو من الطيور التي تغرد حال طيرانها ، والغراب والهدد يتغذيان بالديدان



(شكل ٢٠ - صورة القنبر)

(٦) الطيور الجارحة

هي طيور لا تعيش إلا بالسلب والنهب ، ولذا خلق الله جسمها معدا لذلك لجعلها قوية منقارها كلابي وأرجلها منتهية بأظافر كلابية حادة وطيرانها شديد وحاسة بصرها قوية جدا بها تدرك فريستها من بعد وهي تقابل الحيوانات الكاسرة من الحيوانات الثديية ، ومنها النسر ويسمى (مالك الطيور) لقوته وشجاعته فيرفع فريسته بين مخالبه ، والعقاب طائر كبير عنقه خال عن الريش ، والصقر طائر في قمة الشجاعة وهو أجل الطيور الجارحة شكلا وأكثرها شجاعة وخفة ولذا كان يعلم الصيد في القرون الوسطى ، والحدأة (انظر شكل ٢١) وهي مشهورة بشراستها وخطفها لصغار الطيور الأهلية والسمك ، والبوم والمهاصة من الطيور الجارحة أيضا لكنها قليلة القوة أعينها واسعة يدخل فيها بالنهار ضوء شديد يحدث غطشتها ولذا لا تطير إلا ليلا ولا يسمع طيرانها صوت ولذا تستولى على فريستها أثناء نومها بسهولة وهي نافعة جدا لأنها تبدد الحيوانات القراضة الصغيرة والحشرات المضرّة والزاحفات (شكل ٢١)

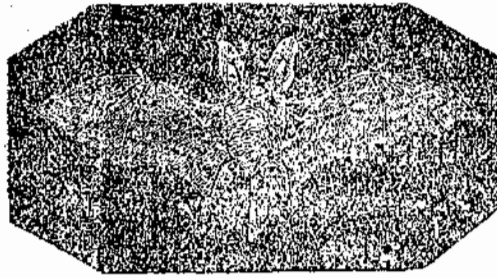


(شكل ٢١ - رسم الحدأة)

هذا ما أردت ذكره من الطيور ليكون تذكرة للذاكرين . فاذا رأى المسلم الطير في شواطئ البحار أو فوق رؤس الجبال أو في الحدائق الغناء فإنه لا يأنس بها أنسا عاما إلا اذا عقل الفرق بينها وبعض خواصها كالذي ذكرناه هنا . ومعنى عرف ذلك وغيبه أصبح في بهجة وصارت العوالم حوله جنة أعدت له في الدنيا وله في الآخرة مزيد

(٧) الحيوانات الشديدة ذات الأيدي الجناحية

أما ما يشبه الطيور فهو « الخفاش » وهو من الحيوانات الشديدة ذات الأيدي الجناحية أو الوطواط ويميز بوجود ثنية من الجلد ممتدة بين أطرافه المقامة والخلفية على شكل أجنحة بها يطير كالطيور (انظر شكل ٢٢) وهو حيوان ليلى يهرب من الضوء بالنهار اضعف بصره وقد عوضه الله قوة في إحساسه ويتغذى بالحشرات ولذلك هو نافع وهذه صورته

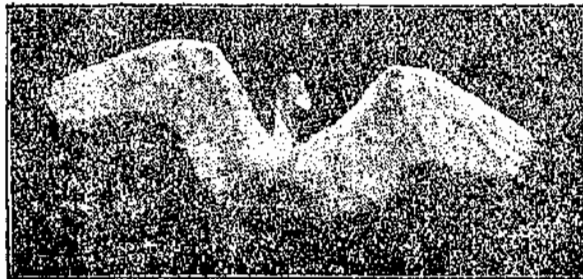


(شكل ٢٢ - صورة الخفاش . انتهى من كتاب المختصر المفيد)

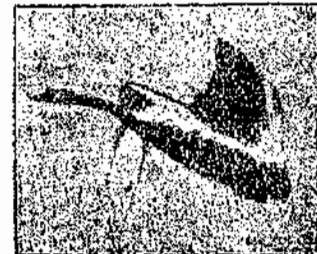
(الوجه الثاني) أتفقد طيران الطيور كي يفتح باب الطيران في الأمم الاسلامية ليشاركوا الأمم في الطيران وقد جاء في (مجلة الجديد) مانصه

﴿ طير الأوز العراقي الذي هو معجزة من معجزات الطبيعة ﴾

ليس عجيبا أن تعوم الأوزة فان تكوين جسمها على شكل قارب ، ولكن ماثير الدهشة عند العلماء كيف انها تستطيع أن تحلق في الجوّ بهذا التكوين العجيب بل تطير بكل سرعة وسهولة مع انه لو صنعت آلة ميكانيكية على مثاها لكان من المستحيل أن تطير بالنسبة لتركيبها المربك . ولما كان العلماء والمختصون يقتبسون على السوام من مدهشات الطبيعة ويصنعون على مثاها فقد توجه التفات بعض العلماء الى دراسة طريقة الأوز في الطيران لاقتباس ما يمكن أن يكون له فائدة عظيمة في تقدم الطيارات (انظر شكل ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧)



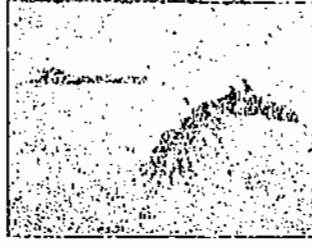
(شكل ٢٤)



(شكل ٢٣)



(شكل ٢٧)



(شكل ٢٦)



(شكل ٢٥)

ويلاحظ عند محاولة الأوز للطيران أنها تنهض من الماء ملوثة بجناحيها في الهواء بحركة مختلطة بين السير والطيران مادة رقبها الطويلة الى الأمام ، ولاتلبث حتى تنتظم حركات جناحيها وتندفع بقوة الى الاتجاه الذي تريد فيكون عنقها الطويل الممتد هو الحافظ لتوازن جسمها في الجو وليس عليها إلا الاستمرار في تحريك الجناحين وضغط الهواء الى أسفل ولذلك تجعل جناحيها ينحنيان كثيرا نحو الأرض ، فهل يستطيع الانسان أن ينقل عن الطبيعة شكل هذه السفينة الهوائية الجيئة ؟ ذلك ما سيرهن المستقبل على إخفاقه أو نجاحه (انظر شكل ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١)



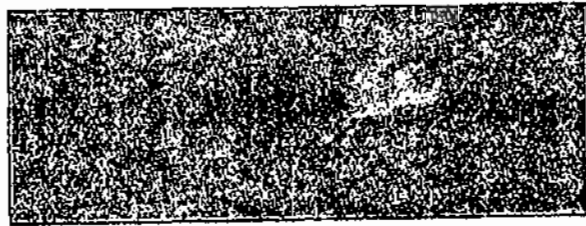
(شكل ٢٩)



(شكل ٢٨)



(شكل ٣١)



(شكل ٣٠)

ومن تفقدي للطير ما قرأته تحت هذا العنوان في نفس المجلة

(الحرف والفنون والصناعات عند الطيور)

ألقى الاستاذ (كانلان) محاضرة على عدد كبير من علماء فرنسا وأعضاء الأكاديمية عن حياة الطيور وطباعها وغرائزها ، ومن أغرب ما ذكره في محاضراته أن لسلك نوع من الطيور استعدادا خاصا للحرف والصناعات والفنون ولكنها تختلف عن الانسان بأن الطير لا يزاحم أنواع الطيور الأخرى ولا يحسن غير العمل الذي تمليه عليه غريزته . وقد ضرب الاستاذ الأمثلة على ذلك فقال (إن الغراب يشبه عمال المناجم فهو لا يجيد إلا الحفر والتنقيب ، والحمام الزاجل بما عرف عنه من الميل للأسفار الطويلة يماثل المولعين بالرحلات من

بنى الانسان والبلبل بتغريده يؤدى بين الطيور فن الغناء والطير المسمى (ورسيرول) يشبه البوهيميين فى التشرد وعدم الاستقرار فى مكان ، فتراه يوما يعاشر نوع (السكرارى) من العصافير وتجسده فى يوم آخر قريبا من ضحية نحل على أن الطيور لم تحرم من مهرجان ومضحكين إذ يقول الاستاذ (كاثلان) ﴿إن بين العصافير فصيلة زرقاء اللون دأبها الاتيان بحركات بهلوانية مضحكة﴾ ويلحق بذلك ما قرأته أيضا وهو ﴿هجرة الفيران من انجلترا بقيادة فأراعمى﴾

يروى التاريخ كثيرا عن مهاجرة الفيران وانتقالها على شكل قطعان كبيرة من بلد الى آخر وتديرها ماتجده فى طريقها حتى تأتى على الأخضر واليابس ، وقد حدث أخيرا فى انجلترا على أثر نزول الأمطار الغزيرة فى منطقة (لى) أن هاجرت الفيران فى تلك المنطقة فسارت فى طريق (ايدمونتون) صفوفًا متلاصقة يقودها فأراعمى ، وكان لهذه القطعان الثائرة الجائعة منظر يلقى الرعب والجزع ، تخللها المارة وركاب البسكيت حتى الكلاب المعروفة بجرائتها وشجاعتها لم تملك أنفسها من الخوف والتسعى عن الطريق لهذا الجيش الغير وانتهت هذه الهجرة عند غابة شاسعة صادفتها الفيران فى سيرها فتفرقت فى نواحيها ومسارها اه

(سر من أسرار الطاء والسين)

(هذا السر قد تبين يوم السبت (١١) مايو سنة ١٩٣٩ م)

إن هذه السورة قد ذكر الله فيها أمتين من الأمم وهما أمة النمل وأمة الهدد والنمل من دواب الأرض والهدد من أنواع الطير الذى يطير بجناحيه ، أفليس هذا كالتطبيق على آية الأنعام إذ يقول الله تعالى - وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم - فمن دواب الأرض النمل التى تبسم سليمان ضاحكا لما سمع قولها ، ومن الطائر الذى الهدد الذى سأل عنه . إن الله يوقظ المسلمين بهذا فيقول لنا استيقظوا أيها النائمون . هذا نبي من أنبياء بني آدم وهذه أم أمثالكم ولجلالة قدر هذه الأم اهتم لها هذا النبي لا يفاظكم . ألا ترون انها أم أمثالكم والمثلية فى هذا المقام يجب أن تسترعى أسماعكم ، فهل هذه المثلية تمر عليكم مرور النسيم على الخصباء . ألم يأن لكم أن تعرفوا أن دراستها واجبة كدراسة الأم حولكم والأم الإسلامية التى تعيش وتموت وهى جاهلة بنظام الحشرات كالنمل ونظام الطيور كالهدد ونظام أم الأرض الأخرى ولواجبنا مستعدة للطامة الكبرى والذلة والوقوع فى براثن الاستعمار كجاهلت الدولة العباسية أمر أمة التار المجاورة لها أيام (قطب أرسلان) وكما جهل المصريون قدرة الفرنسيين أيام احتلالهم أرضهم كما قد منذ ذلك فكان هلاكم على يديهم - وحاق بهم ما كانوا به يستهزون -

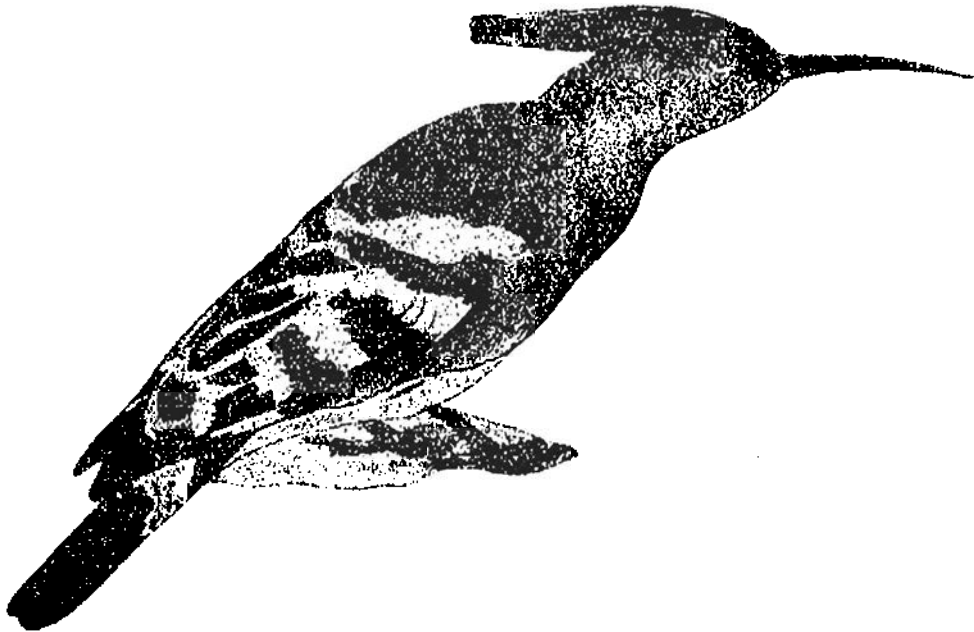
اللهم انك بحرفى الطاء والسين المشيرين للطائر وسليمان قد أيقظت فينا ذكرى جهلنا بعوالم الطير وعوالم الحشرات فقد تقدم قريبا فى ﴿رسالة عين النملة﴾ أن فى أوروبا علما يسمى (أنتومولوجى) أى علم الحشرات فهذا العلم اليوم يدرسه القوم فى أوروبا ونحن نستمد من علومهم كما تقدم (سترى إن شاء الله صورة النمل مع صورة العنكبوت فى سورة العنكبوت للوازنة بينهما)

وأما الطيور التى تفقدها سليمان وخاطب منها الهدد فان الأم حولنا درستها دراسة تامة ، لماذا هذا ؟ لأن حياتنا لاتتم إلا بمعرفة خواصها وأحوالها . ألا ترى الى ما ذكرته لك فى أول سورة يوسف ، إذ ترك بها كتيبه هناك واتى قد كنت مفكرا فى أمر الدودة التى كانت تفنك بالبرسيم والذرة وغيرها واتى كنت أرى (أبا قردان) فى إبان صغرى يأكل هذه الدودة - أكلا لما - وأخذت أجمع آراء الفلاس وأما مدرس بالمدراس الأميرية وكتبت مقالة فى ﴿مجلة الملاحى العباسية﴾ سنة ١٩١٢ م فأصدرت الحكومة بعد ذلك أمرا بعدم صيد (أبى قردان) ثم درس رجال الزراعة بقية الطيور فأصدروا أمرا بتحريم صيدها ، ومنها الهدد الذى

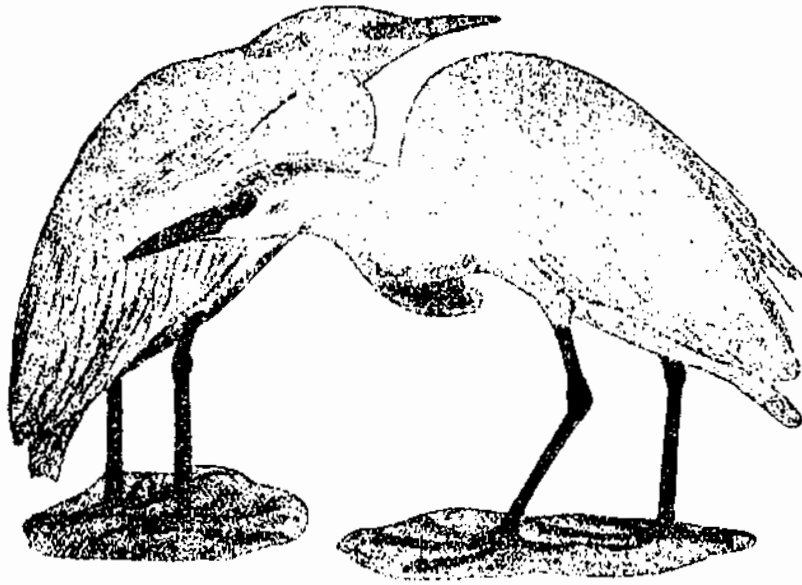
خاطبه سليمان عليه السلام

سبحانك اللهم وبحمدك ، أنت الذي جعلتنا وجعلت الطيور وجعلت الحشرات أمما مشتركة في العمل ، أنت أشركت معنا الهدهد وأبقردان والزقزاق الشامي والزقزاق البلدي وغيرها ، جعلت هذه كلها شركاء لنا في زرعنا أي انها مساعدات لنا على زرعنا . فلولا هذا الهدهد وأبقردان وأنواع من العصافير وغيرها مما تقدم مصورا مشروحا في أول (سورة يوسف) ما تم لنا زرع ولا دريتنا ضرع

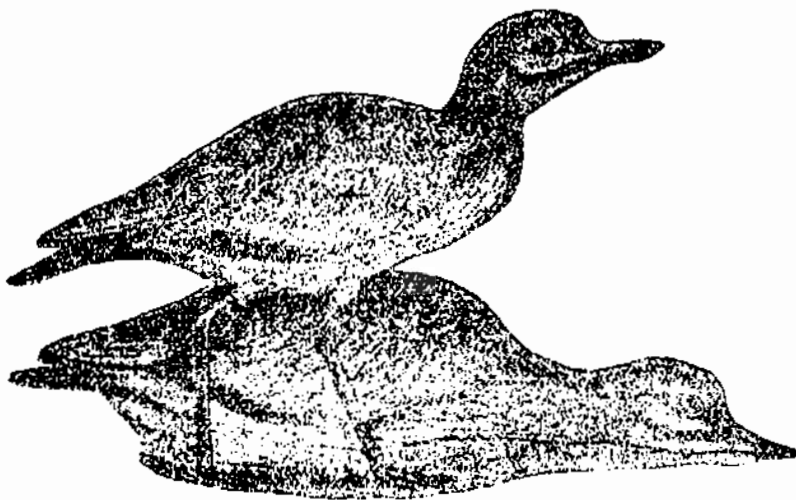
اللهم أنت المحمود على النعم . أنت معلم الجهال ومعلم العلماء . أما العلماء فهم الأمم التي سبقتنا بالعلم وانتفعت بعلم آبائنا وهم الأمم الغربية والأمريكية وأمة اليابان ونحوها . وأما الأمم الجاهلة فهم أكثر المسلمين الحاليين هذه الأمم التي نفرت من العلم وقنعت بالجهل وكذب عليها صغار الشيوخ فرمزت لهم بهذين الحرفين - طس - فأروا الطاء في أول الطير والسين في أول اسم سليمان عليه السلام فاستيقظوا الى علوم الطير وعلوم الحشرات ورأوا أن الهدهد وأبقردان والسكران والزقزاق البلدي (انظر شكل ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥) التي تقدمت هي وغيرها في (سورة يوسف) هي المساعدات للناس في حفظ زرعنا ، وقد منعت حكومتنا المصرية الناس من صيدها لحفظ زرعنا . إذن خطاب سليمان للهدهد إيذان بما فيه وفي أمثاله من المنافع وانه مساعد لنا في حفظ زرعنا لأنه يأكل الدود الآكل لزرعنا ، فله علينا الحفظ والكرامة بل يحرم قتله هو ومأمعه من الطيور لأن قتلها قتل لنا وان لم يتضح بأجلى بيان فيما علمنا إلا فيما كتبناه في هذا التفسير . هنالك عرفنا يا الله حكمة ازال قصص سليمان مع الهدهد وأن له وجميع الطيور شؤنا لاتعرف إلا بالدراسة كما للحشرات وجميع دواب الأرض وأن المسلمين لاحياة لهم اذا جهلوا الأمم حولهم من بني آدم ومن دواب الأرض ومن طير السماء هذا سر من أسرار الطاء والسين والحمد لله رب العالمين



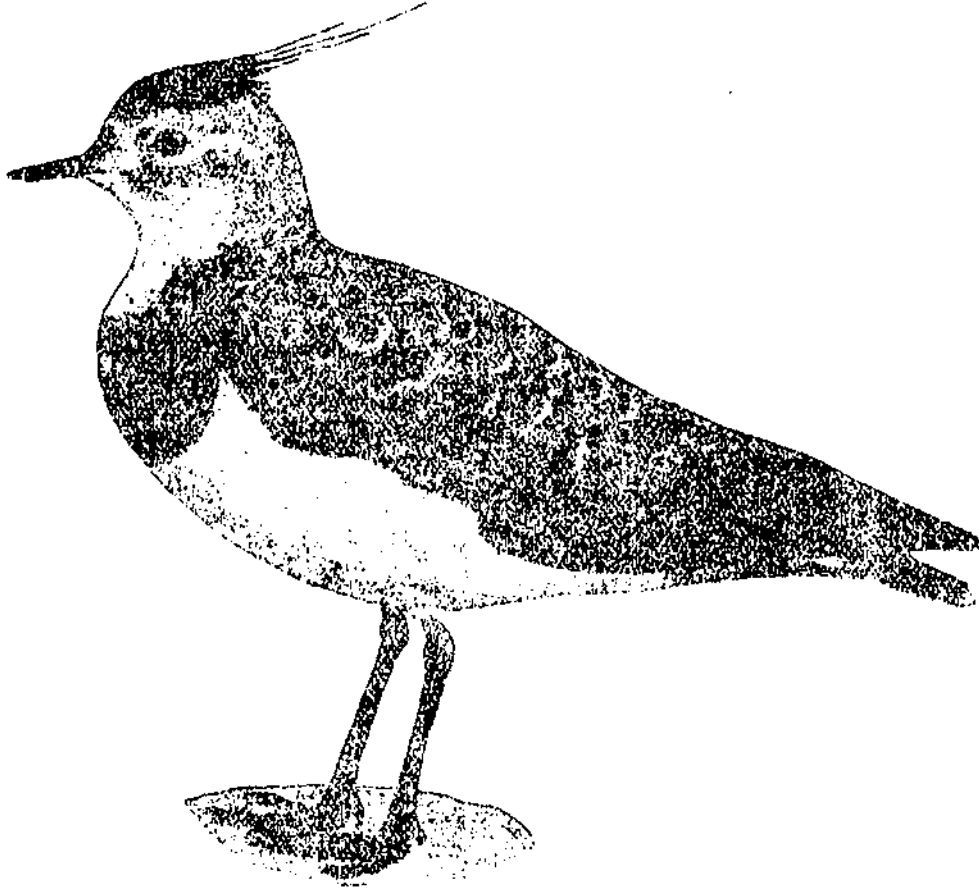
(شكل ٣٢ - صورة الهدهد)



(شكل ٣٣ - صورة أبي قردان)



(شكل ٣٤ - صورة الكروان)



(شكل ٣٥ - صورة الزقراق البلدى)

﴿ تحريم صيد هذه الطيور ﴾

أيها المسلمون هذه الطيور المذكورات هنا مع الهدهد وهي (الكروان والزقراق البلدى وأبوفردان) هذه الأربعة من طيور تبلغ فوق الثلاثين عدا تقدم ذكرها في (سورة طه) هي التي تأكل الدود ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هي تساعدنا في زرعنا ، فهل يليق بالمسلم أن يعيش ويموت وهو لا يعلم ما ينفعه من الطيور وما يضره وتكون حياة الطيور وموتها تابعين للمصادفة العمياء والناس يعيشون بالأعمى ولا يهتمون ولا يكتبون منير هذه الطيور آكلات الدود وبأكلها الدود ينمو زرعنا ونمو زرعنا نعيش وهناك نمد الله ونقوم بالأعمال النافعة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . هل يرضى المسلم أن يكون هو المختص بالجهل دون الأمم . الناس في الشرق والغرب يدرسون هذه الطيور وحكوماتهم النافضة تحرم صيدها ، وأنا أقول إن هذه الطيور مني ثبت نفعها لزرعنا حرم صيدها حتما ، وإذا خالف في هذا مذهب من المذاهب بخلافه هنا يزول متى ثبت ضرر هلاك ذلك الطير . هذه مسألة واحدة من آلاف المسائل في هذه الحياة نام عنها المسلمون قرونا وقرونا جهلا وغفلة عن خطاب سليمان عليه السلام للهدهد اذ اعتبره أمة من الأمم ، وكم في الجوّ وفي الأرض وفي أضواء الكواكب وفي العناصر من علوم قصر فيها المسلمون ناركين قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ... وقوله تعالى - وقل رب زدني علما - انتهى

﴿ من أعجب أسرار الطاء والسين - طس - ما خطر لي ليلة الاثنين ١٣ مايو سنة ١٩٢٩ م ﴾

سبحانك اللهم وبحمدك ، أنت المنعم ، أنت المعلم ، اللهم أيدتنا وعلمتنا فلك الفضل ولك النعمة ولك الحمد جعلت ما بين الطاء والسين علوما وعلوما ، ومنها ما أذكره الآن وهو أن تفقد سليمان للطير وكلامه مع الهدهد

بعد أن سمع كلام الفقه يفتح لنا باب السياسة والعلم على مصرعيه ، ولأذكر من ذلك ﴿أميرين﴾ الأمر الأول ﴿ان الأمم لاتكون اسلامية حقيقية إلا اذا فطنت لعميل الفقه ولعميل الهدد ، أما عمل الفقه فانها حافظت على دولتها من المفاجأة ولومن غير قصد خفرت قومها من سليمان وجنده ، والحق يقال أن الأمم التي لاعيون لها ولاجواسيس تتخلل الأمم كلها فتعرف الخطر فتتوقاه أسقروا من القتل وأولئك أضل من الأنام . فياويح أمة اسلامية تنزلت عن العمل في سياستها بترك الخطر ، ألم يقل الله - خذوا حذركم - وأكد ذلك بأن الفقه حذرت قومها من نبي من أنبياء الله لا يقصد اضرارها ، أما عمل الهدد فانه كشف أحوال أمة أخرى . إذن لابد من ﴿أميرين﴾ محافظة على الدولة وكشف لأحوال الأمم الأخرى والمعلوم ﴿الأمير الثاني﴾ ان مخاطبة الهدد لسليمان كانت بغية الحرية فانه يقول له (وهو ملك ذبحه وتنف ريشه وجبسه واذلاله) - أحطت بما لم تحط به - الخ فهذه الخصلة تدل على حرية نامية ولم ينزل الله هذا إلا ليعلم أهل الأرض قطبة أنه لا يمكن استخراج قوى النفوس الانسانية إلا اذا كانت متمتعة بحرية الرأي كما تمتع الهدد بذلك ، فأما اذا صغرت نفوس الناس من الضبط والذل في أي أمة فان الانسانية العامة يمتريها النقص بمقدار ما فقدت من قوى كانت كامنة في تلك النفوس فخرمت ثمرتها كما أوضحته في كتابي ﴿أين الانسان﴾ وعلى المسلمين أن يعيشوا هذه الحرية ويستخرجوا آراء المسلمين بها ثم يوازنوا عليها في الأرض كلها اه

﴿السلام على الهدد تفصيلا وعلى فن الطيران في عصرنا الحاضر﴾

ذكر الله الهدد وانه أخبر سليمان بما لم يحط به علما ، وهذا فتح لباب فن الطيران وهذا الفن هو سلطان الأمم اليوم ، يا محبا ، هدهد يذكره الله في القرآن ويخبر سليمان وهو نبي بما لم يحط به علما ، فإياك بنا نحن الذين لاعلم عندنا فنحن أحرى أن نهتم على المواصفات يفتنا بكل طريق وسبيل يمكن ومنه فن الطيران إن منشأ فكرة الطيران كانت عند الأمم كلها قديما ، وانى أذكرك أيها الذكر بمصر في سورة المائدة عند ذكر الغراب وابن آدم وأن الهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة والبخار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة ولذلك نرى السحاب يرتفع في أعلى الجوّ ، ولاجرم أن قاعدة (أرشميدس) لها السلطان على هذه العوالم فانك ترى أن الجسم في الماء يخف بمقدار حجمه من نفس الماء ، ومعنى هذا أن الحديد والنحاس والحجارة وغيرها اذا غرست في الماء فقدت من وزنها مقدار حجمها من الماء وعلى ذلك لايعوم السمك على وجه الماء إلا اذا نشخ الكرة الهوائية الداخلة في جسمه حتى يكبر حجمه ويكون وزنه قريبا من مساواة وزن حجمه من الماء فاذا ضغط السمك كرتة الهوائية فخرج الهواء صغره فصار أثقل من مقدار حجمه من الماء فنزل الى أسفل وهذه القاعدة هي التي استخرج العلماء بها الوزن النوعي للأجسام فيقال هذا المعدن وزنه النوعي (٥) أو (١٠) أو (١٣) وهكذا أى انه أثقل مما يساوى حجمه من الماء بهذه المقادير ، وهذه القاعدة نفسها تسرى على ما يطير في الهواء ، فما البالون الآتي ذكره إلا على هذه القاعدة أى أن يكون الحجم الطائر في الهواء أخف منه كما أن السمك يكون أخف من الماء حتى يعوم . إذن هذه قاعدة واحدة في الهواء والماء ولكن النوع الانساني لم يقف عند هذا الحد فقال - كلا - لابد لي أن أقول الطير ، الطير جسمه ثقيل فعلى أن أطير بجسمي الذي هو أثقل من الهواء مئات المرات وعلى أن أدرس الطير في الجوّ وأعلم كيف تمكن من الطيران وجسمه أثقل من الهواء ، ولكم تفزل الشجر وأدخلوا في غزلهم انهم يطيرون الى أحبابهم بأجنحتهم ويقول شاعرهم

أسرب القطا هل من يهـ يـ جناحه * اعلى الى من قد هويت أطير الخ

وتقد ورد في قصة حسن الصائغ المصري وصف الطيران الخيالي بالآثواب والريش وهكذا ، وفي آداب اليونان انهم كانوا يشيرون الى استخدام الأجنحة وتقليد الطير ، وفي الآثار المصرية من صورهم بصورة أناس

ذرى أجنحة ثم انتقل الخيال إلى العمل

(١) ففي القرن السادس عشر حاول رجل إيطالي الطيران فسقط وكسر عظامه ومات

(٢) وفي القرن السابع عشر فعل مثله رجل ألماني مات

(٣) ومثله مستر (كيزفرنسوس) في القرن الثامن عشر فلم ينجح

(٤) ومثله عباس بن فرناس صاحب الصحاح كما هو معلوم

ههنا دخل النوع الانساني في الجذ والعمل بعد الخيال وأخذوا يدرسون الطيور فأول من درس الطيور وحركاتها (بورلي) سنة ١٧١٣ فدرس حركات عدة أنواع من الطيور وعظلاتها الصدرية فأقنى بجهاز الانسان عن الطيران ، ولما تبين للناس من ذلك رجعوا إلى فكرة المناطيد المبنية على نظرية الخفة والقل التي ذكرناها وقنعوا بما نقله (جان بيار بلانشاد) الفرنسي في أواخر القرن الثامن عشر الذي قطع بحر المانش من (دوفر) إلى (كاله) في المنطاد سنة ١٧٨٥ م ولكن الانسان لم يأس من فكرة المشاكة للطيور فقام (إيليا نال) بمحصن قوة الطيور ثانيا فظهر له أن هناك سرا آخر غير قوة العضلات في الطائر وهو أن يحوم الطائر في الجو فإذا قدر الانسان أن يصعد إلى الجو بقوة رافعة وأخذ يحوم فإن ذلك يفتح له باب الطيران ، وذلك بعد أن درس الطيور عشرين سنة ولكنه مع حجة نظريته قد مات ضحية التجارب سنة ١٨٩٦

ومن المعلوم أن الانسان كله أشبه بجسم واحد ، فإذا حصل ؟ تذب هذا العمل الشابان الأمريكيان (ويلبور وأورفيل رايت) وأخذوا يصنعان انطيارة المنبسطة الأجنحة المسيرة بالقوة ويحسنانها حتى سنة ١٩٠٥ فطار أحدهما في الهواء مسافة (٢٤) ميلا في مدة ثمان وثلاثين دقيقة ، فهذا أول النجاح في الطيران

وقد اشترت حكومة الولايات المتحدة « طيارة رايت » بمبلغ ٢٥ ألف دولار للمخترعين معا . هنالك ظهر فن الطيران وشاع في سائر أنحاء العالم فظهر أن طيران الطير في الجو له نظام خاص ، فن الطير ما يجري أولا على الأرض ثم يطير قليلا قليلا ويصعد وذلك لأنه يرفع جناحيه بخلاف المسكان من الهواء فيحل محله هواء آخر مما يحيط به ، فهذا الهواء بهجومه على جناحي الطائر يرفعهما إلى أعلى فإذا أعاد الكرة مرة أخرى ورفع الجناحين زادت قوة الرفع بالهواء الهاجم على الجناحين . إذن سر الطيران راجع لأمر عجيب أي حسن السياسة والنظام لخفض الجناح ورفعها أشبه بالمراوح التي يحرك بها الهواء والهواء بعد الرفع يهجم فيعطى قوة وهذه القوة تضرب طيرين بحجر ، أولا ترفع الطائر بضغطة على الأجنحة إلى أعلى ، وثانيا تدفعه إلى الأمام لأن الهواء الهاجم إنما يأتي من الخلف لأن الطائر حينما يخفض جناحيه يرجع الهواء إلى خلف فإذا رفع الجناح هجم الهواء الخلفي على الجناح بمقدار دفعه ، فهو إذن يرفعه إلى أعلى ويدفعه إلى الأمام معا . إذن يأس الناس من الطيران أولا ناشئ من اعتقادهم أن قوة العضلات هي السبب ونجاحهم ثانيا بسبب ما عرفوه في سنة ١٩٠٠ أن هناك سرا غير القوة الجسمية كالسر الذي عرفوه في البخار وحسن استعماله ، فهنا الارتفاع في الجو والسرعة إلى الأمام جاء معا بالحكمة في استعمال الهواء وحسن النظام الذي وضعه الله في الطير . فلما عرفه الانسان فعل مثل ذلك ولذلك نجد الطيارة يجب أن تجري على الأرض أولا ثم تأخذ في الارتفاع قليلا قليلا بما تفعله محركاتها من الأمام كما تفعله أجنحة الطيور

﴿ الاحتفال بهذين المخترعين في هذه الأيام ﴾

جاء في الأخبار العامة هذه السنة ما يأتي

في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ احتفلوا بمضى (٢٥) سنة على تجربة الأخوين (وابر) و (أورفيل رايت) في فن الطيران . ولد (وابر) المذكور في ١٦ ابريل سنة ١٨٦٧ في بلدة (ملفيل) بولاية (انديانا) من أعمال الولايات المتحدة الأمريكية . وولد أخوه (أورفيل) سنة ١٨٧١ ولما تاملها علوهما الثانوية فتحا دكانا لاصلاح

الدرجات (الجمالات) ثم اعتنينا بأمر الطيران . وفي ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ طار أحدهما بطيارة من صنعهما مسافة ٢٢٠ ذراعاً فلبث في الجو ١٧ ثانية فكان بذلك أول إنسان طار بطيارة أثقل من الهواء . وفي ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ طار (أورفيل) بالقرب من بلدة ديتوت مسافة ٢٤ ميلاً بسرعة ٣٨ ميلاً في الساعة ولكن الأغنياء لم يتقدموا لمساعدتهما بالمال فذهب (ولبر) سنة ١٩٠٨ م إلى فرنسا . وفي ٢١ سبتمبر فاز بجائزة (ميشان) بعد ما طار مسافة (٥٦) ميلاً فذاع صيته حالاً . وفي سنة ١٩٠٩ طار فوق (نيويورك) مسافة ٢١ ميلاً في ٣٣ دقيقة و ٣٤ ثانية . وفي سنة ١٩٠٩ منحهما السككفرس (مجلس الأمة الأمريكية) وساماً ضرب لهما خاصة ثم اشترت الحكومة طيارتهما بستة آلاف جنيهه

وقد توفي (ولبر) سنة ١٩١٢ ولا يزال أخوه (أورفيل) حياً وهو رئيس المهندسين في شركة طيران كبيرة إذن الطيران بالطيارات التي هي أثقل من الهواء ابتداء من سنة ١٩٠٣ في شهر ديسمبر واشتهر في (٢٥) ديسمبر سنة ١٩٢٨ والطيارة الأولى بقيت ١٧ ثانية في الجو والطيارة الآن أي بعد (٢٥) سنة تبقى محلفة في الجو ٦٠ ساعة ، وسرعة الطيران الأولى لا تزيد عن (٣٨) ميلاً في الساعة والآن تبلغ (٣١٩) ميلاً في الساعة وذلك في الطائرة المائية التي ركبها السكبان (دارسي كريج) الانكليزي في نوفمبر سنة ١٩٢٨ إذن الناس من سنة ١٩٠٣ ابتدؤا عصرًا جديدًا ، وينتظر الناس أن يكون الطيران شائعاً سنة ١٩٣٦ ثم إن البلون (غراف ز بلين) بلغ طوله ٧٦٢ قدماً والبلون الانكليزي المنتظر اتمامه طوله ٧٢٠ قدماً ويمكنه أن يجتاز (٩٠٠٠) ميل من غير أن ينزل إلى الأرض وهو يحمل مائة مسافر . والبلون الأمريكي الذي يبنى الآن طوله ٧٨٠ قدماً ويسير في سرعة ٨٥ ميلاً في الساعة ، فالبلونات متقدمة لأنها تستطيع أن تحمل مائة مسافر ، أما الطيارات فلم تصل إليها ، نعم الآن يشتغل مهندس ألماني بعمل طيارة من هذا القبيل ، ويظن الناس اليوم أن زيادة السرعة في الطيران ربما تصل إلى خمسمائة ميل في الساعة بعد أن تدرس طبقات الجو العالية دراسة تامة

اللهم إنا نحمدك على العلم والحكمة التي بها فهمنا قولك في (سورة الملك) - أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير - فهذه الحكمة وهي ردّ الفحل في الهواء وضغطه على الجناحين بعد خفضهما هي الداخلية في قوله تعالى - إنه بكل شيء بصير - فهو الذي أبدع هذا الشكل من الحكمة وأودعه الطير وقلده الإنسان . كل ذلك لمناسبة الهدد الذي جرى من سليمان إلى بلقيس في بلاد العمين والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة في قوله تعالى بعد آية الهدد - الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم - ﴾

من اللطائف البديعة إنني كنت راكباً في قطار السكة الحديدية المتوجه إلى المرح لعل في الحقل فتقابلني رجل من المرح فقال ألاتذكرني . أنا الذي كنت أطلع التفسير مع فلان في بلدة المرح فتذكرته فقال إريد أن أسألك ؟ لم يقول الله - الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم - تارة ويقول تارة أخرى - رب العرش الكريم - فقلت له إن الملك قد يكون عظيم العرش عظيم الملك دولته مشرفة على أمم كثيرة ولكنه غير كريم ، أما الله فانا نشاهد أن ملكه واسع وعرشه عظيم ، ومن طبع الملك العظيم في أهل الأرض أنه يذهل الملك عن تفقد الأمور الصغيرة فليس في قدرة ملك من ملوك الأرض أن يبادر إلى إجابة كل مريض وكل فقير وكل يتيم وكل عجوز وكل أرملة ، بل بكل ذلك إلى نوابه في الأقاليم ، فلو أن الأرض كلها اتسع ملكهم كثرت حاجات الناس إليهم ، وعلى مقدار ذلك يكون ضعفهم عن القيام بها فهذا مستحيل عقلاً وعادة ، فأما الله فانه مع سعة ملكه وعظمته فانه تجلّى لكل امرئ في نفسه فشكا إليه أمره وأغاثه وأعانه وليس ذلك في ظاهره

خشب بل يتجلى له في داخله وقرارة نفسه ويحدثه ويسأله فيجيبه صرة ويؤسسه بل الأجابه صرة أخرى ثم هو يلازمه في الحياة وبعد الموت ولا يفارقه ، ونراه يكون مع الطير ومع الحشرات ومع دواب الثفوات ولا يذر دودة في حجر ولا طيرا على شجر ولا ذنبا في فلاة ولا مخلوقا دقّ أو جلّ إلا وهو معه يناجيه في سرائه وضرائه . فهذا هو الكرم الحقيقي وهذا معنى قوله تعالى في سورة المؤمنين - فتعالى الله الملك الحق - لأن الملك الحق هو الذي يتصف بهذا . إن الملك الحق هو الذي يتفقد رعاياه في سرهم وعلايتهم وهذا بعض السر في قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم - فهذا هو الكرم الحقيقي وهذا هو الملك الحقيقي . أما مالوك الأرض فلكمهم ليس - كما بل مالوكهم مجازيون ، ومن آيات رعايته ودلائلها المشاهدة أن كوكب الشمس تراه النجدة والنحلة والملك والسمك وسائر الأرض والمريخ وبقية السيارات وغيرها كأنها له وحده وكأنها لا تقابل غيره وكذلك القمر . فإذا كانت الشمس التي لا تعقل هذا عملها فكيف بالخالق الحكيم ؟ فهو مع الجميع سرا وبهرا . وإذا كان ابن سينا والفرازي يقولان ﴿ إن ذا العقل الكبير يكلم رجلا ويكتب بيده ويسمع بأذنه رجلا آخر ولا يلهيه واحد من هذه الشؤون عن الآخر ﴾

فهذا فتح باب أن نعرف أن العقول الكبيرة كالملائكة تسع خلائق كثيرة في آن واحد ، فلهذا إذن أوسع وأعلم وهو الحكيم العليم . فإذا سمعت الله يقول في سورة المؤمنين - أخسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون - فهو من هذا الباب لأنه كريم ومن أجل كرمه أنه لما خلقنا لم يرد بذلك مجرد وضعنا في الأرض مدة ثم يهلكنا ، نعم لأخرج على الخلق ولكنه لا يفعل ذلك ويقول لنا اطعوا يا عبادي أنا خلقتكم ووزقتكم وابتليتكم بالنشر والخير وعلمت سرهم وجهركم وحافظت عليكم وأجبت دعاءكم وأنعمت عليكم بنعم لا تحصى ، ولكن أهم من هذا كله أنكم لا تفنون فأنتم تعيشون أبدا سرمدا ، وإذا كنتم أنتم تأفنون أن توصفوا بالعبث فهل أرضى بالعبث في صني ؟ ومن أين انصفتهم بصفة الأثمة من العبث إلا بالفيض من آثار قدرتي وعلمي ، فإذا أنا أبقىكم في دار أخرى وتلك أتى بها بصيغة الاستفهام الإنكارى فقال - أخسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون - ثم وصف نفسه بالعلو والعظمة ووصف عرشه بالكرم وليس من الكرم أن يخلق أرواحنا ثم يهلكها بلا منة ولا منفعة كأنها موج البحار أو هبات النسيم أو خطرات الأوهام ، إذن نحن نرجع لله بعد حين

فلما سمع ذلك الرجل قال هذا كاف واف فقلت الحمد لله رب العالمين . ولما كان ذلك السؤال قبيل طبع هذه السورة ألحقته بها ، وأنا أجد الله على التوفيق . ثم الكلام على اللطيفة الأولى ﴿ اللطيفة الثانية في قول بلقيس - ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون - ﴾

هذه الآية تدل على ما كان عند العرب من أمر الشورى وانها قديمة العهد ، ومن عجب أن الأمة العربية بعد الاسلام في هذه الأجيال القريبة نسيت مجد آبائهم الأقدمين ونسيت مجد الاسلام ، يقول الله - وأمرهم شورى بينهم - وينقل الكتاب عن أسلافنا أن مجالسهم كانت شورى . فيا عجب . لا أخلاق الآباء اتبعنا ولا الدين نهجنا . إن أمة العرب اليوم قد انحلت عراها واختل أمرها ، وأذكر لك حادثة واحدة . ذلك أنه منذ خمسة أعوام وأنا أكتب في تفسير هذه السورة كانت تدور الحرب بين أمير نجد الذي احتل مكة وبين علي بن الحسين الذي هو ملك جدة . فالأول يريد استخراج علي منها والثاني يدافع عنها . وقد حضر وفد ينوب عن مسلمي الهند يحمل تقويضا منهم ليفاض المتحاربين فنع الملك على الوفد من السفر إلى مكة إلى ابن السعود أمير الوهابيين . ولما طلبوا منه أن تكون مكة وبلاد الحجاز محكومة بالقوانين الشورية وبالنظام الدستوري وأن يحكم البلاد مجلس شورى يديره رئيس ويكون أعضاء المجلس بالانتخاب أبى على الوفد ذلك وقال إن البلاد لا يوافقها ذلك . فمتعجب من أمم الاسلام اليوم كيف أصبح بعضها لا يلوى على دين ولا على مجد سابق بل أكثرهم

مستبشون ظالمون . ومن آيات الله أن يجعل الاشراق بعد الظلام وقد بزغ فجر الحرية في الاسلام وتستشرق شمس على الأقطار كلها ، وإذا كان المسلمون اليوم في أدنى درجات الانحطاط بالنسبة لغيرهم فما ذلك إلا علامة على سرعة تبدل الحال - تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة - والصد يقبع ضده فكما يتبع النهار الليل هكذا سيتبع العدل الظلم والرفعة الضعة ومن يعيش يره والله مقلب الليل والنهار انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - فما آتاني الله خير مما آتاكم - ﴾

هذه الآية والآيات السابقة كقوله تعالى - فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني الخ - دلالة على أن نعمة العلم هي كل شيء وهي كل نعمة ، ألا ترى إلى سليمان وقد دعا الله فيما تقدم لما سمع كلام النملة وفرح بالنعمة كيف أخذ بعد ذلك يتفقد الطير ويكلم الهدد وينظر في شأن الملك واسلام الأمم المجاورة له ، انظر كيف ذكر قصة بلقيس وهدها وحضار عرشها بعد أن نال نعمة العلم بجاثب الحيوان كالنمل ، فهو أولا منح نعمة العلم ثم منح نعمة هداية الناس فلاملك إلا بعد العلم ولا هداية للناس إلا بعد العلم ، وانظر كيف يقول بعد حديث النملة - رب أوزعني أن أشكر نعمتك - ويقول بعد أن رأى عرش بلقيس - هذا من فضل ربي ليباركي أشكر أم أكفر - فكم أن الانسان في جميع أحواله مختبر ، فبالعلم مختبر وبالنعم مختبر وبالكرامة الإلهية مختبر والأنبياء بالمعجزات مختبرون وهذا كله من قوة تعالى - ونبيوكم بالشر والخير فتنة - فلا فرق بين نبي ولا مؤمن ولله الأمر من قبل ومن بعد -

﴿ جوهرة في قوله تعالى - إن الملوك إذا دخلوا قرية - الخ مع قوله تعالى - فذلك يوتهم

خاوية بما ظلموا - ﴾

حضر إلى صاحبي العالم الذي اعتاد أن يتحدث مبي في أهم سافى هذا التفسير فقال إن هذه السورة اشتملت على آيتين مرتبتين ترتيبا ذكريا عجيبا . فأولاهما تدل على أن الملوك إذا دخلوا فاتحين بلادا أفسدوها وأذلوا الأعزة فيها وهي قوله تعالى - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - والآية الثانية قوله تعالى - فذلك يوتهم خاوية بما ظلموا - يظهر لي أن ورود هاتين الآيتين من حيث الترتيب مقصود وكأنه يقول سبحانه « إن هؤلاء الظالمين لابد أن تخرب بيوتهم وتصبح خاوية على عروشها » وما أحسن الإفاضة في هذا الموضوع حتى تتجلى الحقيقة ناصية فإن هذا الزمان زمان ظهور الحقائق الواضحة . أما الاجمال فلا يكفي أولى الأبواب . فقلت إن هذا المقام يعوزه البحث في أصل نشأة هذا العالم ونظام ذراته والسير في الموضوع من الذرات إلى الأجسام إلى الأمم بحيث تكون العلوم مستخدمة فيه وهذه سنة في الأسلوب خطرت لي هذه الملاحظة (مساء الأربعاء ٢ يناير سنة ١٩٣٩ م) فقال وما هذا الأسلوب الذي خطر لك . فقلت إن هذا الانسان لم يكن على هذا الخط إلا لما في تركيبه من القبول لهذه التمتع السياسية . فإذا نال التجاذب أطراف الحديث في أصل نشأته ونشأة العوالم التي ركب منها . فقال قل موجزا . فقلت إن الانسان والحيوان مركبان من مادة نارية مضطربة . فقال أريد أن أفهم ما تقول . فقلت قد قدمت في سورة البقرة « يم » يتركب النبات ، ولاجرم أن النبات غذاء الحيوان والنبات والحيوان غذاء الانسان . فتي عرفت العناصر التي تركب منها النبات في (سورة البقرة) أدركت الاضطراب في السياسة وفي النظام الاجتماعي

﴿ مزاج هذه الدنيا محرق ﴾

(١) العناصر محرقة مثل البوتاسا والبوتاسيوم

(٢) المعادن فيها قوة تحكم العناصر

(٣) النبات له نفس تضبطها وهو مختلف باختلافها

(٤) الحيوان كثير الاختلاف والنفس حركات تلك الأحوال الى عواطف

(٥) الانسان ينقل حواسها الى عواطف أعلى

(٦) وهكذا آراء فلاسفته كالناراني وأفلاطون في مدينة

(٧) ثم مجال الأمم المتفاوتة والغالبية

(٨) هو في ذلك لم يرتق عن الحيوان

قال ضاعى ، يا عجبا ، أى مناسبة بين علم السياسة وعلم الكيمياء . إن العناصر المذكورة في سورة البقرة عند آية الطير وإبراهيم تعرف بعلم الكيمياء ولا مناسبة بين هذا العلم وعلم السياسة ونظام الدول . فقلت خير لنا أن لا نطيل وأن نهجم على الموضوع حتى تظهر لك جليسة . قال إذن لتبينها هنا بطريق يخالف طريق ما في (سورة البقرة) بعبارة أوضح لتكون هنا فائدة غريبة ما هنالك . فقلت نعم ، العناصر التي يتركب منها النبات هي النتروجين (الازوت) الذي تتركب منه العضلات في الحيوان . والكربون الذي يتركب منه الدهن في الحيوان أيضا والادروجين الذي يدخل في الماء مع الأكسوجين . فهذه الأربع معروفة في النبات والحيوان . ويضاف إليها (١) البوتاسا (٢) الصودا (٣) الجير (٤) المغنيسيا (٥) حمض الفوسفوريك (٦) حمض الكبريتيك (٧) سليكا (٨) كلور (٩) أوكسيد الحديد ، هذا ما ذكرته هناك (١) البوتاسا من البوتاسيوم وهو معدن أبيض فضي اللون إذا قطع غير أن سطحه يسود سريعا وإذا ألقى في الماء يشتعل بنور بنفسجي وهناك تتكون البوتاسا

(٢) الصودا من الصوديوم وهو معدن فضي اللون لين إذا ألقى في الماء الحار وأحى قليلا يشعل بنور لامع أصفر باقع ، وكل أملاح الصوديوم إذا أشعلت تسكب اللهب لونا أصفر

(٣) الجير هو أوكسيد الكالسيوم والكالسيوم المذكور هو فلز ذو لمعان أصفر يتغير بسرعة في الهواء الرطب إذ يتكون طبقة سنجابية من الكالسيوم على سطحه ، وإذا سخن على صفيحة من البلاتين التهب فيحترق بلهب شديد اللعان وهو يحلل الماء على الدرجة المعتادة . ثم إن أوكسيد الكالسيوم المذكور وهو الجير المعروف يحصله الناس بحرق كربونات الجير في فرن يسمى في مصر (قينة) ويسمى الجير الحى ومتى حصلنا الجير الحى المذكور بالطرق وندّيناه بالماء فإنه يستخن الماء ويسير له بخار ثم يتشقق ويزداد حجما وإذا كان ذلك الماء كافيا استعالت قطع الجير الحى الى مسحوق أبيض يسمونه (الجير المطفأ)

(٤) وأما حمض الفوسفوريك فهو مركب من الفوسفور مع غيره ، والفوسفور (قسمان) : أصفر وأحمر أما الأصفر فهو سريع الاشتعال ولذلك يجب حفظه في الماء لئلا يشتعل من حرارة الهواء الاعتيادية وأما الأحمر فلا يشتعل بسهولة ولذلك يمكن حفظه في الهواء مثل سائر المواد وهو لا يوجد إلا مركبا مع السكس والصخور وهو يكون مع التراب والتراب يدخل النبات والنبات يدخل الحيوان فالفوسفور جزء من عظامها فهو يتكون مع الأكسوجين ويكون فيها حمض الفوسفوريك وعظام الرجل الواحد يستخلص منه خمس رطل فوسفور خالص (٥) المغنيسيا هو مركب المغنسيوم مع الأكسوجين فالمغنسيوم معدن فضي اللون لين قابل لأن يسحب شريطا وخيوطا ولا يكون صرفا في الطبيعة بل مركبا مع أجزاء أخرى مثل المادة الفعمية (الكربون) ومع المادة الرملية (السليكا) والمغنسيوم إذا أشعلناه بهطى نورا لامعا أبيض صافيا . وبخار المغنسيوم أسود وهو يصعد منه بدون احتراق

(٦) حمض الكبريتيك هو مركب من الكبريت مع غيره . والكبريت موجود في الطبيعة صرفا في جوار البراكين وقد يكون مركبا وهو جامد أصفر اللون قسم ذورائحية خاصة سريع الاشتعال وعند الاشتعال يكون غازا قوى الرائحة معطسا خانقا ساما وله ألفة شديدة للعادن . والكبريت يتكون مع الأكسوجين

فيكون حامض السكبريتيك الذي يقال له في التجارة (روح الزاج) الذي يستعمل في الصابون
(٧) والسليكا هي مادة مركبة من السليكون مع الأكسجين والسليكون مادة باورية سوداء ويستعمل
بازالة الأكسجين من السليكا ، والجبر المسى بالكوارتز أودب الملح المتباور انما هو سليكا صرف والرمل
والصخور الرملية كلها سليكا صرف أو مزيج ببعض المواد الأخرى وهكذا بعض الأحجار الكريمة مثل الجشت
والذهب واليشم وهو الجبر اليماني والعقيق والياقوت وتجر الصوان والخلخيدوني سليكا ، وأنواع الرمل الملونة
سليكا ملونة بأوكسيد الحديد أو مواد أخرى وهو موجود في قشر جميع أنواع القصب والخيزران وسوق الحبوب
والخشائن وذلك بسبب ابناء حروف السكاكين بها ، والسليكا موجود في أكثر المياه الطبيعية في حال التوازن
وبكثر في مياه الينابيع الحارة في (سيلانده) والزجاج والخزف الصيني والفخار والآجر سليكات ، والزجاج
يصنع باجاء مزيج من الرمل الأبيض (السليكا) والكلس أو الصودا أو البوتاسا مع أوكسيد الرصاص
(٨) أما الكور وهو (الكورين) فهو لا يكون سوا في الطبيعة ويكون فيها مركبا من الصوديوم
وهو ملح الطعام ، والكور الذي هو الجزء منهم للملح غار مغطس لونه مصفر مخضر رائحته مفعطة خائفة يحدث
سعالا شديدا وهو سام

(٩) أما أوكسيد الحديد فهو الأكسجين متحدا بالحديد والحديد قليل جدا في النبات وهو معروف
فلا نطيل به

فلما سمع صاحبي ذلك قل هذا من علم الكيمياء وقد أطلت فيه واني أناف أن قراء هذا التفسير تنبؤ
طباعهم مع علمي بأنك تحاشيت في هذا المقام أن تأتي بما يصيب من اوصاف هذه العناصر ونحن الآن في
تفسير آيتين من كتاب الله تعالى آية - إن المالك إذا دخلوا قرية أفسدها - آية - فتلك بيوتهم خاوية
بما ظاهروا - . إن هذا المقام يحتاج الى الحصر وجمع المقام بحيث تكون هذه الكيمياء منسجمة مع ما
سيأتي بعدها ويكون الموضوع هيئة واحدة لا انفصام لها حتى تأخذ بجميع القلوب لأن هذا المقام حقيقة
غريب واذا انتظم شمله والتأمت أطرافه واستوفيت تفاصيله سرى في العقول الانسانية كلها لا الاستلامية
وحدها وحصلت به فكرة نافعة لهذا العالم الانساني . فقلت له إن الأمر في هذا المقام سهل فننا نقول إن
جميع النباتات مركبات من هذه التسعة ومثلها الحيوان والانسان لأن هذين على مقتضى النبات ، فاذا رأيت
الذرة والقمح والشعير والقطن والبرسيم وأمثالها فاعلم انما ليس بالظن أن أزهارها وأوراقها وأغصانها وعروقها
الضاربة في الأرض كلها مركبات من هذه العناصر

(١) فستحضر أمامك قطعة من البوتاسا إن هذه البوتاسا منها ما يسمى بالبوتاسا السكاوية ومحاولها
يستعمل في تحضير الصابون اللين أي (الصابون البوتاسي) وانظر كيف يشتعل إذا ألقى في النار ، فهذا جسم
ناري لا غير

(٢) وأحضر أيضا قطعة من الملح فان فيها السكور وهي المادة المفعطة وفيها الصوديوم وهي المادة المحرقة

(٣) وقطعة من الجبر الخي

(٤) والعيسدان الفسفورية التي يوقد بها الناس إذ تلتهب بالحك ، قد جعل الفوسفور متحدا مع مادة
أخرى في أعلى العود وبه يكون الانتهاب

(٥) وقطعة من السكبريت الذي تقدم لك رصفه

(٦) وقطعة صخر رملية

إذا جمعت هذه أمامك فقل إن أمامي كل نبات وكل حيوان ، ما على النباتات على الأرض ؟ هي مواد محرقة
مواد كلها مهلكة . انهم إنك أنت الحكيم وأنت العليم وأنت الجليل . يا الله رأينا جلالك في الدنيا قبل الموت

رأينا في هذه المادة حكمتهك وبهائلك . لماذا هذا ؟ لأنك صنعت قطننا وذرتنا وقمحنا من مواد محرقة ، ولماذا كانت محرقة مهلكة ؟ لأنها مخلوقة وسائر العناصر التي تبلغ ثمن (٨٠) من ذرات ضوئية وهي إلا نقطة تسمى (الكثونا) تكون في المركز ثابتة وهي كهرباء موجبة وأخرى تدور حولها وهي تسمى بروتونا وهي كهرباء سالبة وتدور السالبة حول الموجبة ستة آلاف مليون مليون مرة في الثانية الواحدة وباختلاف عدد الإلكترونات والبروتونات تكون هذه صوديوم وهذه كبريت وهذه فوسفور وهكذا

اتضح الأمر وظهر وعرفنا أن هذه القطع التي أمامنا الآن وفيها ملح الطعام المشتمل على جسمين مهلكين وفيها البوتاسا الخ كلها عبارة عن كهرباء اختلقت أجزاؤها فاختلقت أوصافها فكانت النتيجة أنها جميعها مواد محرقة ؟ لماذا لأنها مركبات من كهرباء أو من نور الحركة السريعة والحركة توجب الحرارة والحرارة تكون كهرباء وتكون نورا وهكذا

إن من الأجسام الداخلة في النباتات الكبريت والكبريت يتربك البارود منه ومن ملح البارود ومن الفحم ، فن ملح البارود ٧٨ في المائة ومن الكبريت عشرة ومن الفحم ١٢ إذن البارود دخل في تركيبه الكبريت ، ذلك الكبريت الذي دخل في النبات كما سيأتي وصفه . ومقادير أجزاء البارود عند الدول الآتية ما يأتي بيانه

	فرنسا	ألمانيا	انجلترا
ملح البارود	٧٥ر٠٠	٧٤ر٠٠	٧٦ر٠٠
كبريت	١٣ر٥٠	١٠ر٠٠	١٠ر٠٠
خم	١٢ر٥٠	١٦ر٠٠	١٤ر٠٠

هذا تركيب البارود عند هذه الأمم . إذن الكبريت الذي دخل في القطن وفي القمح وفي الذرة وفي البرسيم دخل في البارود . المادة التي تربك منها غذاء الانسان وغذاء الحيوان نار مشتعلة فكيف اطعمت هذه النار وكيف سكنت ، وما الذي أسكن هذه النار وأقرها حتى أصبحت طعاما لنا وشربا وفاكهة وأبا متاعا لنا ولأنعامنا ثم كيف تكون هذه الأرض نارا ملتهبة أو كهرباء مذبذبة وتصيح مخضرة وكيف تكون حركات ذراتها ستة آلاف مليون مليون مرة في الثانية فما الذي كسر تلك الحرارة وأجدها وبثها فانتقلت حالا إلى عناصر فيها تلك الخواص المحرقة ؟ ما الذي أخذ تلك النار المتقدة . إن خواص السكر وخواص الصوديوم وخواص البوتاسيوم وخواص الكبريت كلها ترجع إلى الحرارة والاستراق ولكن هذه بالنسبة لحرارة الكهرباء في ذراتها قليلة أنها محرقة جدا فإن الحركة السريعة فيها أعظم والحركة تتبعها الحرارة . أما الجواب على ذلك فانه يظهر لي أن هذه العناصر فيها قوة من عالم آخر غير العالم الأرضي سكنتها فأخضعت تلك الذرات المشتعلات على القوة الموجبة والقوة السالبة الكبريت وهذه القوة نسميها نفسا معدنية وبها حفظت تلك الحركات وانقلبت إلى خواص عرفناها في الصوديوم والبوتاسيوم والفوسفور والكبريت . ثم إن هذه العناصر أيضا دخلت في النبات

الكلام على النبات

فانظر إلى (البوتاسا) فهي في شعر القطن (٥٥٠ر) في المائة وفي بذره (٣٣٣ر) في المائة وفي خشبه (٣٣٩ر) في المائة . وقد دخلت في عود القمح (٣٣٩ر) في المائة وفي حبه (٣١٥ر٤) في المائة وفي تنه (١٥٦٤ر) في المائة . وهكذا بقية العناصر لها نسبها كلها مذكورات في (سورة البقرة) فارجع إليها عند الطير وإبراهيم . فإذا قرأت هذا الموضوع هناك وضممته إلى ما هنا عرفت أن مطعوم الانسان والحيوان عبارة عن هذه القطع التي أحضرتها أمامك الآن وأكثرها محرقة مهلكة . فبالت شعري ما الذي قلب وضعها والجواب على ذلك ؟ أن هناك نفسا نباتية كنا فيها نحى نغدها أقل من النفس الحيوانية ولكن الكشف

الذي تقدم في (سورة الطح) على يد عالم هندي أبرز لنا أن النبات يحسن ويتعزك فبناء عليه أصبحنا نجيب من كبرياء موجبة ومالبة اختلافت مقادير جزئياتها وحركاتها فأعطينا عينا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا أعنى أنها في المعادن ، أعطتنا فوسفورا محرقا وكبريتا محرقا وبوتاسيوما كذبات وان تنوعت الصفات وهما ارتقت في الاعطاء فانها أعطتنا الغذاء كالبر والفاكهة كالتفاح والسواء (كالسنامكي والخروع) والماء كشجرة تسمى (الساتوره) والسام والمختر كالأفيون عند كثرتة أو عند قننه ، وأعطتنا الحلو والحامض والمزوالحر يف ، وأعطتنا ما لا يتناهى من العجائب والحكم مما لا يحصره العقل ، وبأيت شعري من أين جاءنا ذلك الذي سميناها نفسا هنا في المعدن وفي النبات . فقال صاحبها انها كامنسة في المادة ككون ماء الورد في الورد . فقلت وإذا كانت هذه التي سميناها نفسا نباتية ومقابلها التي سميناها نفسا معدنية انما ظهرت بعد السكون في تلك الذرات السكر بانية فلماذا لم تبرز أرضنا حرارة كحرارة الشمس وتستغنى عن حرارة الشمس ؟ إن أرضنا لانال حياة الحيوان ولا تنمو لنبات إلا بماء وحرارة ولكن الحرارة تأتي من الشمس والنجوم لا من الأرض والماء يستحيل حصوله إلا بضوء الشمس المثير البخار المجري للهواء الحامل للسحاب المطر على الأرض الجارية بسببه الأنهار فلانهر ولا سحاب ولا رياح إلا بالشمس . وإذا احتاجت أرضنا الى (أمريين) وهما اصلاح الظواهر بالحرارة واصلاح البواطن بنفس مدبرة ورأينا انها عجزت عن اصلاح أسهل الأمرين وهو ظواهر الأجسام بالانضاج فن باب أولى تجز الأرض عن أن تضم بين جوانحها أعظم الأمرين وهي النفوس المدبرة فثبت بهذا البرهان أن المادة ليست فيها نفوس مطلقا لانياتية ولا حيوانية ولا ماسميناها نفوسا معدنية لأنها محتاجة جدا للاحتياج الى حرارة الشمس ولاصلاح ما عليها من حيث ظاهره . إذن للنبات نفوس جاءت من عوالم أخرى تجهلها كل الجهل وهذه النفوس المجهولة لذا كل الجهل تحل في النبات عند استيفاء شرط الانبات وتعدل تلك الذرات وتستخرج بها وفيها أفانين الصور والأشكال والثمار البهية

(الذرات في عالم الحيوان)

ثم اذا وجهنا نظرنا لبقاء الحيوان ألفيناه مركبا مما تركب منه النبات لأنه غذاؤه وحكم المركب حكم أجزائه فهذه البوتاسا وهذه الصودا وماعطف عليها كلها داخلات في أجسام الحيوان ولقد أتت بالهجب العجيب فيه أكثر مما في النبات . فاذا رأينا الكبريت قد دخل في البارود (بارود الحرب) غير ما تقدم مع الفحم وملح البارود بهيئة خاصة بحيث يكون نقييا مع خم نباتي خاص فهناك يأتي بالمقصود من الحرب وهكذا اذا رأينا أى الكبريت مع أخويه مستهلا في المخالط المضيق والمفرقة والحرقه في الحرب وفي السوارخ التي جعلت لاحراق مراد العدو القابلة للاحتراق بترتيب غير ما تقدم وأجزاء بحيث تختلف عما قبلها فتكون ثلاثة أجزاء من البارود المحجب (٤) من البارود الترابي و (٢٨) من الكبريت وطهب هذا الساروخ يكون متساويا . واذا أريد بالسوارخ إشارة الأماكن لتري ايلا يكون من ملح البارود (٨) أجزاء والكبريت (٢) ومن الأتيمون جزء واحد والضوء إذن يكون شديدا . وقد تظهر السوارخ بهيئة مطرفة هذه تكون بأجزاء بهيئة غير ما تقدم . واذا نظرنا الى نفس الكبريت الذي جهناه مثلا هنا في النبات واقصرنا على القطن ألفيناه كما تقدم داخل في شجره بهيئة متض الكبريتيك نحو (٨) في المائة تقريبا في بذره (٢) في المائة وفي الخشب (٥) في المائة . إذن الكبريت الذي أعان على أنواع البارود والسوارخ وكشف الأماكن واحراق العدو هاهوذا أعان في النبات أى في القطن خاصة على حصول شعر القطن . ذلك الشعر المركب من شعرات هي أنابيب مفرطحات مركبات من مادة (سليولوز) وهذا الشعر مخلوط بحامض النتريك و بحامض الكبريتيك يكون هو قطن البارود الذي اذا سخن احترق بحيث لا يترك فضلا وهذه المادة جعلت مع مواد أخرى وصبت في قوالب فصار مفرقات فالكبريت كما دخل في المفرقات المعدنية دخل في المركبات النباتية

﴿ الحيوان ﴾

ثم انه هو جميع المواد الأخرى يدخل في جسم الحيوان . إن الحيوان يقتدى بالنبات ويتشاكل ويعمل بمادته فيحصل هناك تنوع لا يحصى له ، فيبينها نرى الخلية السامة المتغذية بالمواد العفنة والأسد الضاري المفتدى بلحم الحيوان والفرد الطيور المسكاسة نرى أنعاما ودواب وطيورا مفردة سارة وأخرى مرقشة الصور جميلة الهيئة متقنة الأجسام ونرى الحيتان والبحر والبر ملئت أنواعا يتخلفها الله وكلها مختلفات الصور والادراكات والأعمال والأمكنة والأغذية وهكذا . كل هذه لم تخرج عن كونها مركبات من المواد المحرقات المتقدمة ، وهنا يرد نفس السؤال المتقدم : لم أصبحت المادة الكهر بائية التي هي السكترونات (كهر بائية موجبة) وبروتونات (كهر بائية سالبة) تجري حول الأولى ، أقول لم أصبحت هذه في السوديوم حرارة وفي النبات أغذية وأدوية ثم أصبحت في الحيوان اليوم حسا وحركة وحياة وتعقلا لامور المعاش وأجهزة للفكر كوت داخلية في جسمه منها يستخرج نسجه الذي يستعمله لاصطياد الحشرات كالذباب مثلا وفي النحل لاصطناع العسل وحفظ الولد ونظام الجمهورية وفي حيوان المرجان لاحداث جزائر وجزائر تهت بعشرات الآلاف في البحر (انظر صور جزائره في آخر سورة الفرقان فيما تقدم) وهكذا كيف انقلب تلك الحركات الذرية الضوئية الكهر بائية اتحادا بين أنواع الذرات المسكرو سكر بية المحدثه للجندري وللحمى فتعاونت تلك الحيوانات التي لا ترى على اهلاك نوع الانسان أو أنواع أخرى كالخيل والأنعام وهكذا . أقول ﴿ والجواب على ذلك ﴾ عين الجواب المتقدم في النبات . ان الأرض والمواد التي فيها ليس عندها شئ كامن فيها يصنع هذه الحجاب كالقوى الخفية في أدمغة الخيل التي بها تعرف الطرق والمسالك وتحيط بها علما يقصر عنه الانسان ، واذا كانت أرضنا كما تقدم لم تجد في عناصرها حرارة تغنيها عن حرارة الشمس للحياة ولا ضياء ينير السبل فكيف قدرت هذه المواد أن تحدث لنا نفوسا ذكية تعطي حيواننا الأمرين مع نظام تركيبه وهدايته الى معاشه وإلى سبله في حياته ، فاذا كانت الأرض عجرت عما به الاضاء والانضاج فما أعجزها وأضعفها عن أن تأتي لنا بالقوة النامية الحيوانية والادراك والتدبير ومعرفة الطرق وتربية الذرية . كلا . ثم كلا . إن هناك نفوسا ليست من هذه المادة رفعت القوة التي في العناصر فتوالت حرارتها التي كانت محركة في الكبريت ومفرقة في القطن الى حس في الحيوان وتبصر فيه وادراك وهداية بالنجوم والشمس والقمر

﴿ الانسان ﴾

ههنا نأتى الى عالم الانسان ونقول فيه ما قلنا في الحيوان ولسكننا نرى فيه عجائب لا تحصى ، ففيه الأنبياء والحكماء والملوك وفيه النصابون واللصوص والسفاكون ، أقول لا غرابة فادته معروفة ، إياك أن تنسى أنه هو نفسه فوسفور وماء فهو كالنبات وكالمفرقات المتقدمة ، فهذه النفس التي دخلته من عالم أعلى من عالمنا يجب أن تكون على شاكله الجسم ، ذلك لأن الطرف يلازم المظروف كما ان الصدف ملائم للجوهر فيه ، هنالك يظهر لك لم كان البون بين الناس عظيما ، فهذا ملك وهذا شيطان ، ذلك لأن الاختلاف في الانسان أعظم من الاختلاف في الحيوان وفي الحيوان أعظم من الاختلاف في النبات وفي النبات أعظم من الاختلاف في المعادن إن المسافة هنا شاسعة جدا فان نفوس الحالة في الأبدان إما أن تغلب هي فتقلب القوى الهائلة في الذرات التي هلمت انها كهر باء كلها الى منافع وفضائل . وان غلبت قوى الذرات أنزلت النفس الى مراتبها وغلبت طباعها إن بين نفوسنا وبين المادة مشاكسة . إن المادة كهر باء قد دعت بها فدخلتها فحبست فيها وأخذت تسبى طوعا أو كرها . وهامى ذه تجاهد وقد حوت تلك القوى المادية المهلكة الى حس وحركة وخيال وقوة مفكرة وقوة حافظة وأخذ العالم ينطبع في قوى هذه النفس انطبعا وكأنها نور أشرق من لدن الحضرة الإلهية . ولما

نزل الى الأرض وغمرته المادة أخذ يتطلع كرة أخرى الى الملاء الأدنى فظهرت في لوحة نفسه صور السموات والأرضين على مشاكلة طبعه الإلهي الذي نسيه فهو من نور إلهي ، وهنا يقع التفاضل ، فالنفوس الضعيفة تنصوّر العالم كله اجالا ولكنها لا تمير هذا التصوّر الفاتما ولا تعقله بل تهملها والنفوس الكبيرة تعلم علما ليس بالظن أن هذه القوة والقدرة خلقت فينا لندرس بها هذا الوجود والادلهما إذا زارها حاضرة عندنا ولماذا زارنا في عذاب واصب في هذه الأرض لراحة لنا ، كل ذلك لنعلم اننا مخافون لعالم أعلى ولن ندركه إلا اذا عرفنا قيمة أنفسنا التي لا تقفنا تذكرنا بمجدنا الأئيل وعلمنا الرفيع وشرفنا الأعلى

ها هو ذا الانسان هو المركب من تلك العناصر المحركة والنفس الحائلة فيه ليست من هذا العالم بما قدمنا من البرهان لأن هذا العالم الأرضي لم يقدر أن يستغنى بضوء نفسه فهو عن ضوء العقل أعجز . إذن نفوسنا من السموات أي من عوالم أشرف من الأرض . هذا هو البرهان الذي اطمأنت له نفسي . هذا هو البرهان الذي أنبى عليه ما يأتي

﴿ أولاً ﴾ أذكر نظام الانسان في مدينته

﴿ ثانيا ﴾ أتبعه بغاية ما وصل اليه بعقله وذكاؤه في اجتماعه وسياسته

﴿ ثالثا ﴾ أذكر كيف كانت الأمم المغلوبة لغيرها يسرع اليها الفناء

﴿ رابعا ﴾ أذكر أن الأمم الغالبة تلعنهم في ذلك مع ذكر شواهد التاريخ

﴿ خامسا ﴾ أبين أن الانسان في ذلك لم يبلغ شأوا الحيوان في الابداع حتى انه يحجز عن أن يصنع ما صنعه

المرجان من أحداث أرض تنفع الانسان والحيوان

﴿ سادسا ﴾ أتبع ذلك بخطاب عام للأمم الاسلامية كلها شرقا وغربا

كل ذلك تفسير لمائتين الآيتين - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ وقوله تعالى - فتلك بيومهم ظاوية بما ظلموا - فهنا إذن ﴿ ستة أمور ﴾

﴿ الأمر الأول في ذكر نظام الانسان في مدينته ﴾

(سياسات الانسان)

هل لك أيها الذكي أن أسمعك كلام العلامة الفارابي الذي خصته في كتب كثيرة مثل كتاب ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ أذكر لك الآن ما ملخصه ﴿ ان من الناس من قالوا انما الحياة هي اللذات فمكفوا عليها وتركوا ما وراءها وهؤلاء يسمون ذوى الحياة الحسية ، وآخرون يقولون إن المداير في الحياة على الكرامة فلهنحش على السكرامة والمعظمة لأن المقصود من الحياة ذلك ، وآخرون يرون أن الحياة يجب أن تكون بالغلبة فيفعلون فعل الاسود والنمور وآخرون قالوا إن الانسان مدني بالطبع وهؤلاء انقسموا ﴿ قسمين ﴾ قسم مدينته فاضلة وقسم مدينته فاسقة فأهل المدينة الفاسقة هم (١) إما اجتمعوا بطريق النسب والعصبية وغلبوا غيرهم (٢) أو بطريق اللغة فأهل اللغة الواحدة يستعبدون سواهم (٣) وأما بالوطن فأهل الوطن الواحد يستعبدون سواهم (٤) وأما بالدين فأهل الدين الواحد يذلون سواهم ويدسونهم (٥) وأما بالعاهدة فالسول المتعاهدة المتعاهدة تستعبد غيرها (٦) وأما بالمصاهرة فالأهم التي يتصاهر ملوكها أو ذوا الأمر فيها يكونون عوناً على من سواهم (٧) وأما بالاستعباد فالأمة تستعبد أخرى وهما معا يستعبدان أخرى وهكذا (٨) وأما بملك جامع يجمعهم فيكونون حرباً على من سواهم

هذه هي التي ذكرها الفارابي في كتاب ﴿ أهل المدينة الفاضلة ﴾ وجعل هؤلاء كلهم أهل مدينة فاسقة خارجة عن الحق ، وإياك أن تظن أن الاجتماع الذي اجتمعوا المسلمون من هذه المدينة الفاسقة لأن المسلمين الأولين كانوا يعرفون لماذا يخضعون الأمم ، كانوا يخضعونها لرابطة الانسانية الدينية وليعلموهم فلما انحطت

مدارك المسلمين نسوا أن الفتوح للدين ولرفق الأمم فأذلوا الأمم فطردهم الله من ديارهم ، هذه آراء أهل المدينة الفاسقة في نظر الفارابي ، وعلى هذا القول تكون الأمم المعاصرة لنا كلها فاسقة لأنها اجتمعت بالوطن والعصبية أو بالمعاهدة فانك ترى أن الانكياز تعاهدوا مع اليابان على الروسية سابقا فهزموها فهذه غلبة بالمعاهدة وكذلك اجتمعت أوروبا سابقا أيام حرب (البوكسر) في الصين على حرب هذه الأمة ولم تنل أوروبا بكها منها حظها وهامى ذه الآن غلبت أوروبا كلها . والمقصود من هذا المقال أن الأمم الحالية في رأى العلامة الفارابي فاسقة وذلك أنها ليست تراعى إلا أنفسها وتريد الخير الخاص مع اذلال غيرها واهلاكهم ، وهذه الخصلة بعينها هي التي كانت في نفس المادة لأنك علمت أن المواد المعدنية الداخلة في النبات وطباعها نارية وهذه الطبيعة النارية هذبها أولا القوة المعدنية ثم القوة النباتية ثم القوة الحيوانية ، فاما جاء الانسان بقيت فيه طبائع النار وهما هودا آخذ بالتهذيب شيئا فشيئا ، ههنا أفق وقفة لأنظر معك أيها الذكي . لقد تبين من هذا كله أن الانسان الحالي لا تزال فيه طبيعة النار المتقدة وهذه النفس التي نزلت من السماء وهبطت الى الأرض ودخلت هذه الهياكل الجثمانية لم تنل طبائعها تقترب من طباع الآساد وطباع الكهريت والفسفور والكور ، إن المادة أشبه بجهم فهسي جهنم الصغرى والله كونهما بهندسة ونظام دقيق قد استبان لك في دقة الحساب إذ يدخل المنتصر الواحد في أنواع من النبات بأوزان تختلف باختلاف النبات كالبرسيم وكافهمج وكالقطن فتري ذلك في (سورة البقرة) في الجدول هناك عند آية الطير وبرايم إذ يكون الوزن مختلفا باختلاف النبات ولولا هذا الوزن لم يكن قطن نلبسه ولا برنأ نأكله ولا برسيم تأكله الثواب ، فالحساب في ذرات هذه كلها جار بلاخطأ ولوحصل أى اختلاف في الحساب لم تمكن هذه الحياة ولا هؤلاء الأحياء . إذن الله فعل مع المادة التي نعيش فيها مشا مسيما مع النار يوم القيامة . إن الجبار يضع قدمه في النار (كما في الحديث) فتقول قط قط . فها هو ذا سبحانه وضع النفوس المعدنية والنباتية والحيوانية فانتظمت أحوالها . ولقد هذبت هذه المادة تهديبا حسنا وسارت سيرا مستقيما بسبب حساب النرات الذي هو أوفق لهذه النفوس التي نزلت للأرض من عوالم أخرى ، فأنه على صراطه مستقيم قال تعالى . وأن هذا صراطي مستقيما فاتبهوه - الخ وقال - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ولا جرم أن الدواب والنبات كلها موزونات ذراتها بوزن لا عوج فيه ولولا ذلك ما عاشت ولا نما الحيوان ولا النبات ولا وجد في الأرض ، ويقال في الصراط « انه أدق من الشعرة وأحد من السيف » وصراط الله كذلك لأنه لولا هذا الحساب ما كان حي - ولذلك ذكره عقب ذكر الدواب ونحن نقول - اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم - وصراط الذين أنعم عليهم هو صراط الله وصراط الله هو الذي عرفته في نظام هذا الوجود . إذن وصلنا الى المقصود . هذه أرواح بنى آدم جاءت الى الأرض وجعلهم خلفاء أرضه . لم يجعل الله عقولنا كعقول الحيوان بل فتح لنا باب الفكر وقال انظروا فنظر الفارابي هذا النظر في نوع الانسان وقال انهم فساق ، ثم أذكر آراء العلامة الفارابي في سياسة الانسان

﴿ أهل المدينة الفاضلة ﴾

وقد ذكرت هذا المقال في مواضع من هذا التفسير وأنا أجله هنا الآن . فاس مجموع الأمة على نظام الجسم الانساني وأخذ يشرح الجسم كالأعضاء وأعصاب حس وأعصاب حركة ويتكلم على أعضاء الهضم وأن الفم يخدم المعدة والمعدة تخدم الأمعاء وهكذا ويلخص كل ذلك في أن الأعضاء منها خادم ومخدوم والقلب كالوزن للدماغ وهو مجلس القوة الحاكمة واستنتج من ذلك كله أن كلا من أبناء الأمة يوضع في مركزه الذي استعد له فكما استعدت العين للابصار والأذن للسمع والمعدة للهضم والدماغ للتفكير هكذا يجب أن يكون أرباب الرأي هم الحكام وأرباب القوة هم الجيوش وهكذا ، وأبان أن التركيب إذا اختل اختلت المدينة وصارت فاسقة ، ويرى أيضا أن أهل الأرض كلهم يجب أن ترتب دولهم على هذا المبدأ بحيث تكون كل

دولة في مركزها الخاص بها اقتصادا وعمالا ويسبغ الناس كلهم أمة واحدة فان خالفوا ذلك كانوا فاسقا ولكنهم لم يوضح تعليمهم العام بل تركه لمن يفهم ذلك بعده ، وأنت ترى أن آراءه تستمد من نفس الطبيعة وتنحصر النحور الذي أثبتته لك في هذا المقام

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الذي ألهمت الحكماء فعبروا عن صراطك المستقيم بما شاهدوه في عملك ، قاس الفارابي نظام الآلة على نظام الجسم الانساني وهكذا جميع الأمم وان كان قوله اجاليا ، وأنا قلت هنا انك أنت أخضعت المادة بالنفوس التي أتراتها الى الأرض وهذه النفوس من النور الذي أبدعته فنفسنا نور إلهي ولذلك يسمونها بالجزء الإلهي فينا ، ونحن الآن لم نصل الى الدرجة التي بها نسعد في الحياة لأنك أنت على صراط مستقيم ونحن لم نسر على صراطك الذي تقوله كل صباح - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم - ومن أعظم المنعم عليهم أولئك الذين تكون مدينتهم على هذا النمط ويكونون في السلام الذي نقوله في التشهد ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ وأنت تقول لنا - ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها - ونقول لنا - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - فجعلنا الدار الآخرة مرتبة على عدم العلو في الأرض وعدم الفساد فيها ، فقولنا في الصلاة ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ تدخل فيه تلك الحال التي يكون الناس فيها أمة واحدة إذ يكونون مصلحين في الأرض غير مفسدين وهم منعم عليهم لا يريدون العلو بل يكون الملك والعرش للنفعة العامة وخدمة المجموع لا للأغراض الخاصة التي هي شأن أم الأرض قاطبة اليوم

أنا قلت لك ان العلامة الفارابي لم يبين تعليم الأمم ولم يفصله ولكن الذي تعرض للتعليم هو أفلاطون في جمهوريته التي جعلها على لسان (سقراط) أستاذنا فأنا أورد جملا منها الآن ثم أتبعه بما أراه في زماننا ﴿ آراء أفلاطون في سياسة الانسان ﴾

ذكر أفلاطون في المقالة الخامسة من جمهوريته أن التعليم لا يختص بالرجال بل يعم الرجال والنساء معا وقال إن التفاوت بين الرجل والمرأة راجع للتفاوت في التعليم وبذلك يشارك الرجال في الحرب والوظائف المدنية ويتعلمن الموسيقى والرياضة البدنية كالرجال سواء بسواء ، وهنا ذكر كلاما لا ينبغي لأنه لا يوافق حالنا ولادينا . وقال في المقالة السادسة ﴿ إن معرفة الوجود الحقيقي لا تكون إلا للفيلسوف لأنه هو وحده الذي يحقرا الظواهر ، وهو وحده الذي ينفر من الكذب ، وهو يحقرا ما يستعظمه الجمهور من متاع الدنيا إذ لا يريد إلا التشبه بالنظام الأعلى ﴾ وأخذ يذكر تربية الحكام فقال ﴿ يجب أن يكونوا قادرين على العلم والعمل فيصطفي أذكى أهل المدينة وأكثرهم حافظا وأصبرهم على التعب ويعتصنون في الأشغال العسكرية والجسمية ويؤخذ أفضلهم للرئاسة ﴾ ثم قال ﴿ وهذا الجدة والنصب والتعب لابد منه لمن يريد أن يرتقي الى معرفة أعلى العال وهو معنى الخير المحض (وهو الإله في كلام أفلاطون) ثم قال ، إن الخير للمعاني كالشمس لبقية الموجودات منها يستمد كل موجود وبقاؤه ولا يعرف إلا بها ﴾ ولا طريق لها عنده إلا العلم الإلهي الذي له ﴿ طريقان ﴾ طريق الجمع وهو الاستقراء أي الارتقاء من المعاني المفردة الى ما هو أرفع منها الى أن يبلغ الى جمعها تحت معنى عام ، والثاني طريق التحليل والتقسيم بين المعاني الجملة الى أن ينتهي التحليل الى المعاني المفردة ﴾ انتهى من ترجمة الاستاذ (سفلانته)

ولعل بعض هذه المعاني غامض فأوضحه قائلا ﴿ انه يقول إن الله سبحانه كالشمس فكما أن الشمس بها ظواهر الحياة وبها هدايتنا لطريقنا هكذا الله به قوام الحياة وبه هو معرفة المعنى فهو لمحي وهو الهادي وعقولنا إن لم تستمد منه لم تعرف شيئا كأن أجسامنا إن لم يحياها هو لم يحيى ﴾ وطرق الاستدلال التي ذكرها هي في العلم الإلهي من فن الفلسفة بحيث يدرس الانسان هذه الدأيا إما بالتحليل والتقسيم وإما بطريق

الاستقراء ، ومن اطلع على هذا التفسير عرف بجمال مايقوله . وذكر في المقالة السابقة مسألة المعرفة وضرب للناس مثلاً بالمقارة التي تحت الأرض وفيها أناس مفلولون منذ صباهم معتقلون فيها في رقابهم أطواق من حديد تمنعهم كل حركة ولم يروا إلا ما أمامهم من النور إذ لا يلتفتون يمنة ولا يسرة . ووراءهم نار على ربوة وهي تدير المقارة وبين المقارة والنار طريق وسجانب الطريق حائط على طوله وقد كثر المارتون بهذه الطريق وهؤلاء المارتون يحملون تماثيل مختلفة وأنواعاً من البضائع ثم إن أصحاب المقارة أشبه بنا الآن لأنهم لم يروا من أنفسهم إلا الظل ولم يروا نفس الأشياء وهذا الظل للتماثيل والأمتعة ، ثم إن هؤلاء إذا تحدثوا فانهم يجعلون لتلك التماثيل أسماء ويحكمون بأنه ليس في الوجود سواها فإذا انطلق أحدهم من المقارة فإنه يستحيل أن يقدر على مقابلة الأنوار إلا تدرجاً فهناك يتعقد ذلك المنطلق منهم على أن يرى ظل الأشياء أولاً في الماء ثم يرى نفس الأشياء ثم ينظر السماء ليلاً أولاً فيرى الكواكب ثم يرى القمر ثم الشمس ثم يعلم أنها سبب الفصول والأعوام وسبب كل ما يحدث على الأرض وكل ما يراه في المقارة ثم يرجع إلى أهل المقارة ليهديهم إلى ما هدى إليه شفقة منه عليهم وهنالك يتعقد على الطاعة شيئاً فشيئاً حتى يقدر أن يعيش معهم ثم يتحدثهم فيسخرهم منه وينسبونه للجهل وربما تحدثوا بقلبه ثم قال فهذه حال الناس في الدنيا بالنسبة إلى حقيقة المعرفة فالمقارة هي هذا العالم المحسوس والنار ضوء الشمس والأسير المفلول الذي خرج من المقارة هي النفس إذا ترقى إلى عالم المعاني فإذا بلغت النفس أقصى العالم المعقول فهناك تعرف بعض معنى الخير المحض (يريد الله) فإذا شعرت بذلك عرفت أن الخير المحض (يريد الله) هو علة كل مافى هذا العالم من الجمال والخير ، ومتى أدرك الإنسان ذلك صغر لديه كل مافى هذا العالم وتهدر عليه توجيه همهته إلى الأمور السخيفة التي هي مقطع أبناء جنسه وشغل أعمارهم في هذه الدنيا اهـ ثم قال (أفلاطون) ومن هذا يستدل على أن المعرفة لا تحصل للنفس دفعة واحدة كما يفترض به بعض الناس إذ يقولون نحن ندخل المعرفة مرة واحدة في النفوس الحالية منها كما يفعل بالكمفوف البصر بأن يرجع له الابصار ، والحق على خلاف ذلك وهو أن كلامنا له قدرة طبيعية على ادراك العلم وله كذلك آلة معه هذه الغاية والحيلة فيه أن يتحول هذه الآلة والنفس أجمع من مشاهدة مايفنى إلى مشاهدة ما هو موجود في الحقيقة إلى أن يتعقد شيئاً فشيئاً على مشاهدة ما هو كالشمس في الوجود وهو الخير المحض (يريد الله) ثم قال أفلاطون وعلى هذا فليس الأصح أن نحصل على الابصار إذ الابصار حاصل لسكل منا لكن آتته لم تنظر حيث يجب أن تنظر فبدلت تقويمها لكي تنظر حيث يجب .

ثم رتب على هذا كيف تكون تربية الحاكم الفيلسوف ليستعد للحياة النظرية والعملية معا فقال بعد الفراغ من التربية المفروضة على جميع أصحاب الرئاسة وهي الموسيقى والرياضة البدنية يصطفى منهم من هم أقوى جسماً وأصح عقلاً وأصبر على المشاق وأتقى وأتقى وأكثر قوة على التعرض للمخاطر وابتعاداً عن الملاذ والشهوات فيعلمون أولاً علوم الرياضيات الحساب والهندسة والموسيقى ، فهذه العلوم مع الاحتياج إليها في العمل تعود النفس على مراقبة الأشياء الدائمة التي لا يلحقها التغير لاقتربها من الوجود المحض (الله)

ثم يتلو هذا التعليم الرياضة الحربية مدة عامين أو ثلاثة ثم الرياضات من جديد حتى يبلغ التلميذ من عمره ثلاثين سنة ثم يتعلم العلم الإلهي فيبحث عن علل الأشياء وجوهرها العقلي وهذا هو البحث عن الوجود ، قال أفلاطون « إن هذا العلم لبقية العلوم كالشخص لا ظل » وكالعالم مجرد الظن ، ويستمررون في هذا العلم خمس سنين ثم يدرب في العلوم الحربية وغيرها ، ثم إذا انتهوا من ذلك كله يقلدون أمر المدينة بصفة حكام وذلك إذا بلغوا من العمر خمسين سنة انتهى

وقال في المقالة الثامنة « فذكرت أن هذه هي المدينة الفاضلة وهؤلاء هم حكامها فإذا فسدوا نزلت مدينتهم ورجعت فاسقة فتكون أولاً عسكرية وهي الخاضعة للقوة العضوية ، أما المدينة الفاضلة فهي خاضعة للقوة

المقالة ، ثم حكومة الجمهور ثم حكومة الجبر والفسق وهي حكومة الفرد)

ثم أبان أن هؤلاء المتعلمين هم الأشراف وحكومتهم تسمى (حكومة الأشراف) ثم قل (إن فساد المدينة الفاضلة ينشأ من فساد النسل وتنازل الأولاد في أخلاقهم وأفكارهم عن شرف آبائهم ، ومن ذلك ما يقع بينهم من تفرق الآراء والتشاجر وكثرة الفتن ويكون ما لأميرهم انهم يقسمون المكاسب والأموال فيما بينهم ويسخرون بقية أهل المدينة لخدمتهم بعد أن كانوا لهم حراسا وحكاما فيغلب عليهم حب السلطان والمال وينفرد كل واحد برأيه ، فإذا تمادى الأمر على ذلك وفترت الثروة وانتشر فيهم حب الترف والاسراف والحرص على المال فقد ينقص بقدر ذلك من احترامهم للفضائل ويزداد إعجابهم بالأغنياء واحتقارهم للفقراء ، إذن تتبدل هيئة المدينة شيئا فشيئا وتصبح الرئاسة إلى الأقل وهم الأغنياء ، إذن تكون المشاركة في الحكومة على قدر المكاسب وأنه لاحق في الرئاسة إلا لأصحاب الأموال دون غيرهم وعلى ذلك تنطبع أخلاق أهل المدينة بحب المال والبخل وعدم المروءة والحرص ثم يدوم الأمر على ذلك فيصبح المال في يد زمرة قليلة من الأغنياء ويزداد الفقراء يوما فيوما لأجل ما يؤخذ منهم من الربا وما يباع من مكاسبهم لخلاص الديون ويزداد الأغنياء بقدر ذلك ثروة وقدره واذن تكون المدينة (فرقتين) الفريقي الأكبرهم الفقراء والأقل هم الأغنياء الذين يبيدهم زمام الأمور فينهمكون في اللذات والاسراف ويتبع ذلك الكسل وضعف الأبدان وفساد المزاج وعدم الصبر على المتاعب والمشاق فإذا رآهم الفقراء على تلك الحال وشعروا بغلبة عدوهم ووفور قوتهم على قوة الأغنياء لا يلبث الأمر أن تشب نيران الفتنة والثورة في المدينة فر بما يغلب الفقراء فيأخذون في قتل الأغنياء واجلاصهم عن المدينة (وقد حصل هذا فعلا كما قدمته في سورة النحل ببلاد الترك وبلاد روسيا حرقا بحرق هو بعينه فقد أخرج بنو عثمان وقتل القيصر وانتهت هذه الفتنة) ونهب أموالهم فتصير الحكومة اليهم ويستبدون في المدينة بالأمر وهذه هي الحكومة الجمهورية (ديموقراطية) وهناك تمام الحرية وإزالة عنان الأحكام والموانع والفروض الواجبة فيتبع كل من الأفراد هواه ويصير الأمر كالفوضى بينهم لاحكام ولا محكوم ولا ثبات ولا اتحاد وتستمر الحال على هذا المنوال إلى أن يسقط اعتبار الأحكام من نظر الجمهور وهذا إفراط في الحرية فلا يبين الراعي والرعية حاجز ولا يبين الأب وابنه قيد وينحل كل رباط فيحصل إذ ذاك العكس ، فالشيء إذا تجاوز الحد انقلب إلى ضده ، والافراط في الحرية يوقع الأمة في العبودية التامة - جزاء وفاقا -

هنالك عند تفاقم الأمر يصبح الأمر بيد واحد مستبد برأيه ولا يعتمد إلا على قوة سلاحه فيطغى ويجبور ولا يأمن أحد ظلمه وهذه هي الحكومة الجبرية وهي آخر هيئات الحكومات التي تغير إليها المدينة الفاضلة وهي أخسها مرتبة وأضرها عاقبة على الأمة

وفي المقالة التاسعة ذكر أفلاطون أخلاق النفس الجبرية المشاكسة للمدينة الجبرية فقال انها النفس العديمة العفة والحياء المنطلقة في ميدان الخلاعة والظلم والاستبداد لاستيلاء النفس الشهوانية فيها على النفس العاقلة فهي أشبه شيء بنفس السكران والمجنون ، فإذا كنتم مثل عدد تلك النفوس في المدينة كانوا للجبار المتسلط عليها من أقوى الدعام للاستمرار في ظلمه وسعادة هذه النفوس وسعادة الجبار المتسلط عليها لا معنى لها إلا الشقاء المستمر بل هم أشقى الناس وأحقهم بالشفقة وأهل مدينتهم أشقى أهل المدن ، فإذا رتبنا الهيئات الخمس المذكورة وجعلنا الموازنة بين مآكلها من السعادة جلية وأفرادا عرفنا أن مراتب السعادة تناقص فيها على قدر تنازل المراتب فأعلاها درجة في السعادة (مدينة الأشراف) فالمدينة سعيدة وأفرادها سعداء وهكذا بالترتيب إلى آخرها وهي الهيئة الجبرية فهي أقلها سعادة وأكثرها شقاوة ، ثم قال « ان أسعد الناس وأفضلهم وأعدلهم هو من ملك نفسه ونظامها على هيئة (مدينة الأشراف) وأشقى الناس هو أظلمهم وأخبثهم وهو الذي على هيئة (المدينة الجبرية) فهو ظالم لنفسه وغيره ولم يترك للعقل ولا للعبد مجالاً »

والمقالة العاشرة التي هي آخر الكتاب ذكر فيها انه يجب الحجر على الشعراء والمشتغين وغيرهم من الصنائع التي شأنها تمثيل الأهواء والمواطف الممومة لأن في عماهم اغراء النفوس وحلها على ما يشاهد أو يسمع من أنواع الشهوات والعقب والفسق والحزن المفرط والضحك المفرط وغير ذلك من أنواع المواطف المناقضة لاعتدال النفس وما يجب حفظه من رئاسة النفس العاقلة ، قل لأنه ليس من أنواع المجاهدة ما هو أعظم خطراً وأعسر مباشرة من الجهاد الموقوف عليه أن يكون المرء فاضلاً لا خبيثاً فلا ينبغي أن تنفل عن العدل ولا عن معيشة الفضائل لأجل شيء آخر سواء كان الكسل أو المال أو السلطان أو جزيل الشعر . انتهى ما ذكره أفلاطون ترجمة الاستاذ سنتلانه

ثم أنا ذكرته مجمل سابقاً وهنا فصلاته تفصيلاً أوسع لما سأورده هنا ، فها أنا ذا أيها الذي ذكرت لك مبدأ الأمر وهو هذه العناصر التي في أرضنا ومنها السوداء والبوناسا والكبريت التي هي من جلة ما في النبات والحيوان والانسان من العناصر وانها محركات متهبت كما ان الاكروجين أيضا متهب وهو من أهم أجزاء تلك المواليد وأن هذه النفوس النباتية والحيوانية تصرفت في هذه الطبائع خفوتها الى ما هو أكمل ، ثم إن هذه النفوس الانسانية أكمل وقد لعبت بها هذه المادة فرجمتها الى أخلاقها والنفوس تارة تكمل لأنهما من عالم أعلى وتارة تسفل لأنها انحطت الى هذا العالم المضطرب المحترق ثم ذكرت لك أخلاق النفوس البشرية في كلام الفارابي وأن المدينة الفاضلة نتيجة كمال هذه النفوس ككمال النظام في الجسم الانساني وقلت انه لم يبين التعليم بياناً واضحاً وأتبعه بكلام أفلاطون وان كنت أجلة في غير هذا المكان لأنه ذكر التعليم وأوضحه وفي كلامه الاصول التي سأبنى عليها إن شاء الله ما حصل في أمتنا الاسلامية وما في ذلك من العجب والعلم والحكمة وبدائع الأقدار وعجائب التصريف الإلهي في هذا النوع الانساني وكيف يتشابه الأولون والآخرون انتهى

﴿ التعليم الاسلامي ﴾

(ماذا أصاب أمتنا الاسلامية من الأهوال السياسية بمخالفاتها في التاريخ

وتطبيق الآية على السابق وعلى اللاحق)

وإذا فرغت من الكلام على الأمر الأول وهو ذكر نظام الانسان في مدينته وعلى الأمر الثاني وهو ذكر غاية ما وصل اليه بعقله وذكاؤه في اجتماعه وسياسته أبين ﴿ الأمر الثالث والرابع ﴾ اللذين فيهما أن الأمم المغلوبة اغبرها يسرع اليها الفناء وأن الأمم الغالبة تملحها في ذلك الفناء وأذكر شواهد التاريخ على ذلك كما وعدت ، ولأقدم مقدمة في ذلك فأقول

لاجرم أنا الآن في تفسير آيتين من كتاب الله تعالى وهما - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ وقوله تعالى - فتلك بيوتهم غاوية بما ظلموا - فلا يبين ما يناسب كلام أفلاطون من القرآن . اللهم انك أنت الذي خلقت هذه المادة وأنت الذي جعلتها محترقة مضطربة وأنت الذي خلقت أرواحنا والقوى المادية والنباتية والحيوانية وجعلت هذه النفوس من عندك مهيمئات على هذه الأرض واصطفيت من هذه النفوس الانسانية أطفها وأمرتها أن تفكر تارة باجتهادها وتارة بأن توحى اليها ، فالحكماء بالجد والتفكير والأنبياء بالوحى ، وأنزلت العلم على قلوب حكماء في الصين والهند وبابل وقدماء المصريين وقد تشابهوا في أصولهم وكان من بقيتهم الوارث علم قدماء المصريين (أفلاطون) ومن معه من الحكماء ، ثم إن هذا الفيلسوف ألب كتيبه ومضى اليك ولم يقدر على إيجاد أمة من الأمم بل بعده بعشرات السنين ذهبت دولته وهي اليونانية وحلت محلها دولة الرومان وورثوا ديارهم وعلمهم ونسكها أمثال (سنيكا وشيشرون) الفيلسوفين الرومانيين وتسلطت هذه الدولة على أمة كثيرة ثم فسقت ، ولسكنك قيل أن تخربها أردت أن تظهر أمة أخرى بشكل عجيب فعمدت الى بلاد قليلة النبات لاعلم عند أهلها فهم في قفرهم أبعد الناس عن كل علم وتهذيب واصطفيت واحداً منهم وقلت له

... والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون - فهذه الآية قد فسرها (سقراط) الذي زالت وولت أمته ودولة أمة اليونان بعدها فتد قال في المقالة العاشرة المتقدم ذكرها بوجوب الحجر على الشعراء والمصورين والمسخنين الخ لأن هؤلاء يفتخرون على الأمة أبواب الفسوق والفسيان فتصعب الأبدان والعقول وتصبح مدنهم فاسقة ، وقلت له - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - وهذا اجمال يفصله ما تقدم في مقالات (سقراط) قبل المقالة العاشرة كما سمعته من المدينة الفضائية وهي العسكرية والمدينة الجبرية وهي حكومة الفرد المستبد ومن المدينة التي تحت حكم الأغنياء ، وكيف ينتهي أمر هؤلاء بضعف الأجسام وضعف العقول بالانهمالك في الشهوات فيذهب ملكهم ويضيع مجدهم ، فهذه المدينتان الأربع (١) التي ذكرها أفلاطون وإن كان في بعضها نظر مأسا وضعه بعد هي التي ذكرها الله في القرآن بهذه الآية . وقلت له - أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - ، وقلت له - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - ، وقلت له - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض - وقلت له - تفرح على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون * ففسدنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون * تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين -

فهذا كلام من اصطفيته من هؤلاء الذين لاعلم عندهم ولا مدينية فلما اطلعنا على خلاصة فلسفة الأمم السابقة ألفينا تفسير هذه الآيات قد حضر في العقول من عندك قبل نزول القرآن كأنك أنزلت هذه المعاني أولا ثم أنزلت القرآن لنطلع الآن عليها ونجعلها شرحا لها كما أنك خلقت النبات قبل خلق الحيوان ليكون مرجى له وخلقتهما معا قبل خلق الإنسان ليكونا سعادة له ، فهذا الدين أنت أنزلته على نبي أمي وأمتي أتيتون حتى إذا قرأ كتب الأمم السابقة دهشوا وقالوا يا محبا ياربنا يقول أفلاطون في جمهوريته فيما تقدم هنا (٢) إن أولئك الملوك المستبدين في شقاء في حياتهم وهم معرضون لزوال الملك بعد ضعف أجسامهم وعقولهم * هذا من جهة ومن جهة أخرى إن هذه الأموال والنعم الظاهرة التي يعظمها الجمهور عند طائفة من الناس وهم الفلاسفة عذاب واصب لأنهم اطلعوا على الخير المحض ، وهؤلاء الفلاسفة يجعلون حياتهم كلها تقوية لعقولهم بالعلم الرياضي والإلهي ولأجسامهم بالتمرين الحربي ، فالعظمة والسعادة إذن ترجعان إلى شيء غير المال وهو قوة العقل بالعلوم جميعها لاسما معرفة الخير الأعظم وهو الله ومعرفة الخير الأعظم لا تأتي إلى الناس بغتة فلا بد من ممارسة العلوم العقلية والصناعات العملية هذه في وقت وهذه في وقت آخر حتى يقوى العقل ويقاوم الإنسان جميع الشهوات وتسلم صاحبه مقاليد المدينة ويتولى نظام الأمة . إذن ما كان يفكر فيه الحكماء جاء به نفسه القرآن ، فهمه المسلمون أم لم يفهموه ، عقلوه أولم يعقلوه ، فكلم وضع الله من بذور في الأرض فخرجت زرا نضرا والناس لا يعقلونه ، فإذا رأينا أمما إسلامية ماتت وأخرى حية وهم جميعا لا يعلمون هذه العلوم فليس هذا بدعا فهذه أعمال الله ، ينزل الخير ولكن هذا الخير ينتظر أصحابه وهم قراء هذا التفسير وأمثاله ومن على شاكلتهم بل انهم حين يقرؤون هذا يزيدون دهشة واستغرابا لهذا الاتحاد العجيب بين العلوم المخزونة عند الأمم وبين الدين المنزل على النبي ﷺ فهذه هي الآيات التي أنزلتها يا الله على من اصطفيته من أمة العرب فأصبحت المدينتان الأربع التي هي

(١) الرابعة هي الديموقراطية التي يذمها سقراط ولا يوافقها المؤلف اه

أدنى من مدينة الأشراف منطبقة في الأغلب على هذه الآيات فإذا كان هذا الفيلسوف يقول ان بنى آدم جميعا لا يرون من الخير ولا الحقائق إلا صورها ولا يعرف الحقائق حق معرفتها إلا الذين تدرجوا في العلوم وقتنا فوقتنا كأن يتعلموا العلوم الرياضية أو الإلهية سنين ثم تتلوها سنون أخرى يتعلمون فيها الأعمال الحربية تقوية لأبدانهم ويعيدون الكرة هكذا دواليك ، فهو لاء في نظره هم الذين يعرفونك أنت ويدرون ملكك على صراطك المستقيم فإذا كان هذا رأيه على علته فما أنت ذا يا الله قلت - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - الخ وقلت - الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ وقلت - ألا يذكر الله تطه من القلوب - فلا اطمئنان لدولة إلا بعرفتك أنت ، وقلت أيضا - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - وقال علماء الاسلام باستحباب السبق والرى لقوى الأبدان وهكذا ، وقد جمعت ذلك كله في قولك - وزاده بسطة في العلم والجسم - . هذه يا الله آيات دينك المنزلة على النبي الأمي وهذه آراء حكماء خافتهم قبله وكلمها مجذولة عند عامة هذا الانسان فالعامة لا يعرفون إلا الترف والنعيم والغلبة والراحة ويظنون انها هي أهم السعادات فجاء العقل الذي خرج من بين هذه الحواس المغلولة في وسط هذا الانسان المحبوس في مغارة (أفلاطون) وقال أيها الناس أنتم غافلون ، أنتم لا تعرفون من السعادات إلا ظاهرها ولا من العلوم إلا صورها ، أما حقيقة السعادات وحقيقة العلوم فليس لها سبيل إلا بالعقول ثم جاء الوحي مؤيدا لتلك كل التأييد بل أصبح ما وهبته للعقول غذاء وتقوية وشرحا لما أنزلته بالوحي فاصطلح العقل والوحي في هذا التفسير وتعاوني القديم والحديث واطلع عقلاء المسلمين على خلاصة علوم الأمم فسيبصهون أمة لانظير لها في السابقين والجد لله رب العالمين

ههنا يا الله عرفنا اتجاه الفلسفة اليونانية الأفلاطونية والقرآن الذي أنزلته على نبيك العربي فإذا وجدنا ؟ وجدنا أن هذا الفيلسوف لم يكون أمة وانما تأليف ثقافتها أمة الرومان فالعرب فأمم أوروبا وهاهي ذه تدور بين الأمم في أمريكا وأوروبا والشرق الأقصى ، ووجدنا أن نبيك العربي بالوحي خلقت على يده أمة وصلت مشارق الأرض ومغاربها ، فلننظر الآن ماذا كان يفهمهم حتى ارتقوا ، هاهوذا القرآن والحكمة اتفقا على أن المال والاستكثار منه مضعف للأمة مزيل للآل ، فانظر أيها الذكي ماذا جرى ؟ أحلت الغنائم وهذه الغنائم في الحكمة سبب ضياع المجد والعقل والسعادة كما أجمع عليه الدين والفلسفة كما علمت فقال الله لهم - لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم - إذن أخذ الغنائم قد اشته منه رائحة الفضب السماوى ، وتقتم عند تفسير هذه الآية أن محمد بن اسحق قال « لم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر بدر إلا وأحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ » هذا الذى ذكرته هناك . إذن هذه المسألة قد اختبأ فيها غضب من الله ولا يظهر أثره إلا في وقته أى حينما تظهر ذريرة غير صالحة وتستعمل هذه الغنائم في شهواتها ويجعلون الأمم عبيدا لهم ولا يكونون نافعين للأمم بل آكلين أموالهم باسم الدين ولذلك ورد في حديث البخارى الذى ذكرته عند تفسير الآية أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل يا رسول الله أوبأى الخير بالشر » الحديث ، فارجع اليه في سورة الأنفال في أولها . إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم صرح بهذا وعلم ما تلاقيه أمة من هذه الغنائم وفتوح البلدان فانه أظهر للذى سأله عن ذلك أن فتوح البلدان وان كان خيرا فانه يكون شرا على نفوس استعظمته ووضعه في غير موضعه بخلاف الصالحين . إذن رسولك صلى الله عليه وسلم علم الأمة معنى القرآن وهوان الغنائم ليست للذات بل هي لنفع الأمم لا غير وان حادت عن هذه الجادة انقلب عذابا واصبا ماله من دافع ثم سمعنا رسولك صلى الله عليه وسلم يقول في رواية الترمذى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها « إن سرّك للذوق في فيلبيك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقى نوبا حتى ترقهيه » وقال عروة فما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترفع ثوبها وتنكسه * وفي حديث الترمذى أيضا

عن علي « قال بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا مصعب بن عمير رضي الله عنه ما عليه إلا بردة مرقعة بفرو فلما رآه ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة ، ثم قال كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في أخرى ووضعت بين يديه صحيفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر السكبة قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نسكني المؤنة وتفرغ للعبادة ، فقال بل أنتم خير منكم يومئذ » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو التمر والماء الا أن نؤتي باللعيم » أخرجه الشيخان والترمذي * وفي رواية « ماشع آل محمد من خبز البر ثلاثة ثلاثا حتى مضى لسبيله » * وفي رواية « ما أكل آل محمد أكلين في يوم إلا أحداهما تمر » * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاويا لا يحدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير » أخرجه الترمذي وصححه فهذه هي التعاليم يا الله التي أنزلها على نبيك الأمي فألقيناه بفسر القرآن بقوله وفعله ويقول لهم إن في الغنائم لءاء دفينا وذكرهم بالعذاب وبكى وبكى معه أبو بكر وجاء عمر فطلب أن يعرف سبب بكاهما حتى يبكي أو يتباكى فاذا هي نفس الغنائم ، هذه هي الأحوال النبوية في العصر الأول ، فماذا جرى بعد ذلك ؟

﴿ الكلام على تخريب الفاتحين للممالك وكيف يجازون بزوال ملكهم بعد ذلك من ابن خلدون ﴾

وصلنا الآن من المقدمات في الفصلين الثالث والرابع الى المقصود منهما وهو أن الملوك يذلون أهل البلاد وهؤلاء الظالمون أيضا تخرب بيوتهم ، ولأذكر لك مجالا من كلام العلامة ابن خلدون في تاريخه في الجزء السابع فانظر ماذا يقول وهالك نفسه

قال ، لما فرغ شأن الردة من افر يقيا والمغرب وأذعن البر بالحكم الاسلام وملك العرب واستقل بالخلافة ورئاسة العرب بنو أمية اقتعدوا كرسى الملك بدمشق واستولوا على سائر الأمم والأقطار وأنحوا في القاصية من لدن الهند والصين في المشرق وفرغانة في الشمال والحبشة في الجنوب والبربر في المغرب وبلاد الجلائقة والافرنجة في الأندلس وضرب الاسلام بجرانه وألقت دولة العرب بكاملها على الأمم ثم جدد بنو أمية أنوف بني هاشم مقاسمهم في نسب عبد مناف والمدعين استحقاق الأمر بالصوية وتكرروا خروجهم عليهم فأنحوا فيهم بالقتل والأسر حتى توغرت الصدور واستحكمت الأوتار وتمددت فرق الشيعة باختلافهم في مساق الخلافة من علي الى من بعده من بني هاشم ، فقوم ساقوها الى آل العباس ، وقوم الى آل الحسن . وآخرون الى آل الحسين فدعت شيعة آل العباس بخراسان وقام فيها الجينية فكانت الدولة العظيمة الحاضرة للخلافة ونزلوا بغداد واستباحوا الأمويين قتلا وسبيا وخلص منهم في الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام فجدد فيها دعوة الأمويين وانقطع ما وراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تخفق لهم به راية ، ثم نفس آل أبي طالب على آل العباس ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك فخرج المهدي محمد بن عبد الله المدعو بالنفس الزكية في بني أبي طالب على أبي جعفر المنصور وكان من أمرهم ما هو مذكور واستلحقهم جيوش بني العباس في وقائع عديدة وقرأ ادريس بن عبد الله أخو المهدي من بعض وقائعهم في المغرب الأقصى فأجاره البرابرة من (أورية) و(مغيلة) وقاموا بدعوته ودعوة بني من بعده ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الأقصى والأوسط وشوا دعوة ادريس وبني من بعده في أهل من زناة مثل (بنو يفرن) و(مقراوه) وقطعوه من ممالك بني العباس ، واستمرت دولتهم الى حين انقراضها على يد العبيديين ولم يزل الطالبيون أثناء ذلك بالمشرق يزعمون الى الخلافة ويذنون دعائهم بالقاصية انى أن دعا أبو عبد الله المختص بأفريقيا الى المهدي ولد اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق فقام برابرة كتمانة ومن اليهم من صنهاجه وملكوا افر يقيا من يد الأغلبة ورجع العرب الى مركز ملكهم بالمشرق ولم يبق لهم في نواحي المغرب دولة ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الايمان قلوبهم واستيقنوا الوعد الصادق أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

فلم تسليخ الله بأسلأخ البولة ولا تقوضت مبادئ الدين بتقويض مناسك الملك وعند من الله وإن يختلف في تمام أمره واطهار دينه على الدين كله فتنازع حينئذ البربر في طلب الملك والقيام بالدعوة اليه إلى أن ظفروا من ذلك بحذا مثل كتامة بأفريقيا ومكناسة بالمغرب وناقضهم في ذلك زناتة وكانوا من أكثرهم جهلا وأشدهم قوة فشهروا له حتى ضربوا منسجهم بهم فتمكن ابن يفرن بالمغرب وأفرقيا على يد صاحب الجمار ثم على يد يحيى بن محمد وبقية ملك ضخم ، ثم كان لغرارة على يد بني سخر دولة أخرى تنازعوها مع بني يفرن وصنهاجة ثم انقضت تلك الأجيال وتجرى الملك بالمغرب بعدهم في جيل آخر منهم فكان لبني مرين بالمغرب الأقصى ملك ولبنى عبدالواد بالمغرب الأوسط ملك آخر فتناسلهم فيه بنو توجين وبنو بطن من (مغراوة) حسبما نذكر ونستوفي شرحه ونذكر أيامهم وبلونهم على الطريقة التي سلكناها في أخبار البربر والله المعين لأرب سواه ولا مبدود إلا بإياه انتهى ما أردته منه والله أعلم

ولارب أن هذا الاجمال هو الذي جاء به نبينا ﷺ فانه خاف من فتوح البلدان ومن الغنائم وقد تحقق ماخافه والحمد لله رب العالمين

﴿ سر ارتقاء العرب ثم انحلال دولتهم ﴾

قلت لك آتفا ان الله لما أعظم دولة الرومان واستعظمت وعلم انها ستعجل عمدا إلى أمة بدوية فاصطفى أفضلها وعلمه ثم وازنت بين ما أوحى اليه وما جاء على قلوب الحكماء لأن المادة منه والحكمة منه والوحى منه - فأينما تولوا فثم وجه الله - وإنما الجاهل هو الذي ضاق عقله فلم يتسع إلا إلى بعض هذه ، فالعقول والاجرام والدين كلها من الله بل الخير والشر كله منه وكلاهما عند العقول سواء في الافادة والتعليم ، أقول فمما أخذت دولة الرومان تنحل كان الله قد أعد أمة أخرى خرجت من البداية لتعليم الناس وأباح لها الغنائم لأن هذه الغنائم ساعدتها في فتح البلدان وطيرهم بالمال وبالرجال فذهبوا إلى الهند والصين وإلى أرم الفرنجة وأصبحوا كلهم تحت حكم أمة واحدة ، لم يرد الله بهذا في حكمته إلا أمرا واحدا هو نشر الدين في هذه الأصقاع لأن هذه الأمم في عالم متأخر وهي أرضنا التي علمت انها عالم كله نيران متأججة وهو على صراط مستقيم فليس من العمل عنده أن يجعل أمة واحدة تقود العالم كله لأن ذلك ليس هو العدل الذي أنزله في الارض ، فلا بد لكل أمة أن تستخرج مواهبها ، وهن تستخرجها واشبهنا بتسليط أمة واحدة عليها لذلك أرسل الله نبيا أميا ﷺ وذلك بعد أن عجزت الفلسفة والحكمة في الأمم عن اسعاد الأمم ، إن الفلاسفة اجمعين عجزوا أن ينشروا علما واحدا في العالم كله يجمع الأمم ، ولم يتسن استقراط وأفلاطون المعتبرين عند جميع الأمم أكبر جباية العقول أن يوجد أمة تنشر هذه التعاليم فاختر الله أمة العرب وطيرها في البلاد شرقا وغربا ووضع لها مع ذلك داء دفين وهو المال وفتوح البلدان وألهم رسوله ﷺ أن يحذرهم المال ويخوفهم الفتنة بالمال ، فلما توفاه الله أخذوا هم يتبعون سنته ، ولقد سمى المسلمون أبا بكر خليفة وهكذا من بعده فهم خلفاء لأموك ، إذن مال الله ليس لهم بل هم خلفاء على عبادته وجميع الناس خلفاء على أمواتهم وتسليطهم على الأمم أولا وبالذات لتعليم الدين فلم يزل الدين يمتكن في قلوب الأمم وشيطان الطمع يوسوس في قلوب العرب بحيث يكون الخلفاء منحرفا عن المسلك - تغلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

هنالك دالت دولة العرب وحلت محلها دول أخرى ثم ذهبت وحلت أخرى محلهم ، لماذا كل هذا ؟ لأن الله يقول - وتلك الأيام نداولها بين الناس - فلم يخص العرب بالملك بل هو سخرهم كما يسخر النحل والحشرات لاقاح النبات والنحل إنما تسمى للعسل ، وكما يسخر الذكور والاناث لانجاب الذرية وهم إنما اجتمعوا للشهوة لا غير ، فهذه الشهوة قد سخرهم الله بها حتى ولدوا الذرية ثم ذهبت وضعفت وحل محلها ما هو أعلى وأغلى وهو الاتحاد والعطف عليهم والمعاشرة وتدير المنزل ، هكذا اذا كان بعض من كانوا ساعين في فتوح البلدان

لا يريدون إلا عرض الدنيا فان عملهم أنتج تلقيح أفكار الأمم بالدين الاسلامي مع العلم بأن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ما كانوا يريدون إلا اعلانه كلمة الله ، ولولا ذلك ما أذابوا مهجهم في الحرب ولا تواخوا في الأمم شرقا وغربا . إذن أنت يا الله هكذا أردت ، حذرت من المال وحذرهم نبيك ﷺ وطيرتهم في الشرق والغرب فذنبوا الدين ثم أخذت تسلب من الأبناء مامزحته الآباء لتمهد الأسباب لتترك آبائنا العرب البلاد لأهلها كما أنك حكمت بموت صاحب الشريعة ﷺ لما أتممت الدين فقلت له ولهم - اليوم أكملت لكم دينكم - فهو ﷺ مات لما أتم ما أوجبه عليه ، والغرب ماتت دولتهم لما أتمت ما خلقت لأجله لأن الدين لك أنت والأرض لك - ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين - إذن كل ما حصل في أمم الاسلام مصداق للقرآن وللحديث وللفعل النبي ﷺ وللكلام الفلاسفة اليونانيين والمسلمين

﴿ نبذة من أسباب ذهاب دولة أمة العرب مصداقا للآيات والأحاديث وأقوله ﷺ 》
أخبرهم بأنهم يقدون في حلة ويروحون في أخرى وانهم توضع أمامهم صحفة وترفع أخرى ﴿
جاء في « الرحلة الأندلسية » ما ملخصه انه قد ذكر زواج ولادة الأندلس من العرب وأسمائهم من الاسبانيين وأول من تزوج منهم عبد العزيز بن موسى بن نصير فقد تزوج بالسيدة (ايانا) أرملة لفرير ملك القوط بعد أن مات أثر جروحه في واقعة شريس التي تغلب عليه فيها طارق بن زياد وتزوج الأمير محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن الأوسط باسبانية اسمها (ماريه) ورزق منها بولسه عبد الرحمن الناصر ، وتزوج الحاكم ابن الناصر بن أبي عامر بنت (سانسكو) ملك بافاريا ولدت له ابنه عبد الرحمن وكانوا يسمونه سانسكو والسفير ليله الى ملاده رجلا على الدين في سيرته الشخصية ، وتزوج المؤمن بن الناصر سلطان الموحدون باسبانية اسمها حباب وخلف منها ابنه الرشيد ، وتزوج السلطان محمد بن أبي طهس بن الأمير بالسيدة (تريا) الاسبانية وولدت له ابنه أبا عبد الله وكانت أم عبد الحق بن أبي سعيد سلطان بني مرين اسبانية . قال وقد فشا الزواج والفسرى بالاسبانيات من القوط وغيرهم بين الأمراء والرؤساء من العرب وكان لهذا العنصر الجليل شئ من التأثير فيهم ظهرت نتائجه الخبيثة عند ضعف الدولة كما كانت سببا في استكانة هشام انؤيد الى حاجبه ابن أبي عامر ، تلك الاستكانة التي ساعدت عليها في أول الأمر أمه فاما اختلفت مع المنصور وهو قوى الارادة لم تقهر على كسر حدة فلما كبر ولدها ظهر أثره فيه فأصبح جبانا لا يسعى الا الى لذاته وقضى في حياته على الدولة الاموية وهذا من أسباب ضعف العرب في أوروبا كما كان من أسبابها كذلك ضعفها في بني العباس بالشرق إذ كانت أم المستعين بالله العباسي صقلية وأم المهدي رومية وأم المقتدر تركية وكانت كثيرة التدخل في أمور الخلافة مدة ولدها وتجتمع بالوزراء والقواد في مجلسها وتصدر اليهم أوامرها من غير علم ولدها فلذلك أخذت الدولة تضعف في الشرق واستبدت الاثراك بدولة بني العباس كما ذهبت دولة بني أمية بالأندلس بنظير ذلك فيما علمت ، وبعد ذلك ظهرت التربة الاجنبية في عبد الرحمن بن أبي عامر فبه قضى على الدولة العاصرية وفي الرشيد بن مأمون بضعف الموحدون وفي عبد الحق بن سعيد المريني ملك المغرب بضياع الملك من بني مرين وفي أبي عبد الله ابن الاحمر بالقضاء على حكم العرب في الاندلس

وقد كان الزواج بالاسبانيات ليس خاصا بالامراء بل تعداهم الى العامة بل فسبهم المهن على غير عادة العرب فقالوا ابن الرومية وابن القوطية بل هذا التلقيح ظهر أثره في البربر فرقى من أخلاقهم وقلل من حشمتهم هذه أحوال أمم العرب شرقا وغربا ، فهل تعجب بعد هذا البيان اذا ذكرت ما قدمته لك في (سورة طه) عند قوله تعالى - وقل رب زدني علما - إذ ذكرت لك هناك انقسام الدولة العباسية في الشرق الى دول مختلفة أو خفتها هناك بعد انحلالها ، وكذلك لا تعجب اذا عرفت ما ذكره هنا من انحلال الدولة الاموية بالأندلس وانقسامها الى عشرين دولة صغيرة مثل (شيبليه ، جيان ، سرقسطه ، الشور ، طليطلة ، فرمونه

الجزيرة الخضراء . مرسية . بلنسية . دانيه . طرطوشه . لاوده . باجه . مالقه . بطليوس . لشبونه .
جزائر البليار . قرطبة) راجع كتاب (الرحلة الأندلسية) لصديقنا البتوني . فهذه النبذة التاريخية ملخصة
منه . هذا معداق الأحاديث المتقدمة والآيات وآراء الفلاسفة ، فالنبي ﷺ قد أخبر به وجعل المال والغنائم
سببا لاجرامان اذا استعملت للشهوات وتذكر حديث الرواح في حلة والغدو في حلة وقوله تعالى - وأترفناهم في
الحياة الدنيا - وآراء أفلاطون اذا أصبحت أخلاق الأبناء على خلاف أخلاق الآباء وهي المدينة التي انخرقت
عن مدينة الأشراف وهي كذلك المدينة الفاسقة عند الفارابي ، إذن ما حصل لأمم العرب قلنا هو مقتضى
قواعد الدين والحكمة واتى أحد الله جدا كثيرا على ما علم وأهم وأسعد فله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم
واليه ترجعون

ههنا اطمانت النفس للعلم وعرفت الحقيقة بقدر الطاقة البشرية ، وما كان يخيل لي مرة في أول حياتي أن
أطلع على هذا الجلال والبهاء والحكمة وأن أصل الى بهجة الحكمة والعلم بمقدار طاقتي بحيث يكون شرايا
صافيا وطريقا معبدا يسير به أهل العلم في حياتي وبعد موتي وعليه يبنون مستقبلهم في هذه الحياة ويعرفون
نظائره من المؤلفات في زماننا حتى يحيا ما اندرس من معالم العلم والدين وبوقظوا أعمارا خلت ودولا هلكت
فالله كما أذهب ملكا كثيرا من الأمم الشرقية فأنامهم أجيالا هولاء محالة معيذ لهم بحمد الله لأنه جعل العالم دولا
- وتلك الأيام نداوها بين الناس - وهو يقلب الليل والنهار ، فها هو ذا قد أعد العدة ومهد الطرق لخلق أمة
جديدة في الشرق . فهو كما مهد لذهاب دولهم بأن أمر مترفيهم بالاندلس من الأمويين والعباسيين ففسقوا
فبهم فحق عليهم القول فدمر دولهم تدميرا . هاهو ذا سبحانه أخذ يهيئ الأسباب لارجاع شباب دول أخرى
من أبنائهم قد ناموا أمدا طويلا ومن تلك الأسباب هذا التفسير وأمثاله فسيقرؤه ويقرأ أمثاله رجال وشبان
وستقوم أمة وأمم أعلى كعبا وأرقى وأشرف دولا من الأمم السابقة في الشرق إذ يعتبرون بما حلّ بأبائهم
ويظهر فيهم مؤلفون يعلمونهم ما كان يجهله آبائهم واذا ذلك يعرفون معنى قول النبي ﷺ « ويل للعرب من
شرق قد اقترب » ويعرفون أيضا قول النبي ﷺ لمن جاء يسأله عن الساعة أن ذلك حين تلد الأمة ربتها
وحين يتطاول الرعاء في البنيان وهذا هو الذي حصل فعلا في الشرق والغرب كما علمت فان الاماء ولدن الملوكة
كما رأيت في بني العباس وبني أمية وهكذا انساء الاجانب على وجه العموم فكان ذلك سببا في فساد الدول الاسلامية
وضياعها فاذا علموا ذلك فهموا أن جوابه ﷺ للسائل عن الساعة جاء على الاسلوب الحكيم إذ يسأل السائل
عن الساعة العامة فأجابه هو عن الساعة التي تضع فيها دولة العرب وقد عرفت المجزة في ذلك كما كتبته في
كتابي (التاج المرصع)

وههنا آن أن أتى اليك ما عقدت له هذا المقال في الامر الثالث والرابع وهولب الامرين وما تقدم انما هو
مقدمات لهذا اللب وهو - ان الملوكة اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ وأن - بيوتهم خاوية بما ظلموا - كما قاله
أبو نصر الفارابي في المدينة الفاسقة التي لم تكن على سنن الجسم الانساني الطبيعي وكما قاله أفلاطون في المدينة
التي مالت عن سنن مدينة الاشراف فأسمعك الآن فصولا تؤيد ما تقدم من كلام العلامة ابن خلدون وهما
(مطلبان * المطلب الأول) كيف يحصل الفساد والحروب في الأمم المغلوبة (المطلب الثاني) كيف تقع
الأمم الظالمة في سوء أعمالها وتذهب دولهم

(المطلب الأول . كيف يحصل الفساد والحروب في الأمم المغلوبة على أمرها تفسير لقوله

تعالى - إن الملوكة اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ)

(فصل) قال العلامة ابن خلدون مانصه

(١) إن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانتقياد الى سواهم

- (٢) وأن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء
 (٣) وأن الأمم العربية (لما تركت الدين ورجعت الى قسوتها الأولى) اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب
 (٤) وأن العرب (أى بعد أن تركوا الصبغة الدينية) أبعد الأمم عن سياسة الملك
 (٥) وأن الظلم مؤذن بخراب العمران
- هذه هي الفصول التى ذكرها ابن خلدون مبرهنا عليها بحوادث وسأذكرها لتعلم لماذا ذهبت حول آباءنا
 فى الشرق وفى الاندلس وتعلم قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم
 سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال - وهنالك تفرح بنعمة العلم إذ تنقب على الحقائق وتنفع الأمم الاسلامية
 بعلمك وعملك واجتنبك ما فعله المتأخرون ، فقال رحمه الله تعالى فى الأول

﴿ الفصل الأول فى أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم ﴾

وسبب ذلك أن المذلة والانقياد كاسران لسورة العنصية وشدتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها
 فارتفعوا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزاً عن المقاومة والمطالبة واعتبر
 ذلك فى بنى اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها ،
 كيف عجزوا عن ذلك وقالوا - ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها - أى يخرجهم الله
 تعالى منها بضرب من قدرته غير عصبيتنا وتكون من معجزاتك يا موسى ، ولما عزم عليهم لجؤا وارتسكوا
 العنصيان وقالوا له - اذهب أنت وربك فقاتلا - وما ذلك إلا لما آتسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة
 والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر فى تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد ومارئوا من الذل للقبط
 أحقاباً حتى ذهبت العنصية منهم جلة مع انهم لم يؤمنوا حق الايمان بما أخبرهم به موسى من أن الشام لهم
 وأن العمالقة الذين كانوا بأريحاء فر يستهم بحكم من الله قدره لهم فأقصروا عن ذلك وعجزوا تعويلاً على ما
 علموا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به نبينهم من ذلك
 وما أمرهم به فعاقبهم الله بالتب وهو انهم تاهوا فى قفر من الأرض ما بين الشام ومصر أربعين سنة لم يأروا فيها
 لعمران ولا نزلوا مصر ولا خالطوا بشراً كما قصه القرآن لغلظة العمالقة بالشام والقبط بمصر عليهم لعجزهم عن
 مقاومتهم كازعموه ، ويظهر من مساق الآية ومفهومها أن حكمة ذلك التيه مقصودة وهى فناء الجيل الذين
 خرجوا من قبضة النمل والقهر والقوة وتخلقوا به وأفسدوا من عصبيتهم حتى نشأ فى ذلك التيه جيل آخر
 عزيز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصبية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب
 ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتى فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر ، سبحانه الحكيم العليم ،
 وفى هذا أوضح دليل على شأن العصبية وانها هى التى تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وأن من
 فقدتها عجز عن جميع ذلك كله . ويلحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب فان
 القبيل المغارمين ما أعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لأن فى المغارم والضرائب ضيماً ومذلة لا تحتملها
 النفوس الآية إلا اذا استهوتته عن القتل والتلف وأن عصبيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ، ومن
 كانت عصبية ضعيفة لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل والمذلة كما قدمناه
 ومنه قوله عليه السلام فى شأن الحرث لما رأى سكة المحراث فى بعض دور الأنصار « ما دخلت هذه دار قوم إلا
 دخلهم النذل » فهو دليل صريح على أن المغرم موجب للمذلة ، هذا الى ما يصحب ذل المغارم من خلق المكر
 والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت القبيل بالمغارم فى ربة من النذل فلا تطمعن لها بملك آخر الدهر ، ومن
 هنا يتبين لك غلط من يزعم أن زناتة بالمغرب كانوا شايعة يؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو
 غلط فاحش كما رأيت إذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولاعت لهم دولة ، وانظر فيما قاله (شهر برار) ملك الباب

عبد الرحمن بن ربيعة لما أظلم عليه وسأل (شهر بن) أماته على أن يكون له فقال « أنا اليوم منكم بدي في أيديكم وصغرى (١) منكم شرعياً بكم وبارك الله لنا ولكم وبخزينا اليكم التصبر لكم والقيام بما تحبون ولا تذولوا بالجزية فتوهنونا لعدوكم » فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الأول . فأما ما قاله في الفصل الثاني وهو أن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء فهذا نصه

﴿ الفصل الثاني في أن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء ﴾

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الأمل ويضعف التناسل والاعتبار انما هو عن جودة الأمل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الأمل بالتكاسل وذهب ما يدعوا اليه من الأحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعيمهم وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم بما خضع الغلب من شوكتهم فأصبحوا مغلبين لكل مغلب طعمة لكل آكل وسواء كانوا استصاوا على غايتهم من الملك أولم يحصوا وفيه والله أعلم سر آخر وهو أن الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شمع بطنه ورى كبده وهذا موجود في أخلاق الاناسي ، ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانما لاتسافد اذا كانت في ملكة الأدميين فلا يزال هذا القليل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولما فتيت حاميتهم في أيام العرب بقي منهم كثيراً كثيراً من الكثير يقال ان سبعة أخصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفاً منهم سبعة وثلاثون ألفاً رب بيت ، ولما حصوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم إلا قليلاً ودثروا كأن لم يكونوا ، ولا تحسبن أن ذلك لظلم نزل بهم أو عدوان شملهم فلسكة الاسلام في العدل ماعنت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره وصار آلة لغيره ، ولهذا انما تدعن الرق في الغالب أمم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من طبيعة الحيوانات البهيم كما قلناه أو من يرجو بانتظامه في ربة الرق حصول رتبة أو افادة مال أو عز كما يقع لملك الترك بالشرق والعلاج من الجلالة والافرنجة بالأندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الثاني . فأما ما قاله في الفصل الثالث وهو أن الأمم العربية (أي التي تركت الدين) اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب فهذا نصه

﴿ الفصل الثالث في أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب ﴾

والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد الوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقاً رجلاً وكان عندهم ملذوا لما فيه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالجبر مثلاً انما حاجتهم اليه لنصبه ثأني للقدر فينقونه من المباني ويخربونها عليه ويعتونه لذلك والخشب أيضاً انما حاجتهم اليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك فصار طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران هذا في حالهم على العموم وأيضاً طبيعتهم انتهاب مافي أيدي الناس وأن رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون اليه بل كلما امتدت أعينهم الى مال أو متاع أو ماعون انتهوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطالت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران وأيضاً فلا أنهم يتلفون على أهل الأعمال من الصنائع والحرف أعمالهم لا يرون

(١) كذا بالأصل

لها قيمة ولا قسما من الأجر والثمن. والأعمال كما سذكره هي أصل المكاسب وحقيقتها وإذا فسدت الأعمال وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقضت الأيدي عن العمل وابتدع السالكين وفسد العمران وأيضا فانهم ليست لهم عناية بالأحكام وزجر الناس عن المفسد ودفاع بعضهم عن بعض انما همهم ما يأخذونونه من أموال الناس منها أو مغرما ، فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعده من تسديد أحوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن أغراض المفسد وربما فرضوا العقوبات في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة والحماية والاستكثار منها كهر شأنهم ، وذلك ليس بمعنى في دفع المفسد وزجر المترص لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر مشيئة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم إلا بها وتقدم ذلك أول الفصل ، وأيضا فهم متنافسون في الرئاسة وقل أن يسلم أحد منهم الأمر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته إلا في الأقل وعلى كره من أجل الحياء فيتعهد الحكام منهم والأمرام وتختلف الأيدي على الرعية في الحماية والأحكام فيفسد العمران وينقض **قل الاعرابي الوافد على عبد الملك لما سأله عن الحجاج وأراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال « تركته يظلم وحده »** وانظر الى ما ملكوه وتعلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانه وأفقر ساكنه وبدلت الأرض فيه غير الأرض ، فالبن قرارهم خراب إلا قليلا من الأمصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان فارس أجمع والشام لهذا العهد كذلك وأفريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثة وخسين من السنين قد لحق بها وعادت بساططه خرابا كما بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وعمائل البناء وشواهد القرى والمدائن والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . انتهى ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الثالث وأما ما قاله في الفصل الرابع وهو أن العرب (أى الذين تركوا العمل بالدين) أبعد الأمم عن السياسة فهذا نصه **﴿ الفصل الرابع في أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك ﴾**

والسبب في ذلك انهم أكثر بدواة من سائر الأمم وأبعد مجالا في الفقر وأغنى عن حاجات التول وجبوا بها لاعتيادهم الشغف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لا يلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم غالبا للعصية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم وترك مراعاتهم لئلا يختل عليه شأن عصبيتهم فيكون فيها هلاكة وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضى أن يكون السائس وازعا بالفقر واللام تستقيم سياسته ، وأيضا فان من طبيعتهم كما قدمناه أخذ ما في أيدي الناس خاصة والتجاني عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض ، فاذا ملكوا أمة من الأمم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع بأخذ ما في أيديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام بينهم ، وربما جعلوا العقوبات على المفسد في الأموال حرصا على ترك كثير الجبايات وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك وازعا وربما يكون باعسا بحسب الأغراض الباعثة على المفسد واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه فتتمو المفسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الأمة كأنها فوضى مستطيلة أيدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعا شأن الفوضى كما قدمناه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة دينية تمنحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من أنفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما شيد لهم الدين أمر السياسة بالشريعة وأحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم وكان رسم اذ رأى المسلمين يجتمعون للصلاة يقول أكل عمر كبدي يعلم الكلاب الآداب ، ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة أجيال نبذوا

الدين ففسدوا السياسة ورجعوا إلى قهرهم وجعلوا شأن عصبيتهم مع أهل الدولة بعدهم عن الانقياد وأعطاء
المنفعة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك إلا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ، ولما ذهب أمر
الخليفة وانتهى رسمها انقطع الأسرجلة من أيديهم وغاب عليهم الحجم دونهم وأقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون
الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم أنهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لأحد من الأمم
في الخليفة ما كان لأجيالهم من الملك ودول عاد وثمود والعمالة وجبر والتابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في
الاسلام بنى أمية وبنى العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما أسوا الدين فرجعوا إلى أصابعهم من البداة
وقد يحصل لهم في بعض الأحيان غلب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ماله وغايته
إلا تخريب ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يؤتي ملكه من يشاء اه

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الرابع ، وقال في الفصل الخامس مانصه

(الفصل الخامس في أن الظلم مؤذن بخراب العمران)

وهنا ذكر أن الناس إذا اغتصبت مكاسبهم وقهروا على ممالكهم وانتهت من أيديهم كسلوا عن العمل
وانقطعت آمالهم وقعدوا عن العمل لعلهم أنه ذاهب من أيديهم ، وضرب لذلك مثلا ما ذكره المسعودي في
أخبار الفرس عن الموبذان صاحب الدين أيام بهرام بن بهرام ومعارض به للملك في انكار ما كان عليه من
الظلم إذ سمع اليوم وسأل بهرام الموبذان عن معنى كلامها فقال له أنه يعلمه وأن الأثني لما طلبها الذكر شرطت
عليه أن يقطعها عشرين قرية من الخراب فقال لها إن دام بهرام أقطعك ألف قرية فتنبه الملك فقال له
الموبذان لا يتم الملك إلا بالشريعة ولا تتم الشريعة إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال والرجال بالمال والمال
متوقف على العماراة والعماراة بالعدل والعدل ميزان منصوب بين الخليفة وأفعمه أنه قد انتزع الضياع من أهلها
فهلكت الرعية وضاع الجند وهرمت الدولة فاقطع الملك وعدل فانتظم مملكه . وهكذا أخذيين أن الدولة العظيمة
لا يظلم رفقها أثر الظلم دفعة واحدة بل يكون بالتدريج ثم يظهر بعد حين كالأصراض الدائمة - والله غالب على
أمره واسكن أكثر الناس لايمانهم - انتهى المطلب الأول

(المطلب الثاني : كيف تقع الأمم الظلمة في سوء أعمالها وتذهب دولهم تبينا لقوله تعالى

- فذلك بيوتهم حاوية بما ظلموا - وفي هذا المطلب جوهرتان)

(الجوهرة الأولى ما قاله العلامة ابن خلدون أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم)
قال وسبب ذلك أن القبيل إذا غلبت بعصبيتها بعض القبل استولت على النعمة بقدره وشاركت أهل
النعيم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وخصصة بمقدار غلبتها واستظفار الدولة بها فان
كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه أذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع
بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم إلى شيء من منازع الملك ولا أسبابه انما همتمهم
النعيم والسكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة إلى البعدة والراحة والأخذ بمذهب الملك في المباني
والملايس والاستسكان من ذلك والتأني فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو اليه من تواضع ذلك
فتذهب خشونة البداة وتضعف العصبية والبسالة ويتعمدون فيما آتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم وأعقابهم
في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجتهم ويستسكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية
حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتتقص عصبيتهم وبساتينهم في الأجيال بعدهم بتعاقبها إلى أن تنقرض العصبية
فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشراقهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف
والفرق في النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التقلب ، وإذا انقرضت العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية
فضلا عن المطالبة والنعمتهم الأمم سواهم ، فقد تبين أن الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء اه

فهنا هو تفسير قوله تعالى - إن الملوكة إذا دخلوا قرية أفسدوها - وقوله تعالى - فذلك يومئذ ينفعهم خاوية بما ظلموا - وبهذا تم الأمر الرابع من الامور الستة المذكورة

﴿ الأمر الخامس ﴾ في أن الانسان وإن قلدا الحيوان في صناعاته فإن هناك من الأعمال ما يعجز عن نظيره الانسان فيجب عليه أن يبحث فيه

﴿ الأمر السادس ﴾ خطاب الأمم كلها شرقا وغربا ، وهذان الاسران ستراهما في آخر هذه السورة عند قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ

ولكن هنا تم الكلام على نظام الأمم الاسلامية الذي ظهر في التاريخ وتقلته عن ابن خلدون ، فإذا فعل الله تلقاء هذا ؟ علم الله قبل أن يرسل نبينا ﷺ أن أم العرب والأم التي معها ستقوم دولهم بالعصبية لأن استعداد أهل الأرض إذ ذاك لم يتجاوز هذا المقدار من الفضائل وعلم أنهم سيحبون الأرض شرقا وغربا وانهم سينشرون الدين ثم تنطوي دولهم واحدة بعد الأخرى ، فإذا أعدت لأهل الأرض ؟

﴿ أولا ﴾ أوحى الى رسوله ﷺ أن يخبرهم بأن فتوح البلدان سيكون فتوح شر وغاية الأمر انهم مسخرون وأخبرهم بأنه يخاف عليهم من ذلك الفتوح وأن البطنة والترف سيهلكهم ، فعل الله ذلك كله معهم

﴿ وثانيا ﴾ خلق أمما أخرى وأعدتها لعبارة الأرض وأرسلهم من جزيرة قلاء في الأرض ليهلكوا الأمم لما علم بهلمه القديم أن فارس واروم قد قتلنهم البطنة ، هكذا هذه الأمم الاسلامية أعدت لها أمما تحل محلهم إذا أضاعهم الترف وأهلكهم النعيم كما أخبر الصادق عليه السلام وما تلك الأمم التي أعدتها الله لعبارة الأرض واستعمارها الجوهرة الثانية ذكر بعض الممالك التي أعدتها فاحتلت بلاد بعض المسلمين لما ذهبت دولهم

ذكرت لك أيها الذكي فيما تقدم هنا اجمال الكلام على ممالك الاسلام وانهم ذهبت دولهم دولة بعد أخرى من عرب وغيرهم وقلت لك انهم على وتيرة واحدة (حرص على الدنيا - ترف وشهوة - ظلم للرعية ، ذل الرعية

ذهاب الدولة) فهذا إذا ذكر لك الممالك التي كان أعنتها الله لتحتل بعض بلاد الاسلام وهذه الممالك التي سأذكرها لك امتازت بأنها لا تجعل الأحوال موقوفة على الملوكة بل الشعب قائم بترقية نفسه بخلاف تلك الممالك

فقد كان المدار غالبا عندهم على الملوكة فان مالوا للعلم والاصلاح مالوا اليهما والافلا فكانت الشعوب تتبع المصادقات وهكذا لا يتزوجون الأجانب لئلا يفسد النسل فتضيع الدولة وتذهب هباء منثورا ، وهكذا لا يأمنون الأجانب

فلا يولونهم الوظائف العالية في بلادهم بخلاف الأمم الاسلامية كالتركية ، فلا ذكر لك دولة انككترا وفرنسا الخ

﴿ دولة انككترا ﴾

كانوا في أول أمرهم كالوحوش ومساكنهم حفيرة يقيمونها نارة من الأعواد وأوراق الشجر وتارة من الطين وكان عملهم صيد الحيوانات بها يعيشون وحالهم كأجلاف العرب وكانوا يسجدون للصخور والحجارة

وينابيع الماء وأول ظهور أمرهم كان قبل المسيح (سنة ٥٥ ق . م) على ما يقول السيد أحمد ابن السيد زيني دخلان ثم لم يزل أمرهم يظهر ويقوى ولم يستقلوا إلا (سنة ٨٢٧ ب . م) وسنة ٩٤٣ هـ وكان دخولهم في

النصرانية قبل الهجرة بست وعشرين سنة وهم فيهم السكاوبككية والبرستانت واليهودية وهم مجتمعون من قبائل شتى ، وفيهم جماعة من (السكايبين) ولهم جزيرتان منفصلتان (بريطانيا) و (ايرلنده) وصارت

دولتهم عظيمة واستولوا على الهند سنة ١٧٥٧ م أي سنة ١١٧٢ هـ وتم استيلاؤهم على الهند سنة ١٨١٦ م أي سنة ١٢٠٨ هـ بحرية وذلك بعد حروب كثيرة ، واستولوا على جبل طارق الذي في المغرب سنة ١١١٦ هـ

إذ انتزعوه من الأسبان في ذلك التاريخ والاسبانيون قبل ذلك انتزعوه من المسلمين سنة ٨٦٧ هـ وهذا الجبل مفتاح البحر الأبيض المتوسط وهو مقابل للجزيرة الخضراء التي هي من بلاد الأندلس ويسمى جبل طارق وطارق هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير وموسى مولى عبد العزيز بن مروان الذي هو أخو عبد الملك

ابن مروان ووالد عمر بن عبد العزيز فسمى الجبل باسم طارق المذكور لأنه نزل بالمسلمين عنده لما قصد فتح الأندلس ولذلك يسمى (جبل الفتح) والعامية يسمونه (جبل الطار) وهكذا دخلوا مصر بعد ذلك

﴿ دولة الفرنسيس ﴾

أما دولة الفرنسيس فقد ابتداء ملكهم (سنة ٤٢٠ ب . م) قبل الهجرة بمدة (٢٦٢) ذلك ابتداء نظام ملكهم ، وقبل ذلك كان لهم ملوك لم ينتظم أمرهم ولم يكمل استقلالهم بل كانوا تارة يستقلون وتارة يحتلهم غيرهم ، ومبدأ أمرهم كان قبل الميلاد بخمسة قرون وكانت اليونان تحكمهم ولما غلب الرومان اليونان حكموهم فلم يكن ملكهم مستقلاً وكانوا يعبدون الأصنام المصورة على صورة الكواكب فهي أشبه بديانة أهل الهند عباد الأوثان ثم دخلوا في النصرانية (سنة ٤٩٦) وأول من دخل منهم فيها الملك (كاويس) وهم كاثوليكية وبعضهم على المذهب البروتستانتي ، ومنهم من لا يتدين بدين بل كثير منهم من ينكرون الصانع وقد حصل بينهم وبين الانجليز حرب دامت (١١٦) سنة من سنة ١٣٣٧ م أي سنة ٧٣٨ هـ والصلح كان سنة ١٤٥٣ م أي ٨٥٧ هـ وهذا يسمى حرب المائة سنة

واستولت الفرنسيس على الجزائر بأفريقية سنة ١٣٤٩ هـ وفي سنة ١٢٩٩ أدخلوا المحاكم التونسية في حمايتهم وقد استولوا على مراکش في أيامنا هذه

﴿ دولة هولاندا ويقال لهم الفلمنك ﴾

هذه كانت تحت حكم اسبانيا ودار الحرب بين الدولتين مدة ثمانين سنة واستقلوا سنة ٩٨٧ هـ وفي تلك السنين استولوا على بلاد جاوه وكان دخولهم النصرانية في الزمن الذي دخل فيه غيرهم من أوروبا

﴿ دولة اسبانيا ﴾

كانت تابعة لدولة اليونان فالرومان ثم بعض ملوك أوروبا ثم استولى المسلمون على أكثر ممالكهم لما فتحوا الأندلس فكان الأندلس تحت يد اسبانيا الى (سنة ٩٢ هـ) فانتزعه المسلمون منهم وبقي معهم ملك ضعيف في آخر الأندلس ووقعت بينهم حروب كثيرة ثم انتزعوا الأندلس من المسلمين شيئاً فشيئاً الى أواخر (سنة ٩٠٠ هـ) ثم أخرجوا من بقي من المسلمين بالأندلس في (سنة ١٠١٠) واستقلوا بالملك ، وكانوا أولاً يعبدون الأصنام ودخلوا في النصرانية في الزمن الذي دخل فيه غيره . انتهى من كتاب السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان المترجم عن اللغات الافرنجية

هذه هي الدول التي أردت ذكرها هنا لأن هؤلاء أكثر من يحتلون اليوم بلاد الاسلام ذكرت دولهم ليعلم المسلمون أنهم لما جعلوا الممالك مغنم واقتتلوا على ذلك لأجل الترف والتعيم في العصور المتأخرة أبعدهم الله عن الملك وأجلس غيرهم على عروشهم وذلك قوله تعالى - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً -

﴿ استعمار الفرنجة لبلاد الاسلام وهل يدوم ؟ ﴾

اعلم أن الله عز وجل كما قمتنا قد أعد الأمم العربية لفتح البلاد لما أصبحت الأمم القديمة لا تصلح لادارتها ولما فسدت الأجيال العربية والام التي حلت محلها أعدت أمماً أخرى كالانجليز وكالفرنسيس ، ولكن هذه الأمم سلكت مسالك العرب في القرون المتأخرة ، وانما أرسل هؤلاء فاحتلوا بلاد الاسلام ليوقظ فيهم روح الحقية - اعلمهم يعقلون - والزمان سيستدير دورته ، وهما هي ذه الأمم الشرقية آخذة في الرقي بحجة لأخذ مكائنها تحت الشمس - وهم من بعد غلبهم سيفعلون - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

ولكن هنا أخطب الأمم الاسلامية فأقول ، ها أنتم أولاء قرأتم تاريخ أسلافكم واطلعت على ما حل بهم في الشرق والغرب وظهر لكم هذه الخصال

﴿الخصلة الأولى﴾ إن الترف والتنعم هما المقصودان لكل من طلب الملك في الأمم الإسلامية المتأخرة في الأندلس وفي بلاد الشرق

﴿الخصلة الثانية﴾ إن هذا الترف والتنعم جعلهم على ظلم الرعية كما في آية - إن الملوكة إذا دخلوا قرية أفسدوها -

﴿الخصلة الثالثة﴾ أن تلك الأمم المظالمة نذل بهذه الأعمال

﴿الخصلة الرابعة﴾ أن الأمم الظالمة تضعف قواها الجسمية والعقلية بسبب الغفلة والكسل والانسكاف على

عمل غيرهم

﴿الخصلة الخامسة﴾ أن هؤلاء المالكين ينقضون أيضا

﴿الخصلة السادسة﴾ أن أمما أخرى تحل محلهم

﴿الخصلة السابعة﴾ أن هؤلاء يحصل لهم ما حصل للسابقين حذوا النعل بالنعل

ونتيجة ذلك أن الأمم ما هي إلا كدود مخلوق في جثة الميت وهذا الدود لما في جسمه يأكل بعضه بعضا حتى إذا بقيت في آخر الأمر دودتان أكلت أقواهما أضغفهما ثم ماتت الآكلة بالجوع . هذا تاريخ الأمم المتأخرة الإسلامية

﴿لطيفة في هذه الأيام﴾

في هذه الأيام حصل أمر مهم لابد من ذكره في التفسير لأنه يناسب هذا المقام لأن الله عز وجل قد أيد هذا التفسير تأييدا عظيما ، ذلك أنه في يوم ٢٤ إبريل سنة ١٨٢٩ دعاني الاستاذ أحمد زكي باشا لحفلة شاي جمعت علماء الشرق وعلماء الغرب ، فلا ذكر ما دار فيها لأنه أكبر شاهد على ما وصل إليه جيلنا العربي من التضرع للأثم وهذا نص الخطبة

أتمتموهون أيها السيدات والسادات اني أغتنم كل فرصة سانحة لأكون واسطة التعارف بين أكارب الافرنج وأفاضل العرب ولئى فى ذلك مطمح بعيد المدى وهو أن يكون هذا التفاهم سببا فى خلق جور جديد من الصفاء والوفاء بين الشرق والغرب ، فهذه الغيوم التى نشكو من تواليها لابد لها من الانقشاع ، وتلك الارهاقات التى نعانىها من سياسة البطش والاستعمار لامناص لها من التبدد والزوال ، أما الامتيازات الأجنبية التى تجعل أكبر عزيز فى بلادنا مهانا فى عقرداره ومهضوم الحق بازاء الآفاقي الطارئ عليه فقد انقضى زمانها ودالت دولتها فى كل البلاد (ماعد مصر)

هذه الامتيازات هى العنفة الكبرى فى سبيل التفاهم بيننا وبين أوروبا لأنها أكبر سبة اسكرامتنا القومية ولما ضيقنا المجيد ، ولادواء هذه العلل القاسية إلا عن طريق أهل الرأى المجردين عن الهوى وهم أفاضل الافرنج ذوا الأخلاق الطاهرة والضمائر الحية ، أولئك الذين لا تهيمهم مصالحهم الشخصية فيصروننا بأشكال لا تنطبق على الواقع ولكنها ترجع بالفرائد المادية عليهم وحدهم دون غيرهم ، هؤلاء المستشرقون والمستعربون هم القادرون على بث الدعوة بين قومهم ليحملوهم أخيرا وبعد تهادى الزمان على الاعتراف بأن العرب جديرون بأن يتبوؤوا مركزهم تحت الشمس لأنهم على الأقل مساوون لبعض الأمم العائشة فى النصف الشرقى من أوروبا لقد كان من دواعى اغتباطى أن يجتمع فى هذه الفترة القصيرة سيدات من كرام العائلات الشرقية والافرنجية بجانب رجال من الطراز الأول على ضفاف البحر الأبيض المتوسط للتعاون على انشاء قنطرة أدبية فوق ذلك البحر المجيد لتسهيل التواصل والتعاون بيننا وبين أوروبا الرشيدة ، أتوجد فرصة لتحقيق هذا الغرض من التى أناحها لى الزمان فى هذه الساعة ، ثم أخذ الاستاذ زكى باشا فى تقديم المحتفل بهم الى الحاضرين حسب ترتيب أسمائهم فى الحروف الهجائية فذكر أولا الاستاذ جميل بيهم فالاستاذ أنجنو جويدي فالداكتور شخت فالسيد عبدالرحمن القصبي فالسيد العرفى فالستركراين فالاستاذ ليهان فالاستاذ مار جولييت فالاستاذ نايلو فالاستاذ

يهودا ذاكرا عن كل منهم ما كان فيه الغناء والكفاة لتعريف الحاضرين بهم ، الى أن قال
 بإسادة العرب . ويا أفاضل الأفرنج ، مفروض عليكم أن تتضافروا على تحقيق الأمانى السكبار التي يرمقها
 أبناء الشرق على العموم ويحزن اليها العرب بنوع خاص
 فيإسادة العرب ، ويا أفاضل الأفرنج ، مفروض عليكم أن تتضافروا لتحقيق هذه الغاية بقلوب يعمرها
 الايمان بحقوق الانسانية على الانسان ، مفروض عليكم أن تتعاونوا هنا وفي ما وراء البحار على تهئية الراى
 العام في ديار أوروبا وأمريكا لادراك هذه الحقيقة التي تفعت الخلفاء في أيام الحرب والتي سيحتاجون اليها بلاشك
 كلما تجدد الخطب واشتد الكرب
 مفروض عليكم أن تتواصوا بالفعل وبالمعمل الى تحقيق تلك الأمنية العالية الشريفة وهي المجاهدة في
 ديار أوروبا وأمريكا حتى يعرف أهلها بأن العرب جديرون بالرعاية والاحترام ، جديرون بالحرية الصحيحة
 جديرون بالاستقلال التام

ولى كل يوم موقف ومقالة * أنادى ليوث العرب ويحكموهوا
 ثم دعى للكلام حضرة أسعد لطفى بك رئيس نقابة موظفي الحكومة فألقى كلمة نوه فيها بما للمستشرقين
 من الفضل في خدمة العلم واللغة العربية وختمها بالترحيب بهم وشكر الحاضرين على تلبية الدعوة ، وبعد ان
 انتهى أسعد بك من كلمته وقف الاستاذ (لينان) المستشرق الألمانى فاستهل الكلام بقوله ﴿ نحن الغربيين
 متشكرون جدا لسماعة زكى باشا لهذه الحفلة التي جاءت فريدة في مجموعها ولوانها جاءت على الحركك (كذا)
 ثم قال اتنا ونحن في ألمانيا نقول ألمانيا فوق الجميع وأنتم ايها المصريون تقولون في وطنكم مصر فوق الجميع
 واسكن كلمتنا في هذا الاجتماع هي العلم والتفاهم بين الأمم الشرقية والغربية فوق الجميع ﴾
 وبعد ذلك دعى للكلام الاستاذ (مارجاليوت) المستشرق الانجليزى المشهور وهو فى العقد الثامن من
 عمره فخيا الحاضرين وشكرهم على حقواتهم واحترامهم وخص بالشكر العلامة زكى باشا على هذا الاجتماع
 الذى سبق ذكره فى الأفتدة طول العمر على مر السنين مستشهدا بأحد أبيات المتنبي اه وانما ذكرت
 هذا لأنه اجتماع جمع من عظماء الشرق والغرب وكننا نحن أبناء العرب نطلب المساعدة من عامائهم فى اخراجنا
 من ذل الاستعباد ، ذكرت هذا ليعرف أبناءنا بهذا ذلك فيحترسوا

﴿ الذى أراه فى اسعاد هذه الأمم الاسلامية فى المستقبل ﴾
 أيها المسلمون إياكم أن يزعمكم ما نقلته عن ابن خلدون فى قوله ﴿ ان الأمم العربية لا تسلط إلا على البسائط
 وانها مادخلت أمة إلا أسرع اليها الفساد وانها خربت أمتا وأمتا كما تقدم ﴾ فانه هو نفسه قال ﴿ ان ذلك ما
 حصل إلا بعد أن تناسوا الدين ورجعوا الى طبيعتهم ﴾ ثم ان الله ما فعل ذلك إلا تحقيقا لوعده إذ قال - وتلك
 الأيام نداولها بين الناس - ثم هو سبحانه وعدنا خيرا فقال ... ولا تكفرونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل
 فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون * اعلموا أن الله يحى الأرض بعد موتها قد بينا لكم
 الآيات لعلكم تعقلون - اتنا وصلنا الى أدنى مراتب الاسلام فى قرون وقرون سواء أ كنا عربا أم تركا ،
 فهذه الأمم كانت تجهل الدين جهلا تاما ، وهاهو ذا وعد الله عز وجل بأحياء أمتنا قد ظل أبانه وأقبلت أيامه
 ﴿ اجتماع الأمم بالعلم بعد الاجتماع بالعصبية ﴾

لقد تبين لكم من تاريخ الدول الاسلامية من كلام ابن خلدون أن قوامها لم يكن إلا على العصبية فلا
 مهدى إلا بالعصبية ولا ملك إلا بها ، وقد تقدم أن العصبية تضمد محل وتضعف بالتلف والتلف من نتائج الملك
 إذن الاجتماع بالعصبية والقراية أمره زائل بالبرهان العملى . لقد وضع الصبح لذى عينين وجاء الحق وزهى
 الباطل ، إذن هذه القرون ذهبت ولم تفر الانسانية من الدين الاسلامى فى سياستها باطل ، ومماثل المدنية المقامة

على العصبية والنسب إلا كمثل المشق المبني على جبال الظاهر فانه ذاهب متى قضى العاشقان شهوتهما وكسر سورة العشق وإطعام بفتور الشهوة وعلى مقدار ضمتها يقل العشق ثم يزول بتاتا . فأما الحب المبني على العلم فلا حد لدوامه ، فحب الشاب لفتاة مجرد النظر الظاهر ليس كحب المتعلم للعالم الذي يهره بعلمه وسحره يسدع بيانه فيما بعد ما بينهما . ان الاجتماع الانساني المبني على الافة أو النسب أو المساهدة أو التغلب أو نحو ذلك مما ذكره الفارابي ورما تراه في آخر تفسير السورة . كل هذا لا يثبت له فان هؤلاء تنحل را بطتهم متى خنعوا للترف وخضعوا للذات فأولئك تذهب مدنيتهم هباء منثورا

﴿ الطريق الأقوم لسعادة الأمم الاسلامية المستقبلية ودوام ممالكها ﴾

انما السبيل لذلك أن تسمى كل أمة من الأمم الاسلامية حالا الى تعليم جميع أفراد الأمة رجالا ونساء وأن يتعاون جميع أهل العقل وذوى الوجاهة وأرباب الأموال في تثقيف الشعب كله ، فاذا وقع كتابي هذا في يدرجل ذى منزلة سامية فليفكر فيما أقول ولا يسمع حلال مع أمثله وأصحابه وأهل الوجاهة وأرباب الأموال وليس مرواعين ساعد الجدد وليعلموا الشعب كله وليفتحوا دور التعليم وان كان هناك مدارس ليلية يتعلم فيها الفلاح والصانع مبادئ القراءة والكتابة ولتكن لهم مناهج بها يدرسون ما ينفعهم في صحة أبدانهم وطرق معاشهم ومعادهم ويعرفوا ما حولهم من الخيرات في الأرض ، وسيكون منهم أفراد ممتازون خلقهم الله في كل قطر فهؤلاء يتعلمون ما يوافي عقولهم ويناسب أممهم من العلوم والصناعات وهؤلاء يكونون عماد الأمة يقودون هؤلاء العاقبة في أمور دينهم ودنياهم ، وقد قدمت أمثال هذا القول في كثير من فصول هذا التفسير مثل ما ذكرته عند قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - في آخر البقرة ، وهذا واجب على كل أمة وقعت تحت الفرنجة ، أما المستقلون فأمرهم معلوم فهم جميعا قد استيقظوا والله معين لكل محمد

إن ما أكتبه الآن متى عرفه المسلمون لا يفت في طريقه مدفع ولا نار . إن العلم أمر روجي والعقائد متى رسخت فإن يعقها عائق وإن يصدها صائد بل تأخذ بجراها وتنتهي الى نهايتها ، فاذا قرأ المسلمون علوم الأمم المحيطة بهم وأشرب حبها قلوبهم فهم فهناك يظهر جيل جديد مغرم بحمال الله ، مغرم بارتقاء الانسانية ، مغرم بالسلام العام ، عالم ما يقوله في صلاته - الحمد لله رب العالمين - لأرب المسلمين وحدهم ، وإذا كان الله مربى العالمين فلنكن متخلطين بأخلاقه ولنطلب منه أن يهدينا الصراط المستقيم والصراط المستقيم هو صراط الله الذي عرفناه في السموات والأرض من القيام بالقسط والعدل والنظام والاحكام العام لا الخصاص وحينئذ يكون كبار الأمم مشوقين لأن يقلدوا النظام العام فهم كحكمة العرش أو كملائكة الذين يقومون بنظام هذه العوالم كلها وهذه الحال هي الأنسب لما نرى من جمال الكواكب ولما نرى من عموم أنوارها وهذا كله فعل الله الذي نطلب منه الهداية لصراطه . إن المسلم خالق حياة أعلى من حياة هذه الأمم ومتى قرأ الناس هذا التفسير وأمثاله أشربوا الى هذه الحياة وعملوا لها وإن يقف الإصلاح بعد ذلك لأن العشق العام في الأرض للنجوم والعوالم والأنوار والكشف الحديث ولا استخراج ما في الأرض والهواء من النعم الإلهية يزداد جيلا جيلا ، ثم ان هذه الحال لا يخاف زوالها لأن زوالها سببه الترف والتعيم ، والترف والتعيم انما يكون عند القوم الذين جعلتهم العصبية كالملك الاسلاميه بعد العصور الأولى ، والترف مهالك ولكن الأمم الذين يعرفون هذه العوالم ويدركون هذا الجلال وتكون لهم حكومات انتخابية يصطفون فيها أرقههم عقولا وأذكاهم وأصلحهم يدبرون أمورهم مع عموم التعليم وانتشاره وعموم الحركة العلمية والصناعية مع سن قانون بحرم البطالة والاستجداء من الناس لا يخاف عليهم ما كانت تخافه الأمم السابقة فأين الترف والتعيم والبطالة والكسل والاتكال على ما يحبي من الناس بالعسف والظلم فلا ظلم اليوم ولا غصب للأموال بل هو نظام ثابت وكل مغرم بعلمه أو بصناعته قائم بواجبه هناك يكون العدل والحب والحق والسعادة اه

﴿ عبدة نار يثية في آية - إن ماتك إذا دخلوا قرية - الخ ﴾

اعلم أيها القاري أن هذا النوع الانساني لا يزال في مبدأ تطوره انه أشبه بالأطفال المراهقين الذين يختصمون ويتقاتلون ويرجم بعضهم بعضا بالتجارة وهم أبدا في هرج ومرج ، هذا هو نوع الانسان ، ذلك النوع الذي امتلأت نفوسه بالبر والاحسان والرحمة ثم غلبت ذلك كله الشهوات والاندات فاستحلى ما كان سرا ، واستحسن ما كان قبيحا ، فترى دائرة منه يجتمعون ليدبروا الحيل لأخذ أموال الناس في ظلام الليل المبهيم وهم العصوص وآخرون يتربصون في طريق السابلة فيقتلون في القفار والأودية بعيدا عن العمران وهم بجاة من القانون والشرطة ويعبثون بالمارّة قتلا وسرقة ونهب ، وقد تكون تلك الفئة أكبر وأكبر حتى تكون جيوشا جارية يقودها ملك كما اتفق للسلطان سليم ، ذلك الرجل المسلم الذي قرأ كتاب الله عز وجل ، فهذا الملك لم يحجزه الدين ولا انغفل عن إزال بعض الأمم الاسلامية وهم في ديارهم آمنون . إن هذا الانسان لا يزال طباعه وحشية ونفوس كثيره منه سبعة لا يحترمون الانسانية العامة ولا الاخوة الآدمية ولا الاخوة الدينية الخاصة

نقد رأينا ملوك أوروبا قد أجمعوا كيدهم وأتوا دفا لمحاربة المسلمين في دارهم أيام صلاح الدين الأيوبي وأشد من هؤلاء همجية وأكثرهم وحشية من يفكرون بأمة ويميتون آلافا من الناس وهم على دينهم وهم شريقيون مثلهم بلا إثم ارتكبوه ولا ذنب جنوه إلا أنهم أحياء مسلمون ، ذلك هو السلطان سليم سلطان الأمة التركية وهو من بنى عثمان فقد انقضى على مصر سنة ١٥١٧ أفرنكية والبلاد كانت بلادا صناعية زراعية وكان لها أسطول قوى يحمي تجارتها بينا وبين الهند وهكذا بينها وبين أوروبا ، هؤلاء الترك لما دخلوها شنقوا سلطانها (طومان باي) بمصر بعد ما قتلوا السلطان الغوري ببلاد الشام وشتتوا شمل المسلمين وأخذوا أعظم العمال في البلاد وهم ألف صانع وجاوههم الى الاسنانة وقصاوا ما بين مصر وأوروبا والهند فأصبحت البلاد زراعية واستعالت ضعيفة بعد أن كانت قوية وماتت الصناعة فيها وحلتها البوار وحل بها السكساد وصار الناس ﴿ طبقتين اثنتين ﴾ طبقة الفلاحين للعمل وطبقة الموظفين للعظمة والمال والجاه . أما طبقة الصناع فهي ليست ذات بال ، ولقد سرت الروح الزراعية في البلاد وأهملت الصناعة واستولى الحكم على أهم موارد البلاد وهم ظالمون ، وسرى ذلك الداء في الأمة أربع مائة سنة ، ولا زال لهذا الخلق بقية باقية في البلاد الى وقتنا هذا ، كل ذلك من همجية الانسان الأولى وقدموته وطغيانه ، فهذا ملك مسلم لم يمنعه دينه من تغيير طباع أمة قد خلقنا الله فيها في هذا الزمان وأرادت أن تجاري الأمم واسكنها بطيئة التقدم بما ورثت من صفات وضعها في أبناء بلادي السلطان سليم الذي أعظم أمر الحكم فلهم السطوة والثروة وسواهم لاهو في العبر ولا في الخير . وامتد هذا الخلق في أهل بلادي في عصرنا الحاضر إذ استقلت البلاد استقلال اسميا ومع ذلك بقي هذا الخلق في أهاليهم فنعهم من التخاص من قيود الاحتلال . مثلا نجد رئيس حكومة إيطاليا (ماسولينى) راتبه (٣٠) جنيتها شهريا . وهذا مثل ضربته لنظرائه في أوروبا ولكن مصر فيها اليوم أى سنة ١٩٢٨ م نحو (٦٠) وزيرا يتناول كل منهم معاشا قدره (١٥٠٠) جنيتها في العام وابتليت الوظائف مالية حكومة البلاد فصارت تقرب من نصفها وهذا سبب الخلق الذي ورثاه من سلاطين آل عثمان لما حكموا البلاد

وكما أثر سلاطين آل عثمان في أخلاق أمتنا المصرية أثروا في قوتها العلمية فان الفاطميين أسسوا الأزهر وعلموا فيه مذهبهم (٢٠٠) سنة أى مدة بقاء دولتهم بمصر . وفي نظير الأزهر أسس (نظام الملك) المدرسة النظامية في بغداد لتعليم الدين الاسلامي على مذهب أهل السنة ليقاوم التعليم الشيعي في مصر لاسما ما كان منه في (دار الحسكة) أو (دار العلوم) التي أسسها الحاكم بأمر الله بمصر . ولما تغلب صلاح الدين الأيوبي على الفاطميين (سنة ٥٦٧ هـ) أبدل تعاليم المذاهب الأربعة بتعاليم الشيعة في الأزهر ودعا للخليفة العباسي وأدخلت فيه العلوم الرياضية والنجوم وغيرها وحج إليها الطلاب أفواجا من أقاصى البلدان . ولما زالت الدولة الأيوبية ودخلت

مصر في حكم المماليك أولا ثم في حكم الأتراك أخيرا انحط شأن الأمة العربية والعلوم وكان آخر انحطاط وتدهور لها في القرن الثامن عشر المسيحي ، ثم أخذت تسترد البلاد بعض مكانتها أيام محمد علي باشا ، ولا زالت في ارتفاع وانحفاض للآن تمشي ببطء وتتغير في أذيال الخجل بين الأمم وهذا زمان نهوض الأمم جماء فلا بد من نهوض هذه البلاد ، وانما ضربت هذا المثل وهو مثل المصير بين مع الترك لأين لك بكل جلاء ووضوح كيف يكون إفساد الملوكة إذا دخلوا قرية ، وكيف يجهلون أعزّة أهلها أدلة ، فالإفساد في مصر شمل القوة العقلية والقوة الصناعية وقوة العفة ، فعلم الرياضيات ونحوها والطب وأمثال ألفيت من الأزهر الشريف وهكذا الصناعات وهكذا ماتت العزّة القهضاء والطمّة الشماء وهي العفة والتبرّي من الترف فإن الترف ما دخل أمة إلا أقسدها فسكن في مصر الحكام المنرفون المنغمسون في اللذات واستمر ذلك الخلق حتى لصق ببعض أهل بلادى الآن * والدليل على ذلك مرتب الوزراء الضخم المتقدم ذكره ، قال تعالى تقوم - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - فعلى الأذكىاء قراء هذا التفسير أن يكونوا قادة للأمة الإسلامية وليعلموا أهل البلاد صغيرا وكبيرا بالتدريج وليجدوا في إفهام الشعب هذه المعاني وليرتوئهم على الصناعات والعلوم وليمنعوا من الترف والنعيم كما كان الترك قبل انقلابهم الأخير إذ اختصوا بالحرب والعظمة على الناس فانهموا في الترف على طول الزمان لملكهم وقاب الأمم واستنزافهم أموالهم - إن الإنسان لظالم كفار - إن المسلمين في المستقبل غيرهم بالأمس - والله يعلم وأتم لاتعلمون - والله غائب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿ الطائفة الثالثة في نقل عرش بلقيس ونحوه ﴾

لأنقل لك من ﴿ كتاب الأرواح ﴾ شذرة تناسب هذا المقام ، قد جاء في صفحة ٥٥ مانعه
واليك الآن شرح كيفية مخابرة الموائد وفقا لتعليم الأرواح ذاتها المنقول في ﴿ كتاب الوطاء ﴾ للعلم
الفيلسوف (الآن كاردك) وهاهوذا

- (س) هل السيل العام عنصر الأشياء كلها ؟
(ج) نعم كل مافي الكون مركب من العنصر الأصلي
(س) هل من مناسبة بينه وبين السائل الكهربي ؟
(ج) إن الثاني مركب من الأول
(س) في أي حالة يظهر السيل العام على بساطته الأصلية ؟
(ج) لا تظهر بساطته الأصلية إلا في الأرواح النقية ، أما في عالمكم فهو متقلب أبدا متغير بتركيب منه المادة الكثيفة المحيطة بكم ، إنما السائل الذي يقرب منه بالأكثر في أرضكم هو السائل المغناطيسي الحيواني
(س) كيف يمكن الروح من تحريك الجباد ؟
(ج) يخرج جزأ من السيل العام بالمائع الحيوى المنبعث من أعصاب الوسيط
(س) هل تنهض الأرواح المائدة بأيديها الممسمة على نوع القول ؟
(ج) بل عند ما يريد الروح أن يحرك المائدة بحياة اصطناعية بواسطة السيل العام والسائل المنبعث من الوسيط وبعد ذلك يجتذبها ويحركها بقوة مابه من السائل المخصوص المنبعث منه بفعل الإرادة وعندما يكون الجرم الذي قصد تحريكه ثقيل جدا يستعين بأرواح أخرى تأتي لمساعدته
(س) هل الأرواح التي تأتي لمساعدته أدنى منه وتحب أمره ؟
(ج) الغالب هي أرواح مقارنة له

- (س) هل اسكل الأرواح كفاءة على إتيان تلك الأعمال ؟
- (ج) لا تأتي هذه الأعمال إلا أرواح سفلية ثم تتجرد بعد من المؤثرات المادية
- (س) استأجمل أن الأرواح العلوية لا تنازل لعمل مالا يليق بها فقط نسال عما اذا كان لهذه الأرواح المجردة عن الماديات مقدرة على انشاء هذا العمل اذا أرادت
- (ج) لها القوة الأدبية كغيرها القوة الطبيعية فاذا اقتربت الى هذه تستخدم من يملكها كما تستخدمون أنتم العتالين لرفع الأثقال
- (س) يظهر من قولك أن العنصر الحيوي مستقر في السيل العام. وبما أن الجسم الروحاني مركب من هذا السيل فبدونه لا يستطيع الروح أن يأتي عملا في المادة الهولية
- (ج) نعم وهو يحوي المادة الجادية بنوع ما حياة اصطناعية فتطيعه منقادة لشارته ، فالروح إذن لا يحرك المائدة أو يرفعها بقوة ذراعها بل المائدة الحية تتحرك من نفسها لشارته
- (س) فما دخل الوسيط في هذا الحادث
- (ج) قد قلت لكم إن المانع الحيوي الذي لا يملكه إلا الروح المتجسد أي الوسيط يستعيره الروح الذي لم يتجسد ويمسكه بمقدار من السيل العام وبهذا المزيج يحوي المائدة وهذه الحياة مؤقتة تلاشي مع السيل وأحيانا قبل نهايته ان كان السائل المنبعث من الوسيط ضعيفا
- (س) هل يستطيع الروح أن يعمل بمنزل عن الوسيط ؟
- (ج) كلا . فقط يعمل أحيانا من غير علم أي ان من الناس من يبعث منهم هذا السائل الحيواني من غير علم منهم فيستعيره الروح ويحدث تلك الأعمال البديهة من دون وجود وسيط ظاهر يساعده على عمله
- (س) هل المائدة التي أحيها الروح تعقل ما تفعل
- (ج) لا عقل لها أكثر مما للعما التي تشيرون بها لأن ما بها من الحياة الصناعية يجعلها فقط منقادة لمركات الروح فلا تتوهموا أن الطاولة المتحركة روح لأنه ليس لها من ذاتها فسكر ولا ارادة
- (س) ما العلة المتغلبة في الحوادث الروحانية ، أهى الروح أم السوائل ؟
- (ج) الروح هى العلة والسوائل هى الواسطة الآلية ووجود كليهما ضرورى
- (س) ما وظيفة ارادة الوسيط في هذه الحوادث
- (ج) وظيفته احضار الأرواح ومساعدتها على تنفيذ السوائل
- (س) هل فعل الارادة ضرورى بوجه الإطلاق ؟
- (ج) انها تساعد على العمل وتزيده قوة ولكن ضرورتها ليست بمطلقة لأن الحوادث تتم أحيانا رغما من هذه الارادة حتى بدون علمها ، وهذه برهان على كون علة الحوادث ليست في الوسيط
- (س) لماذا ليس اسكل الناس هذه الخاصية
- (ج) لاختلاف الامزجة والسموية التي يلقاها الروح في تركيب السوائل فبعض الوسطاء لا يبعث منهم المانع الحيوي إلا بفعل الارادة وغيرهم يتدفق منهم بسهولة طبيعية فيستعيره الروح ويعمل فيه بدون علم منهم ، لهذا ليس اسكل الوسطاء قوات متساوية
- (س) أيستقر الروح الفاعل بالمادة داخلها أم خارجا عنها
- (ج) يعمل في كلا الحالتين لأن الروح ينفذ في الجاد ولا يعمقه عائق عن الدخول في أحسن الاماكن والنفوذ في أكثف المواد
- (س) كيف يعمل الروح عند طرفة الموائد

(ج) مطرقته السائل المتزج الذي يستعمله في التحريك وفي الطرق فيمنسده ما يتحركها ينقل اليكم الدور
مراى تحريكها وعند ما يطرقها ينقل اليكم الهواء صوت طرقتها

(س) لا يصعب علينا ادراك ذلك عند ما يطرق الروح الجساد ، ولكن كيف يستطيع أن يسمنا أصواتا
وألفاظا مركبة

(ج) بما أنه يعمل في الجساد لا يصسر عليه العمل في الهواء أيضا ، وأما الألفاظ المركبة فيقلدها كما يقلد
باقي الأصوات

(س) تقول ان الروح لا يستعمل يديه في تحريك الموائد مع انه قد شوهد في سجلة حوادث نظرية ظهور
أصابع تمر على ملامس الارغن لضرب الألفان ، أليس ههنا حركة الملامس متأنية عن ضغط الأصابع لها

(ج) يتعذر عليكم بعد ادراك طبيعة الأرواح وكيفية فعالها إلا بمثلة متقاربة لا تملأ أذهانكم فلا تتصوروا
طرائق أعمالها مشابهة لطرائقكم ، أما قلت لكم ان فعل الروح مناسب لطبيعته وأن سوائل الجسم الروحاني
تنفذ في المادة وتحببها حياة صناعية ، فهند ما يضع الروح أصابعه على دساتين الارغن يضربها حقلا بل يحركها
ولكن ليست القوة العضلية هي التي تضغط على الملامس بل الملامس التي يحببها كما يحبب المائدة تتحرك من نفسها
بفعل ارادته وتحدث الصوت ، وقد يحدث أمر يصعب عليكم فهمه وهو أن بعض الأرواح السفلية المتأخرة لا
يزال غرورها الحياة متركبا عليها فتظن بنفسها انها تسهل كما لو كان لها جسم مادي فلا تدرى بهلة ما تأتيه من
الأعمال كما لا تدرى الفلاح بأصول الألفاظ التي يركبها ، فاذا سئلت هذه الأرواح كيف تضرب على الارغن
أجابت انها تضرب بأصابعها لجهانها بالعلة الحقيقية فيحدث الفعل فيها غريزا دون أن تدرى بأصوله وهكذا
قل عن الألفاظ التي تسمها

(س) يظهر في بعض الحوادث الروحانية ما هو منافي لشكل النواميس الطبيعية المعروفة . أفلا يجوز الاشتباه
في صحتها ؟

(ج) السبب في ذلك بعد الانسان عن معرفة كل النواميس الطبيعية فلا يعرفها كلها لأصبح روحا علويا
ففي كل يوم تظهر اكتشافات جديدة تكذب من ظن بنفسه انه قد بلغ متهى المعرفة ولم يبق شئ خافيا عليه . فهذه
الاكتشافات المستجدة ينسبها الله الانسان انه لا يثق بأنوار علومه إذ سيأتي يوم فيه يعود علم العلماء خزيا لهم .
الأترون يوما أجراما تغلب حركتها على قوة الجاذبية كقوة المندفع المقدوفة في الهواء والمنطاد المتطابر في القلاة
كفكم تكبرا يا بني البشر . الأخرى بكم أن تقرروا بضعفكم وعجزكم عن ادراك كل شئ

قال شير محمد لما سمع هذا القول . هذا رجوع الى ما قبل في القرون الأولى والأعصر المظلمة من أن الأرواح
لها قسرة على رفع الأثقال وعظام الأعمال بأسباب يزعم القوم انها طبيعية . قات نعم ولا عار على العلم اذا كشف
اليوم ما أنكره أمس وهذا يا شير محمد رجوع منك الى مبدأ الترفع والاستكبار عن القول بصحة ما قيل في
الأعصر الغابرة ولكن علينا أن نخضع للعلم ونذع الكبرياء فالدليل واضح والصدق راجح

وليس يصح في الأذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

قال إذن هات القصة الثالثة عسى أن تكون أوفى حجة وأهدى مبيلا وأقوم قبلا وأرجح بيانا وأقوى
تبيانا وأعز تمراما وأرفع مقاماً . قالت روى العلامة (والاس) الانجليزى في صفحة ٧٢ من المكتاب المذكور
مانسه بالحرف الواحد

في أعجب ما رأيت من وساطة الأنسة (نيشول) إيجادها زهورا وفواكه داخل غرفة محكمة الغلق في أول
مرة بدا على يدها هذا الحادث كانت في منزلى بصحبة بعض من أخصائي فبعد أن تناولنا الشاي لأننا كنا
في فصل الشتاء دخلنا حجرة صغيرة مغلقة بإحكام ومقاعدنا برهة من الزمان حتى لاح على المائدة التي جلسنا

حوطها كنية وافرة من الزهور منها شقائق النعمان والخزامى والاسفران الأصفر وخلافها من الزهور الربيعية وكل أوراقها غضة ناضرة مكحلة بالزبدى الرطب فيستساها كلها وحفظتها باعتناء بعد أن علقت عليها شهادة بمضاهة من الحضور . وحوادث كهذه تكررت أمانى مئات من المزارع وفي محلات شتى وظروف مختلفة ، فتارة جاءتنا الزهور بكميات وافرة وطورا مصحوبة ببعض نمار يطلبها الحضور . وفي إحدى الجلسات طلب صديق لى الى الروح إحضار دوار الشمس فامضى هنيمه حتى رأينا انه انخطت على المائدة هذه الزهرة وعلاؤها ستة أقدام وجرت منها مكسوة بكومة من التراب . وفي جلسة أخرى حضرها المسيو أرف ترولوب والكولونيل هارفى وقد قصد هؤلاء الأشراف قبل إقامة الجلسة أن ينشئوا الفرقة جيدا فى كل أنحاءها وأوعزوا الى مدام ترولوب بأن تنحصر جيدا كل قطعة من ثياب الأنسة (نيشول) ثم جلسنا حول المائدة والمسيو ترولوب قابض على يد الوسيطة وبعد بضعة عشر دقائق استنشقا جميعا اريج زهور فأوقدنا حالا الشمعة فوجدنا أذرع المسيو ترولوب والأنسة نيشول مكسوة بزهر النسر ين اه

وأغرب المنقولات التى تحدثت بها مؤخرا المجالات الروحانية منقولات الزهور على يد الوسيطة (حذروت) ومنقولات الآثار القديمة والنباتات حتى الأسماك وبعض الطيور الحية على يد الوسيط الشهير بايلى . وقد شهد هذه الغرائب كثير من مشهورى العلماء فى استراليا وإيطاليا وألمانيا وخلافها من الممالك الأوروبية التى تتجول فيها الوسيطان المذكوران * روى المعلم الفيلسوف (الآن كاردك) فى «كتاب الوسطاء» حادثة نقلنا شاهدته عيانا والأسئلة التى طرحها على الروح الذى أتم الحوادث والملاحظات الأصولية التى علقها روح علوى على أجوبته كما يأتى

(س) نرغب اليك فى أن تفيدنا لم لا تقوى الروح على إحضار المنقول إلا عند لقاء الوسيط فى السبات المغناطيسى
(ج) السبب فى ذلك طبيعة الوسيط ومزاجه فما أستطيع فهمه مع هذا وهو نائم أستطيع انشاء مع آخر وهو يقظان

(س) لم نتأخر طويلا فى إحضار المنقول ونهيج بشدة رغبة الوسيط فى ذلك
(ج) إطالة الوقت ضرورية لى لمزج السوائل ، أما تهيج رغبة الوسيط فى باب التسلية والمزاج (ملاحظة الروح العلوى) لم يصب فى جوابه ولا أدرك غاية تهيج رغبة الوسيط فظنها بابا من التسلية مع ان مفعولها إثارة رشح السائل الحيوى بزيادة وهذا ناتج عن الصعوبة التى يلقاها الروح فى هذا الحادث عند ما لا تكون وساطة الوسيط بديهية

(س) هل للحضور تأثير فى انفاذ عملك
(ج) إن انكار الحضور ومقاومتهم تركبنا فى العمل جدا فلهذا نؤثر بسط مالدينا أمام ناس مؤمنين خبراء باصول الروحية

(س) من أين أحضرت الزهور والحلاوى
(ج) قطفنا الزهور من البساتين
(س) ومن أين أخذت الحلاوى ، أما درى البائع بنقصانها
(ج) لى أخذ الحلاوى من حيث أشاء ولا يتضرر البائع بذلك لأنى أضغ له بدلها
(س) والخواتم التى أحضرتها أليست بذات قيمة فكيف لا يتضرر صاحبها بخسارتها
(ج) أخذتها من محل لا يعرفه أحد بنوع الا يحصل لأحد ضرر من ذلك

(ملاحظة الروح العلوى) ليس الجواب بمستوفى الشروط والروح يحاول فيه اقناعكم باستقامته وعدم تضرر أحد بسرقة الحال أن الشئ لا يعوض إلا بمثل له وذى قيمة واحدة فلو أمكن للروح ابدال الشئ بنظيره ما

احتاج الى أخذ الأزل بل استعمل الشئ الثاني مكانه

- (س) هل تقوى على احضار زهور من كوكب آخر (ج) كلا . هذا مستحيل
(ملاحظة الروح العاوى) أجب بالصواب وذلك لاختلاف السوائل المحيطة بكل من الكوكبين
(س) هل تستطيع احضار زهور من خط الاستواء
(ج) أستطيع نقل الشئ من أى بقعة من الأرض كانت
(س) هل تستطيع رد الأشياء التى أحضرتها وارجاعها الى مكانها
(ج) كما استطعت احضارها هكذا أستطيع إرجاعها
(س) هل تشعر بتعب فى انشاء العمل
(ج) لا يكفى العمل تعباً طالما أنا مأذون فيه إنما نلقى العناء الشديد فى أعمال لا يؤذن لنا فيها
(ملاحظة الروح العاوى) لا يشاء أن يقر بما ينويه من التعب الجسيم من عمل كهذا مادى على نوع القول
(س) ما الصعوبات التى تلقاها (ج) أخصها سوء السوائل وعدم ملائمتها لعملنا
(س) كيف تحضر المنقول ؟ هل تمسكه بيدك (ج) كلا بل أخفيه فى
(ملاحظة الروح العاوى) بل هذا غلط لأن الروح لا تختفى المنقول فى شخصيته بل يمزج شيئاً من سائل
جسمه الروحانى الشديد المتدد والانبساط بجزء من السائل الحيوى المنبعث من الوسيط ، وبهذا المزيج يستمر
المنقول ويحمله

- (س) هل يعسر عليك احضار شئ ثقيل الوزن
(ج) لا فرق لوزن المنقول عندنا وإنما نؤثر جلب الزهور لطيفها ولطافتها
(ملاحظة الروح العاوى) هذا صحيح فانه يستطيع احضار ما وزنه مائة ومائتا كيلو دون أن يرتبك بهذا
الثقل ، فقط بما أن كمية السائل المزوجة يجب أن تكون مناسبة لجسم المنقول (وبعبارة أخرى) بما
أن القوة هى بموازنة المدافعة ينتج أن الروح لا تحضر زهوراً أو أشياء خفيفة إلا لعدم وجوده فى الوسيط أو فى
نفسه المانع الضرورى لنقل ما هو أثقل منها
(س) هل يتوقع أحيانا اختفاء أشياء سببها الأرواح
(ج) نعم قد يتوقع ذلك ويمكن استرجاع الشئ بالتوصل الى الروح فى رد ما أخذه
(ملاحظة الروح العاوى) هذا صحيح وقلماً برّد الروح مأخذه ولكن بما أن فعلاً كهذا يستدعى ظروف
النقل ذاتها فينتج أن وقوعه نادر جداً وضياح الشئ يتأتى عن طبشكم لاعتن فعل الأرواح
(س) أليس من المنقولات ما يصوغها الروح من نفسه بما يأتى من التغيرات فى السيل العام
(ج) أنا لا أستطيع ذلك ولكن روح أرفع منى لا يعجز عنه
(س) كيف أدخلت هذه الأشياء الغرفة وهى بحكمة السد
(ج) أدخلتها منى وأنا محتضن لها بجوهري ولا أستطيع أن أشرح أكثر من ذلك
فأما أن سمع ذلك شير محمد رأيته استبشر وفرح واتهيج وانشرح وقال ياسيدى إن مثلى أنا وطلاب
العلم فى هذا المقام كمثل صبية صغار مات عائلهم وهم لاسبد عندهم ولالبد ولا حول بيدهم ولا قوة ، يفتشون
الثرى على الجيوب ويلتحفون السماء بعد الغروب فقال لهم قاتل أيها الصبية المعدمون واليتامى المملقون
هل جاءكم نأ عما تملكون من القناطير المقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث عما
تركه أبوكم فى قرية تبعد عنكم بأميال وأنتم لانهلون فقالوا مالنا بهذا من علم أنما نحن صعاليك محقررون
وصغار منهوكون ، وفقراء محرومون ، وأذلة معدمون . ولكن هذا الكلام قد ترك أثرًا فى أفئدتهم ، ومنج

الفرح بنرحمهم ، فأنشأوا ينسأون ويسألون الركبان ، من كل ناد ورائح ، عن هذا النبا العظيم ، وهم بين
تسديق وتسكذيب وتقريب وتبعد ورجاء وياس وأمل وفنوط حتى إذا جاء من بيده الحل والعقد وقيل
هلموا يا أبناءى فأنظروا ، هذه أرضكم وخيلكم وأنعامكم ، فقرروا غيبا ، وانكروا صغرا ، وطيبوا نفسا ،
واصبروا قليلا لبائكم حتى تبلغوا سن الحلم فان أنسا منكم رشدا دفعنا إليكم أموالكم وعسى أن تعرفوا قيمها
وتقوموا بحقها ولا تنهاروا في حفظها وعسى أن تكونوا من المفلحين

ذلك يأسئاذى مثانا وقد عشنا في الدنيا جاهلين وقرأنا كتب المراسين فسمعناهم حدثونا بحديث البقاء
بعد الموت وذكروا عوالم تلاء السهل والجبل والبر والبحر تسكتفنا أنى توجهنا وتعيش معنا أنى عشنا وتلقى
الينا عاما وتدلى الينا بحكمة وأن منها من ترفع الأتقال من مكان الى مكان . أوليس من العجب أن حديث
بلقيس وسيدنا سامان في هذه السورة له اتصال بهذا الحديث . ومن ذا الذى كان يدور بخلد أو يخطر بقلبه
أو يهيج له أن العلم يكشف لنا جواز نقل عرش بلقيس من اليمن الى الشام قال تعالى - قل عفريت من الجن
أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين * قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به
قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر
فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى كريم - الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا
الله - بعد أن كانت تلك القصص مما نسمعه ونؤمن به لفظا ولا نفقه له معنى . اتضح الأمر وظهر وتجلي
للعيان وعلمنا أن ذكر مثل هذه القصص لاستيقاظ الأمم بعلم الأرواح ليرقوا شعوبهم وأن البحث في تلك
الأحاديث من أقوى أسباب ارتقاء العقول وارتفاع الأمم ليكون الشك سببا للبحث والبحث مقدمة الوصول
وانظركيف يقول الله تعالى - ليبلوني أشكر أم أكفر - ولا جرم أن غرائب عالم الأرواح أجمع علمية ، فمن
الناس من يستمسك بها ومنهم من لا يبالى ويقول لا خير فيما لاطعام فيه ولا لباس ولا لذة ولا جاه ، فقالنا وما
للأرواح والآخرة والأولى - إن هى إلا حياتنا الدنيا موت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم
إن هم إلا يخرصون -

ثم قال شير محمد ، ياسيدى سيقول السفهاء من الناس هل كان - الذى عنده علم من الكتاب - محضرا
للأرواح . قلت ان قال قائل هذا فقل له ذلك لاعلم لنا به وهذا مقام لا نصل اليه وإنما مقامين أن الكشف
الحديث أظهر وجود مخلوقات حية عاقلة روحية تصديقا للقرآن لها قدرة على حمل الأتقال ، فهذا ما رمى اليه
ليثق من لا يؤمن بالقرآن أن ذلك حق ، فأما ما عدا ذلك فبالى به يدان ولست أدخل في هذا الميدان مع
من لا يعقل البرهان . فقال حسن . انتهى ما نقلته من كتابي (الأرواح) وبهذا تم الكلام على القسم
الثانى من السورة والحمد لله رب العالمين

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ
يَا قَوْمِ إِنَّمَا تَسْتَأْذِنُونَ بِلِسَانِكُمْ قَبْلَ الْحُسْنَى لَوْلَا تَسْتَفْهِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا
أَطِيعُوا بِلَاكَ وَبِعَيْنِ مَعْلَكَ قَالَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ * وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَشْرٌ
رَّهْمًا يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَالِبُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
مَا شَهِدْنَا مِمَّا تُلْكُ أَهْلَهُ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ *

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِيهِمْ أَنَا دَرَرْنَا هُمْ وَقَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ * قَتَلْنَا يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً
بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَلَوْطَا إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَنْتُمْ كُنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْطِغُونَ * وَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ *
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (ولقد أرسلنا إلى نوح أخاه صالحا أن اعبد الله) بأن اعبدوه (فإذا هم فريقان يختصمون) مؤمن وكافر يختصمون في الدين (قال يا قوم لم تستجلبون بالسيئة) بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) العاقبة (والرجة) (لولا) هلا (تستفرون الله) بالتوبة إليه من كفركم ومعاصيكم (لعلكم ترجون) لاتعدبون في الدنيا (قالوا اطيرنا) تشاء منا (بك وبين معك) إذ تناهت علينا الشدايد ففرقت كلمتنا وحسن القطر عنا وذلك بشؤمك وشؤم من معك (قال طائركم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر مكتوب عنده ، وسمى طائرا لأنه لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم ، ويقال (طائركم عما يصيبكم لسرعة صعوده) وقوله (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء وهذا اضطراب عن بيان طائرهم وهو مبدأ ما ينزل بهم من الشر إلى ذكر سببه (وكان في المدينة تسعة رهط) تسعة أنفس وهو من الثلاثة إلى العشرة والنفر من ثلاثة إلى تسعة (يفسدون في الأرض ولا يصلحون) شأنهم الفساد الخالص عن شوب الصالح (قال بعضهم لبعض (تقاسموا بالله) أي أحلفوا به (لنبيته وأهله) لثلاثين صالحا وأهله ليلا (ثم لنقولن لوليه) لولى دمه (ما شهدنا) ما حضرنا (مهلك أهله) أي قتل صالح وأهله فما ندري من قتله ولا من قتل أهله (ولنا لصادقون) ونحلف إننا لصادقون (ومكروا مكرا) غدروا غدرا حين قصدوا قتل صالح ومن آمن معه من قومه (ومدبرنا مكرا) مدبرنا تدبيرا بأن جعلنا الهلاك لهم (وهم لا يشعرون) بذلك ، ثم أبان ذلك فقال (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) أنا دمرناهم) أهلكنا التسعة * يروى أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصل فيه فقالوا زعم أنه يفرغ مني ثلاث ففرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقعت عليهم صخرة من جبالهم فطبقت عليهم الشعب فهلكوا وهلك الباقون في أما كنهم بالصيحة ، وإلى هلاكهم أشار سبحانه بقوله (وقومهم أجمعين * قتلنا يوتهم خاوية بما ظلموا) بظلمهم وكفرهم (إن في ذلك لآية) لعبرة (لقوم يعلمون) قدرنا (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الكفر والشرك فلذلك خصوا بالجاة (ولوطلا) واذ كر لوطا ثم أبدل منه قوله (إذ قال لقومه أنأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وهو إما من بصر القلب ، ولا ريب أن اقتراف الفاحشة من العالم بها من أقبح الذنوب ، وإما من بصر العين لأنهم كانوا يأتونها وبعضهم يبصر بعضها ، ولا جرم أن فاحشة العلانية أقبح من فاحشة السر ، ثم بين تلك الفاحشة وعللها بالشهوة إيماء لازدراءها ومناقضتها الكمال متى خلت من الحكمة في خلقها وهي أن يطلب منها للنسل فقال (أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) الذي خلقن لذلك (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا

آل لوط من قريتهم إنهم أناس يتطهرون) يتزهدون عن أفعالنا ويعتونها قدرا (فأنجيناها وأهلها إلا امرأته قدرناها من الغابرين) قدرنا كونها من الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) هي الحجارة أي أمطرنا على شذاذهم والمسافرين منهم (فساء) فبئس (مطار المذنبين) مطرهم . انتهى التفسير المنطقي للقسم الثالث من السورة والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة في قوله تعالى أيضا - إن الملوكة إذا دخلوا قرية أفسدوها - مع قوله تعالى

- فذلك بيوتهم غاوية بما ظلموا - أيضا ﴾

اعلم أن الأمم الإسلامية أصابها ما أصاب الأمم فأنهم ظلموا أنفسهم والبلدان التي فتحوها معساقا لحديث « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » . إن الله عز وجل بالمرصاد لكل أمة والله عز وجل لما أنزل القرآن جعله نورا مبينا وأمر المسلمين أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس فيجعلوا العالم كله أمة متعاونة فلا ظلمة ولا مظلومة . ولقد ظهر في أوروبا وفي الشرق من الآراء ما يناسب ما ذكرناه ليزول الظلم من أهل الأرض وهو الذي كان يأمر به نبينا ﷺ إذ يأمر بالحق والرحمة ويقول الله الله - فلا تقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك ربة * وأطعم في يوم ذي مسغبة * فيما ذا مقربة * أو مسكينا ذا مقربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالنضير وتواصوا بالرحمة - . إن المسلم هو الذي يوصى غيره بالصبر وبالرحمة العاقبة . وليعلم المسلمون أن أهل الأرض مستعدون لذلك . فإذا بلغ المسلمون ذرى المجد في العلم والعمل فليرقوا الانسانية والدليل على أن الأمم قابلة لذلك ﴿ لطيفتان ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في رأى فيلسوف الصين «كونفوسوس» في دولة العالم ﴾

معلوم أن تعاليم (كونفوسوس) الفيلسوف كانت ترشد الشعب الصينى العظيم وتكون مصيره ومع انه قد مضى عليها ألوف السنين يقول دارسوها انها تحوى من الآراء والنصائح والنظريات ما يكاد يكون عصريا ﴿ مثال ذلك ﴾ ما اقتبسه (المسترفرد مارتن) من هذه التعاليم عن دولة العالم وهو بالترجمة كما يلي ﴿ عند ما يسود مبدأ الدولة يصير العالم بأسره جمهورية واحدة وتنتخب الأمم أفاضل ذوى مواهب ومقدرة فيتكلمون عن الاتفاق الحقيقى ويتفقون الوثام العالمى ويصبح الناس والحالة هذه لا ينظرون الى والديهم بأنهم والدوهم خصب ولا الى أولادهم بأنهم أولادهم خصب ، وسيعين للتقدمين فى السن معاشا حتى وفاتهم ويدير عملا لرجال تخدمهم الشيخوخة ويقدم للأحداث ما يساعدهم على النمو والتقدم فى مراحل الحياة . أما الأراذل والأيتام والمقطوعون والهجزة من تأثير الأمراض فكلمهم تتكفل بهم الحكومة وسيضمن لكل رجل حقه ولكل امرأة شخصيتها ﴾ انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

فى ذكر ما جاء عن أحد الضباط الأوروبيين إذ مدح الأمير عبد الكريم بعد انتخذه . وهذا نص ما جاء فى جريدة الاهرام بتاريخ ٦ مارس سنة ١٨٢٩ م

﴿ عواطف كريمة ﴾

(كبتن كنج فى شهره)

عرفنا من قبل الكبتن كنج رجلا أيا هماما أعجب بشجاعة الرقيق وساء ما يلحق حقهم من باطل أعدائهم فانتدب يسعى للسلم بين عبد الكريم وأعدائه سعيا لم يقصر فيه ولكن خيبه ظم السياسة وكبرياؤها فهل عرف قومنا أن هذا الرجل الانكبايزى الشريف شاعر رحيم القلب على النفس ، يستعرض فى شعره الماضى والحاضر ليشيد بذكر العظماء ويقضى حق البطولة أنى وجدها ؟ وهل عرفوا أن اعظماء التاريخ الإسلامى من شهره المكان الأول والنصيب الأوفر ؟ طلع علينا (الكبتن كنج) منذ عامين بطائفة من شعره سماها

(موت أكبر وقصائد أخرى) خص بمعظم صفحاتها جلال الدين أكبر شاه ملك الهند العظيم فخل هذه النظمه على سرير الموت مختصرة ، وما أوسع هذا مجالاً لقرينة شاعر كبير القلب ذكي الفؤاد

ثم نشر هذا العام طائفة أخرى من شعره عنوانها (أبو عبد الله وقصائد أخرى) وهي مائة وخمسون صفحة من الشعر الجيد تستغرق قصة أبي عبد الله آخر ملوك غرناطة أربعاً وثلاثين ومائة صفحة منها ، وقد أعطى فيها الشاعر للتاريخ نصيبه وللإنسانية حقها وأن النفس الكبيرة التي تقدر البطولة وتحبب عليها في بأسائها هي التي وقفت بالكبتن كمنيع على أبي عبد الله في أيام نحسه كما وقفت به من قبل على جلال الدين أكبر في سرير موته ، وكذلك قطعة عن جنسة العريف فيها للشعر والقلب المطوف بحال واسع وأعظم ما في الكتاب من بعد (قصيدتان * إحداهما) في رثاء المرحوم سعد باشا زغالول وكان الشاعر قد رآه حين قدم مصر منذ سنة ونصف ، وفي هذه القطعة يصف بلفظ موجز وقع المصائب في مصر ومكاة الزعيم الفقيد من قلوب أمته ، ثم يهيب بالمصريين ألا تيأسوا وسيروا على سنة زعيمكم فالمستقبل وضاء أمامكم ، وحسبنا من نبل الأخلاق والانتصار للحق أن يقف الشاعر هذا الموقف من رجل مات وهو في نضال سياسي تخاصم فيه الانجليز (قوم الشاعر) (والقطعة الثانية) نظمها حين أهدى بالزعيم الربيعي عبد الكريم نحسه فاضطره إلى الاستسلام لعدوه ، والشاعر يمثل فيها ريفياً مختصراً يفقد زعيمه العظيم . انتهى الكلام على القسم الثالث من السورة

(القسم الرابع)

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَمْحَ اللَّهُ بَلَنَ هُمْ قَوْمٌ يَمْدُونُ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَمْحَ اللَّهُ بَلَنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَحْمِلُ كُفَّاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ يَمْحَ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ يَمْحَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَمْحَ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ أَدَارِكُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلَنَ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلَنَ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ

رَدِفْتُكُمْ بِمَنْزِلِ الَّذِي تَسْتَعِجِلُونَ * وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَشْكُرُونَ * وَإِنْ رَبُّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ الَّذِي
 هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ * إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ
 الْعُصَمَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدِيرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ
 يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ
 تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا يَمُنُّ بِكَذِبِ
 بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَا
 كُمْ ثُمَّ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ * أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا
 اللَّيْلَ لِسَكَنٍ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْهَرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
 فَفَرَّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ * وَتَرَى
 الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي الْأَقْنَىٰ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
 تَفْعَلُونَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ
 بِالسَّيِّئَةِ فَسَكَبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُخْرَجُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ
 أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ
 أَتْلُو الْقُرْآنَ فَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ * وَقُلِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ *

اعلم أن الله عز وجل لما قص في السابق من هذه السورة نبأ داود وسليمان وقوم لوط وعمود وقد ورد
 ما استبان به عظمة الله وانعامه على عباده من علم وحكمة لداود وسليمان وإطلاعه عليه السلام على عجائب
 الطبيعة وبدائع الحيوانات في الجوف والتراب وابتهاجه بمهرة غرائزها وطبائعها وعجائبيها وإمامه بمراتب الجن
 والشیاطين والملائكة وما خولهم الله من قدرة وعلم ، وكيف رتبهم مراتب ونظمهم صفوفًا كل فيما استعد له من
 عفاريت يقدرون على الأعمال بمشقة وملائكة يراولونها بسهولة تبعًا لنفوسهم ومراتبها في الحياة والرقى ،
 ومن نصر واعتلاء على أهل الكفر كما في قصة عمود وقوم لوط إذ أهلك الله الكافرين ورد كيدهم إليهم
 وأوقعهم في حفرة حفروها وداهية لغيرهم طلبوها . لما قص الله ذلك وعرفت منته وفصله العظيم استبان به

أن النفوس الطاهرة الراقية تنال العلم والنصر فلا جرم يستحق سبحانه الحمد على أنعامه وهؤلاء الأنبياء المخلصون ساموا من الأذى ونصروا على أعدائهم ، هاتان نيجتان لما تقدم ، انعام من الله وأمان للذين اصطفاهم ولا جرم أن ذلك يرجع الى أصل الموضوع وهو التوحيد ، فالتزم الواصلة للمخلصين من الأنبياء وغيرهم والسلامة الموجهة اليهم لأنهم وعدوا الله وساروا على نهجه في الأعمال الشريفة وتخلقوا بأخلاقه ، فإذن وجب أن نبين آيات من آياته وعجائب من بدائعه ليلحق الخلف بالسلف ويقرأ الناس في سطور هذه السكائنات آيات الجمال كما قرأها سليمان في عالم الحشرات والطيور وعالم الجن والملائكة ليحذرو حذره في شكر الله وليكون هذا العلم ابتلاء لهم وامتحاناً حتى إذا عرفوا الموهبة شكروا النعمة والتحقوا بالمقرّين كما قال سليمان - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ - وكما قال - ليلوفني أو أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنيّ كريم - هذا هو المقصود من ذكر هذه الآيات الآتية

وهي (١) خلق السموات والأرض (٢) وانزال الماء من السماء (٣) وانبات النبات (٤) وإبداع الخدائق البهجات (٥) وجعل الأرض قراراً بحيث أمكن الاستقرار عليها فاستقر عليها الإنسان والحيوان (٦) وخلق الأنهار الجارية في خلالها (٧) وخلق الجبال التي ينزل المطر منها في الأنهار (٨) وإبداع حواجز بين الماء للملح والعذب بحيث لا يختلطان (٩) واجابة دعاء من اضطر الى الله والتجأ اليه من كل مكروه (١٠) وكشف الضر عن الإنسان (١١) وجعل الناس سكاناً للأرض بالوراثة عن السابقين فيتمتعون فيها قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة (١٢) وهداية الناس بالنجوم والعلامات في ظلمات الليالي بالبر والبحر وفي مستبهمات الطرق كما يقال طريقة عمياء وظلماء التي لا منار بها فأودع في قلوب البشر علوماً بها عرفوا طرق البحار ومساكنها ومدارات النجوم وأظلموا أن تكون لهم الأبرة المغناطيسية لتدبهم على جهة الشمال تقريباً ومتى عرفوها عرفوا سائر الجهات بها (١٣) وأرسل الرياح مبشرات قبل المطر ليستعدّ الناس لزولها فرحين مستبشرين (١٤) ولا جرم أن من قدر على هذا قادر أن يعيد الخلق كما بدأه (١٥) ومن تأمل هذا عرف أن الله يرزق الناس بأسباب علوية وسفلية معاً ، فالعالم كله متفق في أعمال نتائجها متوافقة فقد اتحدت الأسباب السماوية والأرضية وتعاونت على رزق الإنسان والحيوان ولا يصح هذا الاتحاد إلا إذا كان السانع واحداً ولو تعدد فكان لكل إله عمل من هذه الأعمال لم تكن النتيجة كما هي حاصلة بهذه الوحدة لأن اختلاف المدبرين يقتضي اختلاف النتائج والنتائج متحدة متعانة - إذن الإله واحد (١٦) ولا جرم أن ذلك يدل على أن الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض ولا يعلمه سواه لأن هذه النتائج الصادقة لا يستخرجها إلا العالم بها ولا يعلمها سواه ، فإذن لا يعلم الناس متى يبعثون (١٧) بل انهم فوق ذلك تكامل علمهم في الآخرة واستحكم بدلائل وحجج قاطعة ومع ذلك هم متحيرون فيها شاكون بل هم فوق ذلك عجمي عنها لا يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم وهذا وإن ذكر أنه لمن في السموات والأرض ليس القصد منه إلا الذين كفروا

هذه المسائل السبعة عشر هي من قوله تعالى - وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - الى قوله - بل هم منها عميون - واعلم أن هذه النعم المذكورة تذكرة للمسلمين وتبصرة لهم أن يعرفوا نعم الله تعالى ويفقهوها ويدرسوها ويعملوا بها كما فعل سليمان عليه السلام فانه لما علم علم الحشرات طلب من الله أن يلهمه الشكر على ذلك العلم ، ولما نال الملك في الأرض ووصل الى أقصى ما يرام من العلم جعل هذا اختباراً فهكذا فليكن حال المسلم فليدرس السموات والأرض والمطر والنبات والأشجار والبحار ويتوجه الى الله وعلى المسلمين أن يكونوا علماء بالنجوم والطرق في البر والبحر بالعالم المختلفة وأن يذللوا الطبيعة بالدراسة لا بالهجرة كسليمان عليه السلام وأن يكونوا مصلحين في الأرض حتى تلحقهم كفة رسول الله ﷺ إذ قال بأمر الله الحمد لله على ما أنعم على عباده وحيا كل مصطفى من عباده النافعين لخلقهم المهادين لهم المرشدين الصادقين فليكن في

عاد دهم حقاء وصدقاً لتدخل فيهم النبي ﷺ بأمر ربه ولتكون عاقبتك في الدنيا والآخرة كعاقبة سليمان وداود وأمثالهما

﴿ تفسير الكلمات في هذه الآيات ﴾

قال تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله ﷺ أن يحمدا الله شكراً له على نعمه التي لا يحصى منها (التي لا يحصى منها) من نبي ومؤمن وتلك النعم عاروم وهداية ونصر وأن يحكي هؤلاء الذين اصطفاهم (الله خير أما يشركون) إلزام لهم وتذكيرهم وتوبيخهم (أمن) بل أمن (خلق السموات والأرض وأنزل لكم) لأجلكم (حدائق ذات بهجة) بساكنات ذات حسن يتنعم بها من رآها (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أي أنكم لا تقدرون أن تنبتوا شجرها (بل هم قوم يعلمون) عن الحق الذي هو التوحيد (أمن جعل الأرض) بدل من خلق السموات والأرض وكذا ما بعده (قراراً) دحاها وسواها للاستقرار عليها (خلاها) ظرف أي وسطها وهو القول الثاني والأول - أنهارا - وبين البحرين حاجزاً - مثل ذلك (رواسي) جبالاً ثوابت تنمها من الاضطراب لأن الجبال متصلة بالطبقة الصوانية نابتة منها وهذه الطبقة لواقطع جزء منها لاضطربت النار وخرجت من باطن الأرض فكانت براكين فاهترت وخربت بعد الاضطراب الكثير (البحرين) الملح والعذب (حاجزاً) مانعاً أن يختلط (لا يعلمون) التوحيد (أمن يحجب المضطر) المكروب المجهود المضطرب بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر فهي إذا نزلت بأحد يبادر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله (ويكشف السوء) الضرر إذ لا يقدر على تغيير حال من فقر ومرض وضيق إلى غنى وصحة وسعة إلا الله القادر (خلفاء الأرض) بأن ورثكم سكتها (قليلاً ما تذكرون) أي تذكرون تذكر قليل (يهديكم) يرشدكم (بين يدي رحمة) قدام المطر (أمن يبدؤا الخلق) نطقاً في الأرحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء) بالمطر (والأرض) بالنبات (برهانكم) حجتكم (إن كنتم صادقين) في أن مع الله آلهة شتى (قل) يا محمد لأهل مكة (لا يعلم من في السموات) من الملائكة (والأرض) من الخلق (الغيب إلا الله) نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت الساعة ، والمعنى أن الله هو الذي يعلم الغيب وحده (أيان يبعثون) متى ينشرون وأيان أصلها أي وأن (أدارك) تسكامل وانتهى واستعجم * يقال أدركت الفاكهة تسكملت نضجاً وأصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وزيدت ألف الوصل ليكن التسكلم بها (عمون) جمع عم وهو أغشى القلب * وقيل أدارك بمعنى اضمحل كما يقال تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك أي اضمحل عالمهم في الآخرة . انتهى تفسير بعض الكلمات والله أعلم

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذه المذكورات التي عددناها (١٧) هي التي تفهم المسلم كيف يحمدا الله . إذ حمد الله إنما يكون على نعمة والنعمة ما لم يدرسها الإنسان لا يفهم معناها وإذا لم يفهمها فلا حمد له كأشركناه في سورة الفاتحة . ألم يعلم المسلمون أن هذه هي التي يحمدا عليها . إن الحمد ثناء بحميد لأجل جميل اختياري ، فإذا لم يعرف الإنسان المحمود عليه فلا حمد له والله أمر نبينا ﷺ أن يحمدا الله وذلك الحمد يكون في العبادة وفي العلم ، أما في العبادة . فالمسلم يقرأ الفاتحة ويحمدا الله فيها على أنه مربى العالم كله وهو يرجعه ، وكذلك نرى المسلم يقول (التحيات لله) فالمسلم يحمدا الله ويقول التحيات له ، ويقول المسلم أيضاً في الرفع والاعتسادل ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ﴾ هذا حمد المسلم في العبادة ، فانظر أثر العبادة ، إن أثر العبادة يظهر في العلم ، انظر أيها الدكي ، إن الحمد في الصلاة على تربية العالمين وملء السموات والأرض وما بينهما وملء كل شيء بعد ذلك ، انظر أليس هذا هو ما في هذه السورة ، ألم يذكر الله هنا بعد ذلك الحمد المحمود عليه ، ألم يذكر السماء والأرض والمطر والنبات والأنهار والبحار والهداية في البر والبحر

وارسال الرياح ، انظر . إن الله لم يذكر في هذا علم الحيوان لأنه تقدم في قصة سليمان وذكر الإنسان في قوله - ويجعلكم خلفاء الأرض - فاذن المأمود عليه هنا جميع هذه العوالم وهي المذكورة في قول المؤمن ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض الخ ﴾ فانظر كيف أمر الله النبي ﷺ أن يقول لنا - الحمد لله - ثم ذكر المأمود عليه على سبيل العلم لاعلى سبيل العبادة ، فالعبادة مجرد تذكرة ، وأما هنا فهو علم فاذا قال - الحمد لله رب العالمين - وقال ﴿ الحمد لله ملء السموات وملء الأرض ﴾ فنتيجة ذلك أن يدرس هذه العوالم بقدر إمكانه وعلى قدر فهمه فيها يكون ارتقاؤه الى الله تعالى . هذا مقصود الحمد هنا وهو الدراسة والعلم فلا الحمد إلا لمعرفة المأمود عليه والمحمود عليه هو هذه المذكورات وهذه المذكورات هي عجائب السموات والأرض وما بينهما من عمل وهدهد وجن وملائكة ومطر ونبات وبر وبحر وجبل الخ هذا هو الحمد ، أما السلام في قوله - وسلام على عباده الذين اصطفى - فاعلم أن ذلك هو الدرجة الثانية وهي ترجع الى الأخلاق والفضيلة والإنسان ما دام مبعدا عن حب الناس جاهلا بالجامعة الإنسانية فهو بعيد من ربه ، فالإنسان سعاده ﴿ بأمرين ﴾ الأمر الأول ﴿ العلم وقد علم في الحمد ﴾ الثاني ﴿ في الحب العالم والحب العالم أشار له بقوله - وسلام على عباده الذين اصطفى - أتدري أيها الذكي أين هذا في ديننا ، اجلس عنه تجده في التشهد ، تجد المسلم يقول ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ يقول المسلم مخاطبا النبي ﷺ السلام عليك يحبيه اجلالا ويبدشه بشرى على بشرى بالسلامة كما تحببه الملائكة وهذه التحية من بواعث السرور والموافات ، يسلم المؤمن على النبي وعلى نفسه وعلى كل عبد صالح وهذا عين قوله تعالى - وسلام على عباده الذين اصطفى - فليفكر المؤمن وقت الصلاة في هذا المعنى وليقل ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ إن التفكير في هذا المعنى يحدث ألفة بينه وبين الأرواح الشريفة التي ارتقت الى عالم الصفاء والنور حتى اذا مات أحسن بالآلفة الجامعة بينه وبينهم فلا ينفروا منهم ولا يأنف . هذا هو المقصود من هذا السلام وليفكر فيمن اصطفاهم الله بالعلم والحكمة وليأخذ بأحسن ما عملوا به كما قال تعالى - فبهداهم اقتده - والاهتداء بهداهم إحكام للرابطة بين المرء وبين الصالحين فهناك ﴿ رابطتان ﴾ رابطة بالتسليم في العبادة ورابطة بالقوة الحسنة في العلم كقصة سليمان هنا إذ يتبحر الإنسان في العوالم ويغوص في بواطنها من علم طبيعة وعلم أرواح ويريد في الاخلاص لله والتسليم له فلا يغتر بما أعطى بل يقول - ليلافني أشكر أم أكفر - الخ فن اقتدى بعالم أو بنبي في خصلة فقد عظمه وحياه وهو أيضا في كل صلاة يسلم عليه . وبهذا فهمنا - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - وصار الملخص أن تتبحر في العلوم ليتجددنا لله وأن تقتدى بالأنبياء ليكون ذلك رابطة تجمعنا بهم وهذه رابطة تؤكد من رابطة التحية كما قال ﷺ ﴿ أنت مع من أحببت ﴾ وكما قال تعالى - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ ذلك الفضل من الله -

واعلم أن الذين اصطفاهم الله أشبه بآباء للناس ، وكما أن الله عز وجل منزله عن المادّة صرحي العالمين مسعد لهم ليرقيهم من حال الى حال ، فكذلك هؤلاء الصالحون يسبرون على السنن الذي سننه وان كانوا في هذه الأجسام فهم وان شاركوا الناس في أمور الحياة لا يريدون بها إلا القوة على المنافع العامة للأمة ، وكلما كان الإنسان أزهد في المادّة وأحب للعلم وأكثر مساعدة وحبا للناس كان أقرب الى الله ، وكلما نزل عن ذلك كان أبعد عنه ، إن الله أعطانا دروسا شتى في الحياة ، قلل الشهوة البدنية زمن الكبر ، وأكثر من المصائب في المنازل وفي المدن وفي علاقات الأمم بعضها ببعض وفي الأجسام ، كل ذلك ليفهم الناس أن هناك حياة أرقى من هذه وكأنه يقول أيها الناس إن هذه الحياة ليست أعظم حياة ، إن ربكم قادر وليست قدرته واقفة عند هذا الحد ، إن هناك حياة أوسع من هذه الحياة وأعلى منها ، وعلى مقدار اخلاصكم في أعمالكم وخواص

فقد كن من علائق هذه الحياة فمما لم أرقى والعالم الأرقى يكون فيه عبادة الدين أصلا في كسبها إن لم
تقتل زخارف الدنيا ، إن تلك وطاعة الملوك لم تؤثر في نفسه ، أنه يذكر ربه في وادي الخلق كما يذكره وهو على
عرش بانيس ويفوض الأمور له وذلك هو عين التقوى وباب الحب فتقتدوا به وبالأنباء لتكونوا مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

﴿ جوهره في قوله تعالى - أمتن خلق السموات والأرض وأزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به
حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها - الخ وفيها « لطيفة الأولى »

في شرح هذه العجائب « اللطيفة الثانية » في بهجة الحدائق ﴿

﴿ اللطيفة الأولى في شرح هذه العجائب وفيها خمس مطالب ﴿

(١) في قوله - حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها -

(٢) وفي قوله - أمتن جعل الأرض قرارا -

(٣) - وجعل خلأها أنهارا -

(٤) - وجعل لها رواسي - الخ

(٥) وفي قوله - أمتن يجيب المضطر إذا دعاه - الخ

﴿ المطلب الأول في الحدائق ذات البهجة الخ ﴿

يعيش الإنسان في هذه الأرض وأكثره في غفلة محجوب عن جلاله وبهائه وحسنه ، إن العالم في نظر
أكثر هذا الإنسان محجب وراءها محجب مسدولة بل هو مظلم قائم لالذة فيه ولا لجمال إلا اللذة الحيوانية ، فالتناس
يعيشون مسحورين بما أعطوا من حواس وبما نالت تلك الحواس من اللذات الحسية وينظرون إلى الهواء
وإلى الماء وإلى المعادن كالحديد والكبريت والبولثاسيوم والصوديوم والجير والمغنيسيا والفوسفور والسلسكا
(الزمل) والكور وغيرها نظروهم إلى أمور جامدة فاترة خاملة لا تحرك من همهم ولا تبعث من نشاطهم اللهم
إلا علماء الصناعات المتعلقة بهذه الكائنات والاعلماء الكيمياء ومن نحا نحوهم ورجال الصناعات والعلوم
الجزئية كلهم نظروهم جزئي وبختمهم محصور في دوائر ضيقة ، ولكن من حسن الحظ أن هذا الإنسان خلقت فيه
طائفة عقولهم أوسع ونظروهم أعمى وحكمهم أشرف ونورهم أبهى وأجلى وأجل وأجل إذ ينظرون بهيمة
تندرج تحتها كل العلوم ، تلك الطائفة هم خلفاء الله في أرضه ، هم الذين جعلوا في الأرض أوصياء على هذا
الإنسان المسكين المحبوس في الأرض المغمور في حماها الممنوع عن الجمال ، فهؤلاء يقولون نعم العالم الذي نحن
فيه في ظاهره جاد جاف وعند البحث ننظر فنرى هذا الهواء وهذا الماء فيهما عناصر الأكسوجين والادروجين
والأوزون ويصحب هذه الثلاثة الكربون ، فلما فيه العناصر الأولان والماء فيه العناصر الأول والثالث
والكربون أي الفحم معروف وهذه الأربعة تتجمع ويخلق منها كل نبات وكل حيوان مع إضافة مقدار قليل
من العناصر التسع المتقدمة التي أولها الحديد وآخرها الكلور . من هذه العناصر أو أكثرها يكون النبات
ويكون الحيوان . إذن هذا الهواء وهذا الماء وقليل من الكبريت وقليل من الفوسفور الخ هو نفسه هذا
الإنسان وهذا الحيوان وهذا النبات ، فما هو إلا أن يأخذ الإنسان حب القمح أو حب الشعير أو الذرة أو البرسيم
أو الخردل أو اللوبيا أو الخشخاش أو الجوز ويزرعها في أرض صالحة ويتمدها بالطرق المروقة فانه يرى بعد أيام
أن البنية التي كانت في داخل تلك الحبوب أخذت تنمو وأخذنا نلاحظ أن هناك

(١) جنرا وهو المنهرس في الأرض وله فروع ويعرف بالمجموع الجذري

(٢) وساق وهو الجزء الذي يرتفع في الهواء ويفترع فيه وأن من الحب الذي زرعه ما هو ذو فلتين مثل

اللوبياء والفول ، ومنه ما هو ذو فلتة واحدة مثل القمح والشعير

(٣) وأن المجموعات الجذرية إما وُتدية ، وأما ليفية ، وأما درنية ، فالوتدية هي التي يستمر الجذر الأصلي في النمو مع بقاءه أكبر من فروعه وذلك مثل جذور البسيم والجردل والخشخاش ، والليفية تكون قليلة النمو وجذيراتها كثيرة مثل جذر القمح والشعير والقمرة ، وأغلب النباتات ذات الحلقة الواحدة ، والدرنية تكون منتفخة مثل المواد الادخلية التي يتفدى بها النبات في المستقبل مثل الجزر والبطاطا والفجل والملف والبنجر وهكذا ، وهذه صور أنواع الجذور الثلاثة الوتدى والليفى والدرنى (انظر شكل ٣٦ و ٣٧ و ٣٨)



جذر الجزر



(شكل ٣٦ - جذر وتدى) (شكل ٣٧ - جذر ليفى) (شكل ٣٨ - جذر درنى)

(٤) وأن الجذور لا يحمل أوراقا وله قلدسوة تصون تحته وله منطقة نامية بالقرب من طرفه وله منطقة ماصة وهي منطقة الشعيرات الجذرية وله منطقة مثبتة خالية من تلك الشعيرات وليست ماصة وهو متفرع إلى جذيرات صغيرة وهو متجه رأسيا من أعلى إلى أسفل ويسمونه الانحناء الأرضى ويؤثر على هذا الاتجاه عوامل أخرى مثل الرطوبة والضوء ونحوهما

(٥) وأن الساق تحمل أوراقا وبراعم (وهي المجموع المكون من قمة الساق ومن الأوراق الصغيرة التي تحميها) وليس لها شعيرات ماصة كما للجذور وليس لها قلدسوة ونموها طرفى ودون الطرفى وتوجه رأسيا من أسفل إلى أعلى وتحمل الأوراق وتعرضها للهواء وتوصل العصارات من الجذور إلى الأوراق ومن هذه إلى الأعضاء الأخرى ، وقد تؤدى وظائف الأوراق وتقوم مقامها وتعمل بالمواد المدخلة في بعض النبات كالنخيل والبنج والشوكى والبطاطس ، ومتى نما النبات نرى له أزهارا تنشأ عليه ويطلق على مجموعها اسم (الفرخ الزهرى) ثم تذبل الزهرة وتستحيل إلى ثمرة

(٦) وأن الأجزاء الرئيسية للنباتات الزهرية هي الجذر والساق والورقة والبرعم والزهرة والبزرة ، ثم ما الذى نراه من الجوانب فى الجذور وفى الساق ، أما الجذر فانظر ماذا جرى فيه ، لقد رأيت أيها الذكى بعينك نظامه فى باطن الأرض فهو إما مثل الوتد وإما مثل الليف وإما مثل الدرنة ، ثم انظر ماذا حصل ؟ حصل كل الحبب وأتى محبب بعد أن نرى ساقا وورقا وبرعما وزهرا وثمرا . كل ذلك حاصل بسبب الجذور الممتدة المتفرعة فى الأرض ، ماذا فعلت تلك الجذور يا ترى ؟ هذه الجذور فيها فتحات شعرية ، تلك الفتحات الشعرية تمتص المواد من الأرض . أى المواد تمتصها . تمتص ما فيها مما ذكرناه من العناصر وهي الاكسوجين والادروجين والاوزوت والكبريت والحديد والفوسفور الخ وكيف تمتصها . تمتصها بمقادير خاصة فقاديرها فى القطن غير مقاديرها فى القول غير مقاديرها فى الورد جميل الرائحة غير مقاديرها فى العنب (انظر ما تقدم فى سورة البقرة وقرأ الجدول المذكور عند مسألة ابراهيم والطير) واعجب لاختلاف المقادير التي يتناولها النبات هناك وبها تختلف السوق والأوراق والطعوم والروائح والأغذية والفواكه . فيا ليت شعرى أين الحكمة التي تعلمتها تلك الفتحات الشعرية

حتى انصبت ما يليق بنباتها دسما ولونا وقديرا . ثم إن النباتات تباع بمئات الألوف عدا وقد اختلفت اختلافًا
مدهشا عظيمًا فكيف اختلفت الفتحات الشعرية فيها اختلافًا بمقدار اختلاف ظواهرها . ثم إن الكبريت
والحديد والفوسفور والسليكا والأكسوجين وما شابهها هي هي نفس الكمثرى التي نأكلها والورد الذي نشمه
والزيت الذي نستعمله . إذن نحن لم نستعمل شيئاً إلا تلك المواد التي نشاهدها من ماء ومن هواء ومن معادن
أرضية ولكن هذا السحر الخلال الذي ظهر في الأعمال التي ظهرت في حب القمح وفي حب الذرة وفي نوى
التمر والشمس هو الذي أرانا هذه العجائب . لا تمر ولا لبر ولا ذرة ولا ورد إلا أجزاء هوائية ومائية ومعنوية
تقدم ذكرها اختلف تقاعها فاختلفت أفعالها فصدق الامام الغزالي إذ يقول (إن المشعوذ البارع ان يفعل
مثل ما رآه في الطبيعة ولكن الناس لا يعتيادهم على مشاهدة هذه العجائب أنسوا بها فلم يروا فيها غرابة ولا
عجبا) ومن عجب أيضا أن المادة المسماة (الكأوروفيل) هي التي تجعل للنبات لون الخضرة وخاصة أجزاء النبات
التي تحتوى على الكأوروفيل . انها متى كانت معرضة للضوء تمتص (غاز السكر بونيك) من الهواء وتحلله الى
كربون وأكسوجين فتحفظ الكربون وتطرد الأكسوجين . وتعرف هذه الظاهرة (بالتمثيل الكأوروفيل)
إذن هذه الخضرة تفعل في النبات فعل التنفس في الحيوان فالحيوان يبقى الأكسوجين ويطرد الكربون
بالتنفس والنبات بالمادة التي أحدثت له الخضرة طرد الأكسوجين وأبقى الكربون بعكس الحيوان
ولما كان النبات الذي يعد بمئات الألوف مختلف النتائج والثمار اختلفت طرق امتصاصه من الأرض
بالشعيرات الجذرية كما تقدم واختلفت طرق تصرف المادة الخضراء في هيئة تنفسه . فالحجب لاختلافين اختلاف
الفتحات الشعرية في الجذور الأرضية واختلاف الخضرة في الأوراق الهوائية . الخضرة واحدة ولكنها تختلف
اختلافًا بالقوة والضعف . وبهذا الاختلاف يختلف فعلها التنفسي في الهواء وتكون الثمرات والأشكال على
مقتضى الاختلافين ويرجع كل هذا الى هواء وماء وكربون وحديد وفوسفور وكبريت مما تقدم ذكره .
لجمال الأزهار وبهجة الثمار وابتسام الورد وبهجة البساتين . هذه كلها هي نفس الماء ونفس الهواء ونفس
الفحم ونفس الكبريت . فيا ليت شعري من أين جاء للهواء وللفحم أن يعقل أن الجذر لابد أن يشتمل على
قسم يثبت في الأرض وعلى قسم يخوفها وعلى قسم آخر يمتص الغذاء في الأرض والغذاء لابد أن يكون مناسباً
للفاكهة وللحب ولطالاب الحيوان ولطالاب الانسان الغذائية والسوائية والفاكهة . حارت العقول يارب فما نراه
وما ألفناه . هذا هو قوله تعالى - ما كان لكم أن تنبتوا شجرها - هذا هو تفسير هذه الآية أي فكيف
نبت هذا الشجر وما هذا الشجر إلا مواد نراها ولكنها لا تقدر أن تضع هذه الأعاجيب منها . فنحن أمام هذا
النظام أشبه بجميع الناس أمام الخطباء والشعراء إذ يعرفون الكلمات والحروف والمعاني ولكنهم لا يقدرُونَ أن
ينظموا أشعاراً كأمري القيس ولا تراثاً مثل عبد الحميد الكاتب . فأنه يقول لنا - هاؤم اقرؤا كتابه -
هاهؤذا النبات وهكذا الحيوان ، هذه كلها من المواد التي ترونها فهل تقدرُونَ على هذا النظام . كلا .
(٧) ثم إن الساق إما أن تكون قائمة ، وإما أن تكون زاحقة ، وإما أن تكون متسلقة ، فالأولى
كل أشجار المعروفة كالقمح والذرة ، والثانية كالخيار والقرع والسليك . وهذه لما كانت فروعها يجب أن
تكون كثيرة الماء ضعفت فامتدت على الأرض وحملت الأرض عنها ثمارها ، فترى البطيخ والقرع وأمثاله
على الأرض اضعف تلك السوق المائية عن حمله . والثالثة تتسلق السياج وجذوع الأشجار الأخرى كاللباب
الذي يلتف حول الأجسام التي يتسلقها وبعضها كالسكرمة والبازلاء تثبت بتلك الأجسام بواسطة (محاليق)
وهي خيوط رفيعة تلتف حول الأجسام التي تصادفها ، ومحاليق السكرمة غصون محوورة ولذلك نراها قد تحمل
براعم . أما محاليق البازلاء فهي أوراق محوورة . ثم ان غصون السوق الهوائية قد تتحول الى أشواك للدفاع
عن النبات كما في البرتقال (انظر شكل ٣٨)



(شكل ٣٩ - صورة محاليق النكرمة)

فانظر لعن انقاب ثارة الى محلاق لرفع شجرته وتارة الى شوكه ليحفظ النبات ثم الورق انقاب الى محلاق ليرفع شجرته أيضا

(٨) ثم انظر الى عجائب العلم والحساب والهندسة في النبات (أذكر ك بما تقدم في سورة الحجر عند قوله تعالى فيها - وأنبثنا فيها من كل شئ موزون - فتأمل شكل ١ وشكل ٢ وشكل ٣ وشكل ٤ في (سورة الحجر) وتأمل رعاك الله نظام أوراق النباتات المختلفة وكيف كانت محسوبة بحساب عجيب فتراها على الأغصان بينها مساحات متساوية تسكون دائرة ثامة

فانظر الى هذا الحساب هناك والى هذه الدقة في الهندسة والحساب البديع واقرأ بقية شرح الحساب هناك ثم ارجع الى أول المقال فأول المقال انه ليس عندنا شئ إلا هذا الماء وهذا الهواء وهذا الحديد ثم انظر هذه التنوعات في الجذور وفي السوق وفي لأوراق وفي الأزهار وفي النتائج وفي حساب الأوراق على الساق ونظامها وأعدادها ودوائرها . هذا معنى - ما كان لكم أن تنبتوا شجرها - وكيف تنبت شجرها ونحن اذا لاحظنا نظام الجذر لا لاحظنا نظام الساق ولا الزهر ولا الفاكهة ولا حساب الأوراق . فهذا كله حاصل ولا يختل عمل بسبب مزاجه الآخر له . هذه الملاحظات الثمانية التي ذكرتها لك أيها الذكي في الحدائق والأشجار وسائر النبات متى تأملتها وجدتتها شرحا لعلم الفلسفة القديمة والحديثة . وقبل أن أذكر آراء الفلاسفة أنتم القول في الحدائق فأقول

اعلم أن الحدائق ذات البهجة على (قسمين) حدائق في البر وهي معروفة وحدائق في البحار عرفها الناس في أيامنا هذه وذلك باختراع آلة وهي عبارة عن غرفة يمكن الغوص بها على أعماق بعيدة في الماء وتتصل بالسفينة بواسطة أنبوبة تحمل الهواء ، ومن مزيتها أن حركتها يميناً وشمالاً لا تتأني مع حركة السفينة وسيرها ، وهي تنفع لرجلين أحدهما يتولى إنزالها وإنزالها واصعادها والآخر للقيام بتصوير المناظر ثم هي مزودة بنظارة يبلغ قطرها مترين وسماكتها ستميمترات كثيرة بحيث يند منها البصر على مساحة واسعة . ذلك الى أنها تستخدم لعكس الأشعة وتسهيل استكشاف المناظر . وقد استطاع هذا المخترع وهو (المستر ويليام سن) المشهور باستكشافاته البحرية أن يرئاد في غرفته هذه مياه جزائر البولينيز وأن يشاهد من عجائبها ما آثار دهشة العلماء . فلما ذكره انه رأى من النباتات المتباينة الألوان ما يشبه أجمل الحدائق فوق اليابسة وأن هذه الحدائق تسكنها حيوانات مختلفة الأنواع . فمنها حيوانات رخوة وذوات أصداف لم تسكن معروفة حتى الآن وهي تتطاحن وتتنازع أكثر من تطاحن حيوانات اليابسة وتنازعها . وأغرب ما ذكره المستر (ويليام سن) أن من هذه الحيوانات ما يشبه النبات في شكله ولسكنها حيوانات ضارية إذ تنقض على الأسماك التي ليست من نوعها فتفترسها

ثم كان من أثر مشاهدته أن ذكف لنا ظاهرة عجوبة وهي أن الأسماك المسكونة بالروح التي يدور بها وحش البحر أو ثقب البحر ليست على خطتها بل هي لها ألسنة الأسماك فكما وأكثر من غبارها فيمنعها عن السباحة صغير له أسنان حادة يشربها به ثم ينفث في جسمها مادة سائلة تغشاها بالسم . وهذه السمكة (ويليامسن) ممركة بين فضاء غلاف من السمك تتوحد فيها الأسماك والآلات فكان من هذه الآلات المراكبة في جسم الأسماك ما يشبه السيف . ومنها ما يشرب شكله من المنشار . أما خلف هذه الأسماك فهو ما كان يعمل في جسمه من حركة يطعن بها جسمه انتهى من عجبة الجديد

(تطبيق للمذاهب الفلسفية في جميع الأمم على نظام النبات)

قام في اليونان (تاليس) بأكثر من خمسة قرون قبل الميلاد فقال أصل العالم الماء ، لماذا ؟ لأنني رأيت الماء داخلا في النبات وفي الحيوان

(٢) ثم قام بعده (أنكسيانس) فقال . كلا . أصل العالم الهواء

(٣) ثم قام أنكسيمندر فقال أنا لا أعتبر إلا المادة العامة . فأما الماء والهواء فإيهما إلا فرعان ومثله (ديموقريطس) إذ رجع إلى الجزء الذي لا يتجزأ وقد أخذ به علماء الأشعرية من أممنا الإسلامية

(٤) ثم قام فيثاغورس وقال لا أيها الناس كلا . ثم كلا . مالنا ولنا والهواء والمادة . أصل هذا العالم إنما هو العدد والحساب لأنني رأيته منظما

(٥) فقال أنكساغورس . كلا . أيها الناس هل يكون الحساب بلا حساب والنظام بلا منظم ، هناك عقل يعقل هذا العالم

(٦) ثم جاء سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس فقالوا بالله منظم للعالم

هذا ملخص مذاهب اليونان وتبعهم ازرومان وقامت أوروبا فتم يخرج مفكرورهم عن هذه الآراء فأما أهل الهند فاني رأيت في كتاب (راجا يوقا) أن قوما منهم أشبه بتاليس ومن معه لا يرون للعالم صالها وشم السنخ وقوم مثل أنكساغورس لا يرون له عالما به ، وآخرين يشبهون أفلاطون ومن معه ، فالوجيون يقولون انه عالم بما لانهاية له ومعلم لكل عالم في العوالم كلها ، والذين يتبعون كتاب التيدا يقولون هو عالم وصانع للعالم كجزئيه وكيه مستدين بالنظام الموسبق

وبناء على ذلك أصبحت عقول أهل الغرب وأهل الشرق ترجع إلى ما تراء الآن في هذا النبات . فأهل السنخ في الهند وتاليس ومن معه في اليونان لم ينظروا إلا إلى ما أمامهم كما ينظر العايمي في هذا النبات ولا يفكر إلا في المادة وحدها ، فأما الوجيون في الهند وأتباع الفيدا وهو الكتاب المقدس عندهم فانهم لاحظوا ماهر أعلى من حيث نظام الأوراق والأزهار وحسابها كما لاحظها أفلاطون وسقراط وشرحها شرحا جيدا كما نقلته عنهما في رسالتي التي سميتها «مرآة الفلسفة» فقالوا بأن للعالم إلهة نظامه وهو حكيم ومبدع إذن مسألة النبات التي شرحتها هنا قد شرحت أدوار الفلاسفة في الشرق والغرب وقد أصبح ما كان من الفلسفة عسرا ففهم (عويصا على العقل مشتتا للفكر موجبا للالحاد للجهل الفاشي وأصعوبة الكتب) مشاهدا بالبصر سهل الفهم شارحا للصديق قريبا من العقل يفهمه المتوسطون . أما أنا فاني أجد الله عز وجل إذ وقفت على هذه المذاهب واختصرتها هنا وطبقتها على النبات واستبان بهذا أن الناس في مشاهدة هذا العالم أشبه بالعميان الست الذين شاهدوا الفيل وكل حكم عليه بما وقع تحت حسه فقرأه في سورة المؤمنون عند قوله تعالى . كل حزب بما لديهم فرحون . ومن أدرك ما كتبت الآن ووقف على تفصيله في غير هذا المكان فانه لا محالة ينظر لاختلاف مذاهب الفلاسفة في الغرب والشرق في عصرنا نظر البصير إلى الفيل وقد سمع العميان الست يدرسه وله لكل رأى فيه وهو من آرائهم يستخرج وقد عرف أن كلا منهم قل بعض الحقيقة أما هو فقد وقف عليها وهو من الموقنين . انتهى الكلام على «المطلب الأول» في قوله تعالى هنا . وأنزل لكم من

السماء ماء فأبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تثبتوا شعبرها -

﴿ المطلب الثاني في قوله تعالى - أئمن جعل الأرض قرارا - ﴾

أقول ، لقد تقدم رسم انفارسات كاهيا في (سورة النور) فلرجع اليها هناك وانظرها مع الحدائق البهجة والنبات والحيوان

﴿ المطلب الثالث والرابع في قوله تعالى - وجعل خلاها أنهارا وجعل لها رواسي - ﴾

فالطلب الأول هو النبات ولما كان النبات لا بد له من قرار أنبعه بالمطلب الثاني ثم أتبعه بما كان سبب انباته فذكر الأنهار والأنهار لا تكون إلا بالسحاب والمنار والشج الذي يكون في الجوّ تارة وتارة يقع على الجبل فينزل الماء في داخله ويخزن فيه فتنبع منه العيون ويمد الأنهار في الأوقات المختلفة ، فانظر في (سورة النور) وتأمل هذه المطالب هناك فانك تجد في تفسير قوله تعالى - ألم تر أن الله يزجى سحابا - الخ صورة السحاب الذي ليس بمركوم والسحاب المركوم والسحاب الذي يخرج منه الودق ، وهكذا ترى الشج الذي هو كالجبال في الجوّ الذي يخلق البرد فيه وهو معرض لوصول الهواء الحارّ اليه فيرجع مطرا وهكذا جبال الشج التي تحفظ فوق الجبال مثل جبال الألب المرسومة هناك وهكذا الشج الذي يكون فوق الجبل ويرى نازلا منه في النهر كنهج الرن الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط كما يصب فيه النيل الخارج من خط الاستواء من البحيرة المسماة بحيرة فسكتوريا ، فهذه الشاوج وهذه الجبال تراها مرسومة في تفسير تلك الآية فلاحاجة لاعادتها هنا وأما قوله تعالى - وجعل بين البحرين حاجزا - فانظره في سورة الفرقان عند قوله تعالى - مرج البحرين - الخ اه

﴿ المطلب الخامس في قوله تعالى - أئمن يجيب المضطر إذا دعاه - ﴾

وهذا أمر لا يعرف إلا بالوجدان ولكل حيوان ولكل انسان في الأرض شؤون تخصه لا يعرفها غيره والله أمده بامداد خاص وألقاه من خطر هو أدري به وحده ولكل ذى نفس مع ربه سر لا يدركه سواهما ، ويظهر لك في مثالنا انك تراه تقع غصن الكرم فجعله محلافا ، وقد تقدم رسمه ونوع ورقة البازلاء فسكان كذلك كما تقدم ، ونوع غصن البرتقال فصار شوكا لحفظ النبات ، فهو قد راعى ما يحتاجه البرتقال من الحفظ وما يحتاجه البازلاء والكرمة من المحالقة لترتفع بها عن غيرها فأمدتها فهو إذن يحافظ على الجزء كما يحافظ على الكل ويراقب الورقة الصغيرة ويفعل فيها ما تقتضيه المصلحة . فهذا نظير إجابة المضطر إذا دعاه . هذا ما فصح الله به في هذه الآيات كتبت ليلة الاثنين ١٥ ابريل سنة ١٩٢٩

﴿ البهجة في حدائق ذات بهجة ﴾

أكتب هذا صباح يوم الخميس (٦ يونيو سنة ١٩٢٩) إذ كنت متوجها لزيارة بعض الأصدقاء في شارع النصليبه الموصل من ضريح السيدة زينب الى القلعة ، فبينما أنا أسير إذ رأيت أمرا غريبا ، رأيت منظرا جبلا وحديقة بهجة في الجهة الشرقية لجامع ابن طولون ، ذلك المسجد الذي أسس منذ نحو مائة وألف سنة فوق (جبل يشكر) ولقد كنت قبل اليوم أرى هذا المسجد حوله مبان قفرة وبيوت ضئيلة كأنها الأكواخ مشهدها يقبض النفوس ويجلب البؤس وهذا القبض والبؤس بسبب تلك القاذورات والحيوانات النرجية والرطوبات المنتشرة التي تكون سببا في المرض وفساد الصحة وذهاب الأجسام والنفوس والأخلاق ولقد منذت لي شهور وشهور لم أمر من هذا الشارع . إن حكومتنا المصرية لما لها من الاتصال برجال الغرب أرادت أن تجاريهم في تحسين القاهرة وتجميلها فاشترت تلك البيوت الحقيرة وغيرها وهدمتها وصنعت في محلها هذه الحديقة فاستوقفت نظري ولم أشأ أن أندفع في المسير حتى أنأمل هذه الحديقة . المسجد فوق الجبل والشارع منحط عنه بما يزيد على ١٢ مترا ، فبناء عليه جميل هذا المنحدر الذي هدمت البيوت المبنية فوقه حديقة

طريقة تكوينه من (سبع قطع) متجارات (القطعة الأولى) جهة النارع في أسفل المسطح بضاوية الشكل يحيط بها سور من الحديد قد زرع حداثئ تكون طول السنة مخضرة ويسمونها (فانو) وفي وسطها روضة طريفة صغيرة مزروعة أشجارا أوراقها طويلة أزهارها كثيرة شجرة اسمونها (كنه) أو سبل وهذه الروضة السفيرة أيضا بضاوية الشكل كمدار الكواكب كلها فانها بضاوية ويحيط بها أشجار السور الجليل وكل هذه اختيرت لأنها مخضرة طول الدهر لا يتحات ورقها ولا يطمع الناس في أكل ثمرها فكان الأشجار يضيع رونق بعض الأشجار وينك قواها فلا تبق على رونقها طول السنة.

هذه هي القطعة الأولى والقطع الست الباقية كلها مستطيلات الشكل يحيط بعض سورها شجر يسمى (توتة) أخذوا هذا الاسم من اللغات الأفرنجية التي جلبوا هذه لأشجار منها . هذه هي الحقيقة التي رأيها وأنا الآن أراك أيها الذكي تقول لي ، لقد وصفت حقيقة لا قيمة لها وفي الدنيا حداثئ جميلة بهجة وهذه بالنسبة لها أثر بعد عين أو عدم بالنسبة للوجود . فأقول أنا لم أكتب هذا المقال لأسمعك هذا الوصف . كلا . بل إنني أريد أن أذكر ما خطر بنفسى حين رأيت هذه الحقيقة ، تذكرت أن هذا المسكن كنت أسكن منذ ٣٠ سنة بالقرب منه وما كان له هذا الرنق فتغيرت الحال فقلت في نفسى هذه أجسامنا التي نعش بها نرى الله يقبلها من حال الى حال ثم يهدمها ويحدث غيرها ، فإذا رأينا الأرض الملاصقة لمسجد ابن طولون لما هدمت بيوتها ظهر لها رونق جديد هكذا فلتكن أجسامنا بعد أن تهدم تظهر أرواحنا بمنظر جميل شارح للصدور وهذا الخاطريس هو المقصود الأول من هذا المقال بل المقصد الأهم من هذا هو تذكري المسلمين بقوله تعالى - حداثئ ذات بهجة -

ماهى البهجة هنا ؟ بظن الجهلاء وصفار العلماء أن البهجة في مناظر الحداثئ وظواهرها مع ان خضراء الدمن أى تلك الحشائش التي تنبت في الأماكن المستقرة تكون ذات بهجة أيضا . كلا . إن المدن اذا ازدحت بالسكان وتراكت فيها الأقدار ضاقت الأنفاس فيها وتعذر على الناس القيام بأهم شؤونهم لما يتدخل شوارعهم وأزقتهم من المزابل والأتربة والقمامات والقاذورات فتنبعث منها الروائح الكريهة وتكثر الحيات وتضعف الأبدان ولا يبقى في المدن إلا أناس قويت أجسامهم فتحملت هذه المهلكات فهاشت ، والأهم سادات جامعة لم يظهر فيها مفكرون ترضى بهذه الحال وتمتد أنه لا مفر منها وأن هذه هي الحال العامة وليس هناك خير منها فيجوس الوباء خلال الديار فيجوف الأجيال جيلا بعد جيل والناس لا يعقلون . فأما اذا تخليت الحداثئ المدن كهذه الحداثئ هناك يتجدد الهواء وسط المدينة فكان المدينة بهذا تنفست بعد أن كانت لا تنفس لها . وبيانه أن النبات بينه وبين الحيوان اشتراك فعلى في الحياة ، فالإنسان والحيوان يخرج السكر بون (الفحم) من أنفاسهما ويأخذاه الهواء ويوصله الى الأشجار ، ومعلوم أن أوراقها أشبه بالرئة فتأخذ من الهواء المادة الفحمية الآتية من أنفاس الإنسان والحيوان وتعطى الهواء مادة الحياة التي يسمونها الأكسوجين وتقول أيها الهواء خذ مادة الحياة هذه وسامها بسلام الى اخوتي واخوانى الإنسان والحيوان فيحمل النسيم تلك التحية ويسير الى أن يوصل تلك المادة وهى (الأكسوجين) الى الإنسان والحيوان فيتنفسان بها أى يجذبانها من الهواء ويدخلانها في المادة الدموية فتنظفها وتعطيها قوة الحياة فيكون الدم شريانيا بعد أن كان ورديا . فأنا اذ وقفت أمام هذه الروضة الصغيرة كنت كأنى أسمع تلك الأوراق والأشجار والأزهار تخاطبني بهذه المعنى وتقول قل للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، لماذا كانت مساكنتكم في مصر ومراكش والجزائر وتونس والعراق وغيرها أقل رونقا وبهجة وتنبت منها الروائح الكريهة ؟ أجهاتم العلوم ونبتتم العلماء أم لم تهتموا قول الله تعالى - فأنبثنا به حداثئ ذات بهجة - فهذه البهجة التي تظهر في رونق الأشجار والأوراق تنبت منها لنفوسكم بهجة وحياة فتكون هناك سمادة القلوب وانتعاش المدن وقلة الوباء وارتقاء الأمم

فها أنا ذا أكتب هذا للسامعين وأقول قد بلغت اللهم فاشهد . فلما كتبت هذا حضر صديق العالم فقال هذا كلام حسن ولكن مامعنى قولك « قد بلغت اللهم فاشهد » هل أنت بلغت ديناً ، وهل الحدائق ذات البهجة يجب أن تدخل المدن الإسلامية حتى تقول لأهلها بلغت اللهم فاشهد . هذه قلها النبي ﷺ في حجة الوداع ولكن قلها في أمور هامة وهو حفظ الأنفس والأموال والرفق بالصيد والنساء . أما هذا الذي تقوله فلا هو في الصيد ولا في النفي وإنما أنت رجل رأيت حديقة في مكان كنت تسكن قريباً منه وكان مكاناً مزدجماً بالسكان قدراً فأصبح مكاناً جميلاً فأثر في خيالك . هذا أول الأمر وهذا آخره . قلت يا صاح اسمع . أليس ترى بعد هذا البيان أن فيه حفظاً للأنفس وصحتها . قل بلى . قلت ومتى صحت الأنفس كثرت الأموال . قال بلى . قلت أليس من هذه الأنفس النساء والعبيد . قال بلى . قلت أو مصداق أنت بالقضايا العامة التي ذكرتها لك قال نعم . قلت إذن فقد الصحة وحصول الوباء المتكرر في البلدان يميت نساء وعبيداً وأطفالاً ورجالاً ، ولهذا الموت ليس بالسلاح المعروف وإنما هو بسلاح آخر أرسله الله لأهل الأرض ليهلكهم فيصعد الأرواح حصداً أفلاتذكر أن هذه أنباء فروض كفايات . قال بلى . قلت وتركها إنهم على الأمة كلها . قال بلى . قلت ولذلك يعم المرض ولا يخص وكذلك الوباء . كل ذلك عقاب على ترك فرض الكفايات . قال نعم . قلت فإذا تريد بعد هذا البيان ، أليس في ترك هذا الصلاح هلاك للأنفس التي حذر منها ﷺ قل بلى . قلت إذن وصلنا للمقصود ودخل هذا الموضوع في نفس الحديث المذكور وصار الإثم خاصاً بمثل وبمثاك فإذا لم تنقح الناس اقناعاً تاماً فانهم لا يعملون ، فانهم ما قلت وفهمه للناس ، أفلا يتحقق لي أن أقول « قد بلغت اللهم فاشهد » قال لقد أقتعنى بحسن بيانك « إن من البيان لسحراً » فقلت الحمد لله رب العالمين

(اللطيفة الثانية في بهجة الحدائق)

هذه الآيات باب نلج منه لتدخل أبواب الحدائق النماء والحقول الخضراء والبساتين البهجة المدهشات وهذه ذكرى لما كان ديدنى أيام شباني . ومشرى في أول حياتي ووع بالأشجار والأزهار والزروع والأعشاب أجلس على حافة الأنهار وعلى شطوطها وفي المزارع وتحت الأشجار وأسمع تغريد طيورها وغوير أعشاشها ورنين حشراتهما ، وأرى مستقرها ومستودعها ، وكنت أطرب لمراى جمالها وبديع نظامها وتفنن أوقافها وبدائع أغصانها وتزخ فروعها وبهجة حسناتها . ولقد كان يخيّل لي أنها ممرافق فائنات ومفان مرنجات ذات معان بهجات ، وكأنها تغريد أطيافها وغوير أعشاشها ورنين حشراتهما وهي تردد في الجوفات نغماتها وعجائب نغماتها وبدائع هزجها ورمائها جماعات من الموسيقيين الفنيين يضربون على دفوفهم ويغنون على أعودهم وقد برعوا في فنونهم وانتظموا في صفوفهم فأبهجوا السامعين هذه كانت حالى أيام الشباب لاسيما إذا جن الليل وأرخى سدوله وانظرت الراقصات الحسان والباصات الطرف المضيئات دياجى الظلمات الباسمات الشفوف المشرحات العمودور الداعيات الى جمالهن أجل العقول وأكبر النفوس أن هلموا الى واقفوا على . إن ابتسام الزهر واقترار الثغر وبهجة الورد واعتدال القدر وحيرة الخلد كلهن مشتقات من بساطي وبهجة أنوارى ومحاسن إصدارى وإيرادى فلا نقصد إلا الى ولا نقولوا إلا على وارفعوا النفوس الى العلا وأنتم مبهجون

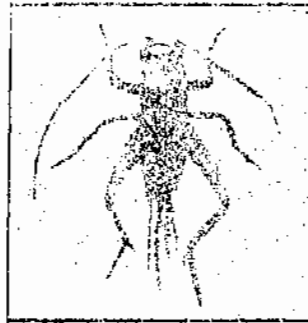
هذه كانت قصة خيالى في مبدأ حياتي في الرياض المشهكات والحقول الخضراء ، فهل كان يجيش بقاى أو غير بخاطري ما ظهر الآن وبهر من علم الحشرات وغنائها وأن تلك الحدائق والحقول كان فيها تلك المعاني حقيقة لا بحجاز وحسلاً لا خيالاً ، وهل كنت أعلم إذ ذاك أن من أنواع الحشرات ما بلغ العارن بينها مبالغاً عظيماً وأصبحت حضارتها أبغ في الحقيقة من حضارة الانسان . إن هناك نظاماً يفوق الوصف في تلك المخلوقات قد قرأته في سور كثيرة لاسيما في هذه السورة ، مثل أن الهباء راقبوا النمل فوجدوا الواحد منها فصل شواربها

بشوارب الثانية فيحصل هناك ضجة كبيرة في تلك الجلسات ، انها تعاونات ، انها متحدثات ، إن بينهما مخاطبة بطريق (التعريف الذي لاسلاك له) كيف لا وقد أدهش العلماء أن رأوا جصاصات منها تذبح الأميال في الليل البهيم لتتخذ حشرة وقعت أسيرة ، فن أخبرها وأى واسطة للتبليغ غير ذلك . يظن العلماء أن لها لغات لكن لا نسمعها وقد أثبتوا أن لها معاني وآلات طرب بقسميها وهما ذوات النفخ كالزمار وذوات النقر كالطبل . مثاله (السيكادا) وهي نوع من الذباب الكبير فان له طبلا ينقر عليه كطبل الانسان وهذه صورته (شكل ٤٠)



(شكل ٤٠ - رسم ذباب كبير له طبلة يتحدث بها صوت الموسيقى)

وهكذا هناك حشرة تفرغ جذع شجر الهليون أو غيره فتجعلها كالطبله فيسمع لذلك صوت مستمر . وهذه صورة الجدد وغناؤه معلوم (شكل ٤١)



(شكل ٤١ - صورة الجدد « الصرصور »)

وهناك الخنفساء التي تهزف بطريق خاص بها وتشد عضلات الرجلين المقدمين والرجلين المؤخرين فيظهر بينهما غشاء رقيق مشدود فتعزف عليه ويظهر لها صوت جميل مثل (الناى) أليس هذا هو عين قول الله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - أليست الخنفساء القبيحة للنظر التعسة لها مالا من أنواع الموسيقى والغناء والألحان ، فيها هي ذه المماثلة لم تقتصر على حال دون حال بل وصلت الى الزينة وهي نوع الموسيقى التي كنت أتخيلها في الحقول وماهى بخيال بل كان الوجدان يقتطف ويختطف ذلك الفرح وتلك البهجة من بين الأعشاب ويلقيها الى نفسى فأتحيل النفثات وان كنت لأسمعها وأستطرف تلك المعاني وان كنت لا أدركها

﴿ معاني النمل ﴾

وهل كان يدور بخلد أحد من أهل العلم قبل الآن أن للنمل آلات موسيقية وانها تحنك بأجسامها في أوراق الأشجار فتحدث صوتا في بعض الغابات يسمونه على بعد ٣ قدما وبين كل نملة وأخرى مسافة معلومة فتحدث هناك نغمة خاصة ويكون البدء وتكون النهاية في وقت واحد ، وهذا جهاز التنفس في الحشرات والخنفساء الرقيق الذى يحدث الصوت (انظر شكل ٤٢ وشكل ٤٣ في الصفحة التالية)



(شكل ٤٢ - جهاز التنفس في الحشرات والغشاء الرقيق الذي يحدث الصوت)



(شكل ٤٣ - رسم الخنفساء الوغلية وهي طائرة)

إن أجنحة الحشرات تتحرك بسرعة تفوق الوصف بل تصل الى (٣٥٠) مرة في الثانية في الحشرة المسماة بالزجاجة الزرقاء ، وإست موسيقى الحشرات كلها بالقرأ والاحتكاك . كلا . بل منها ماله جهاز تنفسي كجهاز الانسان

يقول علماء الحشرات إنه مامن نوع من أنواع الحشرات إلا وله لغات خاصة به ، واذن قوة الانسان لن نقدر أن ندرك ذلك وقد قطعوا الأمل أن يدركوا ذلك بالآلات لأنهم يقولون ﴿ إن الانسان أدق نحو مليون مرة من أشد الآلات العلمية إحساسا ﴾

بهذا نفهم قوله تعالى - حقائق ذات بهجة - وقوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أفلمست أنا أيها الذكي على حق اذا قلت وأنا في تلك الحقول أيام الشباب ، ان النجوم الباسمة الثغر ليلا تقول هلموا الى لأن أرضنا فيها معان بديعة عجيبه قد استبهمت علينا فشوقتنا الى المعرفة العامة في الأرض وغيرها وبالمعرفة تكون السعادة ، ومتى طرنا من هذه الأرض أدركنا جلالاً أرقى ومحاسن أبهى والسلام اهـ

وأقول أيضا هل كان يخيّل الى وأنا في حال الشباب جالسا في الحقول كما قدمت آتفا أن هناك شجرة تسمى « شجرة السامح » نقلا عن مجلة الجديد وهامى ذه (انظر شكل ٤٤ في الصفحة التالية)



(شكل ٤٤ - شجرة السامح في حديقة النباتات في (جورجتون) عاصمة غيانا البريطانية وهي تحتوى دائما على كمية كبيرة من المياه النقية الصالحة للشرب فاذا نقب أحد الفروع يتسرب الماء من الفتحة بقوة وكل فرع به مخزن مستقل من الماء)

أم كان يخيل الى أن هناك عواطف للحب بين أنواع الحيوان والطيور كما ترى من مغازلة الطاووس لأنثاه (شكل ٤٥ في الصفحة التالية) فلقد جاء في مجلة الجديد أيضا ما نصه



(شكل ٤٥ - رسم مغازلة الطاووس لأنثاه)

﴿ مغازلات الحيوانات والطيور وهدايا العشاق ﴾

تقدم الاستاذ (جوليان سوريل هكسلي) بجامعة أكسفورد الى الجمعية العلمية الانكليزية بأبحاث هامة أثبت فيها أن كل الطرق والاجراآت التي يتفنن في عملها الذكور والاناث من بني الانسان لاستمالة القلوب موجود مايمثلها من كل وجهه بين الحيوانات والطيور فانه يكون بين الجنسين فيها المغارلات والغناء والرقص وتقديم الهدايا الى آخر مايصير بين الحب والحبيب ولبس ذلك قاصرا على الأنواع العليا . فالاستاذ هكسلي يثبت أن بعض الحشرات تعطر بروائح الثمار والأزهار كي تكون محبوبة ، ومن المعروف أن كثيرا من الطيور والحيوانات حتى الأنواع الزاحفة منها تعرف أغاني الحب وتكثر منها لاستمالة القلوب

﴿ حب العنكبوت المبصر ﴾

ويرى الاستاذ (هكسلي) أن لكل نوع من الحيوان طريقه الخاصة به حسبما يتفق مع تكوينه فالعنكبوت مثلا ﴿ قسبان ﴾ قسم يتجول ويصطاد فريسته ، وقسم يتخذ بيوتا من النسيج الدقيق الذي يغزله ، ويرى

أن العنكبوت الأخير لا يبصر فلا عاشق منه طريقة غير التي يتبعها العاشق من النوع الأول ، فالعنكبوت المتبول الذي أبصر عنكبوتة من نوعه أخذ يدنو منها بأرشفة حركة ثم إذا صار أمامها يأخذ في الرقص سوطاً بكل مهارة ودقة حتى إذا وجد أنه أثار ميلها إليه ألقي بجسمه أثناء رقصه فوق جسمها وقد تسببت هي باختفائه فبرقصانها معها نحو مائة دورة قبل اتصالها العنيف الجنوني

﴿ حب العنكبوت الأعمى ﴾

وأما العنكبوت الأعمى وهو الذي يتخذ البيوت الخيطية فإنه يعبر عن عواطفه في الحب بطريقة أخرى غير الرقص لأنه لا تراه حبيبته حيث يدنو من بيت معشوقته بكل مهارة كأنما هو روميو تحت شرفة جوليت فلا يحطم لها خيوط البيت ولكنه يهز أحد الخيوط برشاقة وينقر عليه بخفة و بطريقة خاصة تفهم منها العنكبوتة أن الطارق هو روميو لاذباة ، وهذه الإشارة الأولية لابد منها ، والا فإن المعشوقة العمياء ربما حسبتة فريسة وأكلته وقد يجيء العنكبوت حاملا إلى حبيبته فريسة من اللحم المختار ملفوفة في خيوط من الحرير على سبيل الإهداء فان تقديم الهدايا ليس خاصا بالإنسان بل هو غريزي في بعض أنواع الحيوانات والطيور . ويوجد نوع من الذباب يصنع الذكر منه (باقة) من الأزهار الدقيقة ويقدمها للإناث ليشرها بحبه ، وذلك بأن يخرج إفرازا يصنعه على شكل فقاع صغير ويجمع قطعاً من أوراق الأزهار ويصقها عليها فإذا صنع باقته كذلك وضعها على رجليه وقدمها لحبيبته

﴿ حب الفراش ﴾

ومن البديهي أن تأتى الطبيعة في زخرفة الفراش بأبهج الألوان الجذابة لم يحصل عبثاً فلا بد من أن تطوّرات الانتخاب الطبيعي لاختيار النوع الأمثل كانت على أشد حرارة بين هذه الحشرات ، وهل معنى ذلك الاشتداد العواطف الحارة بين الذكور منها والإناث . على أن أنواع الفراش لا تنقح باستمالة العشيقات بهيج الألوان فتجتمع إلى ذلك انتعطر بأريج الأزهار كما هو مشاهد عند العلماء الذين يشهدون عند دراسة أنواع الفراش ماتحمله أجسامها من الروائح العطرية المختلفة

﴿ غناء الحشرات ﴾

وليس الإنسان وحده الذى يرسل زفرات فؤاده بالألحان والأنغام فان أقل الحشرات تعبر عن وجدانها وتستميل عشيقاتها بالغناء ، ومنه ما تسمعه أذن الإنسان كما فى الجدد والناموس وغيره ، وقد يكون اهم سبب له اشعار الاناث بوجود الذكور أى الاعلان عن أنفسها

﴿ دموع التماسح ﴾

وقد يضرب المثل بدموع التماسح دلالة على أنه بعيد عن التأثر بالعواطف الرقيقة ولكن علماء التاريخ الطبيعى الذين درسوا حياته فى موطنه الطبيعية يرون أنه شديد التأثر بميوله وعواطفه الجنسية الى درجة الجنون فهو يثور ثورة يكاد ينفجر منها اذا أغضبته الأنثى

﴿ الحب بين الطيور ﴾

ويقتر العلماء أن حياة الطيور تكاد تكون موقوفة على مناورات الحب والاستمتاع به ولكل نوع منها إجراءات وطرق عجيبة لايجاد الاتصال بين الذكور والإناث ، وذهب بعض العلماء الى أن أرقى مثل للزواج يوجد بين بعض أنواع الطيور حيث يجعل الذكر كل أعماله لاسعاد الأنثى وهى راخنة على بيضها فى العش دون أن يتألم من أية مشقة فى إعانتها وإعالة أفراخها الصغار ، ويرى الدكتور (لودلو) العالم الأمريكى أن تغريد الطيور مكون من ألفاظ غزلية وسواها حسبما تشعر به من الانفعالات والميول الجنسية نحو بعضها فهو فى الحقيقة لغة عواطف الطير . ويرى الاستاذ (هكسلى) أنه من الخطأ البين حتى بين رجال العلم أن تجعل كل الانفعالات

النفسية حقا مقررًا للإنسان وحده وترجم ظواهر هذه الانفعالات في الحيوان والطيور من هذه الناحية وحدها في حين أن الحقيقة والأمر الطبيعي أن تعتبر هذه الانفعالات من غرائز الكائنات الحية وأن الإنسان المتسلسل منها يحتفظ بنصيبه منها مثل أي كائن حي . وصفوة القول أن الصفات الحسية والعواطف المختلفة التي استأثر بها النوع البشري حيوانية قبل أن تكون انسانية ولم تبلغ درجتها الحالية إلا بعد أن تطوّرت فيه وفي أسلافه من أقدم العصور حتى هذا العهد اهـ من مجلة الجديد

﴿ بهجة الابصار في أوراق الأشجار ﴾

لما كتبت هذا واطلع بعض العلماء عاياه أخذ يحدثنني قائلا ، لقد ظهر لي جمال العلم والحكمة في شجرة البرنقال وشجرة الكرم والتنوع فيهما ، ولعمرك لقد أنعشني وأبهج قلبي أن أرى المحلاق في شجرة الكرم وأرى الشوكة في شجرة البرنقال وأن لهما مزية ظاهرة مع أن أكثر هذا النوع الانساني لا يعرفون من انشوك إلا أنه خلق لمجرد الايذاء وأن هذا المحلاق وجد اتفاقا ، فهذا القول يقتضح لنا مجالا للتبصر والبهجة هذا من العجب العجيب ، فهل تتوسع لنا في هذا الموضوع حتى اذا قمنا بظلال الحدائق الغناء شرحت صدورنا بأوراقها وأزهارها وتبين أشكالها وتفنن أثمارها . ونقول

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

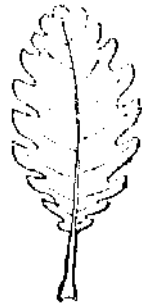
ونرى في الزهر والنبات ما يراه علماء البديع في تعليم المبتدئين قول الشاعر يصف مجاهدا قتل في الحرب
تردى ثياب الموت جرا فما أتى * لها الليل إلا وهى من سندس خضر

وهم فرحون طربوا لفظيا في ذكر الحجر والخضر وما يزاولونه مما يسمونه الجناس في قوله تعالى - ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - من اتفاق نطق الساعة في الموضعين واختلاف المعنيين وهكذا مما هو معروف مشهور . فقلت سئل مابدا لك في أنواع الزهر والورق . فقال لقد انبهم على السر فيما يأتي (١) ورقة القصب والنرة والقمح (٢) ورقة البازلاء ورقة الورد (٣) ورقة الخناء (٤) ورقة المشمش مثلا (٥) وورقات الفجل والخروع (٦) وورقات العدس والتمس . هذه الورقات مختلفات اختلافا بينا ، فهل تشرحها لي شرحا يشرح صدرى شرح الله صدرك كما تشرحت وطربت لمعرفة السر في شوكة البرنقال ومحلاق العنب . فقلت أذكر لك ما أعلمه في هذا المقام على مقتضى أصول علماء النبات

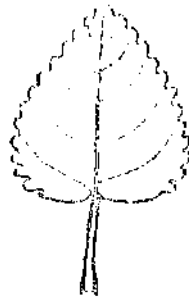
اعلم أن الله عز وجل قد أبدع في نظام هذه النباتات ابداعا لا حد له ، وما ابداع الناس في تركيب كلامهم ولا تزويقهم لصنوف عباراتهم إلا قبسة من أنوار الجلال الأعلى ولكن أنى يستوى السابق والاضلع * ليس التكحل في العينين كالتكحل * ففي الطبيعة التي أبرزها الله لنا من الجلال ما يبهل الابصار - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - إن ابداع عالم في أوراق النباتات وفي أزهارها وفي أثمارها والاببداع في الأوراق ﴿ نوعان ﴾ النوع الأول ﴿ في نفس تكوين الأوراق ﴾ النوع الثاني ﴿ في نسبة بعضها الى بعض ﴾ الكلام على النوع الأول وهو تكوين الأوراق ﴿

اعلم أن الله عز وجل أرسل لنا من لدنه ﴿ نورين ﴾ نورا حسيا ونورا معنويا عقليا وضرب النور الحسى مثلا للنور العقلى ، فكما اننا نرى الشمس واحدة وقد عمّ نورها الآفاق وأشرقت بها الأقطار ولم تذر نباتا ولا حيوانا ولا صفيرا ولا كبيرا إلا نشرت عليه ملاءة من أنوارها وهى واحدة هكذا نرى انه هو واحد وقد بعث من لدنه نورا عقليا وحكمة قدسية هندست خلق الأوراق والأزهار بحكمة واتقان بحيث يراعى في ذلك أن يظهر جميع الممكنات ، فكل ممكن في الوجود يبرزه ﴿ وبعبارة أوضح ﴾ انه كما تنوع منافع الأشجار والزرع نوع ظواهرها ، فهذه التي ذكرتها فيها الحبوب كالقمح والنرة والبازلاء والعدس وفيها الفاكهة كالقصب والشمش وفيها الخضراوات كالفجل وفيها الدواء كالخروع وفيه الزينة كل رائحة العطرة في الورد والأصباغ الجليلة في الخناء

ولاجرم أن ما نحتاجه إما ضروري أنه لم يبق ، وإما أدى إلى الحاجة والظهور ، وإما أدى كالحروع ، وإما زينة كالحاء ولورد . فهذه التي ذكرتها قد جعلت نموذج ما تحتاج إليه في هذه الحياة الدنيا ، فهذه النوع الموافق لحاجتنا بالحكمة والتدبير يقال له تنوع في ظواهر الأشكال بحيث يشمل كل ما يمكن حصوله في العقل إن عقولنا لا تتجول في الورق إلا أحدها هذه الصور ، أن تكون حافتها مستوية لا أسنان فيها أو أن تكون فيها أسنان صغيرة أو أن تكون الأسنان كبيرة لا تبلغ نهاية الورقة أن تكون الأسنان بالغة نهاية الورقة فهذه الأنواع الأربعة كلها وجدت في هذه الأوراق التي ذكرتها ، مثال الأول ورقة الحناء (انظر شكل ٤٦) ومثال الثاني ورقة المشمش (انظر شكل ٤٧) ومثال الثالث ورق الفجل والحروع (انظر شكل ٤٨ و ٤٩) ومثال الرابع ورق العنبر وورق الترمس (انظر شكل ٥٠ و ٥١)



(شكل ٤٦)



(شكل ٤٧)



(شكل ٤٨)



(شكل ٤٩)



(شكل ٥٠)



(شكل ٥١)

ومن العجب أن النبات ذا الفلقة الواحدة كالقمح غالباً ترى ورقته لها عروق متوازية . وأما النبات ذو الفلتين كالعدس والتمس فان ورقه غالباً يكون مشبهاً هيئة الريش كورقة العدس أو مشبهاً راحة الكف كورقة التمس . ثم إن هذه الأوراق كلها لها أعناق وتلك الأعناق إنما خلقت لها لترفعها عن الأغصان حتى تلاقى ضوء الشمس وتمتد بالهواء ، ولولا هذه الأعناق لبقيت جائئة على أغصانها ، فهذه الأعناق الرافعة لها إنما خلقت لهذه الحكمة ولولاها لم تنحني ، ولذلك ترى ورق القرطم لأعناق له بل الورقة حينئذ يسميها علماء النبات جالسة جلوسها على مستقرها إذ لا حاجة إلى انفصالها عنه لأنها متممة بالهواء وبالنور ، بلا حاجة إلى ما يرفعها . ثم إن هذا العنق الذي يرفع الورقة ربما احتاج إلى ما يحميها . ومما لم أتنبأ به من الورقة والورقة نافعة للشجرة لأن الورقة أشبه بالرفة في الحيوان بها يكون ما يشبه التنفس فيه فهي بما فيها من المادة الخضراء (الكاروفيل) تنقل غاز الكربونيك من الهواء فتجعله وتؤخذ الكربون (الفحم) وتطلق الأكسجين في الجو فيذهب للحيوان . إذن هذه الأوراق لا بد منها لحياة الشجرة ولذلك اقتضت العناية أن يرفعها ذلك

العنق فتقابل الهواء والنور ليتم فعلها فتأخذ من الهواء الغاز وبغير النور لا تقدر على عملية التنفس . وقد جاء في كلام علماء الفقه ﴿ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ﴾ فإذا وجب وجود هذا العنق ليتم عمل الورقة واحتياج إلى ما ينفظه فليصنع له ما صنعه الناس في حفظ رقابهم من حوادث الجو . إن الناس يضعون على رقابهم أربطة في بلادنا وفي أكثر بلاد العالم لقيهم الحر والبرد ورقابنا لا بد لنا منها فنحفظها كما أن رقاب الأوراق لا بد منها لها ، لذلك اقتضت الحكمة الخفية أن عنق ورقة البازلاء وعنق ورقة الورد يخلق لهما ما يسميه علماء النبات (أذنين) وهما إما كبيرتان كما في البازلاء (انظر شكل ٥٢) وإما صغيرتان كما في الورد وترى الحماية لعنق ورقة السنط بالسلاء ، ثم إن العنق إما يحيط بالساق كما في القمح والقصب والذرة فهو أشبه بالعمود وإما غير محيط به بل لاضخمه فيه كالكتان فهذا جواب مسألت عنه . إذن ظواهر هذه الأشجار قد أخذت الأشكال التي يتصورها العقول وبواطنها تنوعت إلى ما يحتاج إليه في حياتها ، فالظواهر والبراطن في النبات توجب علينا دراستها لتحيا أجسامنا وترقى عقولنا . انتهى الكلام على النوع الأول في نفس تكوين الأوراق صباح يوم الجمعة ١٦ إبريل سنة ١٩٢٩



(شكل ٥٢)

﴿ النوع الثاني نسبة الأوراق بعضها إلى بعض ﴾

وهذا تقدم شرحه مع رسم بعض الصور في (سورة الحجر) عند قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - فلانعيده . وأما الكلام على الأزهار فقد تقدم أيضا في أول سورة الشعراء وفي أول سورة الحجر وفي سورة الأنعام فإيراجع

﴿ ذكرى الجمال والحكمة ومخاطبة المؤلف اصانع العالم بمناسبة عجائب الأوراق المرسومة فيما سبق ﴾
في هذا اليوم (الأحد ٢١ إبريل سنة ١٩٢٩) بعد كتابة ما تقدم أخذت نفسي تحدثني كفى مخاطب صانع العالم قائلا ﴿ يا الله إني وجدتك لم تدر صغيرة ولا كبيرة في هذا العالم إلا دبرتها ونظمتها ، أضأت شمسك وأنرت قمرك ونجومك وأرسلت أشعتها على الأرض ولم يغادر هذا النور المحسوس صغيرة ولا كبيرة إلا أضأها هذه شمسك الجيلة لم يكفها إرسال النور على السيارات حولها وعلى الأرض بل شمل نفعها الذرات والحشرات كما شمل الأنعام والإنسان ، ووجدت أنك أت حبوت بالتدبير الممالك الصغيرة والكبيرة الحيوانية والنباتية من حيث عمومها ولم تدر حشرة ولا حيوانا ذريا إلا أكلت خلقه ولا نباتا صغيرا ولا كبيرا إلا أحكمت ، ويزيدني دهشا أن أرى بعيني ورقة الورد ورقة البارلاء ، ورقة السنط عجائب محفوظات مكفولات في كتفك ، فأعظبت

الأولى حافظا لها يقيها ، والثانية حافظا لها أقوى ، والثالثة أعتما بشوكة تقيها العاديات ، حكم لا يشان لها
الناس يرون عليها وهم عنها غافلون ، من ذا الذي كان يظن أن الحكمة والعناية تصل إلى ورقة السنط
الضعيفة وأختها ، من ذا الذي كان يعتقد أن هذه الزوائد والروافد على البازلاء والورد وماعت لمنفعة
أنهم إن لولا الحجاب المسدول بيننا وبينك انظر لنورك البديع فأحرق الأجسام والقلوب والأفئدة ، هذه
النفوس الأرضية قبسة من نورك وقد حجبها في المواد الطائفة فهي الآن في غفلة ولولا الغفلة لم تعش طرفة
عين ولم يستقر لها قرار ، إني لأحس في نفسي بأن في هذه الأرض أناسا منا نحن قد اطلعوا على الحقائق
فأروك في كل ورقة وشجرة وزهرة وحجر وماء وكوكب فعاشوا في النعيم الذي لا نعيم يوازنه ولا سعادة تضارعه
وهؤلاء لو تزينت لهم الحور العين وأغدقت عليهم سائر النعم وما كوا الجنات والولاء ان لم يأبهوا بها ولم يطربوا
لها بل يرون نورك الذي بهرهم أعظم سعادة وجال وأن احتجابه عنهم أشد العذاب
أقول هذا موقنا به ، وهذه الطاقة التي صورتها تصبح اليوم في نعيم وإن كانت في هذه الدار لا تشفق إلى
حال أرقى مما وصلت إليه لأنها ترى رب الدار تقول « الجار قبل الدار » ولا يرونها إلا وجهك . إن في
الأرض أناسا تمت سعادتهم قبل دخول الجنان - رضي الله عنهم ورضوا عنه -

أقول هذا لما شاهدته في هذه العوالم ولما عرفته أثناء هذا التفسير من إبداعك في صنعك ورأفتك بكل
ضعيف وكفالتك للذرات والحشرات وصغيرات الأوراق والأزهار وإلهامك لكل حي ما يصلحه والآن فهمت
قولك - إن كل نفس لما عليها حافظ - وقولك - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - وقولك في قصة قارون
- إذ قال له قوم له لا تفرح - ألم وقولك - وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة - وقولك - وأحسن كما أحسن
الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين - وقولك - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوًا في الأرض ولا فسادا - ألم فأنت لا تحب الفرحين ، وأنت لا تحب المفسدين ، ولا تحب الذين يريدون علوًا
في الأرض وتأمرنا بالاحسان للناس كما أحسنت إلينا ، وذلك كله تجلي لي في هذه الورقات وإبداعك فيها ،
أنت راعيت أضعف الورق في السنط وفي الورد وفي البازلاء ، فهكذا أنت تراعي كل إنسان من باب أولى ويصفيه
الخبر والشر فلم الفرح ولم الحزن إذا لم يكن هناك عمل إلا عملك أنت ولا فرح إلا بما يعمل الإنسان مستقلا ولا
عمل له في الحقيقة والمفسد في الأرض خالف منهجك الذي رأيتك في رعايتك هذه الورقات والعلو على الناس
خلاف سننك فأنت تحفظ هذه الورقة كما تحفظ الشمس والقمر والإنسان وضوء شمسه لا يتكبر على الخنفساء
مثلا ويختص بالإنسان ، فعلى الناس أن يقتدوا بك في عملك . وهذه الزروع والأشجار قد تركت للناس ثمارها
فأحسنت لهم كما أنك أحسنت إليها ، أفلا يجب على أن أشير بين الناس هذا المكتاب وغيره اقتداء بعملك
وسيرا على منهجك إنك أنت الحكيم العليم

أيها الذكي هذا هو الذي قرأته في هذه الورقات فأقرأه معي وأحسن كما أحسن الله إليك ، واعلم أن الله
عز وجل لا يكره منا إلا ما أحب العلو وحب الفساد . أما نفس العلو فهو أمر واجب كأن يكون الإنسان حاكما
أو أستاذا واليد العليا خير من اليد السفلى . ومعانوم أن المعطى خير من الآخذ ولكن لا يرى أن له فضلا في
ذلك بل يعلم أنه لله ، وإذا قهرنا أعداءنا وجب أن لا يكون ذلك مجرد الانتقام بل يكون ذلك لإصلاح أهل
الأرض كما كان ذلك دأب الصحابة في محاربة الأم فلم يكن انتقاما بل كان عملا يراد به الإصلاح كما أن الله
يزيل نبات الصيف ويجهل محله نبات الشتاء للإصلاح لا للفساد في الأرض . هكذا فلتكن أعمال الناس .
هذا ما تذكرت عند نظري هذه الأوراق المرسومات والحمد لله رب العالمين

﴿ سعادة مؤلف التفسير وسعادة قرائه ﴾

هذه هي السعادة التي كنت أشدها بين الحقول والأشجار وعلى شواطئ الأنهار وأنشاب وفتى . كنت

أنشد الحقيقة والحقيقة هي نفس السعادة ، ماهي الحقيقة التي كنت أنشدها ؟ كنت أريد أن أعرف ماوصل اليه عقل هذا الانسان في معرفة هذا الوجود . فيها أنادى اليوم أعلن أن ورقة السنط وورقة البازل وورقة الورد وآلاف أمثالها في الأرض والسماء قد أعطت نفسى الايقان الذى أيقنه أفلاطون وأرسطاطاليس وقبلهما سقراط من أمة اليونان . والايقان الذى أيقنه مؤلف كتاب الفيدا بالهند . والايقان الذى أيقنه (كانت الألمانية) وسبنسر الانجليزى ومثبات غيرهم . هاهم أولاء كلهم قد وصلوا الى نقطة واحدة هي ما ذكرته الان في هذه الوريقات . ايقن أفلاطون . بماذا أيقن ؟ ايقن بمبدع للعالم لأجل هذا النظام وبعبده أرسطاطاليس وقبله سقراط . وتغلغل مذهب أفلاطون في عقول المفكرين من أمم النصرى والمتصوفين من أمم الاسلام وفى أمم غيرهم وتقابل هذا المذهب مع مذهب الفيدا فى الهند ومع آراء أمم أوروبا الحالية أى العقول الراقية هناك ومع وحى جميع الأنبياء . إذن أنا الآن أعلن انى أكتب متفقا مع أكبر العقول فى الأمم قديما وحديثا ولهذا الاجمال تفصيل فى رسالتى المسماة ﴿ سرآة الفلسفة ﴾ وسأكتبها فى هذا التفسير إن شاء الله تعالى اه ههنا نرجع للتفسير اللفظى يقول الله تعالى - وقال الذين كفروا انذا كننا ترابا وآبأؤنا أننا نخرجون الخ - ههنا ذكر الله أقوال الكفار والرد عليهم فى أمر الآخرة

(١) يقول الكافرون كيف نخرج نحن وآبأؤنا بعد أن أصبحت أجسادنا ترابا وكيف يصير التراب أجسادا

(٢) إن هذه المواعيد قد سمعها آبأؤنا من قبلنا وماهى إلا أحاديث الأقدمين يتحدثون بها فى سمرهم

ومحاوراتهم وليس لها حقيقة

(٣) أمر الله نبيه ﷺ أن يأمرهم بالنظر فى الأمم التى كذبت فقد كذبوا فلما كذبوا أهلكوا

(٤) وكما أمرهم بذلك أمره ﷺ ألا يخزن ولا يضيق صدره من مكرهم

(٥) ذكر الله لهم يستعاضون العذاب الذى وعدهم به . ذلك انه أمرهم بالاعتبار بالأمم السالفة فكأنهم قالوا وأين العذاب الواقع بنا كما وقع بهم ؟ فأجاب قائلا عسى أن يكون تبعكم ولحقكم بعض ما تستعجلون منه كيوم بدر وكل مصائب التى تحل بالناس فى أموالهم وأولادهم وفى مدنهم وفى منازلهم كما قل تعالى - فلا تهجيك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليُعذبهم بها فى الحياة الدنيا - والعذاب على قدر الاحساس وما دام الانسان غافلا يظن أن هذه الحياة هي كل شئ فليعلم انه يعذب بكل حادث حل به لتعلقه بهذا العالم وارتباطه به ، فبقدر الارتباط يكون العذاب فيحزن لفقد المال والولد ولكل طارئ يطرؤ لغفلته فهذا هو قوله تعالى - قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون -

(٦) ذكر أن الله ذو فضل على الناس فانه غفرهم فى النعمة وهم لا يشكرونها

(٧) ذكر انه يعلم ما يسررون وما يعلنون ويعلم ما غاب فى السموات والأرض

(٨) والقرآن أيضا من عامه تعالى فهو يقص على بنى اسرائيل أكثر ما يختلفون فيه وهو هدى ورحمة

للمؤمنين ، وبعد ذلك خاطبه ﷺ بقوله - إن ربك يقضى بينهم بحكمه - الخ

﴿ تفسير بعض الكلمات فى هذه الآيات ﴾

(من قوله - وقال الذين كفروا - الى قوله - وانه هدى ورحمة للمؤمنين -)

قال تعالى (وقال الذين كفروا انذا كننا ترابا وآبأؤنا أننا نخرجون) من قبورنا أحياء والعامل فى اذا مادل عليه - أننا نخرجون - وهو يخرج وتكرر الهمزة للبالغة فى الانكار والمراد بالخراج الاخراج من الأجداث وهذه الجملة تبيان لعمهم وازدياد ضلالتهم وجهالتهم (لقد وعدنا هذا نحن وآبأؤنا من قبل) من قبل وعد محمد ﷺ (إن هذا إلا أساطير الأولين) أحاديثهم وأكاذيبهم التى كتبوها (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) هذا تهديد لهم على التكذيب وتخويفهم بأن ينزل بهم ما نزل بالمكذبين قبلهم

(ولا تحزن عليهم) عني تكذيبهم (ولا تسكن في ضيق) في حرج صدر (ما يكرهون) من ذكرهم فان الله
 يمسك من الناس (ويقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ردف لكم) تبعكم (واللام مزيدة
 للتأكيد) (بعض الذي تستهجلون) حاوله وهو ما تقدم من عذاب النفوس والمعاملات والاعمال الأهم . كل ذلك
 يكون قاسيا على النفوس مادامت مغرمة بالدنيا ، فإذا كانت نزاعة إلى الشرف والفضيلة والعلم وحسب الله خف
 عنها ما تجده في الدنيا وزال عنها في الآخرة (وان ربك لذو فضل على الناس) ولكن أكثرهم لا يشكرون
 واعلم انه لا شكر لنعمة إلا بعد ادراكها وفهمها ، ومتى فهم النعمة شكر الله بقلبه واعتقاده وقام بالعمل اطاعته
 وأثنى على الله بلسانه ، وكيف يشكر نعمة هو يستعملها ، فالله فيما تقدم والشكر له هنا يوجبان درس هذه
 العوالم المذكورة فيما تقدم ، ولتعلم أن الامام الغزالي أثبت بابا من أبواب الأحياء في شكر الله تعالى وذكر فيه
 درس العلوم ومتى فهمت هذه السورة ومقاصدها عرفت أن شكر المسلم أن يكون الابدراسة هذه العلوم والعوالم
 وعجائبها وهؤلاء الكافرون لجهلهم بالله قصروا علمهم على هذه الحياة وأنكروا سواها . ولو أنهم درسوا هذا الوجود
 لعرفوا انه لم يخلق سدى وأن هذه الحياة لو لم تكن هناك حياة بعدها لكان ذلك نقصا في الخلق أو الحكمة فما
 الحكمة في خلق الناس وموتهم بلا فائدة لهم . إن ذلك نقص مشين في خلق العالم وفي الحكمة . فالوقوف
 عند الحياة الدنيا لخلل بالعالم وبالشكر لله وجهل به وكفى بالجهل كفرا بنعمة الله وعسد شكره (وان ربك
 ليعلم ما تكتم صدورهم وما يعلنون) أي ما تخفيه صدورهم وما تعلمه من عداوتهم له فيجازيهم (وما من
 غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) أي خافية فيهما ، وغائبة وخافية من الصفات الغالبة والتأني في ما للبالغة
 كقراءة (إن هذا القرآن يقصص على بني اسرائيل) يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) من أمر الدين
 وقد كان بنو اسرائيل يختلفون في التشبيه والتزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (وانه لهدى ورحمة
 للمؤمنين) فانهم المنتفعون به (إن ربك يقضي بينهم) بين بني اسرائيل (بتحكيم) بما يحكم به وهو الحق أو
 بحكمته (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بأحوالهم فلا يخفي عليه شيء منها (فتوكل على الله) فتق بالله
 ولا تبال بمعاداتهم (إنك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره فلا ناصر لك سواه .
 أما هم فلا طمع في مشايعتهم ومعاضدتهم لأنهم كالوثقى وكالعمى (إنك لا تسمع الموتى) لأنهم لا ينتفعون
 باستماعهم ما يتلى عليهم (ولا تسمع الصم الدعاء) دعوتك إلى الحق والهدى (إذا ولوا مديريين) معرضين ولا جرم
 أن الأصم إذا ولي مديرا قطع الطمع في اسمائه برفع صوت أو نحوه (وما أنت بهادى العمى عن ذلالتهم) إلى
 الهدى حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) إلا من يصدق بالقرآن انه من الله
 (فهم مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) أي إذا وجبت الحجة عليهم أو إذا لم يرج
 صلاحهم بالطرق المعروفة في آخر الزمان (أخرجنا لهم دابة من الأرض) * وقد ورد في صحيح مسلم أن رسول
 الله ﷺ قال « بادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والسخان والرجال والدابة وخويصة أحدكم
 وأمر العامة » وورد فيه أيضا « أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس
 فحصى وأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا » ولم يرد في الصحيح على ما أعلم ما ذكر من
 صفاتها من أن معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلبو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الحق
 ليجمعون فنقول لهذا يأمؤمن ونقول لهذا ياكفر وأن اسمها الجساسة وطولها ستون ذراعا لا يدركها طالب
 ولا يفوتها هارب ، ولها أربع قوائم وزغب وریش وجناحان ، ويقال لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل
 وقرن ايل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخالصة هرة وذنب كبش وخف بعير الخ وانها تخرج من الصفا
 فكل ذلك لم أره في الصحيح وإنما نعرف من صفاتها ما ورد في الصحيح كما تقدم فانه لم يذكر إلا من مجيئها
 ولم يرد في القرآن إلا قوله تعالى (تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تكلمهم من الكلام بأن

الناس الخ وعلى قراءة كسر أن يكون المعنى تسكهم قائله ان الناس كانوا ياتر بنالخ ، ثم ذكر قيام الساعة فقال
(و يوم نحشر من كل أمة فوجاً) أى واذكر يوم نجمع من كل أمة من الأمم زمرة (من يكذب بآياتنا) من
الذين ومن الأولى للبعث (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع
الحساب والمراد بذلك كثرة عددهم وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف
الحساب (قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً) الواو للحال أى أكذبتم بها بآياتي من غير فكر
ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها لتعلموا بالتصديق أم التكذيب هي جديرة (أثم اذا كنتم تعملون) أى أى
شيء كنتم تعملون بعد ذلك وهذه الجملة تبكى لهم إذ لا عمل لهم غير التكذيب (ووقع القول عليهم بما ظنوا)
حل بهم العذاب الموعود وهو دخولهم النار بسبب ظاههم وهو التكذيب بآيات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار
لشغلهم بالعذاب (ألم يروا أننا جعلنا الليل يسكنوا فيه والنهار مبصر) أصله ليصروا فيه فبولغ فيه لجعل الابصار
حالا من نفس النهار ، يقول الله ألم يبصروا تعاقب الليل والنهار وكيف جعلنا الظلمة والنور متعاقبين في أوقات
محددة ، أليس ذلك دليلاً على عظم قدرتنا ووجودنا ، أليس نوم الناس في الظلمة واستيقاظهم في النور مما
يدل على أن لهم حالا بعد الموت مخالفة وذلك بالحياة ، أليس الموت كالنوم ليلا والبعث كاليقظة نهارة ، أليس
تسهيل المصالح باليقظة دليلاً على عناية نامة بهم ، يوم يبعثون فيعطى كل ما يليق له كما يفعل ذلك بعد اليقظة تماماً
(إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلائلها على الامور الثلاثة المتقدمة وحدانية وبعث وعناية بالمصالح بعد البعث
كما يفعل في اليقظة (ويوم ينفخ في الصور) قيل هو جمع صورة * ويقال الصور القرن فهو تمثيل لانبعاث الموتى
بانبعث الجيش اذا نفخ في البوق ، يقول الله واذكر يوم ينفخ في الصور (ففرع) من الطول وعبر بالماضي لتحقق
وقوعه (من في السموات ومن في الأرض) ماتوا أى يلقى عليهم الفرع الى أن يموتوا (إلا من شاء الله) أن
لا يفرع بأن يثبت قلبه * ورد في حديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ينفخ في الصور
فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من رفع رأسه فاذا
موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلى » وهناك
أقوال فيمن استثناهم الله كالملائكة الأربعة وكالشهداء والحوار والخزنة والعلم عند الله ولا تنق إلا بما يحىء في
الصحيح (وكل أتوه) جاءوه بعد النفخة الثانية (داخرين) داغرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) قائمة واقفة
(وهي تمرّ من السحاب) تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتسوى بها وذلك لأن الأجرام الكبيرة اذا
تحركت في سمّت واحد لانكاد تبين حركتها (صنع الله) مصدر مؤكّد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة
(الذى أتقن كل شيء) أى أحكم خلقه وسوّاه (إنه خير بما يفعلون) عليم ببواطن الأفعال وظواهرها وهو
الغيازي عليها (من جاء بالحسنة فله خير منها) من عشرة الى سبعمائه وما فوق ذلك (وهم من فرع يومئذ آمنون)
أى من خوف عذاب يوم القيامة وإن كان الرعب المتقدم عند مشاهدة الأهوال لا بد منه مع أن المحسن
آمن من وصول ضرره اليه (ومن جاء بالسيرة) بالشرك (فكبت وجوههم في النار) أى أبدانهم أى كبوا
وطرحوا جميعهم في النار (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك أى تقول لهم الحرنة ذلك
(إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى سّمها الله) بعد أن ذكر المبدأ والمعاد وشرح الدول والممالك
والقيامة والفرع والثواب والعقاب وهذا تمام الدعوة ، أمر أن يستغرق في العبادة وتخصيص مكة بالاضافة
لتشريفها وحرمتها (وله كل شيء) خلقاً وملكاً (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين أو النابئين على ملة
الاسلام (وأن أتلا القرآن) وأن أوأظب على تلاوته لتكشف لى حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً (فمن اهتدى)
باتباعه إياى (فإنما يهتدى لنفسه) فان منافع عائدة اليه (ومن ضلّ) بمخالفتي (فقل إنما أنا من المذنبين)
ولا يضرنى ضلاله وما على الرسول إلا البلاغ (وقل الحمد لله) على نعمة النبوة والعلم والتوفيق للعمل (سبريكم

آياته) في هذه الدنيا من الوقائع التي أخبر بها القرآن كنصر النبي ﷺ وكذلك عجائب الكون وغرائب علم الأرواح والكشف الحديث في العلوم الذي أدهش العقول (فتعرفونها) فتعرفون أنها آيات الله ، ولقد عرف كثير من الناس في أوروبا وفي الشرق ربهم واليوم الآخر بقراءة علم الأرواح أو باستحضارها وبالاطلاع على عجائب العلم الحديث وظهور حقائق مذهشة (ومارباك بغافل عما تعملون) فإن الله عالم به غير غافل عنه فالعقلاء والسهول لا يجوز أن عليه انتهى التفسير اللفظي

(لطائف هذا القسم)

- (١) في قوله تعالى - أخرجنا لهم دابة من الأرض -
- (٢) وفي قوله تعالى - وترى الجبال تحسبها جامدة - الخ
- (٣) وفي قوله تعالى - وقل الحمد لله - سيركم آياته فتعرفونها -
- (٤) وفي أن في هذه السورة شكرين لسميانه عليه السلام وحدين لنبينا ﷺ وما سر ذلك
- (٥) وفي تلخيص كتاب الشكر اجالا للامام الغزالي في الاحياء وتذكير المسلمين بهذه العلوم

(اللطيفة الأولى من كتاب الأرواح بالحرف)

وما يدهش العقلاء أن القرآن ربما أشار بطرف خفي إلى حادثة ظهور الأرواح في هذا الزمان في آية - وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون - . يقول الله تعالى - وإذا وقع القول عليهم - أي شارف الوقوع وهو قرب قيام الساعة وحقت كلمة العذاب على نوع الانسان فجهلوا المعنويات وعكفوا على الماديات وكذبوا الديانات وشكوا في الآيات وأصبحوا لا شرف لهم في حكوماتهم ولا أفرادهم وصروا على الكذب والنفاق وازدادوا بالعلم عجمي وبالفسلفة ظلاما أخرجنا لهم من الأرض من يطرق الموايد ويحركها ويمسك الأقلام في أيديهم ويكتب ويتراءى لهم في أشكال وأزياء مختلفة ووجوه نورية فتراه أبصارهم تارة ويسمعون كلامه وطورا يبصرون أشكالا وتارة يقرؤون خطوطا وآونة يسمعون صريرا وصوتا شديدا كالرعد القاصف وقد يحسون ببرودة تمر عليهم ثم تتحرك الأيدي بالكتابة فكان في عمله أشبه بمن يدب على الأرض من الانسان في تعقله وعمله وبما يجري فوقها من الدواب في حركاتها وأعمالها الأخرى ، فهذا يشير له معنى قوله - أخرجنا لهم دابة من الأرض - وهذه الدابة تبين للناس حقائق وتدرس لهم حكمة وتريهم انهم غافلون جاهلون ذالون فيجلس أمامها أكبر الضالين وأعظم الفاسقين وأشد الغافلين ومن يدعى انه ملك مقاليد العلم وبرع في الحكمة المادية فيخرساجدا لربه خاضعا لحالقه موقنا أن روحه سبقي بعد موته ، فهذا معنى - تكلمهم - الخ وقرأ ابن مسعود - تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون - وهذا هو الحال الآن بعينه وهذه معجزة للقرآن وحكمة ثابتة للفرقان فإن الآلاف المؤلفة من البشر اليوم في أنحاء العالم يوقنون اذا تحققت مذهب الأرواح وليس الايمان بكاف بل اليقين هو أكل الايمان فتعجب من الآية وانظر كيف كان هذا مظهرها وهي مسألة ظهور الأرواح فالقرآن يشير اليها

قال شير محمد ، ياسيدي إن تفسيرك هذا يخالف ما جاء عن سيد البشر وكيف نترك قول النبي وسمع مقالك ، أوليس النبي ﷺ أعلم بالكتاب منك . قلت وكيف ذلك . قال ، قال الفخر الرازي إن لهذه الدابة أربع قوائم وزغباً وریشاً وجناحين * وعن ابن جريج في وصفها رأس نور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وصدر أسد ولون غمر وخالصة بقر وذنب كبش وخف بعير وانها تخرج من المسجد الحرام أو تخرج من الصفا وقيل تخرج باليمن ثم تخرج من بين الركن حذاء دار بني مخزوم . فقلت يا شير محمد اعلم أنه لا دلالة في الآية على ما روى وقد قال الرازي نفسه فإن صح الخبر فيه عن رسول الله قبل والا لم يلتفت اليه وهو يريد أن الخبر غير صحيح . أقول ولقد بحثت في كتب الصحاح فلم أعثر على هذا الوصف للدابة ، على أنه لو صح فرضاً

لعل على أنها مخافة لسكر حيوان . فقال ولكن كيف تقصرها على مسألة الأرواح وأنى لك هذا . فقلت بإشراف محمد أنا لم أقل ان هذا هو المعنى ولكن أقول انه رمز له وإشارة ، فالآية باقية على ظاهر معناها ترمز الى ما ذكرنا ، فالدابة باقية على المعنى الأصلي نسكر عليها الى الله تعالى ونسكون رمزا لهذا وهذا قسم من أقسام الكناية في علم البيان فاللفظ على حاله يشير لما اقترب منه كما أوضحه الامام الغزالي في تفسير قوله ﷺ « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة » فقد جعلهما على حالهما ورمز بهما الى الشهوة والغضب فافهم ، فاذا فهمت هذا فقد « قطعت جهيزة قول كل خطيب » وقطع اسنان كل معترض بمدك فقد سدت في وجهه أبواب الجدال - وكفى الله المؤمنين القتال - انتهت الطليقة الأولى

﴿ الطليقة الثانية في قوله تعالى - وترى الجبال تحسبها جامدة - الخ ﴾

لأبين لك في هذه الطليقة عجيب من عجائب القرآن وهي ان هذه الآية بديعة الوضع محكمة الصنع فان التفسير المتقدم يناسب المتقدمين من الأمة الاسلامية ، واذا فسرت بأن الأرض دائرة حول الشمس والجبال بالطبع سائرة معها ونراها الآن جامدة وهي في الحقيقة جارية جريا سريعا جدا فان ذلك يناسب قوله - صنع الله الذي أتقن كل شئ - فهذا هو الاتقان والا فالقيامة تخريب للعالم والاتقان يناسب هذا التفسير

﴿ حكاية ﴾

قد ذكرت في سورة البقرة أن سيدة روسية تسمى (المدام ليديف) قد جاءت الى مصر وأقول الآن ان وزير المعارف إذ ذاك قال لها لما سأله عن يدرس معها علم التصوف ان الشيخ طنطاوى له إلمام بهذا العلم ثم اتى لما اجتمعت معها في المنزل الذي نزلت به أخذت أدرس معها هذا العلم في الرسالة القشيرية نحو تسع سنين وهي كانت بعد الفهم تترجم الى اللغة الفرنسية ، واستمررتا في الكتاب وفي حكايات كثيرة عن الصالحين فقرأنا حكاية عن الجنيد رحمه الله تعالى ، ذلك انه كان في مجلس ذكر وهناك قول ينشد فطرب التلاميذ طر باشديدا والشيخ ساكن لا يتحرك فقال له أحد التلاميذ ياسيدي أليس لك حاجة في السماع فقال - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب - فقالت ما مناسبة هذه الآية في الحكاية . فقلت إن للآية ﴿ معنيين ﴾ معنى يليق بالأمم الاسلامية التي قبلنا ، ومعنى يليق بأيامنا والقرآن يحتمل المعنيين ويسكن الثاني أقرب . فقالت ما هما المعنيان . قلت أما المعنى الأول فان الجبال يوم القيامة تمرّ مرّ السحاب لأجل أن تصل الى الأرض فتسوى بها واعظم مخجما يراها الانسان كأنها جامدة غير متحركة وهذا يناسب مساق الآية ، وأما المعنى الثاني فهو أن الأرض تجرى سريعا والجبال ما هي إلا من أجزائها فهي جارية تمرّ هي والأرض حول الشمس كما يمر السحاب حول الأرض والنليل عليه قوله - صنع الله الذي أتقن كل شئ - فعبّر بلفظ أتقن لا بلفظ خرب كل شئ لأن القيامة تخريب لا اتقان للصنع وفرق بين الصنع والتخريب وكان الله أتى بالآية على هذا الشكل لتسكون موافقة للعصور الأولى من حيث مساقها وهذه العصور من حيث نهايتها ويكون فهم الناس هو الذي يخطئ ويصيب والحقائق باقية على حالها ، وأما الشيخ الجنيد فلم يرد هذا ولا ذاك بل قال انه في سكونه أشبه بالجبل الذي هو متحرك ويظن الناس انه ساكن يريد انه يرى ظاهره ساكنا ولكن قلبه متحرك في مشارق الأرض ومغاربها ويجول في المعاني العلية البديعة ، فلما سمعت هذا القول فرحت فرحا شديدا وقالت تعس الفرنجة يقولون ليس في القرآن لطائف ولا نكت بديعة ، وها أنا ذا أنقل لك المحاور التي جاءت في كتابي ﴿ جواهر العلوم ﴾ الذي هو أول ما ألفته من الكتب العلمية فقد جاء فيه ما نصه لانه فيه زيادة فائدة

قال تعالى - ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين * وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ -

معالم مما قدّمنا في المجالس السابقة والمذاكرات أن علماء الهيئة ﴿ قسمان ﴾ المتقدمون وهم يوافقون

ما يظهر للنظر العام من ثبوت الأرض ودوران الشمس والمتأخرون وتختلف هم أنفسهم ما يعرفه العامة فيحكمون بدوران الأرض حول الشمس وهذا المقام قد أوضحناه سابقا بما لا مزيد عليه وقد علمنا أن هذه كلها دائرة على الظن وأن الثاني أقرب الى الظن من الأول وأن القرآن لم ينزل لتحقيق مثل هذه المسائل لأنه جاء لما هو أجل من هذا إذ هذه الأشياء أقرب شيئا الى الصانع وقلنا ان اشكالها على نوع الانسان دعا الى نحو الأفكار فهو المقصود إذ هو في عالم التربة ثم نقول الآن الجيب كل الجيب من وضع الآية التي نحن بصددتها وضعا متقنا على حسب ما قدمنا وبيانه أن قوله - ويوم ننقح في الصور - الى قوله - داخرين - أي صاغرين مسوقة ليوم القيامة ثم قوله بعدها - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب - حملها العلماء على يوم القيامة - ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة - واشدة عظمتها ترى كأنها واقفة ، ولاريب أن هذا التفسير يناسب من علفت في ذهنه الهيئة القديمة من أيام نقل الفلسفة اليونانية الى الآن فناسب ما قبل الآية وصدرها أول الأمة ، وإذا نظر الى قوله بعدها - صنع الله الذي أتقن كل شيء - نجد أن خراب الأرض ينافي الاتقان وإنما الاتقان يناسب سير الأرض وجبالها ثم يراها الانسان مع شدة حركتها ساكنة لا تتحرك فهذا هو الاتقان المحجب وإنما لم يقل وترى الأرض لأنها على هذا الرأي لا ترى إلا متحركة مع خروج الانسان بالمرّة عنها وهذا مستحيل في الدنيا ، أما الجبال فرويتها ممكنة ثم انظر كيف تسير الأرض بتلك الحركة العجيبة حول نفسها وحول الشمس ونحن نراها ساكنة لم يحس أحد بحركتها من آدم الى الآن ، فهذا هو الاتقان وهذه هي الحكمة وهذا هو الوضع العجيب الذي جمع بين الحركة والسكون ، ففيه تنبيه على أن العالم كله في حركة مستمرة مع انه يرى في سكون بل الانسان يرى ساكنا مع انه لا يفتق فكره لحظة لافي اللحظة ولا في المنام إذ قوته الخيلة لا تنقب حركتها لحظة ولا تنقب الإبلوت وهكذا الأمة في حركة مستمرة إما الى صعود وإما الى هبوط وإما الى استمرار ، فالصعود باختراع الجديد والهبوط بهمهم سور المدنية الحقة والاستمرار في الامور الدنيوية على ما عودهم الآباء بلافكر جديد ، فالعالم كالعالم كالانسان والأمة كل في حركة مستمرة ويرى في الظاهر كأنه ساكن دائم السكون ولم نذكر هذا على انه تفسير للآية ولكن لمناسبة العالم بعضه بعضا وإنما نحن في ذكر الجبال وإنما على الأرض وترى انها ساكنة مع انها على الهيئة الجديدة سائرة دائما معها وهذا هو غاية الاتقان ويحق لنا أن نقول - صنع الله الذي أتقن كل شيء - بعد ما ذكر هذا ما خطر ببالى الآن ، وإني لأعجب من هذا الوضع المتقن في الآيات وكيف ناسب صدرها صدر هذه الأمة وعجزها متأخريها أي العصر بين المعاصرين للأدروا وبين فم تصادم الآية مذهب السابقين وأشارت لمذهب المتأخرين^(١) ولعمري هذه هي الحكمة العجيبة جعل نظام كلامه كنظام ملكه ، فما أتقن الفعل وما أحسن القول ، سياستان متشابهتان - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - وعندى أن هذا وأمثاله هو الإعجاز والحكم لا التاكيد بأن ولا الجناس والطباق ولا غيرها ، ألا فليتنق الله العلماء وليبينوا للناس منازل اليهم ولعلمهم يتفكرون . ومن عجيب الاتقان نفس هذه الآية فكفى باتقانها واحكامها برهاننا ساطعا ومعجزة لمن درس العلوم وذاق لذة

(١) فيكون ملخص المعنى سيقوم من في السموات ومن في الأرض فرعين لإيمان شاء الله وهم جميعا صاغرون ، ولاريب أن السموات والأرض أكبر من فيهما واليه الرمز بقوله - خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس - وإذا كانت السموات والأرض أطاعتا حتى قال فيهما - قلنا أيننا طائعين - فكيف لا يأتيه كل من فيهما صاغرين أذلاء ، أولايرون أن الأرض التي هم عليها وما فوقها من الجبال منقادة له مسخرة في هذه الحياة الدنيا لا يمكنها الاستقرار لحظة من الزمان - فترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فإذا كانت الأرض التي خلقها أعظم من خلقكم أنتم في الحياة الدنيا خاضعة له مع جبالها وأتم عليها فكيف بكم أنتم وحدكم فلا بد من إتيانكم صاغرين يوم القيامة * أطرق كرا إن النعام في القرى *

المعارف ، ولعمري لا يعقل هذا إلا العالمون ، فتأمل كيف ناسب مراعاة مذهب المتقدمين سابق الكلام ومذهب المتأخرين لاحق ، وكيف ثم كيف قال بعد أربع آيات في آخر السورة - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - اه

(اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها -)

لأذكر لك ما كتبه في « جواهر العلوم » تحت عنوان ﴿ إن القرآن والسنة يتجددا عجزهما كلتا مادي الزمان ﴾ والذي أعلمه من ذلك

(١) قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - بعد قوله تعالى - والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة - إذ لم يقل - ويخلق ما لا تعلمون - في القرآن كله إلا بعد ذكر ما يركب في هذه الآية وحدها إشارة إلى ما يحدث في المستقبل من مدهشات ما يركب ويسير بالرسائل من البخار والكهرباء والسفن الحربية والبالون والتلغراف بلا سلك أو به وكل هذه إما حاملة رسالة أو وقرا وهي تختص بالدواب عادة ، وقال أيضا - وآية لهم أنا خلقنا ذرياتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون - وقد وضع هذا في سورة النحل أيضا كما نأمل (٢) - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا - وقد سكن الظل بواسطة الفوتوغرافية (٣) الموازية في ذكر - وكل في فلك يسبحون - بعد ذكر الشمس والقمر والأرض وجعلها بعد الشمس والقمر وذلك لاجتماع الأسم على سركتهما ، وأما الأرض فقد ذكرت أيناسا لمن يعتقد سكونها لوجود الفصل بالشمس والقمر ولمن يعتقد دورانها بدخولها في - يسبحون -

(٤) ذكر السفن في قوله تعالى - وآية لهم أنا خلقنا ذرياتهم في الفلك المشحون - بعد الكواكب والأرض إشارة إلى أن الجميع من واحد ، فالسفن في البحر كالشمس والقمر والأرض في الأثير وهي المادة المائنة للفضاء ، وكأن الكواكب كلها والأرض سفن في بحر الأثير - فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين -

(٥) - اقتربت الساعة وانشق القمر - أولم يروا أنا تأتي الأرض تنقصها من أطرافها - إشارة إلى ما قيل أن القمر انفصل من الأرض فنقصت وانشق هومنها

(٦) - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - قالوا إن الشمس والأرض كانتا شيئا واحدا فانفصلتا

(٧) مادة العالم الأثير وهو مائل للسكون لم يعرف إلا بالعقل لدقته عن الحواس - ثم استوى إلى السماء وهي دخان -

(٨) - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون - اكتشف أن حواس الإنسان وأعضائه كلها تراب صارت نباتا وحيوانا ودخل في الجسم فصار هو نفس الإنسان

(٩) - بل هم في لبس من خلق جديد - قد اكتشف أن جسم الإنسان يتجدد في كل مدة نحو ثلاث سنين فتذهب مادته ويؤتى بدلها بالمواد النباتية والحيوية المعدنية فتصير بشرا سويا منفسرا - ثم إذا أنتم بشر تنتشرون -

(١٠) - حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير - قد كشف أن الخنزير منشأ الدودة الوحيدة (١) وقد

(١) وفي الخنزير ديدان لا تؤثر فيها الحرارة في درجة من درجاتها ، ولقد أخبرني أستاذنا الشيخ حمزة فتح الله عن دولة الغازي مختار باشا أن جماعة ماتوا بعد أن أكلوا فبحث الأطباء عن سبب موتهم فإذا هم أكلوا لحم الخنزير فأما متهم مكروباة وهو بلامين من هذه القاعدة ، وفي مقدمة (ميزان الجواهر) فوائد في هذا أيضا فاقرأها هناك إن شئت

تقدم رسمها والكلام عليها في هذا التفسير

- (١١) كراهة أكل لحم بعض البقر لأنه منشأ السل
 (١٢) وجوب غسل أثر الكلب سبعا فقد كتب أنه سمع ومثله المراكما في بعض أحاديث الجامع الصغير
 (١٣) المستنقعات منشأ المكروبات القتالة للإنسان وقوله عليه السلاوة والسلام « لا يسلون أحدكم في الماء الدائم ولا يغسل فيه » فبالأول يزيد ضرره وبالثاني يحيب المغسل الضرر بالمكروب
 (١٤) ورد في السنة أن الطاعون من وخز الجن وقد ظهر أنه حقا من الحيوانات المكروية التي هي قسم من أقسام الجن في الحديث الذي في كتابنا « ميزان الجواهر » نقلا عن الإحياء حيث قال فيه وصنف كالهواء

(١٥) الأمر بكثرة الاغتسال والوضوء وهذا أعظم داع لعدم الدعاوى وامتناء السجون كما قاله العلامة (بنام الانجليزى) مشرعهم الشهير الذى درس علوم الأمم كلها وقال « من راضى على اغتسال الدين الاسلامى لم يصدر منه ذنب ولا جريمة » فالنظافة من محاسنه كما استحسن أيضا منع الخمر منعنا بنا في جميع السكره الأراضية وعده من محاسن هذا الدين واليه الاشارة بقوله تعالى - إن الله يحب المتطهرين -

(١٦) ظهور الأزواج في جميع النبات - ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين - وأنبتا فيها من كل زوج شيئا -

(١٧) - وأرسلنا الرياح لواقح - قد علم مما تقدمناه أن الريح هي الملقحة لأكثر النبات
 (١٨) ظهور الجدرى في أصحاب الفيل بالمكروب الذى دل عليه قوله تعالى - وأرسل عليهم طيرا أبابيل - أى متتابعة مجتمعة - ترميهم بحجارة من سجيل - أى من الطين الذى يتماصك على سطح المستنقعات
 (١٩) ظهر أن كل شئ له مقدار محدود بالنحلل الكيماوى - وكل شئ عنده بمقدار -

(٢٠) - ويوم ينفخ في الصور - الخ تقدم قبل هذا
 (٢١) اعلم أن الأرض متزنة بالجبال ولولاها لاضطربت في سيرها لأن الجبال والطبقة الصوانية تحفظ الكرة النارية أن تتصاعد فتختل الأرض - وألقى في الأرض رواسى أن تمتد بهم -

(٢٢) قوله تعالى - حتى اذا فتحت بأجوج ومأجوج - قد تقدم في سورة الكهف
 (٢٣) قوله تعالى - ولتجدن أقر بهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى - ومعلوم في الاصول أن الذين اسم عام لا يخص من نزلت الآية بسببهم وظهر في كل زمان لاسيما هذا الزمان أن كثيرا منهم يدخلون بسرعة في الاسلام بخلاف اليهود باجتماع فلاسفة الأمتهين ، وفي أمريكا العجب العجيب وكذلك في أوروبا ، وسأبقى الزمان المستقبل بأعجب من هذا في الاعجاز وقال تعالى لعيسى - وجعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة -

(٢٤) تشقت اليهود في أقطار العالم وعذبهم الفرنساويون في الجزائر وغيرها وطردهم الروس وهم مبعوضون في كل دولة - واذا تأذن ربك ليعن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب -

(٢٥) - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمرى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - قد أجمع علماء اليونان والعرب وأوروبا أن علم النفس إنما يكون بعد الرياضيات والطبيعات ، وهالك آخر ما وصل اليه البحث الى وقتنا هذا من ترتيب العلوم بحيث ان المتأخر لا يفهم إلا بعد المتقدم (أ) العلوم الرياضية (ب) العلوم الفلكية (ج) العلوم الطبيعية (د) علم الكيمياء (هـ) علم وظائف الأعضاء (و) علم النفس والمنطق (ز) علم الاقتصاد السياسى (ح) علم تكوين الشعوب (ط) علم تمييز الجبال (ى) علم ما وراء الطبيعة ويدخله العقائد ومعرفه الخالق والروح ، وأما علم النفس فانما هو طواهرها لاحقيقتها (ك) علم الأخلاق (ل) علم الحقوق

(م) العلوم السياسية ، فأتت أيها الذكي ترى من هذا أن علم الروح في المرتبة العاشرة مع العلم الإلهي المعبر عنه بما وراء الطبيعة أو الفلسفة الأولى أو العلم الأعلى والمخاطب بهذا هم يهود جزيرة العرب ولا ريب أنهم أبعد الناس عن هذه العلوم فلا يمكنهم فهم الرياضيات العليا فضلاً عن الروح فلذلك قال - وماأوتيتهم من العلم إلا قليلاً - أي ولا يفهم الروح إلا من درس علومها كثيرة ، وما أعجب قوله - من أمر ربي - إذ علم الروح وعلم الألوهية في السبعة العاشرة

(٢٦) قال عليه الصلاة والسلام ﴿صنفان من أمتي في النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخان الجنة ولا يرحن ريحهن وان ريحهن لتوجد من مسيرة كذا وكذا﴾ أخرجه مسلم ، قوله كاسيات عاريات أي يسترن بعض أجسامهن ويكشفن بعضها أو يلبسن ثياباً رقيقة تصف ماتحتها فهن كاسيات ظاهراً عاريات حقيقة ، وقوله مائلات أي زائعات عن طاعة الله فلا يحفظن فروجهن ، وقوله مائلات أي مائلات الرجال إلى الفتنة ، وقوله كأسنمة البخت أي يكبرنها من المقانع والخمر والعمائم أو بصله الشعر كأسنمة البخت انتهى من تيسير الوصول لجامع الأصول . وقد ظهرت تلك السياط بعد النبوة بأزمان وهو الكرباج . أقول فأما النساء الموصوفات بذلك فقد رأيتهن في زماننا

(٢٧) ورد أن الذباب فيه داء وقد ظهر هذا بالاستكشاف

(٢٨) قال تعالى - وهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم - قدقارن علماء أوروبا بين النساء المتعلمات وبينهن حين لم يتعلمن فاستنتجوا أن المرأة كلما تقدمت التعليم لتلحق الرجل آخرتها الحكمة الإلهية في القوة والادراك والجسم فصارت على الثلث منه في مجموع قواها ، فكما قدم التعليم أخرتهن الحكمة على مقدار ذلك لتبقى درجة الزيادة محفوظة بين الرجال والنساء والا لاختل النظام بتساوي الدرجتين ولذلك قال بعدها - والله عزيز - أي غالب حكيم فيما صنع (اقرأ المرأة المساهمة لصديقتها محمد أفندي فريد وجدى فقد ذكر هذا وأنه قامت قيامة فلاسفتهم الآن يندرون قومهم الخطر

(٢٩) إن الفوتغراف داخل في عموم - قالوا أنطقنا الذي أنطق كل شيء -

(٣٠) قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - أما آيات الآفاق فهي جميع ما استكشف في العلوم الحديثة في الأرض والسماء بعد أن كانت منحصرة في كواكب معدودة من السيارات وهي (٧) مع جهل الثوابت وعناصر محدودة فقد كشفت كواكب سياراً أخرى وعرف كثير من الثوابت وهكذا العناصر بعد أن كانت (٤) وصلت إلى نحو (٧٠) وأما آيات الأنفس فإن للإنسان جسماً وروحاً ، أما الجسم فظاهرته أشعة رنتجن التي هي عبارة عن أضواء شرر الكهرباء المنحصرة في آلات تسلط على الجسم فتكشف الأعضاء من الداخل وتظهر الدورة الدموية من وراء الجلد واللحم والقلب والعروق كأن هذه أجسام شفافة لا تحجب ما وراءها مما يدهش العقل ويحار فيه فذكر اليبب مصداقاً لقوله في هذه الآية - وفي أنفسهم - ومعلوم أن في لظرفية أي الآيات المظروفة في نفوس النوع البشري والمراد بها هنا ما يشمل الجسم . وأما الروح فقد ظهرت مجاثبها بالتصوير المغناطيسي الذي تناقلته الأفرنج عن الهنود . انتهى ما أردته من كتابي ﴿جواهر العلوم﴾

﴿اللطيفة الرابعة . إن في هذه السورة حدين وشكرين﴾

اعلم أن سليمان عليه السلام شكر الله مرتين في هذه السورة ، شكر دخل في ضمن الدعاء إذ قال - رب أوزعني أن أشكر نعمتك - الخ وشكر دخل ضمن قوله - هذا من فضل ربي ليبلوني أن أشكر أم أكفر - معلوم أن الله يستجيب دعاء الأنبياء في الأولى ، فأما في الثانية فإن الأنبياء أقرب الناس إلى الشكر إذا أنعم الله عليهم بنعمة ، فأعجب كيف كان له ﴿شكران﴾ أحدهما ﴿على نعمة العلم﴾ والثاني ﴿على نعمة الملك﴾ فأما سيدنا محمد ﷺ فإنه أمر من الله أن يحمده وأن يسلم على الأنبياء وكل مصطفي بعد أن ذكر نعمة

سليمان بالعلم والمالك ، ولما انتهت السورة أمر أن يحمد الله تعالى على أن أمته ستنال العلم والعرفان وأن الله يدلهم على عجائب هذه الدنيا ، هما جندان وأنت تعلم أن النبي ﷺ يبعث ربه مقاما محمودا والمقام المحمود مقام يحمد القائم فيه ويحمده كل من عرفه فهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامته وليس خاصا بمقام الشفاعة بل هو مقام أعم منه ولذلك قيل أيضا ﴿ أن الله مقام يعطى فيه لواء الحمد ﴾ فهذا المقام أعم وعليه نقول أنه ﷺ لما أمر أن يحمد الله ويحمي الأنبياء في هذه السورة وأمر أن يحمد الله على أن الله يعرفنا آياته بعده دل ذلك على أن هذا أيضا مقام يحمد فيه العالم على رقي أمته لأنها ستعرف هذه العوالم - سبريك آياته - وستكون لها القدح الملقى في العلوم السكونية وتعرف علم الأرواح كما تقدم في قصة سليمان والعلوم الطبيعية من حيوان ونبات إلى آخر ما تقدم في هذه السورة وعلم الفلك أيضا كما عرفت وستصبح أعلم الأمم وأحسنها نظاما

إن الحمد لا يكون إلا بعد معرفة المحمود عليه والمحمود عليه هو النعم والنعم جسمية وروحية وغيرهما وجميع العلوم نعم فمن جهل شيئا فانه لا يحمد الله عليه وكيف يحمد على ما لم يعرفه . إن الحمد نوع من الشكر والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فمن قال الحمد لله فهو شاكر على نعمه ويكون هذا الحمد على مقدار ما عرف من النعم الواصلة من الله إلى عباده وهذا المعنى هو الموافق لقوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وظهور رحمة للعالمين أن يكون المسلمون أرقى الأمم في جميع فروع العلوم كما يقتضيه القرآن على مقتضى ما بينا في هذا التفسير ويصبح المسلمون أقوى أهل الأرض علما وعقلا وحكمة وعدلا ويكونون رجاء بأهل الأرض آباء لهم . هذا هو المقام الذي يحمد فيه رسول الله ﷺ في الدنيا . فأما حده في الآخرة فعالم . فاذا رأينا سليمان ﷺ أوتي حكمة وعلمًا وملكا وحسن سياسة فليكن أتباعه قائمين مقام سليمان في ذلك وفي غيره من عموم العلم والحكمة وليكونوا معلمين لكل الأمم مهذبين لهم

إن النبي ﷺ كما تقدم أمر أن يحمد الله فهو له مقام محمود يحمد فيه ربه ويحمده كل من عرفه وأيضا له الشفاعة ، ولا جرم أن هذين يستلزمان أن ترتقي الأمة الإسلامية وتكون نورا لأهل الأرض في مستقبل الزمان ، ألا ترى أن الشفاعة تكون على مقتضى ما وصل للناس من علم وكذا الحمد يكون على مقتضى نعم وأهم النعم العلم . إذن يكون لواء الحمد ومقام الشفاعة يرجعان لشي واحد لأنه إذا جد الله على نعمه وحده الناس عليها فلا جد إلا عن علم وإذا شفع للناس فالشفاعة على حسب مقتضى العلم والعلم فيهما يتبعه العمل إذن ينتج من ذلك أن هذه الأمة ستكون أمة علم أرقى من سائر الأمم فتكون محمودة لعلمها وعملها وحامدة لأن الحمد على نعمة العلم والعمل . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

قال الله لسيدنا محمد ﷺ - فبهذا هم اقتنوه - وقد شكر سليمان عليه السلام على نعم العلم والمالك فلنبعث في الشكر وقد أمرنا الله بالشكر فلنبعث فيه لما له من العلاقة بهذه السورة و برقي الاسلام في المستقبل . واعلم أن الشكر مطلوب قال تعالى - واشكروا لي ولا تكفرون - وقال - وسنجزي الشاكرين - وقال - وقليل من عبادي الشكور - وقد جعل الله الشكر مفتاح أهل الجنة وهو - وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده - الخ ولا نطيل بذلك فالآيات والأحاديث كثيرة

ولأخص لك بعض كلام الامام الغزالي في هذا المقام لتعرف أن أمة الاسلام الآن لم تقم بالشكر ولما لم تقم بالشكر دخلها الفرجة واحتلوا ديارنا ، فهل يعلم المسلمون أن العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والعمل بها هو شكر الله ، هل يعلم المسلمون ذلك ؟ هل يعلم المسلمون أن ما ذكر في هذه السورة من عجائب الخلق والهدد وعجائب العفاريث والملائكة والمجائب التي عبدناها كالأنهار والجبال والبحار والسماء والأرض والحدائق والأشجار ، هل يعلمون أن علم ذلك واستعماله وقبوله من خالقه هو الشكر . إن المسلمين لو علموا ذلك لكانوا

نبغوا في هذه العلوم ولكن قام رجال صغار العقول صرفوهم عنها ، هل يعلم المسلمون ذلك ؟ فواحسرتا على أمة قتلتها رجال سموا أنفسهم قادة ومهام بالمين

يقول الامام الفزائى رحمه الله لا بد للشكر من علم وحال وعمل ، فالعلم هو الأصل والحال هو الفرح الحاصل بالانعام والعمل القيام بما هو مقصود المنعم ومحبو به ويكون العمل بالقلب واللسان والجوارح رحمه الله وفي مقام العلم أخذ بشرح نعم الله عز وجل في النفس وفي البدن وفي المال وفي الأصحاب وجعل كل واحد من هذه أربعة أقسام فهي (١٦) ولا حاجة الى تفصيلها ولكن نقول اذا نظرنا الى صحة البدن وحده عرفنا أنه لا بد له من طعام والطعام لا يناله الانسان إلا بالنبات والنبات لا يتم إلا بالمطر والأرض والبذر والشمس والهواء

ثم إن الانسان لا يتعاطى الغذاء إلا اذا أعطى أعضاء باطنة وظاهرة ، فالظاهرة للجب والباطنة للهضم وغيره ، ولا بد من الحواس الظاهرة والباطنة ، فهنا علوم التشريح وعلوم النفس وعلوم النبات وعلوم الحيوان وعلوم السكواكب لما علمت أن الحرارة منبعثة من الشمس الى الأرض فصح بدلك ، إن جميع العلوم لا بد منها في معرفة نعمة الله تعالى . فمتى عرف الانسان هذه العلوم التي هي مرتبطة ارتباطا لا انفكاك له فقد عرف النعمة ومعرفة النعمة ليست شكر الله بل هي ركن واحد من أركان الشكر رحمه الله (الركن الثاني) الفرح بالنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ، فاذا رأيت جمال الله في السموات والأرض وأدركت بعض العلوم أحسست بسرور ، ولكن يجب أن يكون السرور بمن خلق هذا الجمال رحمه الله (الركن الثالث) العمل بموجب هذا الفرح وهذا العمل انما يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فأما بقلب فيصدق الخير لجميع الناس ، وأما بلسانه فليكن شاكر الله به دائما ، وأما بالجوارح فليصرفها كلها في فعل الخير ، فالعين مثلا لا تنظر الى محرم بل تنظر نظرا اعتبارا

أنا لا أطيل عليك ما ذكره الامام الفزائى فاني لو ذكرته وشرحته لاحتاج الى مجلد ولكن الذي يهمنا في هذه السورة أن ننظر أيا الذكي ، انظر واحجب من أمة الاسلام ، انظر كيف يقول سليمان عليه السلام - ليألفي أشكرا أم أكفر - ويقول - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعني والدي - ولما بحثنا عن الشكر وجدنا مبداء العلم بالنعمة ، ولما بحثنا عن العلم بالنعمة وجدناه دراسة هذه العلوم المذكورة في هذه السورة وفي غيرها علوم الحيوان من طير وحشرات وغيرها وعلوم النبات وعلوم السكواكب وعلوم التشريح والطب وغيرها ، يارب عجا لمة هذا دينها وهؤلاء علمائها . ألهذا الحد يحجل المسلمون . ألهذا الحد ينامون . يذكر الله الشكر ويقول عالم الاسلام الشكر بعلم والعلم شمل سائر العلوم التي فازت بها أوروبا علينا وغلبتنا والمسلمون نائمون ، ألم يقرأ أحد منهم كتب السابقين ، ألم يقرأ القرآن ، أيها القارئ الذكي بالله أيقظ هذه الأمة واخبرها أن الله أمرنا بالشكر وأن الشكر مبدؤ العلم بسائر العلوم التي جاءت في هذه السورة من الأرض والسماء والأنهار والبحار والجبال والحيوان وكل ما أمكن معرفته والمسلم اذا لم يعرف هذا وهو قادر فهو غير شاكر ومتى عرف فانه يفرح بالنعم نفسه لاحتالة ومتى فرح به وجب عليه أن يحب الناس كلهم ويشكر الله بلسانه ويعمل الخير لسائر الناس فالشكر علم تام وإخلاص علم وعمل نافع بجميع الجوارح

المسلمون غير شاكرين ما لم يفتحوا مدارس ابتدائية ومدارس ثانوية ويذيعوا تعاليم جميع الأمم من فلك وطبيعة وكيمياء وحيوان ونبات وانسان وطبقات الأرض ، وهذا التعليم لا بد منه لسائر الطبقة المتوسطة أما الطبقة العليا فهم المختصون بعلوم خاصة كالطب والهندسة وغيرها ، كيف جاز للمسلمين أن يناموا أجيالا وأجيالا كيف يجهلون شكر النعمة ، كيف تركوا علم النبات وعلم الحيوان وعلم التشريح وعلم النفس وعلم الفلك ، كيف تركوها والله أمرهم بالشكر والشكر علم وحال وعمل ، شكر سليمان وشكر عليه السلام فهذا هو شكرهما لقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتلنا عذاب النار - ثم قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيلته ، ومعناه أن يقرأها ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت

السموات على أن يعرف وزن السماء وضوء السكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا ، فمن قطع منه معرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبيله ، فته في ملكوت السموات والآفاق والأنفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فإن من أحب علما فانه لايزال مشغوقا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حباله فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده ، فإن تعجب من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسليله وتعرفه اه

فهكذا عرفت معنى الشكر المذكور في قول سليمان عليه السلام وأن ملخصه معرفة جميع العلوم والفرح بالنعيم واضمار الخير للناس قاطبة وانطلاق اللسان بالشكر والجوارح بالأعمال الصالحة . وأمر الله ﷻ بالحمد على أن الله سيرنا آياته إشارة الى أن هذه العلوم ستذاع في الأمة الاسلامية وهو اخبار بما سيقع لاحالة من سعادة هذه الأمة ورفيها حتى أمر نبيه أن يحمد الله على معرفتنا ومعرفتنا لا بد أن تشمل كل العلوم ونظام المدن المذكور في هذه السورة ومعرفة العوالم الروحية من ملك وجن باتساع علم تحفصير الأرواح وفهم العوالم كلها وانتظامها السكنا كما نظم ملك سليمان والافلاماذا قال له بعد تلك القصص - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - ذلك إشارة الى أننا سننسخ على منوالهم ونحفظ مدننا ونزقي علومنا ونشكر ربنا حتى حمد الله نبينا على معرفتنا والمعرفة يتبعها العمل والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهره في مقال عام في قوله تعالى - سيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ ﴾

هذا المقال قد وعدت به فيما تقدم ، ووعدت أيضا بأن أكتب هنا في تفسير هذه الآية ﴿ رسالة امرأة الفلاسفة ﴾ واسكن وجدت المقام لايسع هاتين الرسالتين فأسأجل الرسالة الأولى في سورة فاطر عند قوله تعالى - مايفتح الله للناس من رجة فلا تمسك لها - وأجمل ﴿ امرأة الفلاسفة ﴾ في سورة النفال عند قوله تعالى - فاعلم أنه لاإله إلا الله - الخ والعلم بذلك للأدبياء وهي ولكننا كسبي ، وامرأة الفلاسفة فيها ملخص آراء الأمم قديما وحديثا وبها يفهم المفكرون قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - وقوله تعالى - قل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها - وملخص الرسالة أن الموجود الحقيقي السكامل هو الله وماسواه هالك ، وهذا الذي سميناه هالكنا له نوع من الوجود بحيث يكون كله آيات دالة على جلال الله تعالى وهذه الآيات تتجدد وقتا فوقتا ، ولاجرم أن ﴿ رسالة امرأة الفلاسفة ﴾ فيها ملخص أصول الحكمة العامة في هذه الدنيا بحيث يطلع الأذكياء قراء هذا التفسير على ما استبان من نظام هذه العوالم بطريق العقل

(١) فن نظريات جعلت مقدمة للرسالة بحيث تبين أن النفوس الانسانية ليست من عوالم الأرض بأدلة عقلية وانها باقية بالبراهين الحسية التي توافق عقول جميع الأمم فهي أشبه بمقدمات علم الهندسة التي تقبلها جميع العقول وتكون لها نتائج فيها اليقين الذي لا شك فيه ، وهذه الأدلة والحمد لله لم تكن إلا في هذه الرسالة ليعلم المسلمون قوله تعالى - قل الحمد لله سيركم آياته - الخ فهذه البراهين من آيات الله المنجدة في زماننا فليفرح بذلك عقلاء الأمم مقاما

(٢) ومن آراء لأقدم الفلاسفة وكيف كانوا في بحثهم متدرجين من ماديين ودهريين وسوفسطائيين وعلماء إلهيين من طاليس ومن بعده الى فيثاغورس الذي يقول ﴿ أصل العالم العدد ﴾ الى أنبذوقاس الذي يقول ﴿ أصل العالم المحبة والعداوة ﴾ الى إنكساغورس الذي يقول ﴿ للعالم إله ولكنه تركه كما يترك الانسان الساعة تجرى وحدها ﴾ الى سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس الذين يقولون باله صانع للعالم منظم له مصلح لصغيره وكبيره الى من بعد هؤلاء من المشائين والروافيين وعلماء الاسكندرية ثم انتقال العلم من الاسكندرية الى أمم الاسلام أيام الفارابي ومن بعده ثم انتقال العلم الى أمم أوروبا ، وكيف ترى هناك أن علماء أوروبا

الحاليين يقولون بأوفى حجة وأجلى بيان ﴿ اسهم في معرفة الله والنفس ومبدأ العالم لم يصلوا الى عشر معشار سقراط وأفلاطون ونحوهما وأن المذاهب المنتشرة اليوم في أوروبا لم تخرج عن كونها تكراراً للمذاهب اليونانية فن زعم أن العالم مادي ولا إله له فذلك هو عين مذهب طاليس قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون ، ومن زعم أن الحقائق لا تعرف وهو شك فهو أشبه بالسوفسطائية بأقسامهم اثلاثة اثني سترها وهم (العندية والعنادية والادارية) وإذا رأيت قوماً من أوروبا نبغوا في ذلك وأدركوا بعض سر التكوين مثل الفيلسوف (كنت) الألماني الذي تبعه اليوم الأمم الألمانية ، وتبعهم في قراءة كتبه أمة إيطاليا فاعلم أن هذا المذهب عينه هو مذهب سقراط وأفلاطون الذي ستقرأ فيه الحكمة البدئية بحيث أنك حين تطلع على ما نقلته عنهما بنصه وقصه مما لم تنقله أسلافنا بنصه تدهش إذ ترى أن القرآن حقاً وصدقاً نفس آراء هؤلاء الفلاسفة الذين خلقهم الله قبل أن ينزل القرآن ، أما أنا فإني اعتراني الدهش وازدادت تعجبى من صنع الحكيم العليم الذي أنزل حكمة على قلوب عباده قبل نزول القرآن بنحو (٩) قرون وجعلها أشبه بتفسير للقرآن المنزل على عبد من عباده في جزيرة قاحلة ، وستقرأ في الرسالة المذكورة كيف جاء حب الله على لسان الفلسفة وكيف يكون ازدياد هذا الوجود المتغير الناقص وكيف يجب علينا في هذا الوجود أن ننظم دوله فلا نضل الدنيا الناقصة ولكن ننظمها ونتبعه أثناء تنظيمها الى مبدعها . كل ذلك ستره في ﴿ مرآة الفلسفة ﴾ وتستجب أنت كما عجبت أنا من تفاني هؤلاء الفلاسفة في حب الله والاخلاص له وهذا هو لب القرآن . أوليس هذا هو معنى قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سيريك آياته فتعرفونها - ومتى قرأت هذه الرسالة أيها الذكي ستقول كما قلت سواء بسواء ، لقد رأينا آياتك يا الله في هذه العوالم كما رأيناها ظهرت على قلوب الحكماء من الأمم إذ تجلت قبل نزول القرآن وخبت في السكتب وظهرت اليوم فوجدناها مفسرة للقرآن مجلية للحقيقة موضحة لحقيقة العقل والنفس بل فوق ذلك ترى ما كان من الخلاف بين أفلاطون وأرسطاطاليس من قول الثاني للأول ﴿ ان تعاليمك الفلسفية لم يظهر فيها المناسبة والارتباط بين عالم المثال الذي تخيلته وبين هذه العوالم المشاهدة إذ أنك اعتبرت أن العلم لا يبنى إلا على أمور ثابتة ولا ثبات لعالم المادة من سموات وأرضين والثابت في نظرك هو عالم المثال ، وقد قلت ان ما يظهر للناس في الأرض والسماء إنما هو على مقتضى عالم المثال وهو على صورته أو نسخة من نسخه ﴾ فهذان العالمان المادي والمعنوي لم نعرف المناسبة بينهما

ثم قال (أرسطاطاليس) بعد ذلك ﴿ أنا أرى أن العلم لا يحتاج إلا الى المادة والصورة والمادة لا توجد إلا بهذه الصور التي نراها في الأرض والسماء الخ ﴾

وقد جاء المشاؤون بعد (أرسطاطاليس) أيضاً وفندوا رأيه واعتضوا عليه وقالوا له ﴿ اننا لم نعرف المناسبة بين المادة والصورة وبين الله الذي صنع العالم وأنت برهنت على وجوده ، وأنت لم تبين المناسبة بينهما كما لم تبين أستاذك المناسبة بين عالم المثال وعالم المادة ﴾

هنالك أخذت الأمم بعدهم تقرأ هذه الآراء وتبين اتحادها تارة واختلافها تارة أخرى ، فهذه المجادلات التي سترها في الرسالة المذكورة ولخصتها هنا لا يكون لها أثر بعد المقدمات والحجج التي سترها بمقتضى ما ظهر للناس اليوم في العالم من العلوم في ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ إذ ترى أن البراهين اليقينية التي ذكرتها في أولها لا يرد عليها ماورد على أفلاطون وأرسطاطاليس ، وستقرأ هناك أن خلق العالم يتضح بما يراه الانسان في نفسه من العوالم العقلية ، وسترى شرح ذلك وتعلم أن هذا هو قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - فهذا هو العلم بانفراد الله بالالوهية لأنه أتى بملخص عقول الأمم قديماً وحديثاً وهذا يفهمنا قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يذنبون لهم انه الحق - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سيريك آياته فتعرفونها - فهذه الرسالة ظهر فيها كيف كان علم النفس هو المفتاح الذي به فتج ما أخلق على الناس أيام سقراط وأفلاطون ومن

بعد ذلك وبه زال الاشكال الذي ورد على طرفيها في بيان أصل العالم وصلة العالم المادي بالعالم العقلي وصلتهما
ببعضهما ، فهذا الاشكال كله ستره قد حل في هذه الرسالة . ومن أعجب العجائب انها لم تظهر للناس إلا في
تفسير القرآن عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وقد انطبقت على هاتين الآيتين اللتين ختمت بهما هاتان
السورتان الدالتان على أن المادة باطلة وأن العوالم المشاهدة آيات الله والله سيربها لنا ، وهاتين أولاه قد
رأيتها في كلام العلماء والحكماء وفي العوالم المشاهدة ، ومن أهم الآيات التي أراها الله لنا إبقاء العهد تقسيم
العلوم ، وهذه سنختم بها ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ بحيث يطلع الأذكاء من السامعين على آثار عقول الأمم
البائدة ومآثر كثر لنا من العلوم الرياضية والطبيعية والإنسانية وتهذيب الأفراد وتبوير المنازل وتبوير المدينة والأخير
هو علم السياسة وهناك تقسم هذه العلوم إلى (١٧) علما وهذه العلوم فروع تبلغ أصولها مع تلك الفروع نحو
(٦٠) علما وصناعة ، وهناك ترى أن الصناعات كالطب وكالزراعة وأمثالها وهكذا التجارة والحدادة ماهي
إلا فروع لتلك العلوم . هذه هي الآيات التي وعد الله أن يريها لنا وهي آيات العلوم الحكيمة المنقولة عن الأمم
الخالية الموافقة للقرآن حقا وصدقا وآيات هي أقسام العلوم وما يناسبها من الصناعات التي لا بد منها للأمم . هذه
هي ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ التي وعدت بها فيما تقدم والتي ستطلع عليها أيها السامعون في (سورة اقبال) عند
قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وقد تضمنت إيضاح الآية في آخر هذه السورة ونظيرها آية - سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم - والآية التي في آخر سورة القصص وهي - كل شيء هالك إلا وجهه -
أما المقال العام الذي وعدت أن أكتبه هنا فيما نقتدم وسأذكره في سورة فاطر عند قوله تعالى - ما يفتح
الله للناس من راحة فلأمسك لها - لأن الحال اقتضت ذلك فهناك ملخصه إبقاء بما وعدت ومقدمة لذكرها
هناك فهي

(١) أولا ان اشراق العوالم التي تحيط بنا على ﴿ قسمين ﴾ اشراق ظاهر واشراق باطن ، فالأول ما تدركه
الحواس والثاني ما تدركه العقول ، وهذا الأخير مراتب وراء مراتب ولن نصل لمرتبة إلا بعد وصولنا إلى مرتبة
قبلها والحمد في الآية تابع لاستكناه الحقائق وظهور المعلومات فلا تكون المعرفة اللاحقة إلا بعد السابقة
(٢) السامعون في القرون المتأخرة نظروا العوالم الظاهرة فلم يزدوا في معرفتها عن العامة مع انهم
يقروا في القرآن قصة سليمان إذ سخرت له الريح وهذه القصة تدلهم أن هناك منافع غير التي عرفها العامة في
هذه المخلوقات المحيطة بنا

(٣) مثل ان الهواء مركب من نيتروجين وأوزون واكسوجين ومن مواد أخرى وهذه المادة وهي
النيتروجين أو الأوزون وجدت مركبة مع مواد أخرى في جزيرة (شيلي) فجعلها الناس سمادا لأن النيتروجين
من مركبات السماد المعروف من الدواب في القرى وبلاد الفلاحين في مزابلهم

(٤) وقد استخدم العالم الألماني (فرترهابر) الكهربياء في استخراج النيتروجين من الهواء بدل الانكال
على ما يستحضره الناس من (جزيرة شيلي) وعلى ما يأخذونه من سماد الحيوان وصنع في الهواء بالكهرباء ما
يصنعه الناس في الماء من تبريده وجعله ثلجا فالناس جميعا يجدون طريقة لجعل الماء السائل جسما صلبا وهو
الثلج هكذا العالم (فرترهابر) جعل النيتروجين بالكهرباء جسما صلبا بعد أن كان جسما غازيا كالبخار
في الهواء ، فالبخار يكون سائلا ثم صلبا وهكذا الغاز الذي هو جزء من الهواء يرجع سائلا فصلبا ويكون سمادا
وهو المطلوب وذلك بواسطة (الفرن الكهربائي) الآتي شرحه في سورة فاطر في المقالة العاثة هناك

(٥) كان عند الألمان مصانع كبيرة زمن الحرب يستخرج بها النيتروجين من الهواء فبه تسكون المواد
المهلكة ثم حوّل هذا كله بعد الحرب إلى سماد

(٦) المسلمون يأكلون الملح ولا يعلم أكثرهم أن علماء أوروبا استخرجوا بالكهرباء من محلوله في ماء

البحار مواد مثل الكاور والصودا السكاوية والهيدروجين ، والكاور المذكور المستخرج من الملح ينفع في تطهير ماء الشرب من الجراثيم فيمنع انتشار الحمى التيفودية وينفع في جعل الورق أبيض ، وينفع في أحداث التخدير للمريض عند العملية الجراحية ، ويكون سماً للأعداء في الحرب إذ يرسل في الهواء ، ويكون في المفرقات القاتلات للأعداء ، ويكون قاتلاً للحشرات ، إذن ملح الطعام يأكله المسلم ولا يعلم أنه أصبح مطهراً لشرابنا قاتلاً للحشرات الذرية التي تفكك بالناس في الوباء مبيضا لورقنا مزيلاً لآلام جرحنا مهلكاً لأعدائنا

(٧) إن المسلمين الذين جهلوا هذه العلوم التي عرفت في الأمم في الأرض يعاقبون في الدنيا والآخرة لأنها فروض كفايات ، فإذا أمر الله بقطع يد السارق لأجل ربع دينار أفليس معناه أنه يحافظ على المال النافع لنا ، وإذا أمر بقتل القاتل فمعناه أنه يحافظ على نفوسنا ، إذن هذه العلوم تحفظ أنفسنا وتحفظ أموالنا فكيف يسوغ للمسلمين تركها

(٨) وهناك فوائد كثيرة للكور وغيره من عناصر الملح وصلت إلى (١٢) فائدة كلها نافعة في الحياة فكيف يجهلها المسلمون وهي فرض كفاية

(٩) وهناك معدن يسمى (الالومنيوم) وله فوائد عظيمة ستذكر لأجل لاطالة الكلام عليها هنا مثل أنه إذا خلط مع القصدير استعمل بدل النحاس ، ومثل أنه يجعل صفائح للتفضيض ، ومثل أنه يركب مع النحاس فيكون شبيهاً بالذهب ، فكيف يترك معرفة هذا المسلمون وهو من فروض الكفايات

(١٠) إني أنذر الأمم الإسلامية بأنهم إذا أهملوا العمل بما في كتابي هذا فإن هذا القرن يكون آخر قرونهم في الأرض

(١١) أفلا ينظرون كيف اخترع (المستر بالي) زجاجاً سماه (زجاج بلاس) وهو زجاج لا ينكسر ومنه تدخل الأشعة فوق البنفسجية من الشمس لتنفذ في الصحة بخلاف زجاجنا المعروف وهو مصنوع من مواد أرخص من المواد التي صنع منها زجاجنا ، وسيصنع من هذا الزجاج ألواح بهيئة قشر السلحفاة وأقلام لن تنكسر وهكذا

(١٢) فيا أيها المسلمون ، عليكم أن تجتدوا في الأعمال حتى تلحقوا الأمم ثم تكون هناك أجيال بعدنا إسلامية متحدة مع الأمم في رقي أهل الأرض . انتهى الكلام على ملخص المقال العام الذي سيكتب في سورة فاطر كما لخصت قبل ذلك ﴿مرآة الفلسفة﴾ التي ستكتب في سورة القتال عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - اهـ

﴿جوهرة في بعض سر الطاء والسين في قوله تعالى - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى -﴾
ههنا السين في - وسلام - والصاد والطاء في - اصطفى - والحرفان الأخيران من واد واحد لأنهما من حروف الاطباق وهي الصاد والضاد والطاء والظاء ، فسلام مبتدأ بالسين واصطفى مبتدأ بحرفين من واد واحد وهما الصاد والطاء المذكورة في - طس - في أول السورة ولا عبرة بالهمزة لأنها زائدة للتوصل للنطق بالسكان وهذا تذكرة بالسلام للصطفين وفتح باب لفهم ماسأسمعه لك

إن الإنسان على الأرض دائماً في اضطراب مادام جاهلاً بنظام هذا العالم وما مبدؤه وما مبدعه وما نهايته ونهاية الأرواح وأكثره يشك في مستقبل هذه النفوس الإنسانية ويسمع بالزلازل والوباء والحروب وبفتك الحيوانات الذرية في الإنسان ، ويرى هذا العالم كله اختلاطاً واختباطاً ولا نظام فيه ولا أمان غاية الأمر أن المؤمنين بالديانات يسلمون ويسلموا ولا يفسكرون ولا يفكرون منهم يقعون في هذه المازق فإذا فكروا في هذا نشأت لهم وساوس وأحسنوا بالآلم النفسي وزايلهم السلام والأمان فنفسهم في وحشة وإن ظهروا مستأنسين وقلوبهم في غم وإن كانوا في ظاهراً أمرهم فرحين ، وهؤلاء متى عرفوا الحقائق واطمأنت نفوسهم إليها وركنوا

لما أحسوا بالسلامة والأمان وأيقنوا بأن من يسوسهم في الدارين رحمن رحيم لا يزيى عليهم إلا ما هو خير لهم عاجلاً وأجلاً ويرون الموت والمرض والفقر وأشباهاها أعراضاً زائلة كما يعترى الأرض حقول وحقل هذا نزل عليها الماء اهتزت وربت ، فهؤلاء هم المصطفون الأخيار الذين تسلم نفوسهم من تلك المهلكة في هذه الحياة وغيرها ، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم - لا ينزعهم الفزع الأكبر - الخ - وقال فيهم - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم - الخ - وقال فيهم - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار - والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، فهذه الجملة جاءت فيها السنين والطاء المصاحصة للصاد والسين والطاء ذكرنا في أول السورة لتوقفنا لآيات الأخرى . ولما ذكر السلام والاصطفاء أعقبه بالدروس التي يدرسها أولئك المصطفون فذكر السموات والأرض والمطر والحدائق والأشجار والأنهار والجبال والبحار والبراريخ بينها واجابة دعاء المضطر والهداية في البر والبحر وارسال الرياح ، فهذه الطائفة التي أفضت عقولها بهذه العلوم والحكم تكون مصطفاة وأنفسها تعيش في سلام وتموت في سلام كما قال تعالى في عيسى عليه السلام - وسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً - وهذا السلام هو الذي يقوله المسلم في التشهد فيسلم على نبيه وعلى نفسه وعلى الصالحين من الأمم ، ومثل هذه النفوس المصطفيات هي التي إذا صلت وقرأت - أهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم - لأنهم معنى الغضب كالذي تفهمه في غضب الناس لأن غضب الناس انفعال ورحمتهم انفعال ولكن غضب الله ورحمته لا انفعال فيهما بل الله منزّه عن ذلك وإنما ههنا شأن النظام والتدبير والاحكام في الخلق سميت رحمة في حال وغضبا في حال بحسب مراتب الموجودات لا غير ويفهمون ذلك من تسبيحهم في حال الركوع والسجود فالمسلم يقول ﴿ سبحان ربّي العظيم ﴾ ويقول ﴿ سبحان ربّي الأعلى ﴾ ويفهم من ذلك المصطفون انه منزّه عن الغضب الانفعالي وعن الرحمة الانفعالية عند قراءتهما الفاتحة (ففيها ذكر الرحمة وفيها ذكر الغضب وفيها تقديم الرحمة على الغضب للإشارة الى قوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شيء - والى ماورد في الحديث ﴿ أن الرحمة سبقت الغضب ﴾ لأن هذا نقص في العباد والله كامل محكم التدبير منظم الشؤون ، وهذه الطائفة حين تعرف هذا توقن بأن نفس الصلاة فيها رموز وعالم وحكم وكلما ارتقى الانسان فيها زاد علماً كما قال تعالى - وقل رب زدني علماً -

فالمسلم وهو يقرأ الفاتحة يفهم معنى الرحمة والغضب اجبالاً فاذا ركع وسجد فهم أن الله منزّه عن صفات العباد بالتسبيح . ومن أعجب العجب أن يقول في هذه الآية - وقل الحمد لله وسلام - الخ ثم يقول في آخر السورة - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فهنا أمره بالحمد وجعله مصحوباً بالسلام وأردفه بالدروس التي يتلقاها المصطفون وفي آخر السورة أمره بالحمد وأتبعه بنفس الدروس اجبالاً وهي انه سيرهم آياته وانهم يعرفونها . ولا جرم أن الدروس التي جاءت في هذه الآيات هنا بعض الدروس المجملّة في آخر السورة

الله أكبر . تبين هنا أن السلام بعد الحمد ولاحد إلا على نعمة والنعمة المذكورة في هذه الآيات هنا مقصولة وفي آخر السورة مجملّة وهذا قوله تعالى في سورة أخرى - دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام * وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - واعلم أن الحمد مصحوب بالسلام المتبوع بالآلاء والنعمة فيما نحن بصده وبعده الحمد الذي في آخر السورة وقد بيناها الآن كأنهما تطبيق أو نتيجة لما جاء في قصة سليمان في أول السورة إذ حمد الله هو ودأود على نعمة العلم وأن الله فضلها على كثير من عباده المؤمنين ، فهما حمد الله على نعمة العلم وههنا أمر النبي ﷺ أن يحمد الله مرتين وذكر بعد الحمد المعلومات فاجب لأسرار القرآن ، فتبين أن السلام يذكر مع الحمد والحمد لا يكون إلا على علم بالمحمود عليه حتى يذعن القلب ويفرح بالنعمة . إذن فليعلم المسلمون أن ديننا دين حمد ولا معنى للحمد إلا على نعمة ولا تعرف النعمة إلا بالتعليم ، فليعلم المسلمون كل علم ولا بدوا على الأمم والأفئدة حلوا من هذه الأرض لأنهم لأمان لهم في الدنيا لأنهم يحملهم

نواميس الوجود لا يقدرّون على مقاومة الأُمِّ وهكذا يكون عقلاؤهم مضطربين الآراء في الوجود وفي الأنفس الإنسانية ونهاية هذه الدنيا . هذا ما فتح الله به يوم الجمعة ٣١ مايو سنة ١٩٢٩

(المستنبطات التي وجدت بين سنة ١٧٠٠ وسنة ١٨٠٠ ترجع الى الأدوات والآلات الميكانيكية)
(فأمام مستنبطات العصر الحاضر فأكثرها كهربائي أو كيميائي معدني)

كتب كاتب أمريكي في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٢٨ يقول مانصه

(١) في الولايات المتحدة خمسة ملايين آلة لاسلكية مستقبلية

(٢) ألفت فيها شركات لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلفراف السلكي واللاسلكي

(٣) وقرب الوقت الذي تنقن فيه إذاعة الصور المنحركة كما تذاع الخطب والأغاني والقصص وتستقبل

(٤) وقرب الوقت الذي يمكن فيه توزيع القوى الكهربائية باثنية فتلقظها البواخر في عرض اليم والطائرات

محلفة في الفضاء

(٥) والأشعة التي فوق البنفسجية قد كمن في أمواجها فوائد صحية جزيلة ، وقد ألفت شركات لتوزيعها

بعد اتقان آلاتها فضاء بها المصابيح في الدور والمكاتب والمعامل والمدارس فتعطي الناس قوى حيوية جديدة

(٦) وسيسمد الناس زرعهم من الأسمدة المستكنة في الهواء بسبب الكيمياء

(٧) وسيصنعون جوارب حريرية وأدهاناً مختلفة من الأشجار

(٨) والمادة التي تصنع بها السيارات تصنع منها الجوارب الحريرية والمفرقات والجلد الصناعي وهكذا

(٩) ثبت أن (معدن الكروم) اذا أضيف الى الصلب صار الصلب قاسياً جداً لا يصدأ فاستعمله يوفّر

على الناس ملايين يتخسرونها بسبب الصدأ

(١٠) والنفط يستخرج الآن من الفحم الحجري ومن القار بأسلوب كيمائي ، وذلك في ألمانيا بأسلوب

(برجيوس)

(١١) وقطران الفحم الحجري يستخرج منه الآن أصباغ عجيبة تفوق التصوّر ، فهذه ملابس السيدات

الراهية الألوان تصنع بأصباغ تستخرج من الفحم الحجري وفي المستقبل عجائب أكثر في هذه الألوان

(١٢) « مستقبل الطيران » - إن الطيران سيوصل الناس الى أخصب بقاع الدنيا والى حراج غيباء

لا يقم الناس لها وزناً وستزيدهم ثروات طائلة بسبب الطيران

(١٣) النور الآن متعدد مع الحرارة فتجود ٩٦ في المائة من القوة يذهب في الحرارة وع في المائة يعطى

ضواً وسيتمكن الناس من قلب الوضع فتسكون ٩٦ للضوء وع للحرارة واذن تنار المنازل بجزء من عشرين

جزأ مما نستعمله الآن من الكهرباء ويتم ذلك بعد مائة سنة ، وفي ذلك الوقت تولد الكهرباء باثنية من ضوء

الشمس رأساً لامن الفحم الحجري ولامن الماء المنحدراً ومن قوة المد والجزر وأومن حرارة باطن الأرض

(١٤) في كثير من البلاد ينابيع حارة ، ففي هذه الأماكن ستصير هناك مدن عظيمة لأن حرارة باطن

الأرض تستخدم حينئذ لتوليد الكهرباء والكهرباء هي سر الصناعة الحديثة

(١٥) وفوق هذا وذاك قوة الشمس ولا يعوزها إلا آلة تمتص الحرارة ولا تشعها ولم يوفق الناس الى الآن

لاختراع آلة تمتص الحرارة ولا تشعها ومتى وفق الناس لها أصبحت هذه مصدراً هائلاً للقوة الهائلة الرخيصة الثمن

(١٦) إن المستنبتين الى الآن لم يعكفوا على استخدام المنوالجزري في توليد القوى بجهد وعزيمة

(١٧) قد استحدثت الناس آلة لاستحداث أصناف جديدة من النبات والخضراوات والأثمار والأزهار

والاستاذ (بربنك) أكبر مستنبت في هذا الميدان كما ان (أديسن) أكبر مستنبت في الكهرباء باثنية

(١٨) استنبت (بربنك) مئات من الأنواع الجديدة من الأثمار والأزهار وأدخل فيها صفات لم تعرف من

قبل مثل البرقوق (خوخ) لاقشرة قاسية لقواته ، ومثل التين الشوكي الذي لاشوك في أغصانه ، وعنده أن الاستنباط هنا يفوق ما استنبطه (الديسن) و (ماركوني) و (بل) و (فورد) وغيرهم

(١٩) وسيتدع الناس وسائل تغير الجو فتجعله صالحا لأحوال زرعهم بإدارة زر كهربائي ولا مانع يمنع علماء الزراعة من أن تكون أثمار الفراولة حجمها كحجم البطاطس وحجم الكرز والبرقوق (الخوخ) والتفاح كحجم رؤس الكرنب

(٢٠) وعند المهندسين الآن آلة لاسلكية تبعث في الفضاء أمواجاً صوتية خاصة فتفجر مقداراً من الديناميت على بعد (٢٠) ميلاً أو (٣٠) بشرط أن يكون في الديناميت آلة تقبل هذه الأصوات ، وأمثال هذا الجهاز يستعمل في البحث عن المعادن بحيث تكون الأرض التي لامعادن فيها لا تعوق الأصوات المذكورة فتصل في الوقت المعين لها وإن أبطأت دل ذلك على رواسب المعادن التي أخرت هذه الأصوات

(٢١) وسيفوز الإنسان بالطعام المركب تركيباً كيمياوياً . قال وفي السنة الماضية أدب أحد أصدقاء مآدبة لجمهور من معارفه وجميع طعامها مرتبة في العمل الكيماوي مثل (الاوردوفر) و (الابن والقشده) و (اللحوم) و (الحضرات المختلفة) و (الشوربه) وهكذا الأثمار والمثاقبات وأصناف الحلوى ولم يكن للفلاح ولا للبستاني أثر في هذه المآدبة

(٢٢) إن في الجوهر الفرد قوة هائلة مدخرة . ويقال إن الهيدروجين في الماء الذي يملأ ملعقة شاي واحدة يولد مائة ألف كيلو من الكهر بائية وتساوي قوتها ١٣٣ ألف حصان فإذا أطلقت هذه القوة واستخدمت استغنى الناس عن الفحم استغناء تاماً وحينئذ تقطر القوة اللازمة لإدارة معمل كبير كما تقطر القطرة في العين (٢٣) إن الغدد في الأجسام لها علاقة بالحياة وبالصحة وبالعواطف والصفات الأدبية كالشجاعة والمضاء ولا بد أن يصلوا إلى إطالة الحياة وربما يكون الرجل في نشاطه الجسدي وعقله النسيحي حينما يبلغ المائة من العمر انتهى مأردته من بحلة المقتطف وبه تم تفسير سورة النمل والجد لله رب العالمين

تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثالث عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم
وبليه الجزء الرابع عشر * وأوله تفسير سورة القصص



(الخطأ والصواب)

غلطنا التصحيح فماتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بالانتباه وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	صفحة	سطر	صواب	خطأ	صفحة	سطر
توحى	نوحى	١١١	٢٢	البلن	البسكن	١٠	٢٢
ازدانت	ازدان	١١٣	٦	وثانيا ليدل	وليدل	١٧	٢٤
بجماعات	فجموع	١٢٣	١١	كشفتها	اكشفتها	٢٦	١٧
المطارب وهناك	المطارب	١٢٧	٢٩	فهرز	هرز	٢٨	٢٢
فهو	وهو	١٢٧	٢٩	جاء بعض غلط في كتاب « المختار في كشف الأسرار » في النسخة التي نقل المؤلف منها فتركناها بحالها من صفحة (٣٢) الى صفحة (٣٩)			
أن ينال	ينال	١٣٠	٣٠				
ودخلها	ودخلها	١٣٧	٣				
دروب	ضروب	١٣٧	١٧				
ما	في ما	١٤٦	١٥	فأخرجها	أخرجها	٣٧	٢٦
كناش	كناشا	١٥٨	١٦	لم يسقط	سقط	٤١	٢٠
مع	من	١٧٥	١٠	حسن	حسن	٤٩	٤
وكرت	وفرت	١٨٣	٦	قيل	بين	٤٩	١٢
والرؤساء	أوالرؤساء	١٨٩	١٩	مشابهها	مشابه	٥٠	٦
نهما	نهما	١٩٣	٤	حربطان	مرتبطة	٥٢	٢٧
والجابه	والجابه	١٩٣	٦	استمرت	استمرت	٥٧	٦
غيرهم	غيره	١٩٦	٢٢	سد	صد	٥٨	٢٠
١٩٢٩	١٨٢٩	١٩٧	١٩	أيها الفقراء	أيها الأغنياء	٧٧	٥
الغرض أحسن	الغرض	١٩٧	٣٣	قسما	قسم	٧٧	١٥
الله	الله الله	٢٠٨	١٢	ليخرج	ليستخرج	٧٩	٢٦
ليحذوا	ليحذوا	٢١١	٦	انخفضت	انخفضت	٩٠	٣
طريق	طريقة	٢١١	١٦	فهذا	وهذا	٩٥	٣٤
ثمرة	ثمرة	٢١٥	١٨	منسأه	منسأه	١٠٧	٧
يتناولها	يتناولها	٢١٥	٣٤	سألت	سألت	١٠٧	١٣
برون	لايرون	٢١٨	٢٠	وتم	وتم	١٠٧	١٣
طربا	طربا	٢٢٣	١٤	اتقوا	اتقوا	١٠٧	٣٣
جديرة	جديرة	٢٣٣	٦	الشمس	الشمس	١١٠	١٢
قدمهن	قدمهن	٢٣٩	١٧	وما قيا	وما قياها	١١١	٦
				لعمرك	لعمرك	١١١	٢٠

(تمت)

فهرست

الجزء الثاني

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ٢ تقسيم سورة الشعراء إلى (سبعة أقسام) ذكر القسم الأول مشكلاً إلى - وإن ربك هو العزيز الرحيم -
- ٣ التفسير اللفظي لهذا القسم (لطيفة) في معنى - طس - ومعنى - كهيم - كاف زكرياء وهاء هزى وياء يحيى وعين عيسى وحاد صديقاً وطاء لأقطع وأطمع وعيم الرحيم
- ٦ (الآيات في النبات * الآية الأولى) تنفس النبات ، الإنسان والحيوان يخرجان بالنفس الكربون (الفحم) وهذا يفسد الهواء والنبات يصلحه لأنه بنفسه يعطيه مادة الحياة (الأكسوجين) ولولا ذلك لمات كل حيوان على الأرض بالاختناق (الآية الثانية) أن النبات كما يخرج بالنفس الأكسوجين بالنهار يخرج حامض السكر بونيك بالليل (الآية الثالثة) أن النبات يتصاعد منه بخار كما يصعد من البحار وكلما كثرت الشجر في بلد زاد المطر فيه ، إن الندى الذي على سطوح الورق ليس من السماء بل هو من البخار المتصاعد من نفس النبات ومن النبات ما يتصاعد منه مضاعف وزنه بالليل والنهار . نبات الأباريق يشرب الناس منه الماء (الآية الرابعة) ادرس الأشكال الأربعة في صفحة ٧ والشكل الخامس في صفحة ٨ ففيها إيضاح مسألة الانقاع فوق ما تقدم في الأنعام والحجر وغيرها وبيان أعضاء الذكر والتأنيث الأسدية والمدقات وقد يكون القسمان في زهرة وقد تكون الأسدية على زهرة والمدقة على أخرى في نباتة واحدة كالخيار وقد يكون أحدهما على شجرة وثانيهما على أخرى كالصنوبر . بيان الزهرة الكاملة القانونية المنتظمة وبيان زهر العلق والحجازي . جمال العلم والحكمة (الآية الخامسة) اهتزاز النبات عند التلقيح
- ١٠ النبات يحس ويتحرك . النبات يحس بالسموم والأفيون فيموت بالأول وينام نوما عميقاً بالتالي وحامض (البروسيك) يسم النبات . النبات الحساس ينكمش إذا لامسته وورق الخس إذا هيجت أطرافه درت بعض عصاراتها (الآية السادسة) نبات (دسموديا) بالهند تتحرك فيه ورقتان متى أشرقت الشمس عليه فيكونان كعقرب الساعة ، والنبات المسمى مصيدة الفار إذا وقعت عليه ذبابة انطبقت أهدابه عليه (الآية السابعة والثامنة) أن عضو الذكر والتأنيث يقترب أحدهما من الآخر زمن الانقاع وهما يهتزتان وقد ينطف أحدهما دون الآخر ، وبعض الأزهار المائية تطفونهاراً على سطح الماء وتغوص بالليل ، وقد يكون لاطلع أجنحة أو أهداب يسبح بها أو يطير في الهواء (الآية التاسعة) شجر المسافرين في (مداغشكر) لأ واحدة (٢٤) ورقة وتحت كل ورقة ما يشبه (القارورة) فيشقها المسافر ويشرب ماءها وأيضاً شجرة اللبن يستخرج منها ما يشبه القشدة وفيها كثير من شمع كشمع العسل وتقوم في (فنزويلا) حيث يقل المطر وهو كالقشدة المحلاة وقد يتجمد كالجبين ، ومن النبات ما يستخرج منه ما يشبه سق الفيل

بيان أن هذا هو المقصود من آية - أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها - الخ
 ١٢ الزهر إما دوسكن وإما دوسكنين وإما كثير السكان والنبات (٢٤) رتبة أحادي أعضاء التذكير ثنائيتها
 ثلاثيتها إلى عشاريها وهكذا . إذن الزهرة أشبه بمحروف اللحاء فقد تنوعت باختلاف أعضائها على مقتضى
 تنوع النبات البالغ (٣٠) أنف نبات فهي كغم الانسان جمع (٢٨) حرفا أو أقل أو أكثر فعبثت عن
 كل الموجودات

(القسم الثاني) مكتوب شكلا من قوله تعالى - واذا نادى ربك موسى - إلى - وان ربك هو العزيز
 الرحيم - . التفسير اللفظي لهذا القسم
 ١٦ نبينا ﷺ يقول في القرآن بطريق الوحي يا أيها الناس اعبدوا ربكم الخ يلفت العقول إلى العجائب
 السكونية وموسى عليه السلام يذكر لفرعون خلق السموات والأرض وخلق الآباء الأولين الخ ولما لم
 يفهموا عجائب السكون رجع كلاهما إلى المعجزات ، قال النبي ﷺ رجع إلى البلاغة فقال الله - وان كنتم
 في ريب - الخ وموسى هرع إلى إبطال السحر بالعصا الخ

١٧ تفسير قوله تعالى - قال للآلهة - إلى قوله - وان ربك هو العزيز الرحيم -

١٩ جوهرية في قصص القرآن من كلام الامام الشافعي وأن التمسكين درجة الأنبياء بعد المحنة ولا بد لها من
 الصبر . وبيان أن العالم إنما هو من يتمسكن في علم واحد ثم يتعرض لسائر العلوم * وجاء في الحديث
 الصحيح أن النبي ﷺ وصاحبه ذهب إلى أبي الهيثم فأطعمهم لحم الشاة وخبز الشعير وشربوا ماء فقال
 ﷺ - لتسألن يومئذ عن النعيم - وأن حال الصعوبة في الفقر خير من حالهم إذا سمرت بيوتهم كالكمبة
 وغدوا في حلة وراحوا في أخرى . وبيان أن لغز قانس وكتاب الكوخ الهندي ينسحون هذا النحر
 ٢٠ أقوال علماء العصر الحاضر في التاريخ ، وبيان أن التاريخ وإن كان في ظاهره لا يأتي بدرهم ولا دينار
 لاهو ولا علم الشعر والأدب ، هو في الحقيقة متى كان منتظما بشير القوى من مكائنها ويدفع الشعوب للرقى
 بمقايسة الحاضر بالغائب ، فقارئ التاريخ كالطائر في أعلى طبقات الجو ومقارنة الزمان الحاضر بالماضي
 يفيدنا رقا واعتبارا . وقال فون سيدل (إن من يعرف من أين لا بد أن يعرف (الابن) والسياسي
 الذي يحجل الماضي يتهمج الخطط التي يحجل نتائجها) وتبدأ جندي بنفي (أميراطور ألمانيا) إذا خسر
 الحرب قياسا على نفي نابليون والفضل في ذلك للتاريخ ومعرفة التاريخ تعيين الأفراد على معالجة شؤونهم
 ومن يؤس من النتائج لحيية آمال غيره فهو جاهل بالتاريخ ، فالأحوال مختلفة ودراسة التاريخ تبعث فينا
 الهمم لأداء الواجب . إن سيرة (الاسبانيين) في مضيق (ثرمبولي) تهيج الشعبان لحفظ الأوطان
 وتفوق الرومانيين على يدى هنيبال يلهب الحماسة فينا . التاريخ فلسفة تعلم بضرب الأمثال فهو علم جليل
 ٢٢ (السحر عند الفراعنة) لقد كان للسحر عندهم منزلة وهاك قصة منقولة عن الورق البردي عن الأسرة
 التاسعة عشرة وهي أن فتاة أحد الملوك طلب أبوها من رمسيس الثاني أن يرسل له المعبود (خونسو)
 فأرسله وأخرج العفريت من الفتاة وشرط العفريت أن يصنعوا له مهرجانا لوداعه فأجابوه ثم رجع المعبود
 إلى مصر بحيلة ، وعندهم عزائم يتلوها الأطباء لشفاء من المرض وهناك عزيمة تتلى إذا كان الدواء من
 الباطن يقال في هلمى أيتها الأدوية واطردى الأوجاع من قلبي ومن أعضائي الخ وهناك عزائم لإبعاد
 الطوام وللحبة والقبول ويمثلون شخصا على هيئة العدو ويقتلونه ويتلون العزيمة فيحصل للعدو ما حصل
 للصورة في زعمهم

٢٣ ثلاث محادثات بين الملك (خوفو) وبني الهرم وبين أولاده الثلاثة إذ قال ابنه الأول إن أكبر علماء السحر

في زمن الملك نيقا عشقت زوجه رجلًا وأخذت هذا رجلاً بها في بستان زوجها فلما علم الساحر بذلك صنع صورة قساح من الشمع وسحره فالتقى الثنائي بزوجته الساحرة صورة القساح الشبيهة حين أتى ليفتسل فالتقم القساح الزاني وغاص به في ماء البركة ثم طلب ثياب من السحابة أن يلبس ثيابه فألقاه على هذا الرجل فغضب فأنجبره الخبر فأمره بالرجوع الزاني في طلب القساح وإحراق المرأة وقصص ابنه الثاني خبير الفلاح المصري الساحر الذي طس (١١٠) ويرد رأس الإنسان بعد قطعه فهو يمشي الموتى ويخضع له الأسد ويعرف حساب (أبت) وغيره من المسود (توت) فأرسل لأخضاره فقطعوا رأس أوبة وفرق بينها وبين الحبة وبالعزبة رجعت الرأس إلى الجسد وصاحت الأربعة ثم قسعت أبنهات فحسب الآباء (سفرو) إذ ركب في سفينة بالبركة يفتل بها (١١٠) فتلقا بمجاهدين من خاتم الأنبياء النبي بالذهب وهن مسافران بناية الجبال والحلى والحلل والسكل صنف قنطرة فوقهن (تختار السحرة) مربة ط إسدي الثائدين فقرأ الساحر السحر فاتفق الماء وظهور الحجر ورجع اليها ثم رجع الماء لحالته

٢٦ قدس كتب السحر وأكابر السحرة عند قدماء المصريين . وبيان أن الفراعنة كانوا يتولون السحرة وهم يفسرون لهم الأحلام ولا ينج الساحر إلا بعد المراتن الطويل وحسن السيرة ومقاومة الشهوات والتحكك بالطهارة والصفاء وترك أكل اللحم والسمك والاعتكاف في الخلوة وأذن كانوا يأتون بالأمور الغريبة العادة ويتجبرون ببعض المغيبات هكذا جاء في (أدب الدنيا والدين) عند قدماء المصريين

٢٧ جمال العلم وبهجة الحكمة في كتابين اطاع عليهما المؤلف ، فأولهما كتاب (السحر الحلال) وفيه فوائد (١) مثل جعل رأس عجل مطبوخ يصح على المائة كأنه حي بواسطة الفضة إذ توضع في الرأس المطبوخة (٢) ومثل عمن يرقى في حجرة بالعرق مع الكافور (٣) ومثل أحداث قوس فرج ينفع الماء (٤) ومثل جعل الورق غير قابل للاحتراق بنفسه بماء الشب (٥) ومثل تسكييف شراب حتى يضيء في الظلام وذلك بإدخال الفوسفور في القينمية (٦) وحفظ الزهر حتى يظهر في غير أوانه (٧) وغليان حامض النتريك بدون نار (٨) وتغيير لون الماء (٩) وتغيير هيئة جماعة في مكان (١٠) وتغيير لون طائر أو تزيين زهرة (١١) وجعل صنية القهوة تدور من نفسها ظاهراً على الجلاس (١٢) وكيفية وضع شيء في الدين وإخراجه من الفم كما يفعل المشعوذون (١٣) وتحويل فصل سكين من الفولاذ إلى نحاس أصفر (١٤) وكيف يكون الفولاذ كأنه سائل (١٥) كيفية اصطناع الجليد من الماء في فصل الصيف (١٦) سر خاص في عدد ٣٧ فانه يضرب في ٣ و ٦ و ٩ الخ فيخرج حاصل الضرب هكذا ١١١ و ٢٢٢ و ٣٣٣ وهكذا (١٧) طريقة للكتابة بحبر يظهر ويختفي (١٨) طريقة لأجل الكتابة بلاحبر (١٩) كيفية منديل يدل على المطر أو منديل غير قابل للاحتراق ، وكيفية مسك النار ، وكيف تطير الببضة ، وبيان عمل الحبر السري ، والحبر الذي ينظر ليل فقط ، وكيف ينزع الحبر من الثياب ، وكيف يكون اهلاك البراغيث والصراصير وطرد النمل ، وكيف يكون ضوء الفوسفور . هذا هو ملخص كتاب (السحر الحلال)

٣٢ والكتاب الثاني هو (المختار في كشف الأسرار) وفيه كشف أسرار من ادعى النبوة مثل اسحق الأخرس الذي قام بأصفهان أيام السفاح وملك البصرة وعمان ثم قتل وهذا كان ذكياً وتعلم العلوم ثم ادعى الخرس ونزل بأصفهان الخ

٣٣ ومثل (سنان) وهو من الاسماعيلية وقد حكم بمسياط وتحيل على الناس بأن تظهر بأنه قتل رجلاً ثم أحضر الناس في مجلسه وأظهر رأس هذا الرجل وهو لا يزال حياً وحولها دم وهو شجوب في الأرض جميعه إلا رقبته فاستنطقه فأخذ يقول أنت المقرب لله الخ ثم لما قام الناس قتله لئلا يفشي سره فهذه أمثاله

جعلت القوم طائفتين له بحيث يتناولون أن يقتروا من فوق الجبل على رؤس الأُسنة متى أمرهم لأنه يدخلهم الجنة متى أمرهم . ومثل (نارس بن يحيى) الذي ظهر في مصر بناسية (قذيس) وادعى أنه كيسي عليه السلام يرى الأرض والأجسام والأعني وكان يطبخ قدهم بحطب القناء مع ماخرج من الأدي مع دهن الياسمين الخ ويعشى في الماء فيأتي السمك اليه

٣٥ الكلام على الشيوخ السكاكين الذين ليسوا من أمثال الجنيد وهو في السرجة الأولى ولا من أمثال الشيخ أبي العباس وهو في السرجة الثانية من أعقاب الأسماء بل هم من السرجة الثالثة المذمومة مثل أولئك الشيوخ الذين ينزلون في التنوير وهو معتقد نارا فيقرب الواحد منهم ساعة ثم يخرج منه ومعه طاجن سمك مقلو أو دجاج مشوي أو خروف مشوي الخ وذلك لأن يكون فيه صلح في داخل متسع من الحائط الخ فينهش القوم ، والشيوخ الذين يشعرون النار وقد ادعوا بدهن الضفدع مع البارود الثلجي فلا يحسون بالنار ، أو الشيوخ الذين يأخذون الإبريق الفارغ فيملؤنه ماء بحيث يفرغون الماء فيه سرا من مصران غم مدبوغ مخبأ تحت القميص من السمك إلى السمك ، أو الذين يوقدون الأصابع العشرة فتكون كالشمع وذلك بدهنها بدهن نزول التنوير ثم بالنفط ثم يشعلونها ، أو الذين يحضرون لسكر الجالس ما يطلبه من الطعام إذ يدخل أحدهم الخلوة ويدعوا الله فيحضر ذلك وما أحضره إلا الحمام الذي يرسله ومعه البطاقة ترسل للجوز في المنزل ، أو الذين كراماتهم أكل الحيات أو الثار ، أو الذين يغمسون المنديل في الخردل فذا وقف على المنبر ووعظ مسبح وجهه بالمنديل فوطئت السمير ، وكذلك الرهبان يأكلون أموال الزماني بتبديل في الكنيسة بيت المقدس وقد عرف ذلك ابن ذلك النادل يوم سبب القوم

٣٦ عمل أهل الكيمياء وبيان حيلة الرجل الخبيث على السلطان نور الدين بن زنكي إذ جعل الخبيث ألف دينار في بنادق ووضعها في مخلاة وباعها من عطار بدرهم معدودة ثم تظاهر بالعلم والصلاح حتى عرفه الملك وقد اشتهر الرجل بأنه يستخرج الذهب لأجل محاربة النصارى بأمر الملك فأحضره الملك وخلا به وظهر له الذهب في البنادق المتقدة على النار فصدمه وأرسله ليحضر مثلها بزعمه من بلاد الخبيث وأعطاه مالا جزيلا فأخذته ولم يرجع

٣٧ بيان السبب في ذكر ما هو كالتحريفات هنا وذلك في خمسة أسباب ١- وذكر خواص النفس الانسانية في قوة الإرادة ، وذكر خوارق العادات على يد الصوفية وعلى يد أهل الطلسمات الذين قابلهم ابن خلدون إذ يهيجون القوم والذين يأكلون الشاة بغير ذبح ، وبيان أن هذه الآية نزلت لتعلم الناس أن القائلين بالحق لا يظلمهم غالب ، وبيان أن الخيال تأثيرا عظيما وهذه لها اتصال بنظرية (اينشتين) التي أعلنتها سنة ١٩١٥ وهي أن هذا الكون كله لا جسم فيه البتة ولا شمس ولا أرض وإنما هناك حركات في الأثير ظهرت آثارها في حواسنا الخمس ، أنها أجسام اختلفت آثارها باختلاف تلك الحركات لاغير ، وما العوالم إلا أطول وانعروض والعمق والزمان لاغير . خطاب للأئمة الاسلامية لبيان أن هذه هي التي اتخذها المسلمون سلما لاستعباد المساكين فأبقوهم جاهلين . ذكر (سديو الفرنسي) أن آخر رؤساء السكرمانية كان ينصرف تصرفا مطلقا في أتباعه ثم تبعه في ذلك حسن بن الصباح وأتباع هذا لا يزالون في الهند إلى الآن ، وقد ظهر في القرن الحادي عشر الميلادي وملك عدة قلاع واستوطن قلعة الموت قرب قزوين وأمر قومه بشرب الخشيش فهم الخشاشون ، ومماوم أن أغا عمنون بالهند في زماننا من أتباعه . فرقة الراوندية عيسدوا المنصور فخار بهم لذلك وحاربوه ، فعلى المسلمين قراءة التاريخ

(التسم الثالث والرابع) من قوله - واتل عليهم نبأ إبراهيم - إلى قوله - وإن ربك هو العزيز الرحيم -

التفسير اللفظي

- ٤٥ جوهرة في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - أصل الطب لا يمدو (ثلاثة أحوال) التجربة الإطعام المصادقة والاتفاق ، وحكاية المرأة التي احتبس حنظلها فأكثرت الراس فشفت ، وحكاية الرجل الذي وضع الكبد على ورق نبات فسالت فأرشد الناس إليها فقتله الملك لمنع الضرر بنزف الدم بيان النبات الذي يشبه الناس فيكون الرعاف (الحال الثانية) الإطعام بالرؤيا المصادقة
- ٤٦ رؤيا جالينوس إذا أمر بفصد العرق الضارب ففصده فشفي وهكذا الرجل الذي انتفخ لسانه فأمر في الرؤيا أن يمسك عصارة الخس في فمه فبرأ ، ورؤيا الرجل الذي كان في مشائه حجر عظيم فأمر في المنام بتعاطي رماد طائر ففعل ذلك ففرج الحجر مفتا ، وبعض خلفاء المغرب رأى النبي ﷺ يأمره بالأكل والادهان بزيت الزيتون ففعل فشفي ومنه رؤيا عبد الملك بن زهر إذا أمر أن يكتحل بشراب البرد ففعل فشفت عينه
- ٤٧ (الحال الثالثة) الاتفاق والمصادقة وأن ذلك أقاد أن كل سم لحيوان يمنع ضرره نفس له ، وأيضا هذا الدحم يشفي كل مرض مزمن كالجحم الحيات إذ تشفى البرص والجنام . وهناك (حال رابعة) مثل مسألة الخطاف إذا أصيب فراخه بالبرقان يحضر حجرا أبيض في عشه فيأخذه الناس للبرقان ، وهكذا العقاب يحضر حجرا يعرف بالقلقل لأناه يسهل على أنثاه بيضها ، ونبات الرازيانج ترمه الحيات على عيونها إذا أظلمت بسبب اختفائها في الشتاء فانتفع الناس بذلك والطائر (ايسس) علم الناس الحقن
- ٤٨ البازي يتداوى بأكل كبد طائر معلوم ، والسنابير تأكل الحشيش فإذا أمرضها أكلت الخوص فشفت بالثقب ، وإذا ناهيا أذى بالسموم عمدت الى السبرج ، والدلفى تضر بالبهائم فترعى حشيشة أخرى فشفي . والمعزى البرية رميت بالنبل فأكلت نباتا خاصا فساقت الرماح عنها والقلق يأتي بحشيشة خاصة في عشه يشمها أعداؤه فتعمى . وليت القنافذ منافذ يستدها إذا هبت الرياح . والحبارى قتلت الأفعى وكلما نهزمت تناولت من نبات خاص فشفي فلما قلع النبات مات الحبارى . ابن عرس يستلهم في قتال الحية بأكل السذاب . والسنبل تأكله الكلاب إذا دودت بطونها . والصقر يداوى بجرح اللقلق
- ٤٩ مخطوطات هيروغليفية منقولة عن البردي تاريخها ١٥٥٠ (ق.م) وهي بذور خاصة تنبت في الوجه القبلي تدعى التهاب القرنية مع عقاقير أخرى فيها (شكل ٦) الصورة الفوتوغرافية وترجمتها بالعربية وعندهم (قسمان) أطباء وصيادلة مثل ما في وقتنا الحاضر
- ٥٠ آية - الذي خلقني فهو يهدين - فيها ستة أحوال الخلق الهداية الخ
- ٥١ الهداية على (قسمين) فطرية كالغطش والتعليمية بتدبير في الحيوان كالغراب يعلم صغاره الطيران خارج عشه وكالإنسان يعلم الصناعات الخ
- ٥٢ الهداية التعليمية في الطب (نوعان) حفظ الصحة ومداواة المرض . حفظ الصحة (نوعان) نوع يختص بالطعام والشراب والطواء . نوع ممتص له كالنظافة واستعمال الصابون النقي وهذه (١٢) نوعا مثل غسل الأذن وتنظيف الأذن والعين الخ
- ٥٣ السواك وعجائب النبوة وأن النبي ﷺ أمر بالسواك عند كل وضوء وبيان إيضاحه في كتب الفقه
- ٥٤ بيان مصداق النبوة في العلم الحديث وأن الرمد ومرض الجهاز الهضمي والفم والخفيرة والمعدة وسرطان الفم واللسان ونوازل المعدة ملزمة وتقيح الأعور والتهابات المعلقة الدردية والانبعا الحبيثة ومرض القاب والرومازم والحول وارتفاع درجة الحرارة والضعف وبعض الأمراض العقلية والتدبرن الرؤى (السبل) كل هذه تحصل بسبب مرض الأسنان أو عدم نظافتها والسواك يمنع ذلك إذن هذه معجزة نبينا ﷺ

٥٥ انكلام على التعليم الذي يختص بمعرفة الأطباء وفيه «مسألتان الأولى» ان للانسان أعداء في داخل جسمه ويصطدم هناك (فريقان) جنود معنة لحياقي وهي السكرات البيضاء والحراء ، وجنود تدخل عليها ويصطدم الفريقان أمد اشيائها كلها لأجل «المسألة الثانية» ان قدام المصريين حرموا لحم الخنزير ، وظهور اليوم بالتصوير ان البودة الوحيدة فيه

٥٦ «الوقاية أفضل من العلاج» المكروبات تصل من المريض الى السليم باطواء وبالماء والحشرات وبالطعام وبالملازمة وجميع المرض بالمكروبات ولكل مرض نوع من المكروبات ، وهي تكثر في المواضع المزدحمة والبرك والمنخفضة وتقل في الأمكنة المرتفعة الخ ويكون في التراب والأقذار والماء الراكد وعلى جلد الانسان وفيه . الجسم مركب من أعضاء كل منها له نوع استقلال يعمل للجهوع ، فيجب غسل اليدين قبل الأكل وغسل الوجه والقدم وبهذا تدفع الأخطار وتساعد جنودك الحراء والبيضاء فتغلب العدو . كل هذا بفعل يديك وفك قبل الطعام وبعده . ان ٧٠ في المائة من الفلاحين بمصر مصابون بداء الرهقان والسبب ديدان تدخل الجسم من الفم مع الماء أو الطعام

٥٨ حكاية الرجل المصري الذي دخل المسمار في رجله وانزعه وثابر على عمله فما مضى ١٥ يوما حتى أحس ببس في فكه وعنقه ثم سائر جسده ثم مات وكل ذلك لأنه استصغر الأمر جهلا

٥٩ تخبرهم لحم الخنزير . أسطورة الخنزير الاسود . ذلك أن (حورس) و (ست) خصمان بينهما الحرب سجال فاحتال (ست) بأن جعل نفسه بهيمة خنزير أسود ونفخ على (حورس) نارا أصابته في عينه فلذلك لعن (رع) الخنزير وقال «ليكن الخنزير نجسا ومكروها لحورس» وهذا موافق للطب الحديث (فانظر شكل ٧) وفيه عضلات من لحم الخنزير محتوية على أكياس البودة الوحيدة (وشكل ٩) وفيه ديدان لحم الخنزير ٦٠ بيان اشراق النور الإلهي في هذا التفسير إذ قالني بعد ما كتبت هذا صديق وأخبرني بأن علماء ألمانيا يقولون ان قوله ﷺ «فر من المجذوم فرارك من الأسد» جعلهم يبحثون فوجدوا أن الذرات التي في جسم المجذوم مخلوقة على هيئة الأسد

٦١ اعتراف المؤلف بنعمة الله واغترافه منها وشكره وبيان أن هذا الزمان هو زمان ظهور الحقائق الاسلامية الكلام على مداواة المرض وهو القسم الثاني من تفسير قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين -

٦٢ «العلاج بالهواء» الهواء النقي كأنه يحفظ الصحة تعالج به المرضى فالمصاب بالقرس يعالج بالبخار الساخن فيعرق وتلين أعصابه وهو (الاستحمام التركي) ومن يشكو حتى شديدة فليجرد من ملابسه ولباق في الهواء الطلق تنزل الحرارة حالا ويشعر براحة ومتى أحس بالبرد يلف في ثوب فيعرق حالا

«العلاج بالماء» البخار يستعمل في الحميات والصداع الشديد ، والروماتيزم اذا تبعه الاستحمام بالماء البارد ويستعمل في الساميل والقروح ويفيد في التعب الشديد وفي منع الأرق والماء الدافئ يقوم مقام البخار في جميع ذلك ، ووجع البطن تستعمل فيه القنينة المماودة ماء دافئا لتسدي البطن وشربه يقي ويمنع الامساك اذا شرب وقت النوم الخ

٦٣ (جوردن سبرنج) نسب صحته لشرب كوب من الماء الساخن يوميا قبل النوم . كيفية الاستحمام البخاري الماء البارد يقوم مقام الماء الساخن . التلف بالثوب المبلول بالماء البارد نافع في الحمى والجذري والأمراض الجلدية والجئون والدوار يشفيان بثوب مبلول في ثلج يلف على الرأس واذا لفت على البطن يمنع الامساك ويمنع ذلك كثرة الأحلام ونزف الدم من أي عضو عنه ذلك وكذا الرعاف يصب الماء البارد على الرأس وأمراض الأنف والزكام والصداع تعالج باستنشاق الماء البارد بهيئة خاصة والحقنة نافعة جدا للروماتيزم

وسوء الهضم والأوجاع في الاحشاء واستحداث شهوة الطعام والبريق والطفنة بالليل والحرارة في البطن عند التسكرار . يقول الدكتور (هينس) الألماني في (إن علاج الذي تفسد في جوفه الامراض) ويقول الدكتور (كيوهن) (كيوهن) في معنى داوينا البطن ذهبت عنها أمراض كثيرة كالزحار والشر والاروس والحر فهو وحده سببها ويؤول مرضه بفعله هو وماحوله من لأعضاء تلك الداء وهذا يقول البواسير المزمنة وكثرة البساق والضعف والنفث الدموي والسرطان . والحامل باستعمال هذا الاستدواء تم تسببا ولاعترا . وهناك نوع آخر من الاستحمام وهو طريقة (ريت . شيت . باك) وكل هذا أغذية خاصة بشرود

٦٥ (العلاج بالتراب) ينفع في جميع الأمراض وتوسع التجارب والامساك والوسطاطاريا ووجع الماء . والعيان وينقي عن الشراب والأدوية مثل ملح الفواكه .

٦٦ بيان شروط التراب الذي يستعمل ليخنة وكيفية العمل . علاج الحصى يروج المريض يومألو يرمين ويستعمل كل يوم مرتين على الأقل بطريقة (كيوهن) المتقدمة وتعمل ليخنة الطين على بطنه ويعطى عصير الليمون مزوجا بماء بارد أبيض ولاسكرمه ثم يعطى نصف موزة مع زيت الزيتون . استعمال اللبن أيام الحصى قليل الثمرة

٦٧ الامساك والوسطاطاريا والمغص والبواسير تعالج كلها بعلاج واحد لاتحاد أدائها لأنها كلها يسبب أن المعدة انضطت بفذاء غير مهضوم . إن جميع الأدوية المشهورة مضرة جدا بالناس فليجوع المريض (٣٧) ساعة ثم توضع البليخة الطيبة على البطن أثناء النوم . يستعمل بالنهار مرتين على طريقة (كيوهن) ويحذى المريض ساعتين كل يوم والمصاب بالمغص لا يأكل شيئا غير عصير الليمون في ماء حار . إن الثمار كالبرقوق والزبيب الخ نافذة في الامساك الخ

٦٨ (قوائد صحية من كتاب ويلسكوكس) حسن المضغ يمنع البواسير الخ وهي (١١) فائدة ومن أعجبها أن عصير البرتقال اذا شرب يوميا يمنع الجرب وأن أكل الفواكه بقشرها متى أمكن أفضل

٦٩ جدول لأدوية طبيعية مثل أن أكل المقدونس ينفع السكاكية ، ومثل أن أكل البرتقال والليمون يورث الشجاعة . لطيفة في إزالة سوء الهضم الخ ويان أن هذا الكتاب وإن لم يكن كتاب طب قد جاء فيه ما هو أعجب إذ يدهش الأذكيا إذ يرون الخس ينفع أعصابنا وأن البرتقال يمنع عنا الخوف وأن الجير الذي في السكرن يشفي الجروح والمغسوم الذي يمنع الفتق يكون في السبانخ والخس والخييار الخ فهذه عجائب الحكمة الإلهية وشفاء الأجسام الإنسانية . إذن هي تليق للتفسير

٧٠ بيان أن أكل التفاح والجوز ينفع لقوة التفكير . الليمون أعظم الثمار كلها وله قوائد كثيرة . وههنا ذكر تعجب المؤلف من هذه الدنيا وما مناسبة هذه النباتات الى أعضائنا الداخلية والخارجية ، ولعمري أي مناسبة بين عصير البرتقال وبين الجرب . إن هذه العاوم المذكورة في هذا التفسير تجعل في العاقل رغبة أن يدرس هذا الوجود وأن ينظر لما هو أعلى منه ، ويان أن الاسيانيين لما رأوا أهل أمريكا يشمون السفان منهم أولاً ثم سموه هم ثم ملأ الدنيا كلها . إذن الناس أشبه بجسم واحد وكل أمة عضو منه

٧٢ محاورات طيمائوس الحكيم مع سقراط يقول (العالم حادث . هو نسخة لما هو أجل منه . صنع الله لأنه جواد . المادة كانت مضطربة فنظمها . العالم أشبه بحيوان . وفي العالم عقل عام ونفس ومادة . هناك كان الزمان الماضي والحال والمستقبل . الكواكب منظمة بعقول تدبرها . أرواح الناس مشاكسة لتلك العقول . الكواكب ومدبراتها حدثت بعد العدم . جمع الله أرواح الأولين وآخرين وبين لها نظام

العالم وأن لها هي شهوات فن اتبعها رجع بعد الموت الى أسوأ حال ومن نبذها رجع الى حال أرقى في مقعد صدق . خلق البصر انعرف الليل والنهار وتوجه للحكمة . انما صرح بحسب أيامهم أربعة . المادة مثلثات مركبات في الأجسام هيئة هندسية وبها كان الخشن واللين والخالج وهناك تحصل اللذة والألم ونحوهما باختلاف تلك الأشكال وقال إن الجسم الانساني صنعته الملائكة بأمر الله ووضعوا النفس الأزلية مع المائدة . النفس الغضبية في أعلى الصدر والشهوانية في أسفل البطن . وبين منافع أجزاء البدن كلها

٧٣ بيان ان الأمراض النفسية تكون بافراط اللذة والألم المؤثر في الفكر ، أو بافراط المراوة ونحوها فيكون سوء الخلق والتهور الخ والشر عند غير اختياري إما بفساد المزاج وأما بدوء التأديب فالتشريع كالرياض يستحق الاشفاق عليه وحفظ النفس والبدن يكون بالمعادلة بينهما فالنفس القوية في بدن ضعيف تمرضه والبدن اذا كان أقوى من النفس يجعلها بليدة فيجب رياضة الجسم بالحركات البدنية ورياضة النفس بالموسيقى وباعطاء النفس العقلية والغضبية والشهوية ما يناسبها . يقول المؤلف إن هذه تذكرة ماجرته في حياتي من الأعمال الطبية لما مرضت في شباني منعت شراب الماء على الطعام وعقبه وقللت الطعام ولما بلغت الستين تركت اللحم وكان يجب أن أتركه مدة الحياة فنقص مرض الروماتيزم ولكن بقيت بقية قليلة لأنني كنت آكل الخضر مطبوخا باللحم . ولما قرأت كتاب غاندي أسكت الخبز من غير أن ينخل مع زيت الزيتون والفواكه مثل التمر والتفاح والليمون وربما أسكت الطماطم من غير طبخ . بهذا زال الروماتيزم ، أنام ليلا والشبابيك مفتحة وتجر بتي مضت لها بضعة شهور وقد نجحت فأعلمتها الناس .

٧٥ بيان جهل هذا الانسان وكيف يشرب الناس القهوة والشاي ويتعاطون السخان والطب منع ذلك كله . وبيان أن قرينة المؤلف سارعت الى عمل الخبز المذكور لما علمت به فساعدت المؤلف ، وتذكرة ما قاله ابن خادون أن الصحابة ما تخلوا الدقيق ترهدا فظهر انه نافع في الصحة أيضا ، وقصة عمر مع الربيع بن زياد في زهده هي عين الطب الحديث . وبيان معنى قول سقراط من طلب اللذة هرب منه ، ويحمد المؤلف الله إذ كان يتعاطى زيت الخروع عند ارتباك المعدة ويحصل له ضعف ولما ارتبكت المعدة حديثا امتنع عن الطعام يومين ولم يذق إلا عصير البرتقال فشفى . ذكر الاستشفاء بنور الشمس وأن الزارع الفقير لجهله بنبذة ربه لا يحمد الله على أنه أرغمه على الوقوف في الشمس طول النهار وعلى الحركة وكلاهما لصحته وهو لا يعلم ويظن صاحب الأرض انه ببقائه في منزله طول النهار سعيد مع انه شقي لحرقانه من الرياضة البدنية والشمس والهواء النقي . كل هذا لجهل الانسان . إذن كثرة الفقراء نعمة والأغنياء الجهلاء فداء لهم معرضون للأمراض . كل هذا في حال جهل الأمم فلما ظهر العلم أخذوا يستشفون بنور الشمس ضحى (انظر شكل ١٠) في صفحة (٧٧)

٧٨ عالمي الله أثناء تأليف هذا التفسير كما يعامل الزارع الجاهل سبط على رجلا يناونني في المزرعة في أمور تافهة فكان سببا في توجيهي الى الخلاء في الهواء النقي وحرارة الشمس فعلمت أن ذلك لا كمال الرياضة البدنية التي أقوم بها إذ كنت أمشي كل يوم نحو (٦) كيلومترات . ولقد فعل الله مع الأمم ما فعله مع الأفراد إذ كان الغرب والشرق جميعا في خول فخرج من عمان أساطيل اسلامية لفتح الهندستان ومن جزيرة البحرين أساطيل أخرى ففتحوا ما بقي من بلاد العجم ثم ملكوا السند الخ كل ذلك لإثارة الغرائم وانعاش الانسانية كما ينتعش الفلاح بالهواء والشمس والعمل في الحقل . الاحساس بالجوع أفاد الفلاح طعاما ورياضة وهواء نقياً ، واحساس المساكين اليوم باحتلال الفرنجة يفيدهم تعلم العلوم وتعلم

الصناعات والتعاون العام ، فهذه مؤائد ثلاثة تختصن بإدلال القرينة كالثلاث التي يجنبها العلاج بسبب

ألم الجوع

٨٠ فكركي في خلق هذا الانسان ، إن الله هو المولط . لولا ألم الانسان والحيوان لم يعينا وهذا من مهيئ
التسبيح في الركوع والسجود ، فالمسيح الحقيقي هو الذي يدرك سر هذا الوجود والألم المدكور داسي
كالعطش الخ وخارجي كالحر الخ إذن هنا هيكل يحتفظ ألم داخلي وألم خارجي

٨١ اللذة تلازم الألم بل الذي فقد ألم الجوع ناقص وما ألم المرض إلا إحساس يطلب كمال الجسم بادخال الدواء
فيه . إذن التسبيح يفيد هذه المعاني

٨٢ إيضاح الكلام على اللذات ، وبيان أن الخير والشر مقرونان في قرن

٨٣ الإبداع في هذا الوجود وأن هذا الوجود كما أنه (غذاء ودواء وفاكهة وشراب) هو لوح يدرس الناس
وأن أهل الشرق وأهل العرب متعاونون وإن لم يعلموا

٨٤ اعتراض على المؤلف بأنه لا مسيح إلا من يعرف هذه المعاني وجوابه بأن التسبيح اللفظي له أثر في النفس كما
يؤثر التوهم المعنوي

٨٥ (القسم الخامس) - كذبت عاد المرسلين - الى - وإن ربك هو العزيز الرحيم - كتب مشكلا
والتفسير اللفظي

٨٦ (القسم السادس) - كذبت قوم لوط - الى - وإن ربك هو العزيز الرحيم - وتفسيره اللفظي
اطيفة في قصة قوم لوط عليه السلام

٨٨ قصة سدوم وعمورة وأحدث الآراء في ذلك وبيان ما قاله الدكتور (أولبرابط) أن القصة الواردة في الكتب
المزلة ليست خرافة ولا رمزية وقد حصلت حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد إذ جاء إبراهيم ولوط الى
تلك البلاد قبل اليوم بأربعة آلاف سنة وكانت هناك حضارة وهذه المدن الخمس ظهرت آثار تدل على
أنها كانت موجودة بجوار بحيرة لوط المسماة أيضا بالبحر الميت والبحيرة المنتنة الخ

٩٢ التفسير اللفظي لقوله تعالى - كذب أصحاب الأيكة المرسلين - الخ

(القسم السابع) - وأنه لتزليل رب العالمين - قد كتب مشكلا الى آخر السورة ثم تفسيره اللفظي
٩٤ جوهرة في قوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون - الخ وبيان أن ما أكتبه الآن للمسلمين
سيرفع من همهم كما رفع الكتاب بأوروبا همهم ففويت كما اتفق العالم نصح الشبان بإيراد تاريخ
الرومان إذ تهرجت النساء تهرجا أدى الى فساد الأخلاق فذهبت الدولة فاعتظ بذلك الشبان

٩٥ الكلام على انحطاط ديانة قسما المصريين . كانوا يقولون « إن خالق الكون لا يصح النطق باسمه إعظاما
له بل لا يعرف اسمه » ثم عرفوا صفاته وقد جعلوا عبادة الكواكب والمحارقات الأرضية رمزا لعبادة الله
ثم انحطت مصر من سنة ١٦٠٠ (ق م) الى سنة ٣٤٠ (ق م) بسبب الثورات التي قامت فيها واستمرت
الى العصر الروماني والحيوانات التي كانت رمزا لله عند القدماء جعلوها فوق الهياكل بل عبدوها الطير
والسمك والتساح والحية ولما أكل أهل مديرية سمكا تعبدوا مديرية أخرى عاقبوهم بأكل كلب وهو
معبودهم ، وبيان نبوءة الفيلسوف (هرمس) والنبي (ابور) وقول الثاني « إن مصر ستقع في اهلاك »
هنا ما كان من أمر خراب مصر وأخبار أنبيائها به تفسير لقوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا لها
منذرون * ذكرى -

٩٧ (الفصل الثالث) فيما حل بالأندلس من احتجاج الخلفاء وشيوخ الترف الخ وبيان أن الأندلس صارت

(٢٠) دولة بعد ذهاب دولة بني عامر وصار هؤلاء يحارب بعضهم بعضا ويحاربون البربر والاسبان ويستظفرون الابن على ابيهم والاخ على اخيه. ملوك النصرانية وكان أولئك الأمراء يستظفرون بالسيد قنبلور المسيحي بل استعان به الأمراء بعضهم على بعض في الاسلام وقد توقع العقلاء خراب الأندلس قبل حصوله إذ قال أحد شعراء الأندلس

حشوا رجالكم يا أهل أندلس * فما المقام بها إلا من الغلط الخ

وبين أن هذا مجزأة لنبينا ﷺ إذ قال « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » ثم أبان أن اتباع الذات يهلك الأمم

١٠٠ تفسير - وما تفرقت به الشياطين - . الأرواح (شيطان) شريرة وبارّة سواء أكانت في أجسامها كالآدميين أم محرّدة ولن يعيش البار ولا الفاجر منها في غير ما استعدّ له وروح الشرير المتجسدة لانليها إلا أرواح مثلها وهكذا البارّة . كل ذلك في (كتاب الأرواح) فترى الأنبياء يخبرون بما هو مناسب لللائكة الفخام ، والأشعار يخبرون بالأمور النافهة تبعاً للأرواح المناسبة لهم . تفسير قوله تعالى - وما يستطعون - الخ

١٠٢ ذكر أربع أسئلة للأرواح والاجابة عليها ببيان ما يجذب الأرواح الصالحة ويبعد الخبيثة ، وأن أهل الأرض لا كمال عندهم ووجوب ترك الكبر والتجرد من الذات . تفسير قوله تعالى - فلا تدع مع الله - الى قوله - انه هو السميع العليم - . أحاديث البخاري في انذار بني هاشم . تفسير قوله تعالى - هل أنبشكم - الخ و ٢٦ سؤال وجهت الى الأرواح واجابتها عليها مثل هل تحب الأرواح عن كل سؤال وهل الخائبة الروحية تجعل باباً لله الخ

١٠٧ ابضاح لهذا المقام وتطبيق على الدين الاسلامي . بيان مداخلة الأرواح في أعمال الناس في القرآن وفي العلم الحديث

١٠٩ الكلام على الشعراء . التفسير اللفظي لقوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغافلون - الى آخر السورة . الكلام على وزير مصرى كان يتباهى بأنه أمر بشرح ديوان ابن الرومي وعلى شاعر كبير مصرى حادثته في ذلك . مقالة نقلتها من كتابي « نهضة الامة وحياتها » في الشعر والتاريخ ، وأن أبا الطيب المتنبي مدح سيف الدولة وذمه ومدح كافورا وذمه . يقول * نجوز عليها المحسنين الخ * ثم يقول * لا تشترع عبد الخ * هذا معنى - والشعراء يتبعهم - الخ ذكر حكم الشعر الممدوحة

١١٣ بيان أن المسلمين في الأندلس بالغوا في الشعر وتركوا المواهب العقلية والاسبان كانوا بعكسهم فقهرتهم وطردوهم من البلاد وكانوا يضيعون الزمن في محاسن الورد ووصف المطر والمناظرة بينهما . ملخص الحكم المودعة في انقصوص الخمسة . كيف يعلم الشعر في الاسلام . تعليم الشعر

١١٥ تفسير سورة النمل وهي « أربعة أقسام * القسم الأول » من أولها الى - كيف كان عاقبة المفسدين - التفسير اللفظي لهذا القسم . بهجة العلم في بعض أسرار - طس - و بيان أن الطاء في أول الطير والسين في أول سليمان تشيران الى حديث سليمان والطير والنمل ويدخل في أمر الطير مسألة بلقيس وعرشها وذلك يدعو الى ارتقاء النظام السياسي ، وعلى أن صالحا طير به قومه فوكل أمره الى الله فنصر وعلى أن لوطا نصر إذ آذاه قومه ثم وصف الله بحمال خلقه الخ

١٢٠ الطيور وسائر الحيوانات معلمات للإنسان في كل زمان ، وإذا كان (سبنسر) يوجب القراءة قبل الكتابة على مقتضى تاريخ الإنسانية في ذلك ، فهكذا يقرأ الناس علم النبات والحيوان قبل علم جسم الانسان

ذكر الله الجراد والضفادع والدم الخ وقال انها آيات مفصلات وهكذا جعل الشمس والقمر آيات فلا بد من دراسة ذلك كله ، هكذا فعلت الأمم . هذه الملاحظات موفيات للأفراد ليعملوا ويفكروا وكل أمة أكثر ازعاجها ارتقت كأمة اليابان كثيرة البراكين ، أما مصر فهي في أمن فلذلك تأخر ارتقاؤها عن اليابان قصة بلقيس تذكرة للعرب وتقرب لهم ولأهل اليمن خصوصا لأنهم ورثوا بلادا مدينتها في جاهليتها أرقى من مدينتها في الاسلام

سرت من أسرار النبوة قد ظهر في العطاء والسين وأن النمل له شبه بالإنسان في حربه وأسراه الخ
١٢٣ أكبر الجماعات في الكائنات الحية جماعات النمل (٥٠٠) مليون وأقل منها أهل الهند وأهل الصين والمملكة الانجليزية . هذه السورة يستفاد منها اقتران سياسة الإنسان بسياسة النمل والإنسان أرقى من النمل عقلا ولم يزد عنه عملا فيها

١٢٤ ﴿ القسم الثاني ﴾ - ولقد آتينا داود وسليمان علما - الى - وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين - مكتوب مشكلا . التفسير اللفظي لهذا القسم

١٢٧ عجائب النمل . الأروقة والدهاليز والمنعطفات والتعاون بين الجماعات . قياس نظام الأمة على نظام النمل . دقة النمل في عمله وحرصه . موازنة بين شرائع النمل والأمم المتعدية . حكاية عن النمل الذي جعل له ما يشبه القنطرة في البركة وصعد على الشجر . يقطع النمل حبة القمح نصفين وحبة الكزبرة أربع قطع مساكن النمل لها أعمدة و جهوات وحجر صغيرات ولها بيوت فوق الأرض من أوراق الأشجار الخ
١٢٩ ومنها بيوت ترتفع (١٥) قدما ولها سرايب تحت الأرض . أحواله المعيشية وزراعته وتربية ماشيته وحربه وأسراه وطرقه الزراعية وبقره الذي يشرب لبنه وأظاره والبيض والعناية به وانقلاب البيض دودا وغزله حبرا كدودة القز ونسجه ونومه في برزخه أيا ما وملاحظة الأمهات للأبناء والمساعدة في الخروج من الأربطة وغسل العيون والوجوه وإزالة التراب عنها

١٣٠ حكاية عن نملة قورنت في عملها بإنسان
١٣١ الجمهوريات في الحيوانات من كلام الماورد أقبى إذ ذكر الفيل والقيطس والغربان ونحوها ثم فضل عليها كلها النحل في نظامها ثم جعل النمل أفضل من النحل وذكر ملكاته وأن النملات تستمطر الرجات من الملكة . النملات يعرفن نمل قريتهن وينبذن سواء . السادة لا يأكلون إلا بخدمة العبيد

١٣٣ حرب بين قبيلتين من النمل ، وكيف تصطف الصفوف ، وكيف يرسلون الكشافه ، وكيف يجعلون خنادق ومتاريس الخ

١٣٥ مسامرة من كتاب ﴿ علم الدين ﴾ على النمل . النمل وأسراه ولا يكون الأسر إلا ليلا بعد الغزو . النمل بعضه لا يرضى بالرق والأرقاء عليهم جميع الأعمال وهذا يجعل السادة ضعافا فتدور عليهم الدائرة ارتفاع المساكن الخلية تبلغ عشرين قدما والشكل هرمي فهي أشبه بكفر من الكفور ولا يمكن كسرهما ولو بنى الإنسان كما بنى النمل لارتفعت مساكننا قدر قامة (٥٠٠) مرة وقدر هرم الجيزة (٤) مرات أو أكثر . من النمل من له سرايب تحت الأرض في كل الخشب في منازل الناس ويسقط البيوت . وكما ألتف النمل من بلاد عاصره حتى هاجر أهلها ، وقدر أهل محل من محلات بغداد من النمل وبعض بلاد فرنسا سنة ١٧٨٠ م خربت بسبب نوعين من النمل

١٣٨ متفرقات عن النمل ، النمل يعرف عدد بيضه ، النمل يفعل مع صغاره ما تفعله الأمم الراقية في التغذية والرياضة ، النمل أقوى من الإنسان (٣٠٠٠) مرة ، النمل فلاح ، بقر النمل ، النمل جراح ، للنمل مقبرة

النمل الغازى

١٣٩ ﴿رسالة عين النملة﴾ حديث بين المؤلف وبين المدرسين أيام الامتحان في سراى درب الجاميز وأن بعضهم كله في عين النملة فقال انها مقسمة الى مائتي عين فحدثت ضجة فأحضر المؤلف نص علماء الألمان والنمساويين بواسطة أكبر عالم في الزراعة بمصر جاء قوله مطابقا لما قرأه المؤلف في الكتب الانجليزية ١٤٢ عجائب عين النملة ، لها خمسة عيون ، ثلاثة منها أمامية لكل عين منها عدسة محدبة وشبكية وليفية عصبية وخلايا اضافية ملونة بالسواد ، ومنها ما تكون قرصية . هذه هي العيون البسيطة . وعينان مركبتان كل منهما من نحو مائتي عين صغيرة لكل عين قرنية فأهداب تكتنفها ومخروط وعدسة بلورية وشبكية للعين ومنطقة ملونة بالسواد خارجة ومنطقة داخلية وأعصاب بصرية وليف عصبى ونسيج أساسي الحشرات ترى الأشباح بسرعة غريبة

١٤٥ ﴿النحل بعد النمل﴾ يقال ان ملسكة النحل لها ١٠٠٠٠ عدسة صغيرة

١٤٦ ﴿التنفراف اللاسلكي وتبادل الخواطر﴾ تبادل الأفكار قد يحصل في أوقات شاذة بين الناس ولكنه يكثر بين الحيوانات ويعرف هذا صائدو الطيور والحيوانات وفي أدنى مراتب الحيوانات ويظهر في جميع الطيور — ﴿الحشرات والنمل﴾ للحشرات رأس ، صندوق . بطن . لها أذوار أربعة (بيضه . دودة . فيلج . حشرة تامة) لها ستة أرجل

١٤٨ رسم مزودة للنمل وهو الأرز النمل

١٥٠ رسم مساكن النمل (شكل ١٣) رسم مستعمرة النمل (شكل ١٤)

١٥١ رسم قرية النمل وطبقاتها (شكل ١٥)

١٥٣ التفسير اللفظي لقوله تعالى - وتفقد الطير - الى قوله - وأسألت مع سليمان لله رب العالمين -

١٥٧ ﴿اللطيفة الأولى﴾ في الهدد الذي أحاط علما بمالم يحط به نبي مع ذكر بعض أنواع الطيور وأن هذه تشمل عجائب الأسرار في - طس -

١٥٨ نام المسلمون (٩٠٠) سنة وقد أبقت الله الأمم حولهم في أوروبا والشرق الأقصى فأراد اليوم إيقافهم (أولا) بالكوارث والمدافع (وثانيا) بالندرات المبشرات ومنها هذا التفسير فأقول اني مأمور أن أتفقد كل شيء كما تفقد سليمان الطير وتفقد رسول الله ﷺ الكواكب ليلا والأشجار نهارا في الحديث المشهور وأشار لذلك بالطاء والسين هنا . طاء الطائر وسين سليمان مفتاحان لجميع العلوم - هاؤم اقرؤا كتابه - فهذا إذا تفقد الطير فأعرف أعضائها الداخلة وأحشاءها والطيور الدجاجية (شكل ١٦) مثل الجمل والطيور ذات الأرجل الكفية مثل الایدر (شكل ١٧) والطيور الشاطئية مثل الكروار (شكل ١٨) والطيور المتسلقة مثل نقار الخشب (شكل ١٩) والطيور السرية مثل القنبر (شكل ٢٠) والطيور الجارحة مثل الحدأة (شكل ٢١)

١٦٣ الكلام على الحيوانات الثديية ذات الأيدي الجناحية مثل الخفافش (شكل ٢٢) والكلام على فن الطيران وتجربة العلماء في طير الأوز العراقي واختلاف أشكاله في طيراته (شكل ٢٣ و ٢٤)

١٦٤ (شكل ٢٥ وشكل ٢٦ وشكل ٢٧ وشكل ٢٨ وشكل ٢٩ وشكل ٣٠ وشكل ٣١) ومن تفقدى للطير الحرف والفنون والصناعات عند الطيور

١٦٥ هجرة الفيران من انجلترا بقيادة فأر أعمى . سر من أسرار الطاء والسين . إن أمر النملة والهدد مع سليمان أشبه بالتطبيق على آية - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم - وهذه

المثلية تراعى هنا . إن دراستها واجبة كدراسة الأمم حوانا . نحن لا نعيش إلا بقراءة دينه العظم
وجعلنا بها معناه موتنا (اقرأ ما تقدم في سورة يوسف) فقد ظهر أنه يموت أى قردان وأنه الله مالت نزع
بلادنا ، ولما حافظ الناس على الطيور في بلادنا بعد ما كتبت عن ذلك في الجريدة ارتقت الزراعة ،
هكذا جهل المسلمين بالأمم حولهم أيام قطب أرسلان وأيام دخول الفرنسيين مصر وأورثهم الشكال

١٦٦ صورة المهدد (شكل ٣٤) صورة أبى قردان (شكل ٣٣) صورة الكروان (شكل ٣٤) وهذا من
سرّ الطاء والسين وهذه الطيور حباننا وبموتها موتنا والمسلمون لا يعلمون

١٦٨ صورة الرزاق البلدى (شكل ٣٥) كل ذلك من الطيور الآكلات للدود التى أنا أقول بتحريم صيدها
بالبرهان لأن موتها موت لنا والمسلمون يجب أن يتعلموا

١٦٩ الكلام على المهدد تفصيلا وعلى فن الطيران فى عصرنا الحاضر وأن الهواء أخف من الماء (٨٠٠)
مرة والبخار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة وقاعدة (أرشميدس) السلطان الأعظم هنا والكلام
على عوم السمك وغوصه بهذه القاعدة ومنفاخه الهوائى وحفظه تارة ونفخه تارة أخرى
والكلام على الوزن النوعى وأن البالون جاء على هذه القاعدة ، أما طيران الطير فى الهواء فعلى قاعدة
أخرى ولم يقدر الانسان على تقليد الطير بل أخذ يتخيل الطيران كالطير فى الشعر والخيال لا غير وفى
قصة حسن البصرى ، وفى القرن السادس عشر حاول رجل ايطالى الطيران وألمانى فى السابع عشر
وأخرى فى الثامن عشر ثم درس الطيور وحركاتها (بورلى) فى القرن الثامن عشر ويأس من الطيران
ولكن (المياتال) قال « متى قدر الانسان أن يصعد فى الجو بقوة رافعة وأخذ يحوم فتح له باب
الطيران » فنجح فى ذلك الشابان الأمريكيان سنة ١٩٠٥ واشترت الولايات المتحدة طيارتهما ثم احتفل
بهما سنة ١٩٢٨ بمضى ٢٥ سنة على تجربتهما . فمن سنة ١٩٠٣ ابتداء عصر جديد للطيران ، وفى
سنة ١٩٣٦ يكون الطيران شائعا

١٧١ جوهره فى قوله تعالى - الله لا إله إلا هو رب العظيم - وجوائى على سؤال سائل فى معنى - رب
العرش العظيم - و - ربّ العرش الكريم - وأن عظمة الملك لا تقتضى الكرم ، فكيف من ملك عظم
ملكه ولكنه لا يقدر أن يواسى كل ضعيف ومسكين بل اتساع الملك يقعه عن ذلك ولكننا نرى الله
لا يشغل تدير الانسان عن تدير حشرة أبى دقيق والزناير بل هو بكل شئ بصير فهذا هو الكرم ومثل
هذا الكلام فى - فتعالى الله الملك الحق - لأن ملك أهل الأرض مجازى ، فله مع كل مخلوق كالشمس
مع كل نسمة ومن هذا نقول لابد من بقاء الأنفس بعد الموت وهذا قوله - أخسبتم أنما خلقناكم
عبثا - الخ

١٧٢ قول بلقيس - ما كنت قاطعة أمرا - الخ هذه الآية تدل على ما كان عند العرب من أمر الشورى
فى الوثنية وقد نسبها المسلمون كما ظهر من حادثة على بن الحسين الذى أبى أن يحجز لو قد الهند السقرالى
مكة وأن تحكم البلاد بالشورى

١٧٣ قوله تعالى - فما آتانى الله خير مما آتاكم - هذه الآية تدل على أن نعمة تعلم هى كل شئ
جوهره فى قوله تعالى - إن الملوكة إذا دخلوا قرية - الخ مع قوله - فتلك بيوتهم خاوية بما ظفروا -
وبيان أصل هذا الانسان فى الأرض فهو من عناصر محركة مثل البوتاسا والبوتاسيوم والمعادن فيها قوة
تحكم العناصر والنبات له نفس تضبطها والحيوان كثير الاختلاف ، والنفس حوّلت تلك الأحوال الى
عواطف والانسان حوّطها الى عواطف أعلى ، ثم آراء الفلاسفة كالفارابى وأفلاطون ، ثم ما حال الأمم

المماوية والمغالية ، الانسان في هذه الأعمال لم يرتق عن الحيوان

١٧٤ تفصيل هذا الاجمال بشرح أمثال الصودا والجير والمغنيسيا والسليكا والكور وأوكسيد الحديد و بيان أن الانسان اذا استحضر أمامه من كل واحد من هذه قطعة فقد أحضر كل نبات وحيوان . إذن كل نبات وكل حيوان ترجع كلها الى هذه المواد المحرقة وغيرها . وبعض هذه القطع التي أمامك قد دخلت بمقادير مختلفة في البارود عند فرنسا وألمانيا وانكترا مثل ملح البارود والكبريت والعصم فهذه بعينها دخلت في النبات ، النباتات إذن فيها مواد محرقة كالبارود

١٧٧ فما الذي حفظ تلك المواد حتى صارت بهيئة جميلة في النبات ؟ الذي فعل ذلك أمر آخر أت من عالم آخر نسميه نفسا نباتية ، ثم هذا كنه داخل في عالم الحيوان لأن الحيوان مبنى جسمه من النبات . إذن هذه المواد المحرقة التي ضبطها النبات دخلت في الحيوان ومنه الانسان ، ولا جرم أن لهذا الانسان أسرا من عالم غير عالمنا ضبط هذه العناصر المحرقة فتقلبت صفاتها فيه الى عواصف وأخلاق وآراء بعد أن كانت بارودا قبل أن تغذي وسموما وأدوية ، وعلى مقتضى هذه العناصر المركبة وتنظيم النفس هل تكون سياسة الأمم التي نحن بصدد الكلام عليها في الآية ، ومن الناس من قالوا إنما الحياة لذات ومن قالوا هي الكرامة ومن قالوا هي المغالبة ومن قالوا هومدى بالطبع والمدينة فاضلة وقاسقة والفاسقة تظلم الأمم بالعصبية أو اللغة أو الوطن أو الدين أو المصاهرة أو الاستعباد أو بالملك الجامع . هذه هي آراء المدينة الفاضلة لأفلاطون وليس من هذا المنسوف اجتماع المساعين الديني في العصور الأولى لأنه نظام عام ، العالم الأرضي كأنه جهنم صغرى لأن المغالبة والظلم عما جا آعن أصل العناصر النارية ولولا تهذيب النفس النورية المماوية لهذه العناصر وتكميلها بحصول اجتماع أهل الأرض ، فالظلم في الأمم هو عين مازاه في الكبريت والفوسفور والعدل هو عين مازاه في النظام السماوي من حيث انتظام حركات الشمس والقمر وغيرها ونفوسنا في الأرض تشبه تلك النفوس المدبرات الكواكب فهي نظمت هذه الأجسام الانسانية وكلما زادت نظاما زادت قربا من تلك العوالم العليا ويشهد لذلك التشهد في السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وخير أحوال أهل الأرض أن يكون السلام بينهم جميعا كالسلام بين الكواكب في نظامها ١٨١ آراء أفلاطون في سياسة الانسان ، يرى مشاركة النساء للرجال في الحرب والوظائف وليس يعرف الموجود الحقيقي إلا الفيلسوف وعلى الحكام أن يهتموا عن العلم والعمل والصبر ، وهنا حكاية المغارة التي تخيلها وأن فيها قوما لم يروا النور ثم رأوه تدريجا يمثل تعلم العلوم وأنه بالتدريج وأن هذه السموات والأرضين ليس وجودها حقيقيا بل الموجود الحقيقي عالم المثال - ولله من ورائهم محيط - ثم بيان حكومة الأشراف والحكومة العسكرية وحكومة الأغنياء وحكومة الجمهورية وحكومة الفرد المطلق وأن كل واحدة أحسن مما قبلها ، وبيان بعض نصائح اللازم مثل الحجر على الشعراء والمصورين الذين يشبهون الشهوات في الشعب

١٨٥ التعاليم الاسلامية ، ماذا أصاب أمنا الاسلامية من الأحوال السياسية ، وبيان أن هذه التعاليم الفلسفية التي ذكرناها قد أنزلها الله على قلوب الأمم قبل نزول القرآن ليفهم المسلم معنى كون القرآن ذكرا فهو قد ذكر الانسان بالعلوم التي كانت مخبوءة في كتب الأمم من قبل نزوله وبه نفهم معنى - بل هو آيات يثبت في صدور الذين أوتوا العلم - والعجب كل العجب أن آراء أفلاطون في تدهور المدينة في درجتها السابقة هي بعينها التي جاء بمعناها حديث البخاري ﴿إن أخوف ما أخاف عليكم الخ﴾ إذ جعل التهاوت على اللذات مهلكا للأمم وهذا هو الذي بكى له رسول الله ﷺ وصاحبه وقت أن

حات الفناء يوم بدر هذا عجب عجيب

فلسفة قديمة ثم ينزل وحى وتكون هي شرحه وهذا أعظم معجزة

١٨٧ الكلام على تخريب الفاتحين للممالك وكيف يجازون بزوال ملكهم من ابن خلدون مصداق للآية .

خلافة بنى أمية . ثم خلافة بنى العباس ، ثم قيام بنى هاشم بالثورات مثل آل الحسن وآل الحسين ، عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بالأندلس ، خروج المهدي محمد بن عبد الله (الناس الزكية) وفرار أخيه ادريس بن عبد الله إلى المغرب الأقصى واجارة البربر له ثم انقراض الدولة بعد حين وقام على أنقاضها العبيديون ثم ملك نفس البرابرة ورجع العرب إلى الشرق

١٨٨ سر ارتقاء العرب ثم انحلال دولتهم ، العالم كله جسم واحد ، لما أخذت دولة الرومان في الانحلال أخذت

الله أمة بدوية في الصحراء بنى أرسله وأحل له الفناء وجعلهم خلفاء الأرض فلما جعلوا المال وسيلة لاصلاح الأمم بقيت دولتهم ولما جعلوه شهواتهم وصاروا ملاكا لا خلفاء أنزل الله ملكهم ولم يزل إلا بعد ما مكن الاسلام في الأرض وهو عدل يحل لكل أمة دولة يستخرج مواهبها ثم يوقظ أمة أخرى

١٨٩ نبذة من أسباب ذهاب دولة العرب مصداق للآيات والأحاديث ، زواج أمراءهم بالأجانب في الأنديس

عبد العزيز بن موسى بن نصير تزوج بأرملة لزيق ملك القوط ، محمد بن عبد الله تزوج بأسبانية تسمى (ماريه) وابنها عبد الرحمن الناصر وهكذا غيرهم بالأنديس ، وهكذا فشا الزواج والتسرى بالاسبانيات من القوط وغيرهم وهكذا سرى في العامة كما سرى في الأمراء ، وهكذا هذا التلقيح أثر في البربر فرقى أخلاقهم ولذلك انحلت الأمة وانقسمت إلى (٢٠) دولة

١٩٠ كيف يحصل الفساد والحرب في الأمم المغلوبة على أمرها ، وبيان أن من عوائق ذلك حصول المنلة للقبيل واقياهم لسواهم

١٩١ بيان أن بنى اسرائيل لما أنسوا بالذل في مصر لم يجحدوا من أنفسهم قدرة على دخول أرمياء بالشاء فكان من الحكمة أن يبقوا في القفر بجهة سيناء (٤٠) سنة حتى يفنى هذا الجيل ويخرج جيل عزيز الجانب حر

١٩٢ بيان أن الأمة اذا صارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء ، وأن الانساق خلق سيذا فإذا ذل هلك والحيوانات المفترسة لا تناسل اذا حبست في أقفاصها ، وبيان أن أمة العرب (اذا تركت دينها) وغلبت أمة أسرع إليها الفساد وأنهم لا يبالون إلا بالجباية ويتركون الناس فوضى

١٩٣ بيان أنهم أبعد الأمم عن السياسة (اذا تركوا الدين) وذ كرماقاله رستم لما جمع عمر المسلمين للصلاة وقوله (عمر يعلم السكالب الآداب)

١٩٤ الظلم مؤذن بخراب العمران وأن الأمم الظالمة تقع في سوء أعمالها وأن من عوائق الملك حصول الترف والتعيم ذلك لأن الجليل الذي يتشكل على غيره في أموره يصبح عاجزا وهذا كله موافق للأحاديث والآيات

١٩٥ بيان أن الأمم العربية لما اضمحلت خلق الله أمما أخرى لهارة أرضه منهم دولة انسكرت وأول ظهورهم كان سنة ٥٥ (ق . م) ودولة الفرنسيس وابتداء ملكهم سنة ٤٣٠ (ب . م) ودولة هولانده واستقلوا سنة ٩٨٧ هجرية

١٩٦ استعمار الفرنجة لبلاد الاسلام وهل يدوم

١٩٧ تلخيص ما تقدم . حفلة جامعة لعلماء الشرق وأوروبا دعى لها المؤلف يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٩ من أحمد زكي باشا وظهر في هذه الحفلة كيف أصبح أبناء العرب في هذا الزمان يرجون علماء أوروبا أن

يكونوا واسطة في أن أوروبا تعاد لنا معاملة الاخوان لامسألة الأذلاء وذلك بالامتيازات الأجنبية في مصر التي زالت من جميع الأرض إلا من مصر ، فليست سادة الأمم قديما كيف ذلوا لها حديثا وذلك بالأسباب المتقدمة.

٢٩٨ رأى المؤلف في اسعاد هذه الأمم الاسلامية في المستقبل وذلك أن يكون الاجتماع بالعلم والدين بعد أن فشل الاجتماع بالعصبية ، فليعلم التعليم بلاد الاسلام

٢٠٠ عبرة تاريخية في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - أول افساد الجماعات يكون بالصوصية ثم تقوى فتعير جهرا كما حصل من السلطان سليم الذي خرب مصر ، فأتى طارب الصليبيون المسلمين فما عذر السلطان سليم المسلم ، ذلك الذي أخذ رجال الصناعة من مصر وأهلكهم كما قيل وهم نحو ألفين فصارت البلاد زراعية ضيقة لا يهتمها سوى المال حتى ان بها اليوم ٦٠ وزيرا كل منهم يتناول ١٥٠٠ جنيه في العام ، كل ذلك من تأسيس الترك - والله غالب على أمره - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

٢٠١ (الطيفة الثالثة) في نقل عرش بليس ونحوه ، هنا نحو ٢١ سؤال أقيمت للأرواح في نحو هذا المقام والاجابة عليها بأجوبة جميلة بدية لا تصدر إلا عن أهل الحكمة العالية مثل السؤال عن السيل العام هل هو عنصر الأشياء والاجابة عليه بأن كل ما في الكون مركب منه ، ومثل السؤال عن المناسبة بينه وبين السيل الكهر بائي والاجابة عليه بأن ذلك مركب منه ، وهكذا الكلام على الأرواح وتحريكها للجماد بذلك السيل العام والسيل الخاص في الوسيط الخ ومثل تفصيل الأرواح الكلام على تلك الزهور البسديعة التي حضرت في المجلس بواسطة الأنسة (نيسول) والحجرة مقفلة زمن الشتاء وكيف حضرت وهل هي من أرضنا أم من أرض أخرى والاجابة بأنه لا يمكن أن يحضر من غير أرضنا وهكذا

٢٠٢ (القسم الثالث) - ولقد أرسلنا الى نوح - الى - فساء مطر المنذرين - كتب مشكلا وتفسيره اللفظي ٢٠٨ جوهرة في قوله تعالى أيضا - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - مع قوله - فلك يونس خاوية بما ظهروا -

(طيفة) في رأى فيلسوف الصين (كونفوسوس) في دولية العالم وفي مدح (كبن كنج) في شعره لأمرء الشرق قديما وحديثا مع انه رجل انجليزي وأن النوع الانساني فيه عواطف يمكن انماؤها للمحبة العامة

٢٠٩ (القسم الرابع) - قل الحمد لله وسلام على عباده - الى آخر السورة قد كتب مشكلا

٢١٠ تفسيره اللفظي

٢١٢ لطيفة في الموازنة بين هذه المذكورات السبع عشرة التي أولها خلق السموات والأرض وآخرها نكامل عالمهم في الآخرة بالحجج وهم عمى عنها وبين الحمد في الفاتحة والتحيات لله والسلام على النبي ﷺ والصالحين والحمد ملء السموات والأرض

٢١٤ جوهرة في قوله تعالى - آمن خلق السموات والأرض - الى قوله - أن تنبتوا شجرها - والكلام على المطلب الأول في الحمدائق ذات الهجة وأن الناس يعيشون مسحورين بحواسهم إذ يرون الماء والهواء والمعادن كالحديد والكبريت ونحوها اذا هي جوامد ولكن هذه الجوامد هي أعينها الشيعر والقمح والخشخاش والجزر وهي أنفسها الجذر والساق والجذر تسع صفات وللساق بضع صفات وكل منهما متجه الى جهة ما فأحدهما للأعلى والآخر للأسفل ولكل منهما عمل ، والنتيجة منافع ذات بال للحيوان والانسان وهذه المنافع تابعة للواد المنتفعة بالمتعة بتلك الجذور ممتدة بمقدار المنافع على حسب

الأنابيب الشعرية المختلفة فتحاتها باختلاف تلك المنافع من غذاء ودواء وفاكهة وملابس وغيرها ويساعد على ذلك الخضرة المختلفة الأشكال الناجمة من مادة السكاوروفلى المنبتة في جميع الأشجار والندخلة الكربون المخرجة الاكسوجين المرسل منها الى الحيوان والانسان وهكذا دوليك مع اختلاف الجذور من وتدى وليقى ودرنى (شكل ٣٦ و ٣٧ و ٣٨)

٢١٦ بيان أن هذا معنى قول الغزالي ﴿إن المشعوذ البارح أن يفعل مثل ما نراه في الطبيعة﴾ وبيان أن الساق زاحفة وقائمة ومتسلقة كالقضاء والقرع وكالقطن والنخل واللباب وأن الكرمة والبنارلاء والبرقال لها إما محالقي محورة عن الفصون أو عن الأوراق وأما شوك محول عن أغصان لمنافع خاصة (شكل ٣٩) صورة محالقي الكرمة وذكر الإشارة الى العلوم الربانية في النبات وبيان معنى - ما كان لكم أن تثبتوا شجرها - وبيان حدائق البحر التي كشفها (المستر ويليام) في مياه جزائر (البولينيز) وشاهد نباتها الجبل وحيوانها المختلف الأشكال وهو تحت البحر في آلة اخترعها حديثا تمنع الفرق ولا تمنع رؤية الأشياء ولا تصويرها

٢١٨ تطبيق المذاهب الفلسفية على مناظر هذا النبات وأن طاليس اليوناني الذي يشبه السنج في الهند طبقته أقل من علماء الیوجيين في الهند ومن سقراط وأفلاطون الخ أولئك الذين وقفوا على الحقيقة مفصلة ٢١٩ المطلب الثاني والثالث في قوله تعالى - أئمن جعل الأرض قرارا - والرابع في قوله - وجعل خلالها أنهارا - والخامس في قوله تعالى - أئمن يحيط للخطر - الخ

٢٢٠ ﴿البهجة في الحدائق ذات البهجة﴾ وبيان أن الروضة التي أنشئت حديثا عند جامع ابن طولون بمصر ذكرتني بوخامة هذا المكان سابقا وبجهل أكثر المسلمين التاركين القاذورات تفك بهم فسكا ذريعا وهم نائمون ، وبيان أن نبات أمثال هذه الحديقة يرسل في الهواء مادة الحياة الى الحيوان كما كشفه العلم حديثا وبالعكس

٢٢١ ﴿الطيفة الثانية﴾ في بهجة الحدائق وبيان اني أيام شباني كنت أجلس في الحقل واللباتين ويخيل الى أن باللباتين طربا وما كان لي بدور بخلدی أن هناك ذبابا كبيرا له طبل (شكل ٤٠) ولأن للأنمل أصواتا غنائية عجيبة ولأن للحشرات جهاز تنفس ولأن بعض الحنافس تطير (شكل ٤٣) ولأن هناك شجرة يشرب منها السائحون ماء صافيا (شكل ٤٤) ولأن الطاووس يغازل أنثاه (شكل ٤٥) ولأن للعنكبوت بصيرا وأعمى نوعا من الفزل بطرق مختلفة وهكذا

٢٢٢ ﴿بهجة الابصار في أوراق الأشجار﴾ والكلام على تنوع الأوراق تنوعا عجيبا كتنوع الأطعمة والأغذية والآدوية والزينة ، فإذا رأينا ورقة الحناء مستوية لا أسنان فيها وورقة الشمس لها أسنان صغيرة وورقة الفجل أسنانها أغور في الورقة وورقة العنبد أسنانها بلغت النهاية فأصبحت الورقة الواحدة أوراقا فهكذا نوع مقاصدها من زينة للأولى وفاكهة للثانية وخضراوات للثالثة وحبوبا للرابعة وهذه أشكالها الحناء (شكل ٤٦) الشمس (شكل ٤٧) والفجل والخروع ٤٨ و٤٩ والعنبد والتمرس ٥٠ و٥١ كل هذا في صفحة ٢٢٨ ثم الكلام على ورق النبات ذي الفلقة الواحدة إذ تكون متوازية وهي في ذي الفلقتين إما كالريش وأما كالراحة ثم ان عنق الورقة له ما يشبه في الانسان رباط الرقبة لحفظه كورقة البنارلاء (شكل ٥٢)

٢٢٩ الكلام على نسبة الأوراق بعضها لبعض وعلى الأزهار وأن الكلام على ذلك قد تقدم فلانعيده ٢٣٠ ذكرى الجبال والحكمة ومحاضرة المؤلف لصانع العالم وظهور دهشه من أن يرى ورقة الورد والبنارلاء

والسنت عجايب بما يقبها عاديات الدهر واعتقاده أنه لولا الحجاب المسدول، على عقولنا واثنا لم نشاهد صانع العالم لذات هذه النفوس من بهجة الجلال ولكن من الحكمة هذا الحجاب . سعادة مؤلف التفسير وسعادة قارئه إذ يقول إن هذه هي السعادة التي كان يشدها لما كان فتى إذ كان يحب أن يقف على ماوصل اليه عقل الانسان من المباحث وهذا هو اليقين الذي أيقنه المؤلف بمشاهدة أمثال ورقة السنت والبازلاء الخ كايقان أفلاطون الخ من أمة اليونان وابقان (كنت) الألماني و (سبنسر) الانجليزي والنقطة للجميع واحدة وأن هذه الآراء سيتم شرحها في رسالة سرآة الفلسفة وذلك من حيث العلم لاغير

٢٣٢ تفسير بعض الكلمات في هذه الآيات . التفسير اللفظي لآيات - ولا تحزن عليهم - الى قوله - لا يوقنون -

٢٣٣ تفسير الآيات من قوله تعالى - ويوم نحشر من كل أمة - الى آخر السورة

٢٣٤ اللطيفة الأولى من كتاب الأرواح ﴿ في أن الدابة التي تكلم الناس هي رمز لعلم الأرواح الذي ظهر في أمريكا وأوروبا ، وبه عرف كثير من الناس ربهم ، والرمز نوع من أنواع الكناية مع بقاء اللفظ على حاله ﴾

٢٣٥ اللطيفة الثانية ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة - وحكاية المؤلف مع المدام (ليبيديف) الروسية وتفسيره لكلام الجنيد إذ عبر عن نفسه وهو ساكت والقول ينشد بقوله - وترى الجبال - الخ فقال المؤلف إن الآية تتفق في ظاهرها مع أقوال القدماء في الفلك وفي حقيقتها مع علماء العصر الحاضر فيه وأن كلام الجنيد يريد به انه يرى ساكنا وقلبه متحرك كالأرض وما عليها وقالت ﴿ لقد كذب الفرنجة إذ يقولون لا بدائع في القرآن ﴾

٢٣٦ وههنا نقل المؤلف من كتابه جواهر العلوم في هذا المعنى مع ايضاح

٢٣٧ اللطيفة الثالثة ﴿ في قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وههنا نقل المؤلف من كتابه « جواهر العلوم » (٣٠) معجزة كشفها العلم الحديث ، المركبات الحديثة والتصوير الشمسي وانسحاق القمر من الشمس وكون السماء دخانا (الأيثر) ومثل كراهة أكل لحم البقر ومثل غسل أثر الكلب وهكذا المكروبات ومثل كثرة الاغتسال في الدين الاسلامي وهكذا والقاح الأشجار ومثل يأجوج ومأجوج ، ومثل ظهور السكرابج في الاسلام ، ومثل النساء المتبرجات ، ومثل ان الذباب داء ، ومثل ان النساء تؤخرهن الطبيعة كلما أردن التفوق على الرجال والفوقراف وكل هذا على مقتضى الآيات والحديث الشريف

٢٣٨ اللطيفة الرابعة ﴿ إن في هذه السورة حدين وشكرين - حمدان للنبي ﷺ وشكران لسليمان أحدهما لنعمة العلم والثاني لنعمة الملك . والحمدان من نبينا ﷺ أحدهما هو مقامه المحمود وثانيهما حمده الله على انه سيعلم هذه الأمة ويجعلها - خير أمة أخرجت للناس -

٢٤٠ اللطيفة الخامسة ﴿ في تلخيص كلام الغزالي ليظهر منه أن الأمة الاسلامية اليوم لم تقم بالشكر فلذلك احتلت بعض بلادها الفرنجة

٢٤١ تفصيل الكلام على الشكر وانه علم وحال وعمل من كلام الامام الغزالي ، وبيان أن المسلمين اليوم غير شاكرين غالبا

٢٤٢ جوهرة في مقال عام في آية سفرهم آياتنا - الخ . وبيان ما يخص النظريات التي ستذكر في رسالة ﴿ مرآة الفلسفة ﴾ وانها قد خلصت من الاعتراضات التي وردت على أفلاطون وأرسطاطاليس في الكلام على نظام الدنيا ومأصل العالم وما منزلة المادة وهكذا وبيان ما في هذه الرسالة من آراء العلماء قديما وحديثا

- ٢٤٤ بيان أن هذه الرسالة سيكون في آخرها تقسيم جميع العلوم وهي (١٧) ولها فروع تعد صناعات
- ٢٤٥ انذار المؤلف للأئمة الإسلامية اذا تركوا هذه العلوم
- ٢٤٥ جوهرة في بعض سر الطاء والسين في آية - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - وأن الانسان مضطرب مادام جاهلا بنظام الدنيا
- ٢٤٦ متى عرفت الحقائق أحسست بالسلاام ، سلام عيسى في مواطنه الثلاثة وسلام المسلم في التشهد الخ والمسلم إذ ذاك يفهم معنى الرحمة ومعنى الغضب في سورة الفاتحة وأن الله منزّه عن الرحمة والغضب اللذين يتصف بهما نوع الانسان بل رحمة وغضب يرجعان لنظام الوجود ودرجات المخلوقات وذلك يعرفه المسلم في التسبيح في ركوعه وسجوده
- ٢٤٧ المستنبطات التي وجدت في هذا العصر مثل الصور الفوتوغرافية ومثل الأشعة التي فوق البنفسجية التي كانت فيها قوى عظيمة صحية نافعة ، ومثل تسميد الزرع من نفس الهواء وهكذا وهي ٣٣ آية من آيات الله تعالى التي وعد بها إذ أمر بالحمد عليها فقال - وقل الحمد سبركم آياته فتعرفونها - وأمرها العدد لاطالة الحياة وصحة العقول والعواطف

(تمت)

